المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

النقشبندية

عرض ونقد

في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة

رسالة مقدمة لنيل درجة العالية العالمية " الدكتوراه"

إعداد
شريفة بنت فؤاد مرعي الشريف
39-701-423

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور
يحيى محمد ربيع
الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين بقسم العقيدة

العام الدراسي 1429 هـ

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة : النقشبندية عرض ونقد في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة
اسم الباحث : شريفة بنت فؤاد مرعي الشريف
الدرجة : رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه
هدف الدراسة : تهدف هذه الدراسة إلى عرض الطريقة النقشبندية ونقدها في ضوء أهل السنة والجماعة.
موضوع الرسالة : عرض الطريقة النقشبندية كما وردت في كتبهم ، ومن خلالهذا العرض أبرز أهم عقائدهم في علاقتهم بالله سبحانة

وتعالى ، ورسول الله ، وأوليائهم ، وأهم مصادر التلقي عندهم ، ونقد كل ذلك في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة .

أبواب الرسالة : تقع هذه الرسالة في ثلاث أبواب

الأول : مؤسس الطريقة النقشبندية

الثاني : الطريقة النقشبندية

الثالث : المآخذ العقدية والعملية على الطريقة .

أهم النتائج :

توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية :

1- الطريقة النقشبندية طريقة مبتدعة خارجة على نصوص الكتاب والسنة
2- تأثرت هذه الطريقة تأثراً ظاهراً بالأديان القديمة من بوذية وبرهمية ، ونصرانية ، ويهودية . كما تركبت بعض عقائدهم من الفلسفات اليونانية القديمة.
3- أنهم جعلوا علاقتهم بالله على نحو المحبة والعشق حتى وصلوا بها إلى الفناء ثم منه إلى حدة الوجود ، الذي اعتبروه التوحيد الحقيقي الذي هو توحيد خاصة الخاصة عندهم.
4- أنهم تجاوزوا في رسول الله المنزلة التي أنزله الله إياها فجعلوه التعيين الأول للذات الإلهية ، فهو عين الوجود الصادر من الله بلا واسطة ، وكل ما عداه مخلوق منه .
5- وقوعهم في الشرك بنوعية :

الأول : المتعلق بأعمال القلوب الذي تمثل بخوف السر ، محبة التوجه والقصد.

الثاني : المتعلق بأعمال الجوارح والذي تمثل في :

- التبرك بكل ماله علاقة بالولي
- الدعاء والاستغاثة بأوليائهم
- زيارة قبور الصالحين لحصول الفيض.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل ، فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، النبي الأمي نشهد أنه بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في سبيل ربه بالبيان

والسنان حتى أتاه اليقين ، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .
أما بعد .
فمن نعم الله على هذه الأمة أن جعل منها الصفوة المختارة تسير في ضوء الكتاب والسنة، وقد فارقهم رسول الله وهو راض عنهم .
هكذا كانت الأمة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين في عافية من البدع ، موحدة متماسكة مترابطة .
لكن أعداء الله وأعداء الملة الإسلامية مافتؤا يكيدون لها منذ أن بدأت وهم يتقصدونها في كل مرحلة ، بحسب ما يقتضيه الحال ، ففي حالات الضعف تعلن الحروب، ويصرح بالعداوة والتنكيل والتقتيل ، وفي حالات القوة فإنهم يسلكون مسالك شتى ، من إضرام لشرارة العصبية العرقية بين المسلمين ، وإثارة دعاوى الجاهلية ، وإثارة الشبه والتشكيك في الدين ، بإقحام الأفهام المضلة ، عن طريق الموالفة بينها وبين حقائق الوحي الخالصة وتقديمها للمسلمين على أنها هي الحق المبين ، وهي من جملة البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان .
ومن أخطر هذه البدع التي ذاع صيتها في هذا العصر وقربت فيه الثقافات ألا وهي بدعة التصوف متمثلةً بالطرق الصوفية التي كثرت وتعددت وكلاٌ منها يدعي أنه ينتهج طريق النبي .
والتي ينشرونها باسم الزهد ، ودعوى محبة الله ورسوله ، وذلك لإحياء الروحانية التي فقدت على حد زعمهم.
حيث يبدأ المد الصوفي بنشر الأدعية للحفظ والشفاء يتخللها ألفاظ غريبة ثم صلوات على الرسول فيها من المبالغات الشيء الكثير وتنتطوي على معتقدات غريبة ، كل ذلك تحت دعوى المحبة والقرب إلى الله .
وتلك الأمور كلها في ظاهرها لا تخرج عن الدين ، فإذا ما فتشت فيها تجد برهمية وبوذية ، تجد أفلوطينية وغنوصية ، تجد يهودية ونصرانية ، ووثنية جاهلية ، تجد فيها كل ما ابتدعه الشيطان من كفر، لكنه كفر لبس فيه الحق بالباطل ، ليقدم للمسلمين على أنه هو التوحيد الحقيقي

بألفاظ لا تبتعد كثيراً عن ما في كتاب الله – سبحانه – وسنة نبيه الكريم.

وقد وفقني الله بعد ما رأيت من باطل يلبس لباس الحق يخدع به الناس ، إلى اختيار طريقة من الطرق التي يدعي أصحابها أنها أسهل الطرق إلى الله وأنها هي الطريقة السنية كما كان عليه رسول الله وصحابته الكرام لا يحيدون عنها قدر أنمله ليكون موضوع رسالتي لنيل درجة العالمية العالية للدكتوراه من كلية الدعوى وأصول الدين قسم العقيدة تخصص عقيدة من جامعة أم القرى:

"الطريقة النقشبندية عرض ونقد في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة"

أسباب اختيار الموضوع :

ما دعاني لاختيار هذا الموضوع الأسباب الآتية :

1- أن هذا الموضوع لم أجد من بحثه أو تعرض له من قبل بشكل مفصل على النحو الذي بحثته .
2- أن هذه الطريقة قد أشتهر عنها أنها الطريقة السنية بخلاف غيرها من الطرق ، ولهذا وجدت في نفسي رغبة ملحة في أن أتتبع هذه الطريقة لأتبين هذا الإدعاء مجردة من أية أحكام مسبقة حتى لا يقول القوم أننا أهل السنة والجماعة نحكم بدون أن نعرف .
3- ما قد تسهم به هذه الدراسة ، من كشف عن حقيقة هذه الطريقة وما ينطوي تحتها من معتقدات تؤدي إلى الكفر بمن اعتقدها ، وتبتعد به عن سبيل أهل السنة والجماعة ، فيكون الطريق الذي يسلكه المسلم ليصل به إلى الله ، هو طريقه للبعد عن الله والدخول في الكفر .

أهمية الموضوع :

1-انتشار الاعتقاد بأن التصوف هو العلاقة الروحية ، والتفكير العميق ، والحب الصادق الخالي من الشوائب لله ولرسوله .

2-المد الصوفي من خلال بعض الزوار لمدينة رسول الله □ والمهاجرين في هذا العصر الذين ينتهجون طريق التصوف ، ينشرون أفكارهم عن طريق اجتماعات منظمة لنشر أرائهم حول التصوف ، وما بداخله من معتقدات حول العلاقة بالله على نحو المحبة والعشق ، وحول رسول الله □ بأنه حقيقة الحقائق ، وأنه خلق من نور ، وأنه □ لا يرى له ظل ،و أنه أول مخلوق وجميع المخلوقات خلقت منه .

3-انتشار أمهات الكتب لأئمة الصوفية كالفتوحات لابن عربي ومكاشفة القلوب للغزالي، بحيث تراها في متناول أيدي العامة وهم يتسألون أين الضلال فيها .

4-ما لهذا الموضوع من خطورة تكمن في تكريس الدعوة لنبذ ما في الكتاب والسنة ، وترك العلم وبغض أهله ، ورميهم بشتى التهم ، واعتماد الطرق المبتدعة التي تعتمد على الكشوفات والأذواق كمناهج بديلة للدين.

من هذا كله تتبين أهمية البحث في المساهمة في إيضاح السبيل للمخدوعين من المخلصين ، الذين يبحثون عن طريق الله .

وأخيراً : فإن هذه الدراسة لا تعدوا عن كونها أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر الذي قال الله فيه : □
[illegible]
[illegible]
[illegible]
]آل عمران: 104[

وقال فيه النبي □:
" من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " رواه مسلم

الدراسات السابقة ..

هناك ثلاثة رسائل جامعية لها علاقة بالموضوع .

1-النقشبندية وأثرها في انتشار الإسلام في تركيا رسالة ماجستير
إعداد: أحمد عزب بلاطة معهد الدراسات الآسيوية بالزقازيق
2-الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي وآراؤه الكلامية والصوفية رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية الدكتوراه في العقيدة والفلسفة
إعداد: أحمد محمد عبد الوهاب جامعة الأزهر كلية أصول الدين بالقاهرة قسم العقيدة والفلسفة.
3-الإمام خالد النقشبندي ومنهجه الصوفي وجهوده في التصوف رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة والفلسفة
إعداد:أحمد علي عجيزه جامعة الأزهر كلية أصول الدين بطنطا
-أما عن الرسالة الأولى وهي التي لها صلة وثيقة في الموضوع فهي تتحدث عن نفس الموضوع لكن البون شاسع حيث أنها تتناول الطريقة النقشبندية على أنها طريقة شرعية، ولهذا فالباحث يسلط الضوء على جهودها في نشر الإسلام ، وقد اطلعت عليها كاملة ووجدت الباحث لا علاقة له بنقدها ، بل إنه يثنى عليها ويمتدح جهودها ، فالدراسة لم تكن نقدية بل كانت تقريرية وهذا يظهر من عنوانها.
أما بحثي فلم يكن له هدف سوى تناول عقائد هذه الطريقة بالتحليل والنقد بعد عرضها على مذهب أهل السنة والجماعة.
-أما البحثان الآخران فكل منهما يتناول إماماً من أئمة هذه الطريقة ويتناول جهودهما ومع أن كلاً منهما بعيدٌ عن بحثي وموضوعي إلا أنهما عرضا جهود الإمام محل بحثه عرضاً تقريرياً لا نقدياً حيث امتدح كل باحث إمامه الذي اختاره للدراسة وعرض الطريقة النقشبندية من خلاله على أنها طريقة سنية لا تتعارض مع عقيدة أهل السنة والجماعة.

ومن هنا تبدوا أهمية هذا البحث في أنه استدراك على مثل هذه البحوث لأنه يتناول الطريقة بمنهج تحليلي نقدي يبرز المحاسن إن وجدت ويهدم المسالب وهي كثيرة خاصة فيما يتعلق بالاعتقاد.

وهناك دراسات أخرى عن النقشبندية مثل

1- الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها لمحمد فريد الهاشمي .
2- النقشبندية عرض وتحليل لعبدالرحمن دمشقيه.
3- النفحات الجودية في مآثر وأوراد الطريقة النقشبندية .

ولكنها ليست رسائل جامعية

عملي في البحث :

بدأت طريق البحث بتجرد تام أبحث عن الحق أنا وجد ، فقد وضعت لنفسي خطة أسير عليها ..

فذهبت أولاً للتعرف على المتصوفة الملتزمين بطريق التصوف أحاورهم وأتلقى ما عندهم من آراء ومعتقدات ، وخلال ذلك ، عرفت أن للنقشبندية فرعاً في مصر فسافرت إليها ، وعندما وصلت إلى هناك وجدت أن لهم ثلاث فروع أو سلاسل كما يسمونها – في القاهرة – فرع لآل الكردي في حي شبرا .

وهناك يجتمع مريدوا النقشبندية للذكر والذي يسمونه بالختم ، وسيأتي بإذن الله الحديث عن طريقة الذكر عندهم حال الاجتماع ، وقد حاولت أن أدخل مكان الاجتماع إلا أن أحد مريديهم أخبرني أن هذا الختم لا يحضره النساء ، وعندما حاول زوجي الدخول أخبرنا : أن الاجتماع للمولد في الحسين قريب وسيكون للنقشبندية حضور هناك . ثم تبين لي بعد ذلك أن الذكر حال الاجتماع يكون عندهم عن طريق حلقة سرية لا يحضرها الغرباء ، ثم حادثت الشيخ محمد الكردي شيخ النقشبندية في تلك المنطقة مرة ولم أتمكن من محادثته أخرى . ثم توصلت للسلسلة الثانية وهم آل جودة في طنطا فسافرت إلى هناك ، وكنت قد حدثت د.جودة المهدي عميد كلية القرآن الكريم بجامعة الأزهر بطنطا ،

وقد رحب بزيارتي مشكوراً وأخذ خلال اللقاء يتحدث عن الصوفية ومآخذ ابن تيمية عليهم ثم ذهب إلى تبرير شطحات الصوفية بما وجدته بعد ذلك في كتبهم ، وأثناء حواره معي قام أستاذ فاضل بتنبيهه إلى أن هذه السائلة من جامعة أم القرى ، وكانت نتيجة هذا التنبيه ، أن انتهى اللقاء على غير ما أردت.

فقد كان هدفي من تلك المحادثة وهذه الزيارة الحصول على بعض كتبهم إلا أن ذلك لم يحدث.

فآثرت أن لا أتصل بالفرع الثالث لأن ذلك لن يجدي على ما بدا لي .

ثانياً : كان من خطتي أن التقي بمن تصوفوا وعادوا من طريق التصوف فقابلت الأستاذ الفاضل محمود المراكبي .

الذي ما بخل علي بشيء مما في جعبته ، سواء وهو في طريق التصوف ، وأسباب اختياره لهذا الطريق ، وكيف عاد منه وما سبب عودته ، وانقلابه على التصوف والصوفية ، حتى أنه ألف سلسلة الظاهر والباطن في ذلك والذي أهداني مشكواً نسخة منها .

وقد كان له الفضل بعد الله في إيضاح الطريق أمامي ، وكشف كثير من المعتقدات التي يعتقدها الصوفية بصفة عامة .

وعندما شرعت في كتابة البحث لاقيت من الصعوبات والمشاق في سبيل ذلك ما لاقيت ، وإنني والحمد لله أحتسب ذلك عند الله .

صعوبات البحث :

1- طبيعة التصوف ذاته ، فهو يمتاز بالغموض ، والتعقيد فكلامهم على النمط الإشاري ، حتى أن الصوفية أنفسهم يستشكلون بعض العبارات ، فقد أورد الشعراني[1]كلاماً لشيخه الخواص [2] ، على النمط الإرشاي ، ثم عقبة بقوله :

---

[1] (1) انظر ترجمته ص 50

[2] (2) الخواص ، هو : ابراهيم الخواص شيخ صوفي أمي ذكر النبهاني من كراماته الشيء الكثير ، انظر جامع كرامات الأولياء (1/390) ، وذكر

" وهذا اللسان لا أعرف له معنى على مراد قائلة ، وإنما ذكرته تبركاً "[3] فإذا كان الصوفية أنفسهم يستشكلون بعض العبارات فبالأحرى أن يستشكلها غيرهم ممن ليس منهم .
وقد اضطرني ذلك إلى قرأه بعض النصوص مرات ومرات والاستعانة يكتب مصطلحاتهم مما جعلني انفق من الوقت الكثير على غير ما توقعت .

2- صعوبة الحصول على كتب النقشبندية ، فقد أدركت تلك الصعوبة بعدما بحثت في المكتبات الخاصة لبيع كتب التصوف وكذا في المكتبات العامة ، فكثفت جهودي في محاولة الاتصال بأصحاب الدراسات السابقة عن النقشبندية إلا أن بعضهم قد حجبه الموت ، والبعض الآخر لم أتمكن من الوصول إليه لفترة من الزمن ، إلى أن حصلت على هاتف الأستاذ عبدالرحمن دمشقية . الذي أمدني بجميع المراجع الذي حصل عليها عندما ذهب إلى تركيا وأظهر أنه انتهج الطريقة لفترة لكي يحصل على هذه المراجع وقد أرسلها إلي مشكوراً.

وقمت بدوري بالتعامل مع شخص تركي نقشبندي يسكن مصر ، لأحصل على البعض الآخر.

3- عند تتبع أقوال النقشبندية حول حقيقة علاقتهم بالله – عزوجل – والرسول ، والأولياء وقدراتهم التي لا حد لها ، وجدتهم قد حذوا حذو ابن عربي[4] يستشهدون بأقواله حول معتقداتهم فذهبت إلى الدراسات حول فكر ابن عربي وحقيقة معتقده وقد أضناني ذلك ، فقد اضطررت لقرأة كتب بحالها لأخرج من ذلك بفكرة واحدة.

4- كنت عندما أجد نصاً صريحاً فيما اعتقدوه ، كنت أبحث عن أصل هذا المعتقد عند أئمة التصوف

الشعراني له ترجمة مطوله في طبقاته (150/2-169)
[3] (3) طبقات الشعراني (2/ 169) .
[4] (1) انظر ترجمته ص93

ممن حذا النقشبندية حذوهم ، وقد كان يتطلب مني ذلك القرأة في الدراسات حول التصوف ومعتقدات أهله بصفة عامة ، مما جعلني أنفق الكثير من الوقت .

منهجي في البحث :

1- قمت ببيان معتقداتهم حول طبيعة العلاقة بالله – عزوجل - ، والرسول وأوليائهم ، واتبعت في ذلك المنهج الوصفي وذلك بعزو الأقوال إلى قائليها ما أمكن .
2- قمت بمناقشة هذه المعتقدات واتبعت في ذلك المنهج التحليلي النقدي .
3- قمت بتوثيق المعلومات بالاعتماد على مصادر النقشبندية القديمة ما أمكن ، والمراجع الأصلية .
4- عند حديثي عن الطريقة لم أراع فترة زمنية معينة ، بل كل ما يخدم الموضوع ويتعلق به ، فإني استفيده ، سواء أكان في مصادرهم القديمة ، أو المتوسطة ، أو الحديثة .
5- إذا ذكرت المرجع أولاً ، فإني أذكر اسمه كاملاً ، وقد أذكر غالباً اسم محققه ، ودار نشره أحياناً ، وبلد طبعه ، وتاريخ الطبع ، ورقمه . وما لم أجد تاريخ ، ورقم الطبعة ، فإني أنص على ذلك بقولي : بدون رقم وتاريخ – هذا في الغالب - ، وأحياناً ما أقول : بدون أي بيانات أخرى .
6- إذا ذكرت المرجع مختصراً فقد يقع الاشتباه فيه ، لاشتراكه في الاسم الأول والثاني ، فأحتاج إلى إثبات اسمه كاملاً وأختصر الأخر فأقتصر على الاسم الأول الذي وقع فيه الاشتراك ليعلم أنه هو وهو كتاب الأنوار القدسية في مناقب النقشبندية ، وكتاب الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية ، فإذا اقتصرت على اللفظ الأول والثاني بقولي

مثلاً : انظر الأنوار القدسية ص10 ، فأعني به الأول والثاني أذكره كاملاً .

7- عزوت الآيات إلى سورها مع ذكر أرقامها ، واتبعت في كتابتها الرسم العثماني .
8- خرجت الأحاديث الواردة في البحث ، تخريجاً أسلك فيه مسلك الإطالة غالباً.
9- اختصر في الكتابة أحياناً فعلامة "ص" إختصار كلمة صفحة وعلامة "ط" إختصار لكلمة طبعةوكلمة "فتح"و"نووي"أقصد بالأولى فتح الباري شرح صحيح البخاري والثاني صحيح مسلم بشرح النووي.
10- ترجمت للأعلام غير المشهورين ، والشهرة شيء نسبي . وقد أحيل أحياناً إلى عدة مصادر في الترجمة الواحدة ، وقد اقتصر أحياناً على مصدر ، أو اثنين ، ولم إتبع في ترتيب المصادر المختصة بالترجمة منهجاً معيناً .
11- لم التزم ترجمة الأعلام المعاصرين .
12- عرفت بالفرق.
13- عرفت ببعض البلدان.
14- عرفت بالمصطلحات.
15- وضعت فهارس للبحث اشتملت على الآتي :
- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث .
- فهرس الأعلام.
- فهرس التعريف بالفرق
- فهرس المصطلحات
- فهرس المراجع و موضوعات البحث

خطة البحث

قسمت البحث إلى مقدمه وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة وتلك هي المقدمة أما التمهيد فقد تحدثت فيه عن التصوف ونشأة الطرق الصوفية .

أما الباب الأول فجعلته بعنوان

مؤسس الطريقة النقشبندية

محمد بن محمد بهاء الدين نقشبند الأويسي البخاري المعروف بشاه نقشبند
ويحتوي على أربعة فصول
الفصل الأول :عصره (من الناحية السياسية ، والثقافية ، الدينية).
الفصل الثاني : ولادته ، نشأته ، وفاته ، آثاره.
الفصل الثالث :شيوخه وتلاميذه.
الفصل الرابع : عقيدته.

الباب الثاني

الطريقة النقشبندية
ويحتوي على خمسة فصول
الفصل الأول : التعريف بالطريقة ونشأتها.
الفصل الثاني : ابرز دعاتها (أعلامها).
الفصل الثالث : مصادر وطرق التلقي.
الفصل الرابع : معالم الطريقة
يحتوي هذا الفصل على ستة مباحث :
المبحث الأول : قواعد السلوك لدى المريد .
المبحث الثاني : آداب الطريقة وشروطها .
المبحث الثالث : أركان الطريقة.
المبحث الرابع : عقيدتهم في الله.
المبحث الخامس : عقيدتهم في رسول الله ﷺ.
المبحث السادس : مراحل السلوك.
الفصل الخامس : واقع النقشبندية وانتشارها.

الباب الثالث

المآخذ العقدية والعملية على الطريقة

ويحتوي على ثلاثة فصول
الفصل الأول : المآخذ على مصادر التلقي.
الفصل الثاني : المآخذ العقدية ويحتوي على ثلاثة مباحث
المبحث الأول : المآخذ العقدية على عقيدتهم في الله ويحتوي على ثلاثة مطالب
المطلب الأول : مناقشة علاقتهم بالله .
المطلب الثاني : مناقشة أقوالهم في الفناء .
المطلب الثالث : مناقشة وحدة الوجود .

المبحث الثاني :المآخذ العقدية على عقيدتهم في رسول الله ﷺ ويحتوي على مطلبين.
المطلب الأول : مناقشة اعتقادهم : أنه ﷺ أول مخلوق وأنه ﷺ خلق من نور وأن كل مخلوق في هذا الكون خلق منه ومناقشة بعض صيغ الصلوات على الرسول ﷺ الواردة عندهم .
المطلب الثاني : اعتقادهم التوسل بذات النبي ﷺ .
المبحث الثالث: المآخذ العقدية على عقيدتهم في أوليائهم
المطلب الأول : خطأهم في مفهوم الولاية من حيث المعنى والقدرة وحدود الولي . المطلب الثاني : خطأهم في مفهومهم للكرامة .
المطلب الثالث : التربية التي يتلقاها المريد عن سلوكه طريق القوم (علاقة المريد بشيخه).
المطلب الرابع : أنواع الشرك الذي وقع فيه النقشبندية .
الفصل الثالث : المآخذ العملية على الطريقة.
المبحث الأول : مناقشة مفهوم النقشبندية للحقيقة والشريعة وموقفهم من العلم .
المبحث الثاني : مناقشة الذكر عند النقشبندية .
المطلب الأول: مناقشة الذكر حال الانفراد.
المطلب الثاني :مناقشه الذكر حال الاجتماع المعروف عندهم بالختم الخوجكاني.
المطلب الثالث: مناقشة الأذكار والأوراد النقشبندية وإلزام المريد بها
المبحث الثالث : مناقشة قواعد السلوك عند النقشبندية .
المبحث الرابع : موقفهم من بعض المسائل الشرعية .
المطلب الأول :مناقشة ترك الرخص والأخذ بالعزيمة .
المطلب الثاني : مناقشة التنفير من الزواج عند النقشبندية .
والخاتمة وقد ضمنتها أهم نتائج البحث .

شكر و تقدير

أشكر المولى سبحانه وتعالى على أن يسر لي طريق العلم ، الذي هو طريق الجنة ، وأشكره تعالى أن أتم علي نعمته في إتمام هذه الدراسة ، فلله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .

و لأن الناس بالناس وهو معنى الحديث الصحيح (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) [5] فإن هذا البحث ما كان سيظهر على النحو الذي هو عليه إلا بمعاونة أهل الفضل ، وانطلاقاً من قوله ﷺ (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) [6]واعترافاً لأهل الفضل بفضلهم وتقديراً لهم فإني أدعوا المولى – عز وجل – أن يجزيهم عني خير الجزاء متمثلة قول النبي الكريم ﷺ الذي أرشدنا إلى أن (من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإذا لم تجدوا فادعوا له حتى يعلم أن قد كافأتموه) [7]ولأن المكافأه على المعروف من المروءة التي يحبها الله ورسوله فإني أخص بالشكر والامتنان

هذه الجامعة التي هي مشعل من مشاعل العلم ، والتي هيئت لي فرصة الدراسة ، ولأمثالي من طلاب العلم ، وخاصة كلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة متمثلة في جميع أعضاء هيئة التدريس .

كما أخص بعظيم الشكر والامتنان أستاذي الفاضل أ/د. يحيى محمد ربيع المشرف على الرسالة تقديراً لجهوده التي بذلها معي خلال مراحل البحث والذي كان بعد الله خير معين على إتمامه وتكامل فصوله ، واشكره أيضاً على معاملته الأخوية التي كانت باللين مرات والشدة أحياناً .

---

[5] (1)متفق عليه انظر صحيح البخاري (1/182) ومسلم (4/1999)

[6] (2)رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات وصححه الترمذي عن أبي هريرة مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (8/330) وانظر كشف الخفاء (2/2147)

[7] (3)سنن أبي داوود (1/524) قال الالباني صحيح.

ناصحاً ومصححاً ومنظماً ، فلم يبخل علي بوقته وعلمه . فجزاه الله خيراً وأتم عليه نعمه ظاهرة وباطنه .
ثم أقدم شكراً عطراإلى والدي الكريمين اللذين كان سبباً في وجودي ، ولهما أثراً في توجيهي فإني أهدي لهما ما خطت يداي وأرجو الله أن يشاركاني الأجر فيه وأن يجزيهما عني خير الجزاء ، ويبارك في عمرها ، وأن يرحمهما كما ربياني صغيرا .
وأوجه شكراً خاصاً مشفوعاً بأبلغ عبارات التقدير والثناء والامتنان لمن له الفضل بعد الله علي زوجي ورفيق دربي الذي مافتئ يساندي ويتحمل مشاق الطريق معي صابراً ومصبراً ومعيناً فجزاه الله عني خير الجزاء .
ويسرني أن أسجل شكري وتقديري للإدارة العامة لتعليم البنات لإتاحة الفرصة لي للالتحاق ببرنامج الدراسات العليا.
والشكر موصول لإدارة تعليم البنات بالمدينة المنورة لتيسير ذلك .
كما أتقدم بالشكر والامتنان للجنة الموقرة المتمثلة بفضيلة الأستاذ د/ علي بن نفيع العليان.
الأستاذ د/ عبدالله بن سليمان الغفيلي
لقبولهما مناقشة الرسالة فجزاهما الله خيراً.
كما أشكر الأستاذ محمود المراكبي,والأستاذ عبد الرحمن دمشقية على تذليل بعض صعوبات البحث فجزاهما الله عني خير الجزاء.
كما أشكر د/ سعود الخلف و د/ بسمة جستنيه على معاونتي ومساندتي لإتمام بحثي هذا.
كما لا يفوتني أن أشكر أخواني وأختي وأبنائي وصديقاتي وزميلاتي اللاتي لهجت ألسنتهن بالدعاء لي بالتوفيق والسداد ، وكل من نظر إلي نظرة معاضدة وتشجيع فلهن مني جزيل الدعاء وجميل الوفاء
واسأل الله أن يجعل هذا العمل مقبولاً.. .

تمهيـــــد

تعريف التصوف لغة واصطلاحاً:

التصوف لغة :

لم تتفق كلمة الصوفية في تحديد الأصل الذي يمكن ارجاع اشتقاق لفظ التصوف إليه.

فكثرت أقاويلهم وتعددت إتجاهاتهم في ذلك فحاول البعض نسبة التصوف إلى .

أهل الصُّفة :

والصفة (بتشديد الصاد مع ضمها وتشديد الفاء وفتحها) فناء ملحق بمسجد رسول ﷺ بالمدينة إلى جهة الشمال وموضعه الأن خلف قبر الرسول ﷺ مباشرة بحيث يكون القبر النبوي أمام الجالس فيها .

1- أهل الصُّفة :

لقب يطلق على جماعة من فقراء المسلمين الذين قدموا المدينة مهاجرين إليها بدينهم مع رسول ﷺ أو بعده ، ولم يكن لهم بالمدينة أهل ولا مسكن يأوون إليه ، فكانوا ينزلون في صفة مسجد رسول الله ﷺ وينامون فيها الليالي ذوات العدد ، حتى يتهيأ لهم مسكن يبيتون فيه فإذا ما توفر لأحدهم مكان خارج الصُفة رحل إليه وتركها ، ولم يكن لهم عدد ثابت ، بل كان يزيد عددهم أحياناً فيصل إلى الستين أو السبعين وكان يقل العدد أحياناً فيصل إلى العشرة أو أقل من ذلك [8].

ومن الواضح أن ادعاه المتصوفة ، ومن ذهب معهم من الكتاب إلى هذا القول يريدون به ربط تصوفهم بعصر النبي ﷺ، والادعاء في الوقت نفسه أن النبي ﷺأقر النواة الصوفية الأولى على منهج الفقر ، والعزلة ، والتجرد ، والتواكل .

وهؤلاء جهلوا – أو تجاهلوا – أن أهل الصفة ما كانوا منقطعين عن الناس لأجل الزهد الصوفي ، أو لأجل الأوراد والصلوات الطرقية ، بل كانوا – مع إقامتهم في الصفة – ملازمين لمجلس رسول الله ﷺيأخذون عنه

---

[8](1) رسالة في أهل الصفة لإبن تيمية ضمن مجموع الفتاوي (11/37)

الفقه في الدين ، ويكتسبون عند إمكان الاكتساب ، ويخرجون مع المجاهدين للجاهد في سبيل الله .
ومن أبرز من دخل الصفة من المجاهدين الشجعان سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن رواحة ، ومن فقهاء الصفة البارزين أبو هريرة ، وابن مسعود، وعبد الله بن عمر بن الخطاب .
واستغنى عدد منهم حتى صار من أغنياء الصحابة ، كما أصبح بعضهم أمراء في الأقطار الإسلامية .
يقول ابن الجوزي :(وهؤلاء القوم إنما قعدوا في المسجد ضرورة ، وإنما أكلوا من الصدقة ضرورة فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن ذلك الحال وخرجوا) [9]

2- الصف الأول : يذهب القوم في البحث عن معنى جميل ينتسبون إليه فقالوا إنهم سموا صوفية ((لأنهم في الصف الأول بين الله عز وجل بارتفاع هممهم وإقبالهم على الله بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه)) [10] .
وهذا التعبير أيضا بعيد عن سلامة الاشتقاق اللغوي فإن النسبة إلى الصف صفي لا صوفي[11].

3- الصفاء : يرغب جمع من الصوفية رد اشتقاق تسميتهم إلى الصفاء [12] ،وهذا الاشتقاق لا تسعفهم عليه اللغة فإن النسبة إلى الصفاء : صفوي أو صفاوي ،أو صفائي لا صوفي .

4- السوفية اليونانية : والتي معناها الحكمة ثم تحرفت السين إلى الصاد [13] ورغم أننا لانستطيع أن ندلل على صحة هذا القول أو على نفيه بصفة جازمة إلا أننا نعلم طبقا لبراهين قوية لا تقبل الجدل – أن الفكر الصوفي متأثر بالفكر الفلسفي اليوناني إلي حد بعيد.

---

[9] (1) ((تلبيس إبليس)) (ص 157)
[10] (2) ((عوارف المعارف)) (ص61)
[11] (3) ((مجموع الفتاوى)) (11/6)
[12] (1) انظر ((اللمع)) (ص46) ، و ((حلية الأولياء)) (1/17)
[13] (2) انظر : ((التصوف ، المنشأ والمصادر)) للشيخ إحسان (ص33)

5-صوفة : جاء في اللسان: (والصوفة كل من ولي شيئا من عمل البيت ،وهم الصوفان ، وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية . ويجيزون الحاج ، أي يفيضون بهم ... وفيهم يقول أوس بن مغراء السعدي :

ولا يريمون في التعريف موقفهم حتى يقال أجيزوا آل صوفانا [14]

روى ابن الجوزي بإسناده عن أبي محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ قال:

سألت وليد القاسم : إلى أي شي ينسب الصوفي ؟ فقال : كان قوم في الجاهلية يقال لهم صوفة انقطعوا إلى الله عز وجل وقطنوا الكعبة ، فمن تشبه بهم فهم الصوفية ، قال عبد الغني : فهؤلاء المعروفون بصوفة ولد الغوث بن مر [15] .

واحتمال اخذ التسمية من هذا الأصل – وإن كان موافقا من جهة اللغة – ضعيف مردود ، لما يأتي :

1- لأن صوفة خدم الكعبة في الجاهلية ليسوا من الشهرة بحيث يعرفهم الصوفية الأوائل.
2- ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب معروفا في زمن الصحابة.

ج- ولأن أوائل من نسبوا إلى هذا الاسم لا يرضون الانتساب إلى قبيلة جاهليه لا وجود لها في الإسلام [16]

6- الصوف : يذهب غالب المتصوفة المتقدمين والمتأخرين إلى أن الصوفي منسوب إلى لبس الصوف [17] واختاره جمع من أهل السنة الذين صنفوا في التصوف[18]. وحرص معظم الصوفية على رد اسمهم إلى هذا الأصل والذي يعبر عن المبالغة في التقشف والرهبنة وتعذيب النفس والبدن باعتبار ذلك كله لونا من ألوان التقرب إلى الله .

---

[14](3) مادة (ص و ف) (9/200)
[15](4) ((تلبيس إبليس)) (ص 156)
[16](1) انظر : ((الصوفية والفقراء)) ضمن ((مجموع الفتاوي)) لابن تيمية (11/6)
[17](2) انظر : ((التصوف ، المنشأ والمصادر)) (ص34)
[18](3) انظر : ((الصوفية والفقراء)) ضمن ((مجموع الفتاوي)) لابن تيمية (11/195،16)

يقول الكلاباذي : ((وأما من نسبهم إلى الصفة والصوف فإنه عبر عن ظاهر أحوالهم ، وذلك انهم قد تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان وهجروا الأخدان وساحوا في البلاد ، وأجاعوا الأكباد ، وأعروا الاجساد.....)) [19].

ورغم أن اشتقاق ((الصوفي)) من ((الصوف)) سليم لغويا ويوافق حالهم في التقشف ، الا أننا – ونحن نرجحه – لابد أن نلاحظ ، أن المتصوفة لم يختصوا بلبس الصوف [20]. كما أن لبس الصوف ليس فيه فضيلة ، وليس في الانتساب إليه شرف ولا كرامه لا عقلا ولا شرعا إذ لو كان في لبسه فضيلة أو رفعة عند الله لفضله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على غيره من اللباس بل ورد عنه عليه الصلاة والسلام مايدل على كراهته لبس الصوف نظرا لخبث رائحته . عن عائشة رضي الله عنها قالت:((جعلت للنبي صلي عليه وآله وسلم بردة سوداء من صوف ، فلبسها فلما عرق وجد ريح الصوف قذفها ، وكان يحب الريح الطيبة)) [21].

التصوف اصطلاحاً :

إن المتتبع لتعريف التصوف في الاصطلاح لن يجد له تعريفاً إلا عند الصوفية أنفسهم فهم الأخبر به والاجدر بوصفة ، ولو لاحظنا تعريفهم للتصوف لما وجدنا له تعريفاً واحداً جامعاً مانعاً ، فلكل صوفي منهم وصف أو تعريف له يختلف عن غيره من الصوفية ، وربما يعزي بعضهم هذا الاختلاف الى أن الصوفية لما كانوا أصحاب أذواق ومواجيد تكلم كل واحد وعبر عما يذوقه وينازله فيصف الأمر من حيث مشهده الخاص ومشربه الشخصي [22].

---

[19](4) ((التعرف لمذهب أهل التصوف)) (ص29) ، وانظر : ((مجموع الفتاوي)) (11/16)

[20](5) انظر : ((رسالة القشيري)) (2/550)

[21](6) رواه أبو داود : اللباس، باب السواد (4/339ح4074) ،وأحمد في ((المسند)) (6/249،219،144،132) وابن سعد في ((الطبقات)) (1/453) والحاكم في ((المستدرك))((4/189-188) ، سكت عليه أبو داود ، وقال الحاكم : ((صحيح على شرط الشيخين)) ووافقه الذهبي ، والألباني في ((الصحيحة)) (رقم 2136).

[22] (1) انظر : ((طبقات الصوفية)) (3-4)

والحق أن أقوالهم في وصفة أو تعريفة كثيرة يصعب حصرها ، فذكر السراج الطوسي[23]: أن تعريفاته تجاوز المائة[24] ، وقال السهروردي [25]: ((وأقوال المشايخ في ماهية التصوف ، تزيد على ألف قول)) [26]، بل ونقل ابن عجيبة [27]عن الشيخ زروق[28] ، أنها بلغت نحو الألفين قولاً [29]. قال زروق: ((وقد حد التصوف ورسم ، وفسر ، بوجوه تبلغ نحو الألفين .....)) [30]

وقال د/عبدالحليم محمود – أحد أئمتهم في العصر الحديث ((ولم ينته الرأي فيه إلى نتيجة حاسمة بعد)) [31]

فمن هذه الأقوال – مثلاً – قول الجنيد [32]– وقد سئل عن التصوف - : ((أن تكون مع الله بلا علاقة)) [33].

وقال أيضاً : ((هو أن يميتك الحق عنك ، ويحييك به)) [34] ، وقال كذلك : ((التصوف مبني على ثماني خصال : السخاء ، والرضى ، والصبر ، والإشارة ، والغربة ، ولبس الصوف ، والسياحة ، والفقر)) [35] . وقال أبو حمزة البغدادي [36]: ((علامة الصوفي الصادق ، أن يفتقر بعد الغنى ، ويذل بعد العز ، ويخفى بعد الشهرة)) [37]. وقال الشبلي [38]:

23(2) انظر ترجمته: (ص138) من الرسالة

24(3) ((اللمع)) ص27

25(4) أنظرترجمته ص187 من الرسالة

26(5) ((عوارف المعارف)) (5/65)

27(6) انظر الترجمة له ص 179-180

28(1) الشيخ زروق ، هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي : أبو العباس ، فقيه ، محدث ، صوفي ، من أهل فاس بالمغرب ، ولد سنة 846هـ ، تفقه أولاً في بلده ، ثم قرأ بمصر ، والمدينة . وقد غلب عليه التصوف ، فتجرد ، وساح ، وتوفي في تكرين من قرى مسراته ، من أعمال طرابلس الغرب)) سنة 899 هـ ، له مؤلفات منها : ((قواعد التصوف)) ، و ((شرح مختصر خليل في الفقه المالكي)) ، و ((شرح رسالة أبي زيد القيرواني)) و ((البدع التي يفعلها فقراء الصوفية)) . انظر ترجمته في ((شذرات الذهب)) 7/363-364

29(2) ((إيقاظ الهمم في شرح الحكم)) 1/4-5 ، وبهامشه كتاب ((الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية)) والكتابان كلاهما من تأليف : ابن عجيبة ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون أي بيانات أخرى.

30(3) ((قواعد التصرف)) ص3

31(4) أبحاث في التصوف ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته ص153

32(5) ستأتي الترجمة له ص7 من الرسالة

33(6) ((الرسالة القشيرية)) ص127 ، و ((اللمع)) ص25

34(7) ((الرسالة القشيرية)) ص126

35(8) ((كشف المحجوب)) 1/235

36(9) أبو حمزة البغدادي ، الصوفي البزاز ، اسمه محمد بن إبراهيم ، كان عالماً بالقراءات ، وبقراءة أبي عمرو خصوصاً ، وهو من أقران الجنيد ، قيل : مات سنة 289هـ . انظر ترجمته في : ((طبقات الصوفية)) ص295-296، و ((الرسالة القشيرية)) ص24، و ((تاريخ بغداد)) 1/390 ، و ((طبقات الشعراني)) 1/99

37(1) ((الرسالة القشيرية)) ص127

38(2) انظر : ترجمته ص128

((التصوف هو العصمة عن رؤية الكون)) [39] ، وقال أيضاً : ((التصوف شرك [40]، لأنه صيانة القلب عن الغير ، ولا غير)) [41].

وقال أبو محمد المرتعش النيسابوري [42] – وقد سئل عن التصوف - : ((الإشكال ، والتلبيس ، والكتمان)) [43].

إن المتأمل في هذه الأقوال في تعريف التصوف يجد أنها تتضمن جملة وافرة من الاسس العقدية التي بنى المتصوفة عليها قواعد نحلتهم والتي سوف نتعرف على كثير منها عند عرضنا للطريقة النقشبندية ونقدها على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة .

نشأة التصوف والطرق الصوفية:

عند تتبع نشاه التصوف وجدت انه قد وقع الاختلاف في تاريخ نشأته ؛ فذهب ابن خلدون في (مقدمته) : إن نشأته كانت قبل سنه مائتين عندما اقبل الناس على الدنيا وانصرف الناس للزهد والعبادة فسموا بالصوفية [44] .

---

[39](3) ((الرسالة القشيرية)) ص127

[40](4) لو كان التصوف شركاً – كما يرى – فكيف له أن يرضى بالشرك ؟!

[41](5) ((كشف المحجوب)) 1/234

[42](6) أبو محمد المرتعش النيسابوري ، هو : عبدالله بن محمد ، من محلة الحيرة ، صحب جماعة من الصوفية ، ولقي الجنيد وصحبه ، وأقام ببغداد ، حتى صار أحد مشايخ العراق وأئمتهم ، مات ببغداد سنة 328هـ . انظر ترجمته في : ((طبقات الصوفية)) ص349 ، و ((الرسالة القشيرية)) ص26 ، و ((شذرات الذهب)) 2/317-318 ، و ((تاريخ بغداد)) 7/221 ، و ((طبقات الشعراني)) 1/105-106.

[43](7) ((طبقات الصوفية)) ص352

[44](1)مقدمة ابن خلدون ص467 ، دار القلم بيروت ، ط5 ، 1984م .

وذهب ابن الجوزي إلى ذلك أيضاً [45] وكذلك القشيري حيث يري أن هذا الاسم ، اشتهر قبل المائتين للهجرة [46] . وذهب أبو نصر السراج ، إلى أن التصوف ليس اسما محدثا أحدثه البغداديون ؛ لأنه وقت الحسن البصري كان يعرف هذا الاسم وذكر خبرا رواه محمد بن إسحاق بن يسار [47] عن أخبار مكة ، أن مكة خلت في وقت من الطائفين ، فكان لايطوف بالبيت أحد – وكان ذلك قبل الإسلام – كان يجيء من بلد بعيد ، رجل صوفي ، فيطوف بالبيت وينصرف [48] قال السراج :

(فإن صح ذلك فإنه يدل على أنه قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم ، وكان ينسب إليه أهل الفضل والصلاح) [49].وعلى ذلك فإن التصوف مصطل جاهلي.

وقد ذهب ابن تيميه إلى : (أن نشأة التصوف كانت في أوائل القرن الثاني الهجري وانه لم يشتهر إلا بعد القرن الثالث). وقال : (إن أول ما ظهرت الصوفية في البصرة وأول من بنى دويرة للصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن يزيد [50] من أصحاب الحسن وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك مالم يكن في سائر أهل الأمصار . ولهذا يقال فقه كوفي وعبادة بصرية) .

---

[45](2) تلبيس إبليس لعبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي ص201 . تحقيق د.السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي بيروت ط1 ، 1405هـ / 1985م.

[46](3) الرسالة القشيرية ، لأبي القاسم عبدالكريم بن هوزان ص6-7 ، تحقيق عبدالحليم محمود، محمود الشريف ، دار الكتب الحديثة بمصر ،بدون رقم وتاريخ .

[47](4) محمد بن اسحاق بن يسار : أبو بكر المطلبي المدني ، نزيل العراق ، إمام المغازي ، صدوق يدلس ، رمي بالتشيع والقدر ، مات سنة 150هـ ويقال بعدها ، انظر ترجمته في تقريب التهذيب ص 467، تأليف الحافظ بن حجر العسقلاني ، تحقيق محمد عوامة ، دار الرشيد ، سوريا ، حلب ، ط2 ، 1408هـ / 1988م .وسير أعلام النبلاء (7/33)

[48](5) اللمع لأبي نصر السراج الطوسي ص42-43، تحقيق عبدالحليم محمود ، طه عبدالباقي سرور ، مطبعة السعادة دار الكتب الحديثة بمصر ، 1380هـ / 1960م

[49](1) ولعل هذا ما يفسر العقائد التي يحتوي عليها التصوف فهي – خليط من عقائد يونانيه قديمه وهندية ويهودية ومسيحية

[50](2) عبد الواحد بن زيد ، البصري ، الزاهد : أبو عبيد ، حدث عن الحسن ، وعطاء بن أبي رباح وغيرهما . قال البخاري :" تركوه"، وقال النسائي :" متروك الحديث "، وقال ابن حبان:" كان ممن غلب عليه العبادة حتى غفل عن الإتقان ، فكثرت المناكير في حديثه" وقد مات بعد الخمسين ومئة ، ويقال بقي إلى سنه سبع وسبعين ومئة ، لكن هذا بعيد جدا انظر ترجمته في : (سير أعلام النبلاء) 7/ 178-180 .

كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أنه قد نقل ذمهم التكلم بالتصوف عن الحسن البصري المتوفى سنه (110هـ) وعن سفيان الثوري المتوفى سنه (161هـ) [51].

وقد اشتهر في هذه الفترة – الزاهد الصوفي إبراهيم بن ادهم البلخي [52] المتوفي سنه (160هـ) وقبل (162هـ) الذي ترك ملكه وأمواله ولبس الصوف وهام علي وجهه

في البلاد متقشفا منصرفا إلى العبادة رغم ما في هذا السلوك من مخالفة لتعاليم الإسلام الحنيف كما اشتهرت في هذه الفترة الزاهدة رابعة العدوية [53] المتوفاه سنه (135هـ) بدعوتها إلى حب الله حبا مطلقا مجردا من الخوف والرغبة في جنته ومن ناره.

بدايات التصوف

لم يكن للتصوف في أول نشأته جماعه معروفه بعينها لها نظامها الخاص ورئيسها المعين يقول رينولد : "كان التصوف في بدء أمره صورة من صور الحياة الدينية لا يأخذ بها إلا الأفراد ولا يأخذ عن هؤلاء الأفراد إلا خاصة أصحابهم" [54] وقد تميزت الجماعات الصوفية في أول أمرها بالزهد في الدنيا والتفرغ للعبادة ومحاربه شهوات النفس وعباده الله من منطلق المحبة.

---

[51](3) مجموع الفتاوى لأحمدبن عبدالحليم بن تيمية(11/5) جمع وترتيب:عبد الرحمن بن محمدبن قاسم.ط الرئاسة العامة لشؤن الحرمين.

[52](4)إبراهيم بن أدهم البلخي : هو أبو اسحاق من أهل بلخ كان من أبناء الملوك والمياسير خرج متصيداً فهتف به هاتف فيما يزعم أيقظه من غفلته فترك التزين واتجه إلى طريق أهل الزهد والورع وخرج إلى مكة وصحب بها سفيان الثوري والفضيل بن عياض ودخل الشام وكان يعمل فيها ويأكل من عمل يده وبها مات . انظر "طبقات الصوفية" لأبي عبدالرحمن السلمي ص 30-31 ، تحقيق نور الدين شريبه ، دار الكتاب العربي بمصر، ط1 ، 1372هـ / 1953م .

[53](1) رابعة العدوية : هي رابعة بنت إسماعيل وهي صوفية كبيرة وعابدة شهيرة ، قال ابن الجوزي : كانت رابعة فطنة ومن قولها : الذي يدل على قوة فهمها قولها أستغفر الله من قلة صدقي في قولي أستغفر الله . وقال مصطفى عبدالرزاق إنها " هي السابقة إلى وضع قواعد الحب والحزن في هيكل التصوف" وتوفيت سنة 135هـ وقيل 185هـ . انظر سير أعلام النبلاء (8/242) صفوة الصفوه (4/27) "أعلام النساء" لعمر رضا كحالة (2/431) المطبعة الهاشمية ط2، 1379هـ .

[54](2) التصوف الإسلامي وتاريخه لرينولد ص19، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .

يقول ابن الجوزي : (... والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ، ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص ؛ فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام ؛ لما يظهرونه من التزهد . ومال إليهم طلاب الدينا ؛ لما يرون عندهم من الراحة واللعب".

ثم قال : " ... وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنه مائتين ، ولما أظهره أوائلهم ، تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة ، وحاصلها أن التصوف عندهم : رياضه النفس ،

ومجاهده الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة ، وحمله على الأخلاق الجملية من :الزهد ، والحلم ، والصبر ، والإخلاص ، والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنه التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى"[55] .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه مبينا رأيه في متقدمي الصوفية " والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده ، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين ، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب ، ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج مثلا فإن أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه من الطريق مثل الجنيد بن محمد"[56] .

وكانت بداية الانحراف عندهم عندما تمكن منهم الشيطان فأبعدهم عن العلم.

يقول ابن الجوزي:" وكان أصل تلبيسه عليهم , أنه صدهم عن العلم ، وأراهم أن المقصود , العمل ، فلما أطفا مصباح العلم عندهم ، تخبطوا في الظلمات . فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ، ترك الدنيا في الجملة

---

[55] (1) تلبيس إبليس ص199

[56] (2) مجموع الفتاوى (11/18)

فرفضوا ما يصلح أبدانهم وشبهوا المال بالعقارب ، ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة ، غير أنهم على غير الجادة . وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري" [57].

وفي القرنين الثالث والرابع ظهر التصوف بصورة جديدة تخلتف اختلافا تاما عن سابقتها ، فلم يقف عند حدود الزهد و المجاهدة وإنما تجاوز ذلك كله حيث قسموا العلم

إلى ظاهر وهو علم الشريعة عندهم وباطن وطريقه الكشف وهو خاص بأوليائهم وادعوا عشق الحق [58] ثم قالوا بالفناء ومنه إلى الحلول والاتحاد [59].

يقول ابن الجوزي واصفا التصوف وحال المتصوفة في تلك الفترة :"ثم جاء أقوام فتكلموا في الجوع، والفقر ،والوساوس، والخطرات ، في ذلك ، مثل : الحارث المحاسبي[60]. وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة[61] والسماع ، والوجد ، والرقص ، والتصفيق ، وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة ثم مازال الأمر ينمي ، والأشياخ يضعون لهم أوضاعا ويتكلمون بواقعاتهم ويتفق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما هم فيه أوفى العلوم حتى سموه العلم الباطن ، وجعلوا علم الشريعة : العلم الظاهر . ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة ، فادعى عشق

---

[57](3) تلبيس إبليس ص199.

[58](1) سيأتي الحديث عن العشق مفصلاً عند مناقشة عقيدتهم في الله في الفصل الثاني من الباب الثالث .

[59](2) سيأتي الحديث عن الفناء والحلول والاتحاد مفصلاً عند مناقشة عقيدتهم في الله في الفصل الثاني من الباب الثالث.

[60](3) الحارث المحاسبي ، هو : الحارث بن أسد المحاسبي ، وكنيته : أبو عبدالله ، من علماء مشايخ القوم بعلوم الظاهر ، وعلوم المعاملات والإشارات ، له التصانيف المشهورة ، منها كتاب "الرعاية لحقوق الله " ، و "التوهم " وهو أستاذ أكثر البغداديين ، وهو من أهل البصرة ، مات سنة 243هـ . انظر ترجمته في :طبقات الصوفية ص56، وفيات الأعيان تأليف أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (2/ 57-58) تحقيق د.إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، بدون رقم وتاريخ ، وتاريخ بغداد (8/ 211-216) المكتبة السلفية بدون رقم وتاريخ .

[61](4) المرقعة : لباس مرقع ، يرقعه الصوفية حتى يصير كثيفاً خارجاً عن الحد وقد قرروا أن هذه المرقعة لا تلبس إلا من يد شيخ وجعلوا لها سند لا أصل له . انظر تلبيس ابليس (191)

الحق ، والهيمان فيه ، فكأنهم تخايلوا شخصا مستحسن الصورة ، فهاموا به .وهؤلاء بين الكفر والبدعة[62] ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد " [63]

ولقد تأثرت الصوفية في هذه الفترة بالمذاهب الفلسفية القديمة كالبوذية والهندوسية واليونانية الوافدة والتي انتشرت في ذلك الوقت في أنحاء الخلافة الإسلامية الواسعة وبالأخص في خراسان وفارس وذلك نتيجة للفتوحات الإسلامية لهذه البلاد الذي تولد

عنها الاختلاط بين الثقافات [64] وقد ظهر في هذه الفترة كثير من كبار المتصوفة وكان معظمهم من غير العرب بل أن جلهم كان من الفرس ,وبلاد الفرس هي منبع الفرق الضالة وعلى رأسها الشيعة والفرق الباطنية بأنواعها المختلفة وما الصوفية إلا وليدة التشيع[65].

نشأة الطرق الصوفية:

لقد ظهرت الطرق الصوفية قديما حيث بدأ الصوفية ينظمون أنفسهم في جماعات وفرق لها طرقها الخاصة وشيوخها وسالكوها فلكل شيخ طريقة على مريديه أن يلتزموها.

وقد ذكر الهجويري [66] (ت465ه) الطرق الصوفية التي ظهرت في هذه الفترة باثنتي عشرة فرقة ونسب كل منها إلى شيخ من شيوخ القرنين الثالث والرابع الهجريين [67] .

---

[62](5) ربما قصد من صنع بدون إعتقاد فمن اعتقد فلا خلاف على كفره

[63](6) تلبيس إبليس ص 201 -205 .

[64](1) ظهر الإسلام : لأحمد أمين (4/ 150- 151) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط5 ، بدون رقم وتاريخ

[65](2) التصوف الإسلامي وتاريخه لرينولد ص20.

[66](3) الهجويري : هو علي بن عثمان بن أبي علي الجلابي الهجويري الغزنوي وكنيته أبو الحسن ولد فيما بين العقد التاسع والعاشر في القرن الرابع الهجري من أهم مؤلفاته "الديوان" و" كشف المحجوب" و " ثواقب الأخبار وكشف الأسرار" توفي بلاهو بباكستان سنة 465هـ تقريباً ، انظر مقدمة كشف المحجوب : (45 ، 98)

[67](4) كشف المحجوب ، لعلي بن عثمان بن أبي علي الهجويري (2/403) ترجمة د. سعاد عبدالهادي قنديل ، مراجعة أمين عبدالمجيد بدوي ، الناشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مصر 1394هـ / 1974م.

وقد ذكر الشيخ أبو علي حسن بن علي العجيمي الحنفي [68] طرق الصوفية فعد منها أربعين طريقا في رسالة له .
وقد لخصها الشيخ أبو سالم العياشي [69] في رحلته [70].
وقد أوصلها غيرهم إلى أكثر من ذلك .والحق أن الطرق الصوفية كثيرة جدا بحيث يصعب حصرها فما من طريقه تظهر حتى تتفرع عنها طرق كثيرة وتتفرع عن هذه الفروع فروع فكل من ابتدع طريقه سماها باسمه وجعل لها أوضاع معينه وأوراد مقرره .

من هذه الطرق:

1- الطريقة الجنيدية:
وتنسب إلى أبي القاسم الجنيد بن محمد [71] .

2- الطريقة المحاسبية :
وتنسب إلى أبي عبد الله الحارث المحاسبي [72] .

3- الطريقة القصارية:
وتنسب إلى أبي صالح حمدون بن احمد بن عماره القصار [73] وتسمى (الحمدونية) نسبه إلى حمدون.

4-الطريقة الطيفورية :
وتنسب إلى أبي يزيد طيفور بن عيسي البسطامي [74].

5-الطريقة النورية:
وتنسب إلى أبي الحسين النوري [75] .

---

[68](1)أبو علي حسن بن علي العجيمي الحنفي: هو الحسن بن علي بن يحيي أبو البقاء العجيمي ولد بمكة سنة 1049 هـ ، من تصانيفه " خبايا الزوايا" و " اهداء اللطائف من أخبار الطائف " و " حاشية على الأشباه والنظائر" وغيرها . توفي بالطائف سنة 1113هـ ، انظر الأعلام تأليف خير الدين الزركلي (2/ 223) دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة السابعة ، 1986م

[69](2) أبو سالم العياشي: هو عبدالله بن محمد بن أبي بكر العياشي أبو سالم من أهل المغرب من أهل فاس ، ولد سنة 1037هـ ، له مؤلفات منها " الرحلة العياشية" و " اظهار المنة على المبشرين بالجنة" و " تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدار الفانية " . توفي سنة 1090هـ ، انظر الأعلام (4/ 273)

[70](3) بغية المستفيد شرح منية المريد لمحمد العربي السائح ص 72 ، مطبعة الباب الحلبي القاهرة 1959م .

[71](4) الجنيد هو : أبو القاسم الجنيد بن محمد: هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزار القواريري ، وسمي بذلك لأن أباه كان يبيع الزجاج أصله من نهاوند ، ومولده ومنشأه في العراق ، وكان فقيها ، توفي سنة 297هـ ، "طبقات الصوفية ص 155، 156" تاريخ بغداد (241/7-249)

[72](5) سبق الترجمة له

[73](1) أبو صالح حمدون هو: حمدون بن أحمد بن عمارة أبو صالح القصار النيسابوري شيخ أهل الملامة بنيسابور،كان عالماً فقيهاً ، وقد توفي سنة 271هـ بنيسابور ودفن في مقبرة الحيرة " حيرة نيسابور" .طبقات الصوفية ص123

[74](2)البسطامي هو : أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان ، وله أخوان من الزهاد وهما آدم وعلي . وهم من أهل بسطام "بلدة على جادة الطريق إلى نيسابور " مات سنة 261هـ ، طبقات الصوفية ص 67. وسيأتي الحديث مفصلاً في

[75] الحديث عن مصادر التلقي عند النقشبندية في الباب الثاني ومناقشتها في الباب الثالث الفصل الأول.

6-الطريقة السهلية:
وتسب إلى سهل بن عبد الله التستري [76] .
7- الطريقة القادرية:
وتنسب إلي عبد القادر الجيلاني [77].
8- الطريقة الرفاعية:
وتنسب إلى احمد الرفاعي [78] .
9- الطريقة الشاذلية:
وتنسب إلي أبي الحسن الشاذلي [79].
10-الطريقة النقشبندية:
وتنسب إلى الخواجه محمد بها الدين نقشبند [80] وهذه الطريقة لها انتشار واسع في بلاد المشرق
11- الطريقة التيجانية:

---

(3) النوري هو : أبو الحسين أحمد بن محمد النوري ، ولد ونشأ ببغداد وأصله من خراسان ويعرف بابن البغوى نسبة إلى قريته " بغشور" وهي بلدة بين هراة ومرو الروز . توفي سنة 295هـ ، طبقات الصوفية ص164-165.

[76](4) التستري هو : سهل بن عبدالله التستري وكنيته أبو محمد أحد أئمة الصوفية توفي سنة 283هـ وقيل سنة 293هـ ، قال في الطبقات وأظن أن ثلاثاً وثمانين أصح . انظر طبقات الصوفية ص206

[77](5) الجيلاني هو : عبدالقادر بن أبي صالح بن عبدالله جنكي دوس بن أبي عبدالله بن عبدالله الجيلي ، ثم البغدادي ، شيخ الطريقة القادرية ، ولد في جيلان سنة 471هـ ، وعاش ببغداد ، وتصدر للتدريس والافتاء ، توفي سنة 561هـ ، من مؤلفاته (الغنية لطالب طريق الحق) و (فتوح الغيب) قال الذهبي : ليس في كبار المشايخ من له أحوال وكرامات أكثر من الشيخ عبدالقادر لكن كثيراً منها لا يصح وفي بعض ذلك أشياء مستحيلة . أنظر سير أعلام النبلاء (20/ 450-451)

[78](1) أحمد الرفاعي هو : أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسني ، أبو العباس ، شيخ طائفة الرفاعية ، مولده سنة 500هـ على قول الأكثر ، وفاته سنة 578هـ ، كان يسكن أم عبيد بأرض البطائح بين واسط والبصرة ، من مؤلفاته (رحيق الكوثر) و (البرهان المؤيد) .أفرده بالترجمة : محمد أبو الهدى الرفاعي بكتاب سماه (قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر) دار الكتب العلمية ، بيروت 1980م . ومحي الدين أحمد بن سليمان الهمامي الرفاعي في كتابه (مناقب ابن الرفاعي) وعبدالرحمن الواسطي في كتابه (ترياق المحبين في سيرة سلطان العارفين) . انظر لترجمته سير أعلام النبلاء (21/77-80)

[79](2) أبو الحسن الشاذلي هو : علي بن عبدالله بن عبدالجبار الشاذلي ، شيخ الطريقة الشاذلية ، مولده بمدينة غماره، دخل تونس وهو صبي ، توجه إلى الديار المصرية والعراق وحج مرات ، مات بصحراء عيذاب ، قاصداً الحج ودفن هناك سنة 656هـ ، انظر الأعلام (4/305) وشذرات الذهب (5/278-279) .

[80](3) ستأتي ترجمته مفصلة في الباب الثاني من الرسالة .

وتنسب إلي أحمد اليتجاني [81] ولها انتشار واسع في أفريقيا والمغرب العربي .

12- الطريقة الاحمدية :
وتنسب إلى أحمد البدوي[82] ، وهذه الطريقة لها إنتشار واسع في مصر.

كما أن هناك طرقا أخرى ولكن هذه أشهرها والله اعلم. ولا يخفى ما لهذه الطرق من حملات وصولات ، لبث الشرك ، وإذاعة الوثنية ، واستدعاء جند الشيطان ، لنزال أهل التوحيد ، وإشانة سمعتهم ، ونبذهم بأشنع الألقاب ليصدوا الناس عن الإصغاء إليهم .

---

[81](4) أحمد التجاني هو : أحمد بن محمد بن مختار بن أحمد بن محمد بن سالم التجاني المضاوي ، ولد سنة 1150هـ بقرية "عين ماضي" بالجزائر ، وكانت وفاته سنة 1230هـ ، وتعتبر طائفة التجانية من أكفر الطرق الصوفية ، لما تضمنته من اعتقادات ردية ، كتفضيل وردهم المسمى بـ " صلاة الفاتح لما أغلق" على القرآن ستة آلاف مرة ، واعتقادهم بوحدة الوجود ، وأن الولاية ختمت بشيخهم أحمد التجاني ، إلى غير ذلك من البدع والضلالات . وقد ألف العلماء في نقضهم وكشف عوارهم مؤلفات منها : (مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني) لمحمد خضر الشنقيطي و (الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية) لمحمد تقي الدين الهلالي . و "التجانية دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة " لعلي بن محمد دخيل الله . انظر ترجمته "التجانية دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة " لعلي بن محمد دخيل الله ص 40-56. دار مصر للطباعة ، بدون رقم وتاريخ والأعلام (1/245) .

[82](1) البدوى هو : أحمد بن علي بن إبراهيم البدوى ، ولد بمدينة فاس بالمغرب وانتقل إلى طنتا (طنطا) بأرض مصر وبها توفي سنة (675هـ) وضريحة فيها نشد إليه الرحال يوم مولده السنوي ويتقاطر الناس إليه من كل حدب وصوب ، ويرتكب عنده من انواع الشرك والمنكرات ماالله أعلم به وتنسب إليه الطريقة الاحمدي ، وهي غير الطريقة الأحمدية الإدريسية المنسوبة إلى أحمد بن إدريس دفين (صبيا) من بلاد جيزان والمتوفي فيها سنة 1253هـ، انظر طبقات الشعراني (1/183-187) الاعلام (1/175) .

الباب الأول

مؤسس الطريقة النقشبندية

محمد بن محمد بهاء الدين نقشبند الأويسي البخاري المعروف بشاه نقشبند

ويحتوي على أربعة فصول

الفصل الأول :عصره (من الناحية السياسية ، والثقافية ، الدينية)

الفصل الثاني : ولادته ، نشأته ، وفاته ، آثاره

الفصل الثالث :شيوخه وتلاميذه

الفصل الرابع : عقيدته

الفصل الأول

عصره (من الناحية السياسية ، والثقافية ، والدينية)

تمهيد

للبيئة أثر في نفوس أبنائها ، ذلك أن شخصية الإنسان لا يمكن أن تتشكل من فراغ كما أنها لا يمكن أن لا تتأثر بما يحيط بها بداية من طبيعة الأرض التي يعيش عليها مروراً بنشأته الخاصة وانتهاء بما يحيط به من أحداث سواء كانت سياسية أم اجتماعية أم دينية .

فعلماء الاجتماع يقسمون طبيعة الناس بحسب الأرض التي يعيشون عليها ، فسكان الجبال بحسب هذا التقسيم أشد مراساً و أكثر غلظة وخشونة ، من سكان الوديان والسهول الساحلية الذين يتصفون بالسهولة واللين ، وسكان المدن أرق وألطف من سكان الفيافي والقفار،أما الأحداث التي تدور حول الناس فهي لا شك مؤثرة ، فأجواء الصراع والعداء تشكل جوانب كثيرة من شخصية الإنسان ، والأوضاع الثقافية والدينية لها عظيم الأثر فمن يعيش في بيئة صالحة ليس كمن يعيش في بيئة تنتشر فيها البدع و المنكرات ، وتكون البدعة و المنكر هو الحق الذي لا حق غيره وسواه هو الضلال بعينه عندهم .

الحالة السياسية العامة :

لقد كانت هذه الفترة من تاريخ البلاد مليئة بالاضطرابات ، نتيجة لتعرض المنطقة لأحداث متعاقبة .

أولاً : الحروب الصليبية ، التي ابتدأت منذ عام 490 هـ واستمرت إلى سنة 690 هـ. وقد ذهب ضحيتها الكثير من الأرواح والأموال و خرج منها المسلمون وقد صهرتهم التجربة ، فعرفوا الكثير من فنون الحرب[83]، وقد أظهرت هذه الحروب في نفوس المسلمين روح الاستبسال والتضحية وخلعت عنهم ثوب الخمول ، فاتخذوا الجهاد شعاراً لهم ، كما أكسبتهم سمعة طيبة لدى العالم

[83](1) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين أبي المحاسن ابن تغري (7/77) الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية بدون رقم وتاريخ

المسيحي ، ونفت هذه الأقاويل التي كانت تفترى عليهم من أنهم وثنيون قساة الأكباد ، ورجع الآلاف من الغزاة الصليبين إلى مواطنهم يحملون أخباراً تناقض ما كان ينشره دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة من أن المسلمين جماعة من الوثنيين غلبوا على الأرض المقدسة ، وأجلوا عنها دين التوحيد ، ونفوا منها كل فضيلة و إخلاص ، وهم وحوش ضارية وحيوانات مفترسة .

فلما قفل الغزاة إلى ديارهم قصوا على قومهم أن أعداءهم كانوا أهل دين وتوحيد ومروءة وذوي ود ووفاء وفضل ومحبة.[84] .

ثانياً:المغول ، هم : قبائل كبيرة يمثلون شعب بدوي من سكان البراري ,وهم رعاة عاشوا على السهول الواسعة في الهضبة الأسيوية (هضبة منغوليا)الفسيحة التي تمتد من أواسط آسيا جنوبي سيبيريا وشمال التبت وشرقي تركستان[85] ، عملوا بالرعي والصيد.وكانت تعيش بجوارهم حضارات وممالك لها شأن فكانوا يغيرون على أطرافها كلما استطاعوا ذلك.وكان معظمهم من الوثنين ومن عبدة الجن والشياطين. وتنتشر عندهم الإباحية وقد عرفوا في حروبهم باللؤم والغدر, ونقض العهود وإراقة الدماء,وسلب كل شيء والعدوان على الأعراض[86] .

أعظم زعماء المغول (المرتبطين بالعالم الإسلامي)

جنكيز خان (القرن السابع هـ12ـ13م)

أعظم قوادهم في الإطلاق وهو الذي أخضع جميع المغول والتتار تحت حكمة ووحدهم وكون منهم جيوشاً جرارة, وهو واضع دستور المغول الشهير(الياسا)

---

[84](1) الإسلام والحضارة العربية لمحمد كرد علي (1/317) الطبعة الثانية، 1950م بدون بيانات أخرى

[85](2) تركستان : اسم جامع لجميع بلاد الترك . معجم البلدان لياقوت الحموي (2/23) دار الفكر بيروت بدون رقم وتاريخ .

[86](3) المغول في التاريخ لفؤاد الصياد ص345,دار النهضة العربية,بيروت , 1980م.

,زحف بجيوشه على الدولة الخوارزمية و [87] دمرها,واستولى على بلاد ما وراء النهر(بمدنها الشهيرة بخاري [88] و بلخ [89] و نيسابور [90] و سمرقند [91] وغيرها ومعظم إيران) [92]

هولاكو (القرن السابع الهجري ـ الثالث عشر الميلادي)

زحف إلى المشرق الإسلامي فدمر بغداد وقتل معظم سكانها وأراق الدماء الزكية ، فأمر بضرب أعناق الفقهاء والأعيان واستمر النهب والسلب والسبي في بغداد بضعة وثلاثين يوماً ، حتى بلغ عدد القتلى ألف ألف وثمانمائة ألف وكسر. وبهذا تم القضاء على دولة بني العباس في بغداد ، وقتل المستعصم آخر الخلفاء العباسيين ، وأسقط

---

[87](4) الياسا : كتاب مكتوب في مجلدين بخط غليظ ، كان المغول يحملونه على بعير ، وقد ذكر بعضهم أنه كان يصعد جبلاً ثم ينزل ثم يصعد ثم ينزل مراراً حتى يعي ويقع مغشياً عليه ويأمر من عنده أن يكتب ما يلقي على لسانه حينئذ ، والظاهر أن الشيطان كان ينطق على لسانه بما فيها ، وذكر الجويني أن بعض عبادتهم كان يصعد الجبل في البرد الشديد للعبادة ، فسمع قائلاً يقول له : إن قد ملكنا جنكيز خان وذريته وجه الأرض . قال الجويني : فمشايخ المغول يصدقون بهذا ويأخذونه مسلماً .انظر البداية والنهاية (13/118) لابن كثير ، مكتبة المعارف ، بيروت ، بدون رقم وتاريخ .

[88](1) بخارى :هي مدينة على أرض مستوية وبنأها خشب مشبك ويحيط بهذا البناء من القصور والبساتين والمحاك والسكك المفترشة والقرى المتصلة سور يكون إثنى عشر فرسخاً وهي مدينة مشتبكة لا يرى في خراسان و بلاد ماوراء النهر مدينة أشد اشتباكاً منها ، ويمر بها نهر الصفد ، ويتخللها انهار أخر. وداخل السور مدن وقرى كثيرة . معجم البلدان (1/ 353) .

[89](2) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان ، من أجل مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة تحمل غلتها إلى جميع خراسان وخوارزم ينسب إليها خلق كثير من العلماء . معجم البلدان (1/ 480)

[90](3) نيسابور : قرية على رأس جبل بها قلعة حصينة وحولها مزارع وبساتين وفيها مياه جارية عذبة وبها خانقاه للصوفية ، فتحها المسلمون أيام عثمان وقيل أيام عمر – رضي الله عنهما - ، دمرها التتار عام 681هـ ، خرج منها من أئمة العلم مالا يحصى . معجم البلدان (5/ 330-333).

[91](4) سمرقند : قرية على طريق بخارى فيها عين من عيون الجنة وقبر من قبور الأنبياء (1/153) معجم المؤلفين

[92](5) موجز التاريخ الإسلامي لأحمد معمور عسير ص294-295 الطبعة الثانية 1420هـ

بغداد[93] فكان الحدث الذي زلزل كيان العالم الإسلامي ، وحطم جهاز الدولة الإسلامية ، تم إقامة الخلافة في القاهرة ذراً للرماد في العيون وقد اقتصر سلطاتها على تولية السلاطين وكان التتار يواصلون احتياج العالم بقيادة هولاكو فأخذوا يغيرون على بلاد الشام حتى وصل زحفهم إلى غزة وقد أوقعوا في قلوب الشاميين الرعب ، وتلفت الناس إلى رجل الساعة فكان الملك المظفر قطز سلطان مصر الذي التقى بالتتار في عين جالوت .
وقد أسفرت المعركة عن هزيمة التتار ولم تقم لهم قائمة بعد هذه الموقعة وبذلك تولى قطز ملك البلاد الشامية[94] ،وقد كانت هذه الموقعة كافية للقضاء على التتار نهائياً .
غير أن حالة الضعف التي كانت تعانيها البلاد نتيجة النزاع على السلطة شجعت التتار على معاودة الهجمات ، إن هذه الحالة بلا شك لها تأثير على أي جزء من أجزاء العالم ومن هذه الأجزاء بخارى التي ولد فيها مؤسس الطريقة النقشبندية ، والتي سأركز الحديث عنها فيما سيأتي .

الحالة السياسية في بلده :

- ولد محمد بهاء نقشبند في بخارى في بلاد ما وراء النهر ، التي تقع في قلب آسيا الوسطى ، وقد دخل الإسلام إلى هذه البلاد على يد القائد العظيم قتيبة بن مسلم الباهلي [95] وكان ذلك خلال الفترة (84-96هـ - 703 – 714هـ) [96]
- أما عن العصر الذي وجد فيه محمد بهاء نقشبند فقد كانت بلاد ماوراء النهر تحت حكم الدولة التيمورية (

93(6) النجوم الزاهرة (7/50)
94(7) النجوم الزاهرة (7/79)
95(1) قتيبة بن مسلم الباهلي : مختلف في صحبته وقيل تابعي كبير ، أمير خراسان في خلافة سليمان بن عبدالملك كان علامة بالأنساب حتى قال عنه ابن الكلبي (كان أنسب العرب) مات مقتولاً قتله وكيع ابن أبي الأسود على المشهور . انظر الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (6/ 494) تحقيق علي محمد البجاوي دار الجيل بيروت ط 1 ، 1412هـ .
96(2) الموجز في التاريخ الإسلامي ص 449

771- 907هـ - 1369 – 1500م) وقد كان تيمور لنك آخر عظماء المغول[97] ،وهو ينتمي إلى قبيلة البرلاس التركية ولد سنة 1336م ، في كش من أعمال ما وراء النهر ، منحدراً من سلالة جنكيز خان . وحوالي سنة 7711هـ - 1369م خلع تيمور لنك أمير خراسان وما وراء النهر (وهو ينتسب إلى جغتاي ثاني أبناء جنكيز) الذي كان مجرد رئيس اسمي لحكومة يسيطر عليها الأشراف من الجنود الأتراك . وحول تيمور ممتلكات جغتاي هذا إلى إمبراطورية جعل عاصمتها سمرقند .[98]

في الفترة (782 – 786هـ / 1380-1384م) استولى على خراسان[99] وجرجان[100] ومازندار [101] وسجستان [102] وأفغانستان وفارس وأذربيجان وكردستان[103].
دخل بغداد عام (796هـ / 1384م) ، أخضع دهلي وكشمير في شمال الهند (800هـ - 1397م) ثم أخضع شرق الأناضول سنة (804هـ - 1401م) سحق جيش المماليك وأخضع بلاد الشام سنة (805هـ - 1402م) هزم العثمانيين ، وأسر سلطانها با يزيد وسجنه حتى

---

[97] (3) الموجز في التاريخ الإسلامي ص 450
[98] (4) تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان ص420،دار العلم للملايين – الطبعة الأولى،1948م
[99] (1) خراسان : بلد معروف من فارس قال الجرجاني معنى خر كل وأسان معناه سهل أي كل بلا تعب ، دخل أهلها في الإسلام رغبة ومنهم العلماء والنبلاء والمحدثون والنساك والمتعبدون ، وإليها ينسب محمد بن يوسف الغريابي صاحب التفسير وشيخ البخارى . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لعبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي أبو عبيد (2/ 489-490) تحقيق مصطفى السقا عالم الكتب بيروت 1403هـ .
[100] (2) جرجان : مدينة حسنة على وادي عظيم بها الزيتون والنخل والجوز وصفوها بأنها جنة الدنيا مختلف هوائها ، ينسب إليها أبو نعيم بن عدي الجرجاني الاسترابازي الفقيه وغيره . معجم البلدان (2/121).
[101] (3) مازاندار : لم أقف على ترجمة لها
[102] (4) سجستان : بلد معروف في أطراف خراسان ، وقد نسب إليها خلق كثير من الأئمة والرواة والأدباء ، وهي أرض رملة سبخة والرياح فيها لا تسكن أبداً ، وهي حارة بها نخيل وفيها كثير من الخوارج الذين يظهرون مذهبهم. معجم البلدان (3/191)
[103] (5) كردستان : لم أقف على ترجمة لها .

مات،وأخرج بقايا الصليبيين من أزمير . سار إلى بلاد الصين، فمات في الطريق عام (807هـ - 1404م) ، وهو مسلم شيعي متعصب عرف عنه أنه طاغية ، جبار ، يعشق سفك الدماء والتدمير،وكان يبيد الجيوش المهزومة بأكملها، ويكون جبال من جماجم المهزومين[104].

الحالة الاجتماعية :كانت سمرقند مجمع التجارات زاخرة بالسلع الواردة إليها, من جملة ما اشتهرت به الكاغد السمرقندي ، فهو يحمل منها إلى سائر بلاد الشرق ، وقد كانت صناعته قد دخلت إليها من الصين[105] .

بينما كانت بخارا العاصمة الدينية[106] وقد حل بسمرقند وبخارى خراب وقتي يرجع إلى ما أوقعة المغول في سائر أنحاء بلاد ماوراء النهر عام (616هـ - 1219م) حيث دمرت عن آخرها لذا غلبت على هذه البلاد الأحوال البدوية ولم تنهض مما أحاق بها من دمار وخراب مدة قرن ويزيد ، فرفعها تيمور ليك إلى مستوى الحاضرة المستقرة بالرغم من الصراعات الدامية التي مرت بها وأحاطت بالبلدان التي حولها من جراء التوسع. حيث عهد إلى الصناع الفرس في تجميلها بالأبنية الفخمة[107].

عصره من الناحية العلمية :بالرغم من أن تيمورلنك قد نقل الكتب من مكتبات العراق التي قام بتخريب دور العلم ونهب المكتبات منها إلى عاصمته[108] . إلا أنه لم ينقل عن الدولة التيمورية اهتمامها بالعلم وتشجيعها عليه لذا لم يلحظ في تلك الحقبة ازدهاراً للعلم في تلك المنطقة بخلاف المماليك الذين عرفوا

---

104 (6) الموجز في التاريخ الإسلامي ص 270، وانظر تاريخ الشعوب الإسلامية ص420-421, والصراع العراقي الفارسي ص240 ، دار الحرية للطباعة 1404هـ - 1983م .

105 (7)بلدان الخلافة الشرقية ص580 ، تأليف : كي لسترنج ، مؤسسة الرسالة بدون رقم وتاريخ

106 (1) بلدان الخلافة الشرقية ص504

107 (2) تاريخ الشعوب الإسلامية ص420

108 (3)الصراع العراقي الفارسي ص 204

بحبهم للعلم وتشجيعهم عليه،فقد ساهم العلماء في بناء النهضة العلمية ,فهبوالإحياء العلوم بعد النكبة التي قضت على التراث العلمي يوم سقطت بغداد . وذهب ضحيتها كثير من العلماء وعديد من الكتب القيمة ، من هذا نرى أن الأسباب قد توافرت على نهضة علمية آتت ثمارها فزخرت المكتبة العربية بثمار فكرية في الدراسة المتنوعة فالعلم ينهض في ظل حكام مخلصين له مشجعين عليه ، وعلى يد علماء متوفرين على البحث مقبلين عليه وهذا ما حدث في هذه الفترة من تاريخ المسلمين .فقد كانت دور التعليم في المساجد ومن أشهر هذه المساجد ، جامع عمروا الذي أسس بالديار المصرية بعد الفتح العربي بمدينة الفسطاط[109]، والجامع الأزهر[110]، وجامع ابن طولون[111] ،جامع الحاكم[112]، والزوايا الملحقة بتلك الجوامع ، والمدارس التي كان من أشهرها
المدرسة الصلاحية ويقال لها الناصرية ، الذي كان يدرس فيها عدداً من مشاهير ذلك العصر[113]، والمدرسة الكامليه[114]، والمدرسة الظاهرية[115]، والمدرسة المنصورية[116] والمدرسة العادلية الكبرى بدمشق[117] ، ومن دور العلم أيضاً الخوانق والربط التي كان يسكنها الصوفية .وتجري عليهم الأرزاق ويشرف عليها العلماء الذين يبثون التعليم وسط يأوون إليها والخوانق جمع

109(4) الخطط المسماه بالمواعظ والاعتبار بذكر الحفظ والآثار لتقي الدين أحمد بن علي المعروف بالمقريزي ، (4/4) ، مطبعة النيل الطبعة الأولى 1326هـ .
110(5) الخطط (4 / 49-52)
111(6) الخطط (4/ 36- 37)
112(7) الخطط (4 / 57)
113(1) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي (2/ 140 - 141) المطبعة الشرقية بدون بيانات أخرى
114(2) الخطط (2/ 142)
115(3) الخطط (4 / 216)
116(4) الخطط (4 / 218)
117(5) الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (1/ 359) مطبعة الترقي بدمشق .

خانقاه وهي كلمة فارسية معناها بقعة يسكنها أهل الصلاه والخير والصوفية(118) والخوانق حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة من الهجرة (119)، ومن أشهرها خانقاه سعيد السعداء ، وخانقاه ركن الدين بيبرس (120) وخانقاه شيخو(121) ، وأما الربط فهي جمع رباط وهو بيت الصوفية(122) ومن أشهرها : رباط البغدادية(123) ، ورباط الآثار (124). وقد ظهرت في هذا العصر نتيجة لهذه النهضة العلمية مؤلفات قيمة في الشريعة الإسلامية واللغة العربية من أهم هذه الكتب مؤلفات ابن تيمية وابن القيم وابن هشام المصري وغيرها العديد من كتب اللغة بفروعها ، والمعاجم ، والتاريخ والتراجم والهندسة والطب والسياسة والاجتماع والتقويم(125) .

الحالة الدينية :كثيراً ما تتأثر الحالة الدينية بالحالة السياسية والاجتماعية ، فغالباً ما يتمحور الناس حول الدين ، فعندما تكون الحالة السياسية والاجتماعية سيئة يلجأ الناس إلى العلاقة الروحية الغيبية بينهم وبين الله وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بالصوفية وأحوالهم المتمثلة في العزلة ، والزهد والتقشف ، كل هذه الأمور تبدوا واضحة أيام العسر ، ولعل هذا تقريباً ما حدث في بخارى آنذاك،فالتدين على الطريقة النقشبندية والذي نعتبره تديناً سلبياً ، يأتي ثمرة لتدهور الحالتين السياسية والاجتماعية ، فيحاول الحاكم الظالم آنذاك أن يقوي علاقته بأهل التدين السلبي ، الذين يتركون الحاكم يفعل ما يشاء ، وفي المقابل هو يعتبرهم ممثلين للدين الصحيح ، هذا من جهة أما من

118(6) الخطط (4/271)
119(7) حسن المحاضرة (2/141)
120(8) الخطط (4/276)
121(9) الخطط (4/ 293)
122(10) الخطط (4/ 293)
123(11) الخطط (4/294)
124(12) حسن المحاضرة (2/147)
125(13) عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي لمحمد رزق سليم ص 158-173 ، المطبعة النموذجية القاهرة 1368هـ / 1949م .

جهة أخرى فقد كان الأتراك الذي ينتمي تيمورلنك لقبيلة منهم يهيمن عليهم إلى وقت قريب ((الشامان)) {الفقير أو الكاهن} الذي كان في ميسوره ، من طريق غيبوبة كثيراً ما تكون مصطنعة ، أن يطرد الأرواح الشريرة المقيمة تحت الأرض ، وأن يستنزل البركة من روحي الأرض والماء الخيرتين ، وأرواح الأسلاف الطائفة في الجنة ، ولم يكن أحد ليجرؤ على أن يتصل – من غير طريق ((الشامان)) – بالذات العليا ، السماء ، وهي الإله الذي برأ العالم ، والذي تخضع لحكمه الطباق السبع عشرة العليا الآهلة بالكائنات الصالحة [126]، بالإضافة إلى معتقدة الشيعي الذي يقترب من عقائد الأتراك لذا فلا عجب إذا عطف تيمور لنك على العلماء ورجال الدين وبخاصة دراويش النقشبندية[127] ،الذي كان حالهم كما سيظهر في نشأة مؤسس الطريقة دروشة وتمسحاً بالقبور والمزارات ونشراً للبدع والخرافات والتماساً للبركة من الأولياء أحياء وأمواتاً بطلب المدد والفيض منهم، فالعلاقة وثيقة بين الشيعة والصوفية بطرقها المتعددة ومن هنا ظهر التعاطف الشديد من تيمور لنك الشيعي على دراويش النقشبندية .

الفصل الثاني

ولادته - نشأته - وفاته - آثاره

ولادته:

ولد عام (717هـ / 1317م) في قرية قصر العارفان . وهي قرية من قرى بخارى[128] على فرسخ منها ، والألف والنون في العارفان علامة الجمع في اللغة الفارسية.[129]

نشأته :

---

[126] (1)تاريخ الشعوب الإسلامية ص261

[127] (2)تاريخ الشعوب الإسلامية ص420

[128] (1) بخارى:سبق التعريف بها .

نشأ شاه نقشبند في قريته التي ولد فيها, ثم أرسله جده وهو في الثامنة عشرة من عمره إلى قرية سماس القريبة من بخارى, لخدمة الشيخ محمد بابا السماسي(130)باستدعاءمنه.ولما توفى الشيخ محمد بابا السماسي ، أخذه جده إلى سمرقند(131), وكان كلما سمع برجل صالح من أهل الله حمله إليه وسأله الدعاء له ، يقول شاه نقشبند " فكانت تنالني بركتهم" ثم أتى به جده إلى بخارى وزوجه بها.

وفاته:-

لقد ذكر صاحب الحديقة الندية(132) قصة وفاة شاه نقشبند تحت عنوان "ندرة حاله عند إرتحاله".

" أنه لما مرض مرضه الأخير دخل خلوته وطفق أصحابه يتواردون عليه ويلازمونه وهو يوصي كلا منه بما يناسبه ثم رفع يديه بالدعاء فدعا ثم مسح بها وجهه ثم لقي ربه"(133) قال الشيخ علاء الدين العطار: "كنا نقرأ عند إحتضار حضرة الشيخ سورة يس فلما بلغنا نصفها شرعت الأنوار تسطع فاشتغلنا بالكلمة الطيبة فتوفى قدس الله سره وذلك ليلة الأثنين ثالث شهر ربيع الأول سنة إحدى

---

129 (2) الأنوار القدسيةفي مناقب السادة النقشبندية,تأليف:يس السنهوتي النقشبندي ص126,مطبعة السعادة,بدون تاريخ , رشحات عين الحياة:ص 50,ديار بكر-تركيا-بدون بيانات أخرى.

130 (3) ستأتي ترجمته عند الحديث عن شيوخ محمد بهاء نقشبند في الفصل الثالث من الباب الثاني.

131 (4) سمرقند: سبق التعريف بها .

132 (5) محمد بن سليمان البغدادي الحنفي النقشبندي,سلك الطريقة على يد خالد النقشبندي ذو الجناحين توفي سنة 1234هـ/1819م . له :الحديقه النديه في آداب الطريقه النقشبنديه-البهجة الخالديه(انظر في ترجمة الطريقه النقشبنديه وأعلامها) تأليف:د.محمد أحمد درنيقة-جروس برس ,بدون تاريخ

133 (1) الحدائق الورديه في حقائق أجلاء النقشبنديه, تأليف:عبد المجيد بن محمد الخاني ص126 تاريخ 1306هـ ,وجامع كرامات الأولياء,تأليف: القاضي يوسف بن إسماعيل النبهاني-المكتبة التوفيقية,بدون رقم وتاريخ ج1 ص244

وتسعين وسبعمائه وسنه أربع وسبعون سنة ودفن في بستانه في الموضع الذي أمر به ، وبني عليه أتباعة قبة عظيمة ودحوا البستان وجعلوه مسجداً فسيحاً وأجرى الملوك عليه أوقافاً جمة وبالغوا بالإعتناء به وترفيع شأنه".[134] [135]

آثاره :

ترك شاه نقشبند رسالتين هما:

- الأوراد البهائية – نُقِل عنه أنه علمها له في الرؤيا فتلقاها منه درساً درسا ، ثم شرحها بعض أتباعه وسماه منبع الأسرار وصنف رجل من مريدية وهو حمزة بن شمشاد[136]في مشكلات ورتب على الحروف.[137]

- تنبيه الغافلين[138].

وقد كتب اتباعة عن مناقبه عدة رسائل منها:

الرسالة البهائية – في مناقب الشيخ بهاء الدين النقشبندي – لمحمد بن مسعود البخاري[139]

134(2) انظر الحدائق الوردية ص141,وجامع كرامات الأولياء ج1 ص 244,والطريقة النقشبندية وأعلامها ص19

135(3) هذه القصة يذكرها أغلب الصوفية عند ذكر حال شيوخهم عند موتهم ، وبعضهم يزيد عليها ، وكأنه أمر مشترك بينهم.

136(4) لم أقف على ترجمته.

137(5) كشف الظنون,تأليف:مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خلبفه-صححه محمد شرف الدين بالتقايا-بدون رقم وتاريخ ,200:1

138(6) كشف الظنون:488:1 ، وقد ذكر في المنجد في الأعلام :ص713 ، وفي الطريقة النقشبندية وأعلامها أن من آثار محمد بهاء نقشبند رسالة هدية السالكين وتحفة الطالبيين وبالرجوع إلى كشف الظنون جـ2 ص 2042 وجدت أنه مختصر فارسي لبهاء الدين محمد بن خواجه أحمد الصادق الطهوري الفاروقي الحسيني النقشبندي وهي رساله في أحوال السالكين كتبها للسلطان مراد خان عام 990هـ . وبالرجوع لترجمة محمد الفاروقي في الطريقة النقشبندية وأعلامها ص137 وجدته قد نسب هذه الرساله له وعلى ذلك فتكون رسائل محمد بهاء نقشبند تنحصر فيما أثبته في المتن.

139(1) كشف الظنون:851:1

مناقب الشيخ بهاء الدين النقشبندي – للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (المتوفى سنة 816 هـ) وهي رسالة مختصرة.[140]

مناقب بهاء الدين المعروف بنقشبند جمعها بعض أصحابه بالفارسية لحسام الدين خواجه يوسف الحافظي.[141]

الفصل الثالث :شيوخه - وتلاميذه

شيوخه :

ينقسم شيوخ محمد بهاء نقشبند إلى قسمين:

140(2)كشف الظنون:1842:2

141(3)كشف الظنون:1841:2

الأول : شيوخ بحسب الصورة – والمراد بهم :من عاصره من مشايخ وأخذ عنهم العلم مشافهة وهم:

- محمد بابا السمَّاسي:

ولد بسمَّاس على بعد ثلاثة أميال من بخارى ،أتقن العلوم العقلية والنقلية ثم صحب العزيزان (علي الراميتني)[142]، أقبل على المجاهدات والرياضات توفي تاركاً عدداً كبيراً من المريدين، وقد صحبه محمد بهاء نقشبند حتى وفاته وقد تأثر بشيخه ويظهر هذا التأثر بقوله: "وجدت ببركته بنفسي سكينة وخشوعاً وتضرعاً ورجوعاً".[143]

- المير كُلال :

ولد وتوفي بقرية سوخار[144] القريبة من بخارى ، ولما شبَّ حذق في المصارعة وكان شيخه محمد بابا السمَّاسي قد وصاه بتربية شاه نقشبند بقوله : " إن هذا ولدي فلا تقصر في تربيته ولئن قصرت في ذلك لا تجدني عنك راضياً أبداً"، وقد لازمه محمد بهاء نقشبند عشرين عاماً كان خلال هذه السنوات مستسلماً منقاداً لأوامره, مراعياً للآداب الواجبة في حقه ، وقد أتقن خلال هذه الفترة الذكر وأصول الطريقة ، ودخل الخلوة وأكثر من النوافل [145] .

وكان مريدوا الميركلال يذكرون بالذكر الجهري مجتمعين وإذا انفردوا يذكرون خفية، وكان محمد بهاء نقشبند, يخالفهم فيقتصر على الذكر الخفي بعد أن تلقى الطريقة كما سيأتي بيانه.

وقد كان إذا اجتمع أصحاب المير كُلال يقوم من بينهم إذا شرعوا في الذكر الجهري ، فكان يشق ذلك عليهم

---

[142](1)علي الراميتني:الشهير بالعزيزان, ولد بقرية راميتن بالقرب من بخارى ، اتقن العلوم الشرعية ثم سلك طريق التصوف على يد الشيخ محمود الانجيرفغنوي الذي مالبث أن جعله خليفة له ، كان نساجاً خلفه محمد بابا السماسي توفي عام 721هـ، انظرالطريقة النقشبندية واعلامها :ص115.

[143](2) الطريقة النقشبندية واعلامها :ص131، الحدائق الوردية :ص126.

[144](3) سوخار: لم أقف على ترجمة لها.

[145](4) الطريقة النقشبندية واعلامها : ص74.

ويسيء بعضهم الظن فيه, وينسبون إليه النقص والتقصير ، إلا أن شيخه كان يدافع عنه بقوله :"إن الله قد قبله والتفاتي له تابعاً لقبوله تعالى له" [146]وبعد انقضاء تلك السنين أجازه شيخه في طلب المشايخ غيره للاستفادة والاستفاضة منهم.[147]

عارف الديكراني:

نسبة إلى ديكران[148] ولد وتوفي فيها، وهو أحد خلفاء المير كُلال .

صحبه شاه نقشبند سبع سنين[149] وقيل ثلاثين سنة على غاية من الأدب في الخدمة - كما هو متعارف عليه من علاقة المريد بشيخه عند الصوفية- حتى أنه إذا توضأ الشيخ عارف من مكان لا يتوضأ منه ، وإذا مشي لا يضع قدمه مكان قدمه ، وكان يبالغ بالثناء عليه . قال: "سافرت مرتين الحجاز ودخلت زواياها[150] أو مدارسها أو خلواتها فما وجدت أحدا مثل مولانا عارف أو مقدار ذرة منه ولو وجدت ذلك ما رجعت إلى هذه الديار فإني أريد أن ألقى من يكون ظاهره مع الخلق وسره فوق السموات السبع".[151]

توفي بعد رجوع شاه نقشبند من الحجاز في ديكران ، وقام شاه نقشبند بغسله وتكفينه ودفنه بناء على وصية منه[152] ومقامه في ديكران خارج البلدة على طريق هزارة.[153]

146(1) إن هذا من القول على الله بغير علم وسيأتي نقده في الباب الثالث في الفصل الثاني المبحث الثالث

147(2) الحدائق الوردية :ص129 – وانظر جامع كرامات الأولياء 1: 602

148(3) ديكران:لم أقف على ترجمة لها.

149(4) الحدائق الوردية ص129

150(5) الزوايا:مفردها زاوية وهي ركن في المسجد,أو دار مستقلة تقام فيها الصلاة, وتعقد حلقات الذكر والدرس داخلها (المعجم الصوفي) تأليف: د.عبدالمنعم الحفني ,ص115 ,دار الرشد,الطبعة الأولى,1417هـ-1997م

151(6) الأنوار القدسية ص125.وفي ذلك إشارة الى قدرة الأولياء على التصرف في الكون.

152(7) الطريقة النقشبندية وأعلامها ص90

153(1) انظر كرامات الأولياء جـ2 ص144

السلطان خليل:

كان سلطان في بلاد ماوراء النهر ، وقد صحبه شاه نقشبند بناء على رؤية قال: "نمت ليلة فرأيت الحكيم آتا" [154] - قدس سره - وكان من أكابر مشايخ الترك وهو يوصي بي درويشاً, فلما انتبهت بقيت صورة الدرويش في مخيلتي, وكانت لي جده صالحه فقصصت عليها هذه الرؤيا فقالت : سيكون لك يا ولدي مع مشايخ الترك نصيب ، فلم أزل أتوخى لقاء هذا الدرويش, حتى لقيته في بخارى فعرفته ,وكان اسمه خليل غير أني لم أتمكن ساعة إذ من صحبته فذهبت إلى البيت وأنا مشغول البال, فلما كان وقت المغرب أتاني شخص فقال لي : إن الدرويش خليل يريدك ، فأخذت في الحال هدية الزيارة وأسرعت بالذهاب إليه, فلما تشرفت بلقاءه أردت أن أخبره بتلك الرؤيا فقال بالتركي : إني أعلم ما رأيت فلا حاجة إلى البيان, فمال قلبي إليه وحصل لي تأثير عظيم من كلامه ونلت بصحبته أحوالاً عالية, حتى أن أهل ما وراء النهر قد ولوه بعد مدة عليهم سلطاناً فما تركت ملازمته, بل كنت أشاهد منه أيام سلطنته ، فيزداد قلبي حبابةً ويزداد هو تربيةً لي وترقيةً لأحوالي ورأفةً بي,وكان الدرويش خليل يحث خواص مريديه على خدمته قائلاً: "كل من يخدمني مرضاة الله تعالى يصير عند الله عظيماً". [155]

وكان محمد بهاء نقشبند يفسر هذا الكلام بقوله: "وكنت أعلم ماذا أراد بهذا الكلام . ومن أراد فإنه يشير إليَّ بأن تعظيم الملوك وإجلالهم لا ينبغي أن يكون لعظمتهم وسطوتهم الظاهرة , بل لأنهم مظهر لجلال مالك الملك سبحانه وتعالى".

وقد صحبه شاه نقشبند ست سنوات, إلى أن زال ملكه وتبدلت أحواله وقد تأثر من ذلك بقوله : "وأصبح في لحظه ذلك العز والخدم والحشم هباء منثورا فزادني

---

[154](2) ذكر صاحب الأنوار القدسية أنه كان من أكابر مشايخ الترك ص17

[155](3) أن هذا من الاكاذيب وادعاء علم الغيب والكهانة وسوف يأتي نقده في الباب الثالث الفصل الثاني المبحث الثالث

ذلك في الدنيا زهداً وعن أعمالها فتورا"، ثم رجع إلى بخارى وأقام في زيورتون.[156] [157]
من شيوخه أيضاً من ذكره شاه نقشبند بأنه:
رجلاً من أحباب الله: يذكر مؤسس الطريقة أنه طلب منه الإمداد فأمره بالاشتغال بجبر الخواطر, وخدمة العاجزين والضعفاء والمنكسرين الذين لا يكترث بهم أحد من الناس , مع المحافظة على تمام المسكنة والتواضع والانكسار.
ثم بعد ذلك أمره بخدمة الحيوانات ومداواة أمراضهم ومدارات جروحهم وقروحهم مع الإخلاص في ذلك والتذلل ،ثم أمره بخدمة الطريق وقال له : فإن رأيت شيئاً في الطريق مما يكرهه الخلق نظفه وارفعه عن نظرهم.
وقد امتثل لهذين الأمرين مدة سبع سنين ،ثم أمره بعد ذلك بخدمة كلاب الحضرة بالصدق والخضوع وطلب الإمداد منهم ،وقال له: إنك ستصل إلى كلب منهم ستنال بخدمته سعادة عظيمة.
قال محمد بهاء نقشبند: "فاغتنمت نعمة هذه الخدمة ولم آل جهداً بأدائها حسب إشارته ورغبة ببشارته", قال : " فثابرت على ذلك سبع سنين بحيث لا يرى أبداً كمي أو ذيلي خالياً من تراب السبيل أو أحجارها هذا وكل ما أمرني به ذلك العزيز فعلته بصدق طوية وإخلاص نية, ووجدت منه النتائج النفسية في نفسي والترقي التام في أحوالي".[158]

ثانياً: شيوخه بحسب الحقيقة:

---

[156](1) الحدائق الوردية ص129، وانظر البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية، تأليف محمد بن عبدالله بن مصطفى الخاني ص100-101 ، ضبطه أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1424هـ / 2003م

[157](2) زيورتون:لم أقف على ترجمة لها.

[158](3) الحدائق الوردية ,ص129-130 و انظر الأنوار القدسية ص 130,والبهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية-تأليف: محمد بن عبدالله بن مصطفى الخاني الخالدي النقشبندي , ص108-109,الطبعة الأولى ,ضبطه:أحمد فريد المزيدي.دار الكتب العلمية-بيروت لبنان,1424هـ-2003م ,وكرامات الأولياء ص246.

والمراد بشيوخ الحقيقة عندهم: من يأخذ منهم العلم بالتقاء الأرواح ، فقد نقل عن سيد هذه الطائفة أنه كان يحكي عند ابتداء حال سلوكه وتوجهاته إلى الأرواح الطيبة من مشايخ الطريقة وكبراء الحقيقة, ويبين أثر التوجه إلى روحانية كل واحد منهم.

أويس القرني:

قال شيخ الطريقة موضحاً إستفادته من شيخه بحسب الحقيقة: إن التوجه لروحانية أويس القرني له أثر تام في الانقطاع التام والتجرد الكلي من العلائق الظاهرة والباطنه[(159)]

واسمه : أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني من بني قرن بن ردمان ابن ناجيه بن مراد ، أحد النساك العباد من سادات التابعين وأصله من اليمن ، أدرك حياة الرسول ولم يره وفد على عمر بن الخطاب ثم سكن الكوفة وشهد وقعة صفين مع عليَّ ، وقيل أنه قتل فيها توفي سنة 37هـ.[(160)]

وقد أخرج مسلم عن سعيد الجريري عن عمر بن الخطاب قال : إني سمعت رسول الله يقول : "إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والده وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم "[(161)]

وأيضاً من حديث معاذ بن هشام ، عن أبيه عن قتادة ، عن زرارة عن أسير ابن جابر، فذكر اجتماع عمر بأويس .

وفيه قال:سمعتُ رسول الله يقول:يأتي عليكم أويس القرني مع أمداد من اليمن ، كان به برص فبرئُ منه إلا موضع درهم ، له والدةُ هو بها بِرٌّ ، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل ، فاستغفر لي ، فاستغفر له . قال: أين تريد , قال : الكوفة . قال : ألا ،

---

[159](1) البهجه السنيه ص105 ، والانوار القدسية ص131.

[160](2) الأعلام: تأليف:خيرالدين الزركلي,دار العلم للملايين ,بيروت,الطبعة السابعة,1986م 1:375 وانظرسير أعلام النبلاء 1:281 تأليف:الإمام الذهبي,(15/90,85)تحقيق وتخريج:شعيب الأرنؤوط,مؤسسة الرسالة ,بيروت,الطبعة الثانية,1402هـ .

[161](3) صحيح مسلم (3/1968)

أكتب لك إلى عاملها فيستوصي بك ؟ قال : لا ، بل أكون في غبراء الناس أحبّ اليّ...الحديث[162].

الحكيم الترمذي :

قال محمد بهاء نقشبند : " وإذا توجهت لروحانية الخواجة الإمام محمد بن علي الحكيم الترمذي قدس سره ,وجدت أثر تلك المشاهدة عدم الصفة المحض ، وفي ذلك العدم[163] لا يرى أثر ولا غبار ".[164]

اسمه : محمد بن علي بن الحسن الترمذي ، وكنيته أبو عبدالله الحكيم الترمذي من أهل ترمذ نفي منها بسبب تأليفه كتابه " ختم الولاية وعلل الشريعة " باحث صوفي ، عالم بالحديث.

من أهم كتبه :

ـ نوادر الأصول في أحاديث الرسول.
- الفروق.
- غرس الموحدين. وغيرها.

بلده ترمذ واليها نسب ، توفي سنة 255 هـ وقيل 285هـ.[165]

عبدالخالق الغجدواني :

يذكر محمد بهاء أنه تربى وتلقى تنشئته الروحية عن طريق الشيخ عبدالخالق الغجدواني

اسمه : عبدالخالق بن عبدالجميل الغجدواني .[166]

ولد بقرية غجدوان بضم الغين وسكون الجيم بعدها دال مهملة مفتوحة وواو فألف فنون, وهي قرية عظيمة على

162(1) صحيح مسلم (4/1962) و مسند أحمد (1/38) قال شعيب الارناوط صحيح على شرط مسلم .

163(2) العدم: كالإنسان بعد أن لم يكن,وسيفنى بعد أن كان ,المعجم الصوفي ص174.

164(3) البهجة السنية ص105,الأنوار القدسية ص131 وفي ذلك إشارة الى الفناءبمعناه عندهم والذي سيتم بيانه والرد عليه عند مناقشة عقيدتهم في الله في الفصل الثاني من الباب الثالث

165(4) طبقات الصوفية 217,الأعلام 157,156:7

166(5) الحدائق الوردية ص111،رشحات عين الحياة ص25 ، وقد ذكر في جامع كرامات الأولياء ص152 تحت اسم عبدالخالق عبدالحميد الغجدواني والصحيح ما أثبته في المتن.

ستة فراسخ من بخارى ، يتصل نسبه بالإمام مالك ، كان والده عالماً صوفياً ,من أكابر علماء ملاطية الروم جاء بخارى وسكن قرية غجدوان.

وكان الخواجه عبدالخالق هو أول من اشتغل بالذكر الخفي في هذه الطريقة ، يذكر صاحب "رشحات عين الحياة" أنه تلقن الذكر القلبي أيام شبابه عن الخضر عليه السلام.[167]

وقد أمر محمد بهاء نقشبند بالعزيمة في العمل واختيار الذكر الخفي, واجتناب ذكر العلانية, وذلك من خلال غيبة حصلت له وهو في بداياته يدور الليل في نواحي بخارى ويزور القبور قال : "فزرت ليلة ضريح الشيخ محمد بن واسع قدس سره, فوجدت عنده سراجا وفيه دهن وفتيلة طويلة غير أن الفتيلة تحتاج إلى تحريك قليل, حتى يخرج الدهن ويتجدد نورها فما لبثت أن وقعت الإشارة إلى بالتوجه إلى زيارة ضريح الشيخ محمود الإنجيرفغنوي[168] قدس سره, فلما وصلت إليه إذا بسراج هنالك مسرج كذلك ,وإذا أنا برجلين قد أتيا فربطا لي وسطي سيفين وأركباني حماراً, ووجهاه إلي ضريح الشيخ فرداخن[169] قدس سره, فلما وصلناه رأيت ثم سراجا كاللذين قبله ,فنزلت وجلست متوجها إلى نحو القبلة فوقع لي في ذلك التوجه غيبة, فرأيت في تلك الغيبة أن الجدار القبلى قد انصدع وظهرت دكة عالية عليها عليها رجل عظيم المقدار قد أسبل أمامه ستر, وحول الدكة جماعة فيهم الشيخ محمد بابا السماسي[170] قدس سره, فقلت في نفسي ليت شعري من هذا الرجل العظيم ومن حوله, فقال لي

---

[167](1) رشحات عين الحياة: ص25-26.

[168](2)محمود الأنجيرفغنوي :ولد بقرية(ا نجيرفغني) صحب الشيخ عارف الريكوري ولما مرض شيخه انقطع للوعظ والإرشاد والتربية,دافع عن الذكر الجهري معتبراً إياه يوقظ النائم,توفي بقرية "قلت"القريبة من بخارى تاركاً عدة خلفاء أشهرهم علي الراميتني ,انظر الطريقة النقشبندية واعلامها ,ص162.

[169](3) لم أقف على ترجمته .

[170](4) سبقت الترجمة له.

أحدهم: أما الرجل العظيم فهو الشيخ عبدالخالق الغجدواني[171], وأما الجماعة فهم خلفاؤه, وجعل يشير إلى كل واحد منهم ويقول هذا الشيخ أحمد الصديق[172] . وهذا الشيخ أولياء الكبير[173], وهذا الشيخ عارف الريوكري وهذا الشيخ محمود الانجير فغنوى ,وهذا الشيخ علي الراميتني[174]. ولما بلغ إلى الشيخ محمد بابا السماسي قال وهذا قد رأيته في حال حياته وهو شيخك ,وقد أعطاك قلنسوة افتعرفه, فقلت: نعم, وكان قد أتى على قصة القلنسوة حين من الدهر فنسيتها, ثم قال: وهي في بيتك وقد رفع الله عنك ببركتها بلاء عظيما قد كان حل بك, فقال لي الجماعة :إصغ بسمعك فإن حضرة الشيخ الكبير قدس الله سره يريد أن يتلو عليك ماليس لك عنه غنى في سلوك طريق الحق, فسألتهم أن أسلم عليه فأزاحوا ذلك الستر فسلمت عليه, فبدأ يتكلم على ما يتعلق بأحوال السلوك أوله ووسطه ومنتهاه, إلى أن قال: وأما تلك السرج التي رأيتها على تلك الكيفية فإنما هي لك بشارة, إشارة إلى أن لك استعداد تاما وقابلية لهذا الطريق, غير أنه ينبغي تحريك فتيلة الاستعداد حتى تقوى الأنوار, وتظهر الأسرار و تبلغ الأوطار, وعليك بالاستقامة والثبات على جادة الشريعة المطهرة في جميع الأحوال, والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, والأخذ بالعزيمة والبعد عن الرخصة و البدعة, وأن تجعل قبلتك أحاديث المصطفى ﷺ وتفحص عن أخباره وآثاره وأحوال أصحابة الكرام ثم بالغ بالتحريض والحث على ذلك "[175]

171(1) سبقت الترجمة له.

172(2) لم أقف على ترجمته.

173(3)لم أقف على ترجمته

174(4) سبقت ترجمته.

175(5) الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية والبهجة الخالدية قدس الله اسرارهم العلية,ص21,تأليف:محمد بن سليمان البغدادي الحنفي النقشبندي,قد اعتنى بطبعة طبعة جديدة بالأوفست بطلب من مكتبة الحقيقة,استانبول –تركيا,1992م,وجامع كرامات الأولياء ص 245,246 ,الحدائق الوردية ص127.

- يتضح بعد دراسة نشأة شيخ الطريقة وبعد الحديث عن شيوخه أنه لم يعتمد على حفظ القرآن ومعرفة البخاري ومسلم والتتلمذ على كتب الفقه وغيرها من العلوم الإسلامية المجمع عليها ,بل اعتمد على عالم الأشباح والتلقي من ساكني القبور وتعظيم المشاهد والاعتماد على الرؤى والمنامات, وتلك هي بضاعة مشايخ الصوفية والتي استغنوا بها عن ظاهر الشرع وعلومه ,وهو ماسيأتي بيانه عند مناقشة مصادر التلقي عندهم في الفصل الأول من الباب الثالث بإذن الله.

تلاميذه :

من أخص تلاميذه:

محمد بن محمد علاء الدين البخاري الخوارزمي العطار. أصله من خوارزم ولد ببخارى توفي والده تاركاً ثلاثة أولاد, فتنازل محمد عن ميراثه لأخويه, وأخذ يشتغل بطلب العلم في مدرسة ببخارى ، ثم صحب شاه نقشبند وسلك على يديه الطريقة وتزوج من ابنته.

وكان محمد مقربا من شيخه ، لأنه كان من أهل الصحو[176] بعكس بعض خلفاء النقشبندية ,حيث كانت تحصل لهم غيبة[177] وقت المراقبة [178]، ويرى الصوفية بأن الصحو أتم وأكمل من الغيبة .

وقد كانت له كلمات قدسية كما يسميها أصحاب هذه الطريقة صدرت عنه في مجالسه, ذكر بعضها صاحب "رشحات عين الحياة" على سبع وعشرين رشحة نقلها من خط محمد بارسا من كلماته :

---

[176] (1) الصحو:هو رجوع العارف الى الإحساس بعد الغيبة ,والصحوصحوان:صحو بعد السكر وهوالرجوع بعد الغيبة,وصحوقبل السكر وهوتفرقة محضة ليس من الاحوال في شيء - انظر المعجم الصوفي,تأليف:د.عبد المنعم الحفني.ص143

[177] (2) الغيبة:هي غيبة القلب عن علم ما يجري من احوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد اليه,وقيل ان يغيب عن حظوظ نفسه فلا يراها لانه غائب عنها بشهود ما للحق ,انظرالمعجم الصوفي ,ص186

[178] (3) سيأتي بيان معناها في الفصل الرابع من الباب الثاني.

قوله : " إن لي بعون الله تعالى وببركة سيدنا شاه نقشبند قوة لو توجهت إلى جميع الخلائق لجعلتهم من الواصلين".[(179)] ,توفي عام 802هـ / 1399م [(180)]

محمد بارسا

اسمه : محمد بن محمد بن محمود الحافظي البخاري النقشبندي الشهير بخواجة بارسا.[(181)]

كان من المقربين لشاه نقشبند فأخذ يربيه ويرقيه ، وكان كثيراً ما تحصل له غيبة وقت المراقبة والاستحضار.[(182)]

وقد لعب محمد بارسا دوراً هاماً في تأسيس الطريقة النقشبندية وانتشارها [(183)] على أثر وصية وصاه بها شيخه بهاء الدين نقشبند قال:لما عرض له المرض وهو في طريق الحجاز وصى أصحابه بوصايا ثم خصني بقوله :" أن كل حق وأمانه وصل إلى هذا الضعيف عن خلفاء خواجكان قدس الله أرواحهم وما كسبته في هذه الطريقة فوضت كلها إليك كما فوضها أخي في الدين مولانا عارف فينبغي لك أن تقبلها وتوصلها إلى خلق الله سبحانه"[(184)]

ـ سافر إلى الحجاز مرتين مره مع شيخه محمد بهاء نقشبند, والثانية خرج من بخارى بنية الحج يزور البلاد في طريقة يقصد زيارة المشاهد فيها ولقاء العلماء والمشايخ .

ـ ثم ذهب إلى مكة وأتمَّ الحج ، وبعد ذلك ذهب إلى المدينة المنورة وتوفي هناك سنة 822هـ ودُفن فيها.[(185)]

---

179 (4) في هذا إشارة الى قدرة الأولياء على التصريف والتي سيتم بيانها والرد عليها في الفصل الثالث من الباب الثالث

180 (1) رشحات عين الحياة :ص 68-69, وانظر الحدائق الوردية ص144-145 –الطريقة النقشبندية واعلامها ص153-154

181 (2) الطريقة النقشبندية واعلامها ص155

182 (3) الحدائق الوردية ص145 وانظر رشحات عين الحياة ص69

183 (4) انظر النقشيبندية واثرها في انتشار الاسلام في تركيا :ص14 رسالة ماجستير إعداد: أحمد عزب بلاطة ، معهد الدراسات الآسيوية بالزقازيق

184 (5) رشحات عين الحياة,ص53

185 (6) رشحات عين الحياة,ص55-56

أثاره :

من أثاره :

- التحقيقات باللغة الفارسية .
- تفسير بعض سور القرآن بالفارسية.
- الفصول السنة في الحديث.
- شرح فصوص الحكم للشيخ الأكبر بالفارسية .
- مناقب الشيخ بهاء الدين النقشبندي
- فصل الخطاب لوصل الأحباب في التصوف.[186]

الفصل الرابع

عقيدته

كان محمد بهاء نقشبند أشعري المعتقد ، يذكر صاحب السعادة الأبدية في حديثة عن شروط هذه الطريقة قال: "الأول تصحيح الاعتقاد وهذا اعتقاد ما عليه سادات أهل السنة والجماعة الأشعرية والماتريدية ثبتنا الله على إتباعهم ، وأثبتنا في ديوان أتباعهم ".[187]

الأشعرية أو الأشاعرة : فرقة كلامية ، تنتسب إلى مؤسسها أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل ، وينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل : أبي موسى الأشعري ، اختلف في تاريخ ولادته فقيل سنة 260 هـ ، وقيل 266هـ وقيل 270هـ بالبصرة ، وإليه تنتسب الطائفة الأشعريه . كان

[186](1) الطريقة النقشبندية وأعلامها,ص 155

[187](1) السعادة الأبدية في جاء بة النقشبندية,لعبد المجيد بن محمد الخاني الخالدي,ص8,مكتبة الحقيقة,استانبول-تركيا-بدون رقم وتاريخ وطبعة

على مذهب الاعتزال زماناً ، فلما برع في معرفة الاعتزال ، كرهه وتبرأ منه ، وصعد للناس ، فتاب إلى الله تعالى منه ، ثم أخذ يرد على المعتزلة ، ويهتك عوارهم ،توفي سنة 324هـ[188].

وقد تطور المذهب الأشعري بدءاً من الأشعري وانتهاءً بتلامذته ، ومنه يتبين كيف دخل هذا المذهب على يد أعلامه في متاهات كلامية وفلسفية ، وصوفيه ، فقرب من الاعتزال ، وخلط علومه بمقدمات الفلاسفة المنطقية وغيرها .

أما ما استقر عليه مذهب الأشاعرة ، فلا يمكن تحديده بدقة ،لاختلاف الأقوال وتعارضها ، وقد يثبت بعضهم ما نفاه الآخرون ، ومع ذلك فيمكن أن يقال:

إن المذهب الأشعري أخذ السمات التالية:

1- ضرورة المقدمات المنطقية والعقلية لتحديد المصطلحات ، والإحالة بها عند عرض ما يتعلق بها من موضوعات العقيدة .
2- التمسك بدليل حدوث الأجسام ، والتركيز على ضرورته لأجل الرد على القائلين بقدم العالم .
3- استقرار القانون العقلي – عند تعارض العقل والنقل – الذي جاءوا به على أنه قانون مسلم ، يلجأون إليه دائما عندما يواجهون بالنصوص.
4- خبر الآحاد لا يفيد اليقين ، فلا يحتج به في العقائد ابتداء ، ولا مانع من الاحتجاج به في مسائل السمعيات ، أو فيما لا يعارضه قانون عقلي.

---

[188](2) من آثاره: "الابانة عن أصول الديانة","اللمع في الرد على أهل البدع","التبيين عن اصول الدين","مقالات الإسلاميين".انظر ترجمته في:"سيرأعلام النبلاء": 15/90,85),و"تاريخ بغداد"المكتبة السلفية(11/346),بدون رقم وتاريخ,و"مقدمة الابانه في اصول الديانة"لابي الحسن الأشعري,ص9 وما بعدها,تقديم وتحقيق:د.فوقية حسين محمود,دار الانصار,بدون بيانات أخرى و"معجم المؤلفين"تأليف:عمر رضا كحالة(3/35)مطبعة الترقي بدمشق,1378هـ,1995م,بدون رقم الطبعة,و"وفيات الأعيان " (3/285,284) ,وهامش"مصرع التصوف"تأليف:العلامة:برهان الدين البقاعي,ص110,تحقيق:عبد الرحمن الوكيل,دار الايمان/بدون رقم وتاريخ

5- مسألة نفي العلو والجهة ، أصبحت من المسائل المسلمة التي لا تقبل المناقشة.
6- التوحيد هو توحيد الربوبية فقط ، ويدخلون فيه نفي الصفات الخبرية التي تقتضي عندهم تجسيما ، لأن هذا يخالف – عندهم – حقيقة التوحيد ، أما توحيد الألوهية فلا يشيرون إليه في كتبهم إلا من خلال موضوعات التصوف ولعل هذا ما يفسر الترابط والامتزاج الذي وقع بين التصوف والمذهب الأشعري مما جعل الطرق الصوفية المختلفة تجعل العقيدة الأشعرية عقيدتها المفضلة.
7- أما في الصفات استقر الأمر على إثبات الصفات السبع العقلية ، وخلاف باق في صفة البقاء – أما ماعداها من الصفات فيجب تأويلها.
8- الصفات الخبرية : فيها قولان التأويل أو التفويض ، وكلاهما متقاربان في النتيجة وهي القطع بنفي ما يدل عليه ظاهرها من الصفة اللائقة بالله – تعالى –
9- نفي الصفات الفعلية الاختيارية ، وهي ما تسمى بمسألة حلول الحوادث [189].
10- كلام الله ، أبقوا على ما كان موجوداً عند شيوخهم من الأشاعرة ، وهو القول بالكلام النفسي ، وأنه أزلي ، وأنه معنى واحد ، أما ما يتعلق بالقرآن المتلو فقد يميلون إلى رأي المعتزلة.
11- الرؤية ثابتة ، لكن مع نفي العلو ، ولم يتخلوا عن هذا التناقض الواضح إلا ما ظهر من ميل الرازي إلى تفسير الرؤية بأنها مزيد من الانكشاف العلمي ، وهو قريب جدا من مذهب المعتزلة.
12- في القدر : بقيت كثير من قضاياه : كالكسب ، و إنكار التعليل ، والقول بالتحسين والتقبيح الشرعي فقط، وتكليف مالا يطاق ، والاستطاعة – على المذهب المشهور عنهم – أما القدرة التي للعبد وهل هي مؤثرة

[189](1) موقف ابن تيمية من الأشاعرة,للدكتور/عبد الرحمن بن صالح المحمود,ص264,مكتبة الرشد-الرياض,ط1-1415هـ.

فقد تعددت أقوالهم فيها ، وإن كان الغالب عليهم الميل إلى أنها غير مؤثرة.

13- الإيمان : مالوا فيه إلى مذهب المرجئة ، فقالوا إنه التصديق – وبعضهم يقول :
إنه المعرفة – مع قولهم بوجوب الطاعات ، وتأثيم العصاة وكذلك مالوا في مسائل زيادة الإيمان ونقصانه ، ودخول الأعمال فيه ، والاستثناء فيه – إلى أقوال المرجئة – ومع قول بعضهم : أن الإيمان هو المعرفة إلا أنهم لا يلتزمون لوازم مذهب جهم الفاسدة .

14- النبوات يثبتونها بدلائلها التي هي المعجزات ، ويميلون إلى ما قرره الباقلاني فيها.

15- وفيما يتعلق بحكمهم على من خالفهم ، فقد بقي المذهب متأرجحا بين التكفير لغالب الطوائف ، والإعذار لهم.

16- أما مسائل :الإمامة والتفضيل بين الخلفاء الأربعة,والسمعيات من المعاد وأحوال القيامة والجنة والنار,والشفاعة ، وعدم خلود أهل الكبائر في النار,فلم يتغير مذهبهم فيها، بل بقي موافقا لمذهب أهل السنة والجماعة[190]

هذه أهم الخطوط العامة التي استقر عليها المذهب الأشعري,وفيما يلي سأبين بياناً مجملاً المذهب الماتريدي باعتبار مؤسس هذه الطريقة على مذهب الأشاعرة والماتريدية.

الماتريدية :

نسبة إلى محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي ، أبو منصور ، وما تريد محلة بسمرقند فيما وراء النهر[191] ، تتلمذ على عدة شيوخ من أشهرهم أبو

190(1) موقف ابن تيمية من الأشاعرة ,ص695-696

191(1) انظر:معجم البلدان (5/32),وسماها ماتيرب,وفي اللباب في تهذيب الأنساب,لعز الدين بن الأثير الجزري(3/140),طبعة دار صادر,بيروت-1400هـ-1980م,ماتريت,قيل يقال ماتريد.

نصر العياضي[192]، وأبو بكر الجوزجاني[193] ، ومحمد بن مقاتل الرازي[194]، ونصير بن يحيى [195]، وغيرهم ، كما تتلمذ عليه عدة ، أشهرهم الحكيم السمرقندي [196]، وأبوالحسن الرستغفني[197]، وأبو محمد البزدوي[198] ، وغيرهم .

والماتريدي حنفي المذهب هو وشيوخه ، ولأبي منصور كتب كثيرة في الفقه وأصوله وفي التفسير وعلم الكلام ، وغالب كتبه الكلامية في الرد على معتزلة عصره ، والرد على الباطنية والروافض ، وقد كانت وفاة الماتريدي 333هـ .[199]

192(2)أبو نصر العياضي هو:أحمد بن العباس بن الحسين,ينتهي نسبه الى سعد بن عبادة الانصاري-رضي الله عنه,أسره الكفار فقتل صبرا في ديار الترك,انظر:الفوائد البهية في تراجم الحنفية,تأليف:عبدالحي الكنوي الهندي,صححه/محمد بدر الدين أبو فراس النعسماني,دار المعرفة ,بيروت(ص:23)

193(3)ابو بكر الجوزجاني هو : محمد بن أحمد بن رجا,توفي سنة 285هـ, انظر:الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي,تحقيق:عبدالفتاح الحلو,عيسى البابي,ط1398هـ-1978م (3/4,82/29)

194(4) محمد بن مقاتل الرازي هو : قاضي الري,توفي سنة 248هـ,قال فيه الذهبي:تكلم فيه ولم يترك,ميزان الاعتدال(4/47),وقال ابن حجرفي تقريب التهذيب:لابن حجر العسقلاني ,تحقيق:عبدالوهاب عبداللطيف,المكتبة العلمية بالمدينة المنورة(2/210)ضعيف, والجواهر(3/372)

195(5) نصير بن يحيى : توفي سنة 268هـ,وقيل اسمه نصر,انظر:الجواهر (3/546)

196(6) الحكيم السمرقندي هو:ابو القاسم إسحاق بن محمد بن إسماعيل,نوفي سنة 340هـ,الأنساب للسمعاني,الأجزاء الاولى,تحقيق:عبدالرحمن المعلم والباقي تحقيق آخرين,الناشر محمد أمين دمج,بيروت – ط الثانية-1400هـ/1980م(4/185),والجواهر المضيئة(1/371)

197(7) أبو الحسن الرستغفني هو : علي بن سعيد-لم يحدد تاريخ وفاته-الجواهر المضية(2/458).

198(8) أبو محمد البزدوي هو:عبدالكريم بن موسى,المتوفي سنة 390هـ,الجواهر المضية(2/4,570/212)

199(9) انظر ترجمته في معجم المؤلفين(11/300),والأعلام : (7/19),والماتريدية وموقفهم من توحيد الاسماء والصفات-للشمس السلفي الافغاني(1/ص209-219)مكتبة الصديق-الطائف,الطبعة الاولى-1413هـ-1993م.

منهج الماتريدي وعقيدته:

لا يبعد الماتريدي كثيراً عن أبي الحسن الأشعري ، فهو خصم لدود للمعتزلة ، وقد خالفهم في المسائل التي اشتهروا بمخالفة أهل السنة فيها مثل مسائل الصفات ، وخلق القرآن ، وإنكار الرؤية ، والقدرة ، وتخليد أهل الكبائر في النار ، والشفاعة ، وغيرها.

وقد ألف في ذلك كتبا مستقلة ، ومع ذلك فالماتريدي لم ينطلق في ردوده عليهم من منطلق منهج السلف – رحمهم الله تعالى – وإنما كان متأثراً بمناهج أهل الكلام ، ولذلك وافقهم في بعض الأصول الكلامية والتزم لوازمها, فأدى به ذلك إلى بعض المقالات التي لا تتفق مع مذهب السلف ، وإنما كان فيها قريبا من مذهب الأشعرية.

أما المسائل التي تميز بها مذهب الماتريدي :

1- القول بوجوب النظر وإبطال التقليد في مسائل العقيدة ولذلك يقول : "ثبت أن التقليد ليس مما يعذر صاحبه" [200]، وهذا قريب من مذهب بعض الأشاعرة الذين لا يصححون إيمان المقلد.

2- مصادر المعرفة عنده : الأعيان الحس ، والخبر ، والنظر[201] .

3- الاستدلال على إثبات الصانع بدليل حدوث الأجسام, المبني على عدم خلوها من الأعراض ، ومالا يخلو من الحوادث فهو حادث[202]، والماتريدي لا يقتصر على هذا الدليل ، وإنما يذكر أدلة أخرى[203] ، والعجيب أن الماتريدي يعتز بإجابته أحد شيوخ الاعتزال عن الاعتراض على دليل حدوث الأجسام .[204]

200(1) التوحيد لأبي منصور الماتريدي (ص:3)د.فتح الله خليف,دار الجامعات المصرية _اللإسكندرية,بدون رقم وتاريخ.,وانظر كلامه حول النظر(ص:135-137).

201(2) انظر:المصدر السابق(ص:7-11)

202(3) انظر المصدرنفسه(ص12-17),وانظر(ص :43)

203(4) انظر:المصدر نفسه (ص:17-19),ولكنه في (ص:231)و(ص: 233)يقول كلاما يدل على ان اثبات الصانع ليس له دليل الا دليل حدوث الاجسام

204(5) انظر:المصدر نفسه (ص:137-138)

4- استدلاله في بعض مسائل العقيدة بالسمع والعقل.(205)

5- والماتريدي يثبت الصفات العقلية لله تعالى كالسمع والبصر والقدرة والإرادة والإحياء والإماتة والرزق ، وغيرها من صفات الذات والفعل – وهذا ما يقول به الأشاعرة , إلا أن الماتريدي لا يفرق بين صفات الذات وصفات الفعل, ولذلك فهو يقول بأزلية صفات الفعل ومنها صفة التكوين التي قال إنها أزلية ، وهي من المسائل الكبار التي تميز بها مذهب الماتريدية عن مذهب الأشعرية .

وأصل الخلاف فيها أن الأشاعرة , ومعهم المعتزلة يقولون : الفعل هو المفعول ، فالتكوين أو الخلق هو عين المكون أو المخلوق ، لذلك قالوا بحدوث صفات الفعل لله تعالى مثل الخلق ، وأن الله لم يكن خالقا ثم خلق، قالوا: فلو قلنا يقدم صفة الفعل لله تعالى للزم من ذلك قدم المفعول ، وهذا يبطل القول بقدم الصانع وحدوث العالم . أما الماتريدية فعندهم أن الفعل غير المفعول ، والتكوين غير المكون ، ولذلك فهم يقولون بأزلية صفات الفعل لله تعالى من الخلق والإحياء والرزق ، وإن كان المفعول منها حادثاً .

يقول الماتريدي بعد كلام : " والأصل أن الله تعالى إذا أطلق الوصف له ، وصف بما يوصف به من الفعل ، والعلم ، ونحوه ، يلزم الوصف به في الأزل ، وإذا ذكر معه الذي تحت وصفه به من المعلوم ، والمقدور عليه ، والمراد ، والمكون ، يذكر فيه أوقات تلك الأشياء لئلا يتوهم قدم تلك الأشياء "(206)، وأوضح في تفسيره فقال في قوله تعالى :

(□□□□□□□□□ □□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□)[البقرة :117]:

ثم الآية ترد على من يقول بأن خلق الشيء هو ذلك الشيء نفسه ، لأنه قال : إذا قضي أمراً ، ذكر(قضي)،

205(6) انظر المصدر نفسه (ص:40,41,44,56,373,381,382)

206(1) التوحيد (ص:47)

وذكر(أمراً) ، وذكر (كن فيكون) ، ولو كان التكوين والمكون واحداً لم يحتج إلى ذكر كن في موضع العبارة عن التكوين ، فالكن تكوينه ، فيكون المكون ، فيدل أنه غيره ، ثم لا يخلو التكوين : إما أن لم يكن فحدث ، أو كان في الأزل ... "[207] ، ثم رجح أنه موصوف به الأزل ، وأن الشيء يكون في الوقت الذي أراد كونه فيه ، والماتريدي بنى قوله على الفرار من حلول الحوادث بذاته تعالى الذي يلزم به الأشاعرة حين يقولون بحدوث صفات الفعل لله تعالى.[208]

6-والماتريدي من نفاة الصفات الاختيارية لله تعالى, تبعا لمنعه حلول الحوادث بذات الله تعالى، ويبني ذلك على مسألة دليل حدوث الأجسام .

وفي مسألة كلام الله قال بأنه أزلي وأنه لا يتجزأ ولا يتبعض وبني في الرد على الكعبي والمعتزلة – في قولهم بخلق القرآن – على منع حدوث كلام الله ، والقول بأنه أزلي ، أما ماسمعه موسى – عليه الصلاة و السلام – فالله "أسمعه بلسان موسى ، وبحروف خلقها ، وصوت أنشأه ، فهو أسمعه ماليس بمخلوق" .

وقد رد شارح الطحاوية – ابن أبي العز – على الماتريدي قوله هذا[209].

ويؤول الماتريدي الصفات الفعلية مثل صفة الاستواء فيقول – بعد ذكره الأقوال فيه - : "وجملة ذلك أن إضافة كلية الأشياء إليه ، وإضافته عز وجل إليها ، يخرج مخرج الوصف له بالعلو والرفعة ، ومخرج التعظيم له والجلال ، وإضافة الخاص إليه يخرج مخرج الاختصاص له بالكرامة والمنزلة ... والأصل فيه أن الله سبحانه كان ولا مكان ،

---

[207](2) تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي(1/268),تحقيق د.محمد مستفيض الرحمن_مطبعة الإرشاد,بغداد1404هـ.

[208](1) انظر:إمام اهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية ,ص181-182,لعلي عبدالفتاح المغربي,مكتبة وهبة,القاهرة,ط1/1405هـ-1985م,الروضة البهيةفيمابين الأشاعرة والماتريدية,ص39-43,تأليف:الحسن بن عبدالمحسن المشهور بأبي عذبة,دار المعارف العثمانية-الهند-ط1/1322هـ

[209](2) شرح العقبدة الطحاوية.لعلي بن أبي العز الحنفي,ص90,تخريج الألباني,المكتب الإسلامي_بيروت_ط5_1399ه.

وجائز ارتفاع الأمكنة ، وبقاؤه على ما كان ، فهو على ما كان ، وكان على ما عليه الآن ، جل عن التغير والزوال والاستحالة والبطلان ، إذ ذلك أمارات الحدث التي بها عرف حدث العالم "[(210)].

وبعد أن يؤصل الماتريدي هذا الأصل يذكر الأقوال في الاستواء من أنه بمعنى الاستيلاء أو العلو والارتفاع ، أو التمام ، ثم يرجح التفويض لا حتماله أحد هذه المعاني أو غيرها فيقول: "فيجب القول بالرحمن على العرش استوي ، على ما جاء به التنزيل ، وثبت ذلك في العقل ، ثم لا تقطع تأويله على شيء لا حتماله غيره مما ذكره ، واحتماله أيضا مالم يبلغنا مما يعلم أنه غير محتمل شبه الخلق"[(211)]، والعجيب أنه يقيس ذلك على مسألة الرؤية .

7- ينكر الماتريدي أن يكون الله في جهة العلو ، ويؤول بعض الأدلة مثل رفع الأيدي إلى السماء تأويلات عجيبة[(212)]، ولذلك فهو يثبت الرؤية ويرى أن الاستدلال لها بالسمع وحده ، والرؤية عنده تكون بلا مقابلة.[(213)]

8- يقول بأن الله فاعل مختار على الحقيقة ، وهو خالق كل شيء ، والعبد مختار لما يفعله وهو فاعل كاسب[(214)]، وبعد أن يذكر قولي الجبرية والقدرية يقول : " والعدل هو القول بتحقيق الأمرين "[(215)]، ثم يذكر الفرق في أحوال العبد بين أفعاله الاضطرارية والاختيارية.[(216)]

9- يقسم الماتريدي قدرة العبد واستطاعته إلى قسمين : " أحدهما : سلامة الأسباب وصحة الآلات ، وهي تتقدم الأفعال .... والثاني : معنى لا يقدر على تبين حده بشيء يصار إليه سوى انه ليس إلا للفعل ، لا يجوز وجوده بحال

---

[210] (3) التوحيد ,ص68-69

[211] (1) التوحيد,ص71

[212] (2) انظر: التوحيد(ص:75-76)

[213] (3) انظر:المصدر السابق(ص:77-85)

[214] (4) انظر:المصدر نفسه(ص:225-226-233)

[215] (5) المصدر السابق(ص:229)

[216] (6) انظر:المصدر السابق-الصفحة نفسها

إلا ويقع به الفعل عندما يقع معه "[217]، والقدرة الثانية هي التي لا تكون إلا مع الفعل – وهذا قول الأشعري.

وقد رد الماتريدي على المعتزلة في قولهم : " إنها تكون قبل الفعل"[218].

ومما سبق يتضح أن كسب الماتريدي يعطي العبد الاختيار ، وهذا ما يخالف – قليلا-كسب الأشعري ، والماتريدي أيضاً يقول بأنه لا يجوز تكليف مالا يطاق[219].

10- والماتريدي يميل إلى القول بالتحسين والتقبيح العقلي[220]، كما يثبت التعليل والحكمة في أفعال الله تعالى[221]، وهذان الأمران يخالف فيهما الأشعري.

11- والإيمان عند الماتريدي هو التصديق ، ومحله القلب ، ويستدل لذلك بدليل السمع والعقل[222]، ويرى التفريق بين التصديق والمعرفة ، ويعقد لذلك مسألة مستقلة [223]، وهو بهذا على الجهمية القائلين بأن الإيمان هو المعرفة .

الماتريدي يرد على القائلين بأن الإيمان قول باللسان[224]، كما يرد على الذين يدخلون الأعمال في مسمى الإيمان[225]، وعلى ضوء ذلك فالماتريدي يمنع من الاستثناء في الإيمان.[226]

12- ويوافق الماتريدي أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة ، ولذلك فهو يرد على المعتزلة والخوارج في ذلك[227]، ويقرن ذلك بمسألة الشفاعة ، وأنها رد عليهم . [228]

---

[217] (7) المصدر السابق(ص:256)
[218] (8) انظر:التوحيد(ص:258-262)
[219] (9) انظر:التوحيد(ص:263-277)
[220] (1) انظر:التوحيد(ص:100-178)
[221] (2) انظر:التوحيد(ص:177-216-217)
[222] (3) انظر:المصدر نفسه(ص:373-378)
[223] (4) انظر:المصدر نفسه(ص:380-381)
[224] (5) التوحيد(ص:376-378)
[225] (6) انظر:كتاب التوحيد(ص:378-379)
[226] (7) انظر:المصدر السابق(ص:388-392)
[227] (8) التوحيد(ص:323-365)
[228] (9) انظر:التوحيد(ص:365-373)

13- وفي موضوع " الإرجاء" المنسوب إلى الحنفية عقد الماتريدي له مسألة مستقلة ، ذكر فيها ما ورد من الأقوال فيه – حيث إن كل طائفة تتهم الأخرى بالإرجاء – كما دافع عما نسب إلى القائلين بعدم دخول الأعمال في مسمى الإيمان من أنهم مرجئة ، ويقول : إن تهمة الإرجاء واقعة إما على الجبرية حين أرجت أفعال الخلق إلى الله تعالى, ولم تجعل للخلق فيها حقيقة البتة ، وإما على من يسميهم بالحشوية حين يستثنون في الإيمان[229]، أما مسألة الفرق بين الإيمان والإسلام فيرجح أنهما بمعنى واحد .[230]

هذه أهم أقوال وآراء الماتريدي ، التي وردت مفصلة في تفسيره وفي كتاب التوحيد ، وبالمقارنة بين أقواله وأقوال أبي الحسن الأشعري يتبين أنهما قد اتفقا في بعض المسائل الأصولية مثل إثبات بعض الصفات ، ومنع حلول الحوادث ، وصحة دليل حدوث

الأجسام ، والكسب ، وغيرها ، ومع ذلك فبينهما عدة فروق أهمها :

1- أن الماتريدي قال : بأزلية صفة التكوين لله تعالى ولم يفرق بين صفات الذات والفعل

2- وأنه يقول : بأن موسى سمع الصوت المخلوق حين كلمه ربه تعالى .

جـ- وفي مسألة العلو والاستواء ، فالماتريدي ينفي العلو ويؤول الاستواء أو يفوضه ، بخلاف الأشعري الذي يثبت العلو والاستواء – وإن روي عنه في الإستواء معنى آخر.

د- قال الماتريدي بالتحسين والتقبيح العقلي ، والأشعري قال بالشرعي فقط .

هـ - قول الماتريدي بالحكمة والتعليل ، بخلاف الأشعري .

و- وفي الكسب – مع قوله به كما يقول الأشعري إلا أنه مال إلى إعطاء العبد حرية في الاختيار ، ولذلك فقدرة العبد عنده مؤثرة بخلاف الأشعري.

---

[229] (10) انظر:المصدر السابق(ص:381-385)

[230] (11) انظر:المصدر نفسه(ص:393-401)

ح- وفي الإيمان قال إنه التصديق وهذا ما قال به الأشعري ، إلا أنه خالفه في دخول الأعمال في الإيمان وجواز الاستثناء فيه ، وهذان منعهما الماتريدي

ط- أما رؤية الله فقد أثبتها الماتريدي سماعا فقط ، أما الأشعري فاستدل مع أدلة السمع بدليلين عقليين ، أحدهما الوجود,والآخر أن الله يرى الأشياء.[231]

هذا بالإضافة إلى المعتقدات الصوفية التالية والتي سيتم بيانها ومناقشتها وهي :

1-عقيدتهم في الله.
2-عقيدتهم في رسول الله.
3-عقيدتهم في أوليائهم.

الباب الثاني

الطريقة النقشبندية

ويحتوي على خمسة فصول

[231] (1) وانظر(الماتريدية دراسة وتقويم)احمد بن عوض الله الحربي-دار العاصمة:الرياض:الطبعة الاولى,1413هـ-1995م,وانظر(منهج اهل السنة والجماعة ومنهج الاشاعرة في توحيد الله تعالى)خالد بن عبداللطيف بن محمد نور/مكتبة الغرباء الاثرية/المدينة المنورة-الطبعة الاولى-1416هـ/1995, وانظر الماتريدية وموقفهم من توحيدالأسماء والصفات وانظر:موقف ابن تيمية من الاشاعرة-ص488-498.

الفصل الأول : التعريف بالطريقة ونشأتها

الفصل الثاني : ابرز دعاتها

الفصل الثالث : مصادر وطرق التلقي

الفصل الرابع : معالم الطريقة

الفصل الخامس : واقع النقشبندية وانتشارها

الفصل الأول
التعريف بالطريقة ونشأتها

في طريقنا للتعريف بالطريقة النقشبندية ونشأتها لا بد أولاً أن نتعرض لبيان التسمية.

معنى نقشبندية :

هذه الكلمة منسوبة إلى "نقش بند" وهو لفظ فارسي مركب من كلمتين : إحداهما عربية ، وهي "نقش" والثانية فارسية وهي "بند" – بفتح الباء وسكون النون والدال – وكان يطلق اسم "نقشبند" على الرسام

والنقّاش الذي يعمل الوشي والنمنمة على الأقمشة في اللهجة التركية القديمة[232]،ومعناه ربط النقش ، والنقش: هو صورة الطابع إذا طبع به ، وربطة: بقاؤه من غير محو.

قال صاحب الحديقة الندية في بيانه لمعنى التسمية " تسمى نقشبندية أي منسوبة إلى نقش بند ومعناه : ربط النقش وهو صورة الكمال الحقيقي بقلب المريد . وكان ذكرهم في الانفراد إلى زمان الشيخ بهاء الدين الملقب بهذا اللقب رحمه الله تعالى . في الانفراد خفية وفي الجمع سراً وجهراً ، فأمرهم الشيخ بهاء الدين بالخفية بأمر له من الخواجه[233]عبدالخالق الغجدواني شيخ مشايخه في عالم السير ، فكان يسر بالذكر إنفراداً وجمعاً هو وجماعته ، فيصير من ذكرهم لذلك في قلب المريد تأثير بليغ ، فكان يقال لذلك التأثير: (نقش) وذلك الذكر (بند) أي (ربط)**".** [234]

ويذكر صاحب المواهب السرمدية سبب آخر للتسمية وهو كما قال : "أنه سمع من بعض خلفاء النقشبندية يقول : أن النبي وضع كفه الشريف على قلب الشيخ وهو في حال المراقبة فصار نقشاً". [235]

وللتسمية دلالة أخرى ذكرها عبد الغني النابلسي[236] بقوله :

" أن أسماء الحق تعالى وصفاته المتوجهة من ذاته العلية على خلق سيدنا آدم عليه السلام وبنية بلا كيف ولا أين قد ظهرت لتوجهها نقش في ذواتهم ، فمنهم من محا بعض ذلك النقش بغلبة الحيوانية عليه وضعف الإنسانية الكاملة

---

[232](1) الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها / ص 9،لمحمدفريدالهاشمي،العبر،اسطنبول،الطبعةالثانية2001.

[233](2) الخواجه :لفظ فارسي معناه:الشيخ.

[234](3) الحديقة الندية:ص22.

[235](4) النفحات الجودية في مآثر وأوراد الطريقة النقشبندية/تأليف:جودة محمد ابو يزيد المهدي النقشبندي : ص26 الدار الجودية-الطبعة الثانية/ 2005م.

[236](1) ستأتي الترجمة له في الفصل الثالث من الباب الثاني.

فيه ، ومنهم من كمل نقشه فسمى نقشبنديا أي لازم النقش ".[237]

فعلى ذلك فإن المناسبة في إطلاق هذه الكلمة على هذه النحلة واضحة ذلك أنهم يزعمون أنهم يسعون إلى نقش محبة الله في قلوبهم بالذكر المتواصل والسلوك المأثور عن ساداتهم.

- سند الطريقة النقشبندية وسلاسلها:

للطريقة النقشبندية سلاسل ثلاث, يرى أصحاب هذه الطريقة أنه على المنتسب إلى طريقتهم أن يعرفها وهي :

السلسة الأولى :

وهي السلسلة المتصلة من النبي -إلى علي بن أبي طالب ، إلى أبي عبدالله الإمام الحسين ، إلى الإمام زين العابدين على الأصغر [238] ، إلى محمد الباقر [239] ، إلى

237(2) النفحات الجودية ص26.

238(3) زين العابدين علي الأصغر : علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب أبو الحسن ويقال أبو الحسين الهاشمي المدني ، توفي عام 92هـ . التعديل والجرح لمن خرج له البخاري في الجامع الصغير لسليمان بن خلف الباجي (2/ 956)تحقيق أبو لبابه حسين، دار اللواء للنشر ، الرياض ، ط 1 ، 1406هـ .

239(4) محمد الباقر : هو أبو جعفر محمد زين العابدين علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب سمي بالباقر من بقر الأرض أي شقها وآثار مخبئاتها ومكامنها من كنوز المعارف ، وقيل سمي بذلك لأن السجود بقر جبهته ، كان أعلم أهل وقته من سادات أهل البيت سماه رسول الله الباقر ، لقب بالديباجة عمرت أوقاته بطاعة الله ، عاش ثمانين سنة ،توفي سنة 181هـ . الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلالة والزندقة لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيثمي (3/ 420) تحقيق كامل الخراط وعبدالله التركي ، مؤسسة الرسالة بيروت ط 1 ، 1997م ، وانظر تهذيب الكمال (33/192) ليوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي ، تحقيق بشار عواد معروف مؤسسة الرسالة بيروت 1400هـ - 1980م

جعفر الصادق [240] ، إلى موسى الكاظم [241] ، إلى علي الرضا [242] ، إلى معروف الكرخي [243] ، إلى السري السقطي [244] ، إلى القاسم الجنيد البغدادي [245]،
إلى أبي علي الروذباري [246]، إلى أبي علي الكاتب [247] ، إلى أبي عثمان المغربي [248]وإلى أبي القاسم الكركاني [249] ، إلى أبي علي الفارمدي [250] شيخ السلسلة الثالثة .

---

[240](1) جعفر الصادق : أبو عبدالله ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين ، ولد سنة 80هـ وتوفي سنة 143هـ وقيل 148هـ ، كان جريئاً صداعاً بالحق أخذ العلم عن جماعة منهم مالك وأبو حنيفة ، وهو أحد الأئمة الأثنى عشر على مذهب الإمامية ، انظر هداية العارفين (1/ 134) انظر تهذيب الكمال (12/368) لابن حجر العسقلاني . دار الفكر بيروت الأعلام (2/126).

[241](2) موسى الكاظم : ابن الإمام جعفر الصادق، ولد سنة 128هـ ، زبدة آل النبي الذي أمتحن بأنواع البلاء، سمي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه ، كان أعلم زمانه وأسخاهم ، توفي ببغداد 183هـ ، انظر معجم البلدان (5/163) وانظر تهذيب الكمال (12/372).

[242](3) علي الرضا : علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق صنف رسالة في الطب ، توفي سنة 203هـ ، انظر هداية العارفين (1/355) .

[243](4) معروف الكرخي : أبو محفوظ من عباد العراق صوفي كبير كان مجاب الدعوة ، يعتبر الصوفية قبره ترياق مجرب أسلم على يد علي الرضا مات ببغداد سنة 201هـ . انظر في ترجمته الثقات لإبن حبان (9/206)

[244](5) السري السقطي : يكنى بأبي الحسن خال أبي القاسم الجنيد وأستاذه ، أحد كبار مشايخ الصوفية تلميذ معروف الكرخي ذكر عنه جنيد كثيراً من أقواله . مختصر تاريخ دمشق (1/ 1266) والبداية والنهاية (11/13).

[245](6) تقدمت الترجمة له.

[246](7) أبو علي الروذباري :هو أحمد الروذباري عالم محدث صوفي صحب الجنيد ، توفي سنة 322هـ بمصر ، انظر الحدائق الوردية ص67-69

[247](8) أبو علي الكاتب : الحسين بن أحمد الكاتب المصري من أهل الكرخ شيخ عالم فاضل أحد البلغاء الكتاب الشعراء ، من ذوي الهيئات ،صحب أبو علي الروذباري ، توفي سنة 511هـ ، انظر لسان الميزان (5/179) .

[248](9) أبو عثمان المغربي :سعيد بن سلام المغربي الزجاج الصوري القيرواني ، صوفي كبير سلك الطريقة على أبو القاسم الكركاني له أحوال مأثورة وكرامات مذكورة ، الحدائق الوردية ص70

[249](10) أبو القاسم الكركاني :هو علي الكركاني ، كان من كراماته الإطلاع على أسرار المريدين ، تلقى التصوف على أبو علي الفارمدي . انظر الحدائق الوردية ص70-71

وهذه السلسلة مسماه بسلسلة الذهب لاتصالها بآل البيت الأطهار – رضوان الله عليهم أجمعين

السلسة الثانية:

هي السلسلة المتصلة من النبي ، إلى علي المرتضى [(251)] ، إلى الحسن البصري [(252)] ، إلى حبيب العجمي[(253)] ، إلى داود الطائي[(254)] ، إلى معروف الكرخي [(255)] ، شيخ السلسلة الأولى ، وعنده تجتمع السلسلتان – رضوان الله عليهم أجمعين.

السلسلة الثالثة:

هي السلسلة المتصلة برسول الله إلى الصديق ، إلى سلمان الفارسي [(256)]، إلى القاسم حفيد أبي بكر

---

[250](11) أبو علي الفارمدي : هو الفضل بن محمد الفارمدي الطوسي أخذ التصوف عن الغزالي والصابوني صحب القشيري . قال السمعاني : كان لسان خراسان وشيخها ، توفي سنة 447هـ . انظر الحدائق الوردية ص 71-72

[251](1) علي المرتضى : يقصدون به علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله . انظر الحدائق الوردية ص34

[252](2) الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد تابعي حبر الامه في زمانه ، وأحد العلماء والفقهاء والنصحاء النساك ولد بالمدينة ، وسكن البصره ، ولد عام 21هـ وتوفي 110هـ ، سير أعلام النبلاء (4/563) ، الأعلام (2/226).

[253](3) حبيب العجمي بن محمد الزاهد العابد أبو محمد البصري ، توفي 140هـ ، انظر لسان الميزان لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (7/193) ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط3 ، 1406هـ / 1986م ، تحقيق دائرة المعارف النظامية الهند، و الحديقة الندية ص81-82.

[254](4) داود الطائي : هو أبو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي قال الذهبي : كان إماماً فقيهاً ذا فنون عديدة ثم تعبد وآثر الوحدة وأقبل على شأنه وساد أهل زمانه ، توفي سنة 160هـ وقيل 165،تقريب التهذيب (1/200)

[255](5) معروف الكرخي : تقدمت الترجمة له

[256](6) سلمان الفارسي :صحابي ،من مقدمي الصحابة .عمر طويلاً .قصة إسلامه طويلة عجيبة ، حيث تنقل من المجوسية إلى النصرانية ثم إلى الإسلام.ولي إمارة المدائن.وكان متواضعاً يتصدق بعطائه.توفي بالمدائن سنة 36هـ انظر:سير أعلام النبلاء (1/505)،الإصابة (4/223)،الأعلام (3/112).

[257] ، إلى جعفر الصادق [258] ، إلى أبي يزيد البسطامي [259] و إلى أبي

الحسن الخرقاني [260]، إلى أبي علي الفارمدي [261] ، إلى يوسف الهمداني [262]، إلى عبدالخالق الغجدواني [263] . إلى عارف الريوكري [264] إلى محمود الانجيرفغنوي [265] إلى علي الراميتني [266] إلى المير كُلال[267] إلى محمد بابا السماسي [268]، إلى محمد بهاء الدين نقشبند[269] ، إلى علاء الدين العطار[270]، إلى يعقوب الجرخي[271] ، إلى عبيد الله أحرار [272] إلى محمد الزاهد[273] ، إلى محمد

---

[257](7) القاسم حفيد أبي بكر:هو أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر عالم مفتي فقيه ورع ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، توفي سنة 106هـ وعلى الراجح، بين مكة والمدينة وكان حاجاً أو معتمراً .تهذيب الكمال (10/146)، تقريب التهذيب (1/451)

[258](8) جعفر الصادق : تقدمت الترجمة له.

[259](9) أبو يزيد البسطامي : تقدمت الترجمة له.

[260](1) أبو الحسن الخرقاني : علي بن أحمد الزاهد ، وخرقان ، قرية بجبال بسطام بسمرقند بها رباط يقال له مخرقان صوفي له كرامات وأحوال ، توفي سنة 425هـ ، انظر تاريخ الإسلام (1/ 3050)

[261](2) أبو علي الفارمدي : تقدمت الترجمة له.

[262](3) يوسف الهمذاني :ستأتي الترجمة له.

[263](4) عبدالخالق الغجدواني : تقدمت الترجمة له.

[264](5) عارف الريوكري : ولد في ريوكر قرية من قرى بخارى على ستة فراسخ منها ، أخذ الطريقة عن العزيزان . انظر الحديقة الندية ص119

[265](6) محمود الانجيرفغنوي:تقدمت الترجمة له .

[266](7) علي الراميتني : تقدمت الترجمة له .

[267](8) المير كُلال: تقدمت الترجمة له .

[268](9) محمد بابا السماسي: تقدمت الترجمة له .

[269](10) محمد بهاء الدين نقشبند: تقدمت الترجمة له .

[270](11) علاء الدين العطار : تقدمت الترجمة له

[271](12) يعقوب الجرخي :ولد في جرخ قرية من قرى غرنين في بلاد ما وراء النهر ، رحل لتحصيل العلوم صحب شاه نقشبند فترة . انظر الحديقة الندية ص156

[272](13) عبيد الله أحرار :ستأتي الترجمة له

الأمكنكي [274]، إلى محمد الباقي بالله[275] ، إلى الإمام أحمد الفاروقي السرهندي [276] ، إلى محمد المعصوم [277]، إلى سيف الدين [278]، إلى نور محمد البدواني [279]. إلى الحبيب الله مظهر[280] ، إلى عبدالله الدهلوي [281]، إلى خالد العثماني[282] ، إلى محمد الخاني ....[283]

وتعتبر السلسلة الثالثة من سلاسل الطريقة هي المشهورة بين مشايخ طريقتهم وهي التي يتوسل بها سالكو الطريقة في ختم الخواجكان كما سيأتي بيانه .

وبالنظر في سند مشايخ سلاسل الطريقة النقشبندية نجد أنه لا يراعي فيها الترتيب الزمني ولا يشترط التلقي أو السماع أو حتى المعاصرة بين الشيخ والمريد كما هو معروف عند متلقي العلم بواسطة أئمة النقل بل لهم طرق خاصة بهم.

فالشيخ عندهم هو أبو الروح وهو أولى بالانتساب إليه من أبي الجسم .

يذكر صاحب الحدائق الوردية في بيان ذلك قوله:

"ذلك لأن الروح ألصق بك من حقيقتك فأبو الروح يليك وأبو الجسم بعده فكان بذلك أحق أن ينتسب إليه دون أبي الجسم.."

273(14) محمد الزاهد : القاضي السمرقندي صاحب كرامات . انظر الحديقة الندية ص175-176

274(15) محمد الأمكنكي:السمرقندي ولد في أمكن قرية من قرى بخارى صاحب الإمدادات . انظر الحديقة الندية ص178

275(16) محمد الباقي بالله:ولد في نواحي مدينة كابل التابعة للهند ،شيخ الفاروق ،نشر الطريقة النقشبندية في الهند ، توفي سنة 1014هـ في دلهي . انظر الحديقة الندية ص178

276(17) الإمام أحمد الفاروقي السرهندي: ستأتي الترجمة له .

277(1) محمد المعصوم: ستأتي الترجمة له.

278(2) سيف الدين: ستأتي الترجمة له.

279(3) نور محمد البدواني: ولد في الهند وتوفي سنة 1135هـ . انظر الحديقة الندية ص200

280(4) الحبيب الله مظهر: حبيب الله جان جانان ، ستأتي الترجمة له.

281(5) عبدالله الدهلوي: ستأتي الترجمة له.

282(6) خالد العثماني: ذو الجناحين، ستأتي الترجمة له.

283(7) الحائق الوردية /ص6,الأنوار القدسية/ص5-6,وانظر رشحات عين الحياة/ص6-7

ثم يضيف :"واعلم يا أخي أن السر في التلقين إنما هو لارتباط القلوب بعضها إلى بعض إلى رسول الله إلى حضرة الله - عز وجل - وأقل ما يحصل للمريد إذا دخل في سلسلة القوم بالتلقين أن يكون إذا حرك السلسلة تجاوبه أرواح الأولياء من شيخه إلى رسول الله إلى حضرة الله – عزوجل- ، فمن لم يدخل في طريقهم بذلك فهو غير معدود منهم ولا يجيبه أحد إذا حرك السلسلة" [(284)]

وعلى ذلك فإن اتصال الأرواح ونسبتها أقوى من اتصال الأشباح ونسبتهم على حد تعبيرهم وأنها علامة كرامة الحق لعبده.

يقول صاحب الأنوار القدسية:

" إن هذه النسبة الروحانية عند العارفين بالله – تعالى - أقوى اتصالاً من الجسمانية إذ هي من علامة كرامة الحق – عز وجل - لعبده فإن من اصطنعه لنفسه - تعالى - أذن لروحانية أحد أحبابه بتربيته"[(285)].

وقد استقى النقشبندية هذه الفكرة من ما جاء في الفتوحات المكية لابن عربي[(286)] وطبقات الأولياء للشعراني[(287)] والمناوي.[(288)]

يقول السنهوني :

"ولو وقف على ما في الفتوحات المكية وطبقات الأولياء للعارفين للشعراني والمناوي[(289)].في كثرة من

---

[284](8) الحدائق الوردية/ص5,وفي ذلك اشارة الى قدرة الأولياء على التصرف كما سيأتي بيانه في الفصل الثالث من الباب الثالث

[285](1) الأنوار القدسية/ص7

[286](2) ستأتي ترجمته مفصلة في الفصل الثالث من هذا الباب.

[287](3) الشعراني هو: عبدالوهاب بن أحمد بن علي الشعراني الشاذلي طريقة/له مؤلفات كثيرة في التصوف وهو من الغلاة القبوريين/انظر:معجم المؤلفين لكحالة (6/218)

[288](4) الأنوار القدسية/ص7

[289](5) المناوي ,هو:محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين الدين الحدادي,ثم المناوي القاهري,من كبار العلماء بالدين والفنون,ولد سنة 952هـ,انزوى للبحث والتصنيف,له ثمانين مصنفا,مات

ربتهم روحانية الأولياء الكرام بل الأنبياء العظام من كبار أهل الله لتوقف وما تعسف".

ويضيف "كما وقع لأكابر أهل الله تعالى فإن ختم الأولياء المحمديين الشيخ الأكبر محي الدين والعارف الكبير الشيخ عبيدالله أحرار[290] ممن ربته روحانية عيسى عليه السلام والإمام عبدالخالق الغجدواني والإمام الرباني ممن ربته روحانية أمير المؤمنين عليَّ رضي الله عنه".[291]

ويرى النقشبندية أنه على المريد أن يتوسل بسلاسل هذه الطريقة إلى الله – عز وجل– ويستحضر روحانية أقطابها عند قرأة الختم و الأوراد .

أسماء الطريقة النقشبندية :

عرفت الطريقة النقشبندية منذ نشأتها حتى الآن بعدة أسماء ,ويلاحظ أن من نسبت لهم هذه الأسماء لم يثبت اتصال السند بينهم فنجدها قد سميت.

الصديقية:

نسبة إلى الصديق ، صاحب رسول الله ، وأفضل صحابته الكرام . والحقيقة أن النقشبندية يعتبرون أبا بكر الصديق المؤسس الأول[292].وهم بذلك يرجعونها إلى الرسول ويستدلون على ذلك بقوله   في البخاري عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنة أنه قال :"خطب النبي فقال :" أن الله سبحانه خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر رضي الله عنه فقلت في نفسي ما يبكي هذا الشيخ أن يكن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله فكان رسول الله هو العبد وكان أبو بكر أعلمنا فقال : " يا أبا بكر لا تبك أن من آمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو

سنة1031هـ.من تصانيفه (التيسير في شرح الجامع الصغير).(وشرح الشمائل للترمذي)و(الطبقات الصغرى) .انظر ترجمته في الأعلام (6/ 204).وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (2/412_416)’لمحمد أمين بن فضل الله المحبي,دار صادر ,بيروت ,بدون رقم وتاريخ.

[290] (6) ستأتي الترجمة له في الفصل الثاني من الباب الثاني

[291] (1) الأنوار القدسية /ص7

[292] (2) رشحات عين الحياة/ص7

بكر ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر" [293]

فهم يرون أنه كانت لأبى بكر - رضي الله عنه - كمال النسبة الحبية برسول الله فأشار النبي في هذا الحديث إلى إن جميع النسب والطرق مسدودة في جنب النسبة الحبية وما هو موصل إلى المقصود ليس إلا هذه النسبة الحبية والرابطة عبارة عن هذه النسبة إلى صاحب دولة وسعادة لائق للوساطة بين العبد وبين الله سبحانه وتعالى ولهذا يرجع النقشبندية أخذهم طريقتهم من الصديق من حيثية هذه النسبة وطريقتهم هي المحافظة عليها .[294]

ويستدلون أيضاً بأن أبا بكر طلب من الرسول في الغار مشاهدة سر المعية فقال النبي : " تلك بمداومة ذكر الله -تعالى - " فلقنه الرسول الذكر الخفي القلبي باسم الذات هناك جالسا على فخذيه المباركتين وغامضا عينيه المتبركتين فأنزل الله عليه سكينة ".

وكان ذلك التلقين على وجه التثليث إشارة إلى مقامات البقاء[295]بالله التي هي الجمع وحضرة الجمع وجمع الجمع[296]

وقد خص النبي الذكر الخفي بأبي بكر الصديق من بين الصحابة وصب في صدره جميع المعارف الإلهية لكونه في المرتبة الصديقية,[297]التي هي في نظرهم أقرب المراتب إلى مرتبة النبوة.

293(3) صحيح البخاري (1/177)

294(3) الحدائق الوردية/ص162,وانظر رشحات عين الحياة/ص187-188

295(2) البقاء: هو أن يفنى عما له ويبقى بما لله,وهو مقام النبيين والباقي هو العبد تصير الأشياء كلها له شيئاً واحداً,وهذا المعنى هو المعني هنا/معجم مصطلحات الصوفية/ص44-45

296(3) سيأتي معناه في المبحث الثالث من الفصل الرابع من الباب الثاني

297(4) المرتبة الصديقة: مرتبة عظيمة عند النقشبندية ولا يكون الصديق صديقاً عندهم حتى يشهد عليه سبعون صديق بأنه زنديق ،انظر الرحمة الهابطه في ذكر اسم الذات وتحقيق الرابطة لحسين الدواسري ص45 يلي المكتوبات الشريفة , للفاروقي السرهندي وبهامشه رسالة المبدأ والمعاد ,طبعة تركيا,بدون رقم وتاريخ

إشارة إلى ما نسب إلى الرسول " ما صب الله في صدري شيئا إلا و صببته في صدر أبى بكر "[298]

ويرون أيضا أن أبا بكر الصديق كان يستعمل الذكر القلبي مع حبس النفس رغبة في حصول الجمعية الكلية[299] ومشاهدة الذات العلية.

يذكر صاحب الحدائق الوردية :" ومن طيب ذلك التجلي وفرط التملي كان لا يتنفس إلا عند الصباح مرة فتشم الجيران منة رائحة اللحم المشوي فتضرروا من ذلك ظنا منهم أنة يطبخ اللحم في دارة ولا ينيلهم منها وشكوا إلى النبي فأخبرهم أن هذه الرائحة التي تجدونهارائحة كبده وأنة ليس عنده لحم".[300]

طيفورية

نسبة إلى أبى يزيد البسطامي واسمه: طيفور بن عيسى بن آدم بن سروشان ولد أبو يزيد عام " 188 ه - 804 م " ببسطام في خرسان من أصل مجوسي وتوفى

---

[298] (5) الحديقة الندية:تأليف:عبه محمد زاهد,مطبعة بكر أفندي,بدار الخلافة العلمية,1328هـ, ص 13 ، الحدائق الوردية ص 188 ، رشحات عين الحياة ص7,وإرغام المريد لعبده محمد زاهد ص29,مطبعة بكر افندي بدار الجلافة العلمية1328هـ.

[299] (6) الجمعية:اجتماع الهم في التوجه الى الله تعالى,والإشتغال به عما سواه/انظر:المعجم الصوفي,للحفني/ص68

[300] (1) والحديث لا أصل له كما بين ابن الجوزي في الموضوعات 1/319,وذكره صاحب الخلاصة وقال:موضوع.انظر الفوائد المجموعة لمحمدبن علي بن محمد الشوكاني ص335,تحقيق عبد الرحمن يحي العلمي,المكتب الاسلامي ,بيروت,ط3_1407هـ,وقال ابن القيم وضعه جهلة المنتسبين إلى السنة في فضائل الصيق رضي الله عنه,انظر المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله (1/115) مكتب المطبوعات الإسلامية حلب ، ط2 ، 1403هـ/ 1986م ، تحقيق عبدالفتاح أبو غده .

والمتأمل في هذا الكلام يرى أن النقشبندية أرادت أن توجد أصلاً و أساساًتبني عليه طريقتها خاصة في الذكر الخفي فنسبت الى الصديق رضي الله عنه أحوالاً لا أصل لها واعتمدت في ذلك على روايات قد حكم ابن الجوزي بوضعها وهكذا نراهم يعتمدون على أمرين:الأول:التلقي عن طريق اللقاء الروحي والاستمداد من الموتى.الثاني : الروايات التي ثبت وضعها والرد على هذه المسائل سيكون في الباب الثالث الفصل الأول.

عام " 264هـ - 877 م " عن ستة وسبعين عاماً ، ولم يعرف مكان دفنه.[301]

وكان أستاذه في التصوف من الأكراد وقد كان المعروف عن البسطامى القول بالفناء من منطلق المحبة ، فهو من الشخصيات التي اعتنقت مبدأ العشق الإلهي ، إلا أنه قد تردد عنه ما يدل على انه كان يقول بالفناء من منطلق الإرادة أيضاً ، بمعنى أن تفنى إرادته عند رؤيته لإرادة الله فقد روي عنه: " أريد ألا أريد إلا ما يريد " .وكثيراً ما يستخدم عبارات تدل على مذهبه في الإتحاد ، فقد وردت في تراثه كلمات مثل :

المحو[302]، محو الرسوم ، بقاء الهوية ، غيبة الآثار ، يا من أنت انا ، أن الحق مرآة نفسي لأنه هو الذي يتكلم بلساني ، أما أنا فقد فنيت .

كذلك يقدم البسطامي أشهر أمثلة الشطح في الفكر الصوفي مثل سبحاني، ما أعظم شأني، العاشق والعشق والمعشوق واحد.[303]

وقال : "عجبت لمن عرف الله كيف يعبده ، وقيل له : أنك من الأبدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض، فقال : أنا كل السبعة".

وتجاوز البسطامى أقصى درجات الشطح حين قال :"غبت عن الله ثلاثين سنة وكانت غيبتي عنه ذكرى إياه ، فلما خنست عنه وجدته في كل حال حتى كأنه أنا".[304]

301(2) طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى 67 وانظر جامع كرامات الأولياء النبهانى 2/142

302(3) المحو:هو رفع أوصاف العادة بحيث يغيب العبد عندها عن عقله,ويحصل منه أفعال وأقوال لا مدخل لعقله فيها كالسكر,يقول الله عز وجل"يمحو الله مايشاء ويثبت"(الرعد:39),قيل يمحو عن قلوب العارفين الغفلة عن الله,وذكر غير الله عند ذكر الله ويثبت على ألسنة المريدين ذكرالله,فالمحو لكل أحد والإثبات لكل أحد على ما يليق به/انظر:معجم مصطلحات الصوفية,للحنفي/ص224

303(3) شطحات الصوفية : عبد الرحمن بدوى ص 30 ، 32,وكلة المطبوعا_الكويت_ط2,1979م,ومعه رسائل اخرى.

304(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني :(10/35-37) دار الكتب العربي ، بيروت ، ط4 ، 1405هـ .
يتضح أن أبايزيد البسطامي كان لمنهجه الصوفي أثر كبير على النقشبندية فقد نقلها من مرحلة الاعتماد على الكشف واللقاء الروحي والاستمداد

_خواجكانية

نسبة إلى عبد الخالق بن عبد الجميل الغجدوانى الذي ينسب له ختم ذكر الخواجكان.[305]

شيوخه:

الشيخ العلامة صدر الدين[306]، وقد برع بالعلوم الظاهرة واشتغل بالمجاهدات والرياضات الشاقة وتحصيل العلوم الباطنية ، وذكر أنه كان يقرأ تفسير القرآن الكريم عند الشيخ صدر الدين. فوصل الى قوله تعالى: [illegible]]الأعراف:55[.

قال الشيخ :"ما حقيقة الذكر الخفي وكيف طريقة !!". فإن العبد إذا ذكر بالجهر وبتحريك الأعضاء يطلع الناس عليه وإذا ذكر بالقلب فالشيطان يطلع علية لقوله [illegible]:"إن الشيطان يجرى من أبن ادم مجرى الدم في العروق".

فقال له الشيخ :

إن هذا علم لدنى[307] وان شاء الله يجمعك الله على أحد أوليائه فيلقنك الذكر الخفي.

وكان الخواجة[308]عبد الخالق ينتظر وقوع هذه البشارة ,حتى جاءه الخضر عليه السلام فقال له ... "أنت ولدى و لقنه الوقوف العددي وعلمه الذكر الخفي "[309]

كما أنه أمره أن ينغمس في الماء ويذكر بقلبه لا آلة إلا الله محمد رسول الله ففعل ,كما أمره وداوم عليه

القبوري الى مرحلة التصوف الفلسفي الذي تأثر بالنظريات الفلسفية مثل وحدة الوجود والاتحاد والحلول,وهذه النظريات جميعها تخضع لما يسمونه بالعشق الإلهي حيث ينجذب العاشق الى المعشوق ثم يذوب ويفنى ويتلاشى فيه فلا يرى ولا يسمع سواه,ومن هنا نرى النقشبندية تأخذ في البعد عن الاسلام وتعاليمه الواضحة.

[305] (3) الحدائق الوردية/ص111.

[306] (4) لم أقف على ترجمته

[307] (1) سيأتي تعريف بالعلم اللدني

[308] (2) خواجكان: بتفخيم الخاء المفتوحة لفظ فارسي معناه الشيخ ويجمع على خواجكان

[309] (3) يلاحظ أن الطريقة مأخوذة عن الخضر وليس عن النبي محمد [illegible] بهذا النص والتلقي عن الخضر يعد أحد مصادر التلقي عندهم كما سيتم بيانه في الفصل الثالث من الباب الثاني

فحصل له الفتح العظيم[310]والجذبة القيومية [311]على حد قوله.
وبذلك كان الخواجه عبد الخالق هو أول من اشتغل بالذكر الخفي في هذه الطريقة, ولذلك كان رئيسها ، وقد أقره على طريقته هذه الشيخ يوسف الهمدانى [312] عندما قدم إلى بخارى ولازمة الغجدوانى عساه يستفيد منة شيئاً جديداً, ثم سافر الغجدوانى إلى الشام حيث بنى زاوية هناك وكان له مريدين كثيرين .
ولقد اعتبر النقشبندية أن طريق الخواجة عبد الخالق هي الطريقة الصحيحة وهى في نظرهم تعد حجة على جميع الطرق ومقبولة لديهم ,لأنه كان كما يقول عنه أصحابه سالكاً طريقة الصدق والوفاء ومتابعة الشرع وسنة المصطفى ومجانبة البدع ، ومخالفة الهوى .
وقد وضع الختم ، أي طريقة الذكر ، الذي له أهمية كبيرة عندهم وله إرشادات وإشارات بنى عليها النقشبندية طريقتهم وهى الكلمات الثمانية الفارسية: وهي: هوش دردم ، نظر برقدم ، سفر دروطن ، خلوة دار أنجمن ، يا دكرد ، يازكشت، ياداد شت ، نكاهداشت [313]وسيتم شرحها بشكل مفصل .

310(4) الفتح العظيم:لم أجد في مصطلحات التصوف معنى الفتح العظيم ولكن وجدت أقرب معنى للمعني العام لهذا النوع من الفتح.الفتح المطلق,وهو: أعلى الفتوحات وأكملها,وهو ما انفتح على العبد من تجلي الذات الأحادية والاستغراق في عين الفتح بفناء الرسوم الخلقية كلها وهو المشار اليه بقوله تعالى"إذاجاء نصر الله والفتح"(النصر:1)انظر:معجم الكلمات الصوفية/ص63

311(5) الجذبة:هو تقريب العبد بمقتضى العناية الإلهية المهيئة له كل ما يحتاج اليه في طي المنازل الى الحق بلا كلفة وسعي منه وجهد وتكلف,انظر معجم المصطلحات الصوفية/ص24

312 (6) هو يوسف أبو يعقوب الهمدانى (440 _ 535) لبس الخرقة من يد الشيخ عبد الله الجوينى ، وأخذ التصوف عنه وعن الشيخ حسن السمنانى وأبو على الفارمدى ,وكان واعظا صاحب الأحوال والكرامات دفن في مرو وقبره الآن يزار ويتبرك بة (انظر رشحات عين الحياة ص17)

313(1) الحدائق الوردية : 110 ، 115 رشحات عين الحياة ص27

وقد ترك الغجدوانى عدة وصايا شرحها أبو الخير فضل ابن روزبهان الشهير بخواجة مولانا الأصبهاني .وقدم على شرح ثلاثة فصول وهو باللغة الفارسية[314]

منها قوله : " يابنى أوصيك بتحصيل العلم والأدب ، وتقوى الله ، واتبع آثار السلف الصالح ، ولازم السنة والجماعة ، واقرأ الفقه والحديث والتفسير ، واجتنب الصوفية الجاهلة ،ولازم صلاة الجماعة ، وإياك والشهرة ، فإنها آفة ، وكن واحدا من الناس ولاتمل لمنصب ولو كان محمودا ". [315]

نقشبندية :

نسبة إلى نقش بند أي ربط النقش وهي تأثير الذكر الخفي في القلب كما تقدم ، وقد أصبح هذا اللقب علماً عليها حتى الآن.

كما أنها تسمى ، بأحرارية : نسبة إلى عبيدالله أحرار[316]

وبالمجددية والسرهنديه: نسبة إلى أحمد السرهندي[317] صاحب المكتوبات

والخالدية والضيائية: نسبة إلى خالد ضياء الدين البغدادي[318] الملقب بذي الجناحين.[319]

نشأة الطريقة النقشبندية:

سبق أن ذكرنا في ترجمة شاه نقشبند أنه التقى بعدد من مشايخ الصوفيه في بلده بخارى منذ أن نشأ في قريته قصر العارفان ، وهو في خدمة محمد بابا السماسي ، ثم متنقلاً من رجل صالح إلى آخر يتلمس البركة منهم.

إلى أن تلقى طريقته عند اجتماعه بأرواح سلسلة المشايخ ، وأخذ منهم العهد والولاية والتكليف في المقبرة

314(2) كشف الظنون 2 : 2012

315(3) الحدائق الوردية ص111 ، وانظر رشحات عين الحياة ص 25 ، 26

316(4) ستأتي الترجمة له في الفصل الثاني من هذا الباب

317(5) ستأتي الترجمة له في الفصل الثاني من هذا الباب

318(6) ستأتي الترجمة له في الفصل الثاني من هذا الباب

319(1) الأنوار القدسية/ص6-7

,حيث كان في بداية سلوكه يدور الليل في نواحي بخارى ويزور القبور.[320]

هذه أول نشأتها ، ثم انتشرت بعد ذلك على يد أتباعه.

- **أهم أسباب انتشار هذه الطريقة مايلي:**

لقد ترجح عندي أن من أهم أسباب انتشار هذه الطريقة مايلي :

- أن شاه نقشبند عاش في عصر قل فيه العلم وعم الجهل, وازداد اعتقاد الناس ببركة المشايخ أحيائهم وأمواتهم وبعدهم عن شريعة الله,بالإضافة لعطف تيمور لنك على دراويش النقشبندية وتشجيعه لهم كما مر في عصره لعل هذه الأسباب مجتمعة لها أثر كبير في ظهور هذه الطرق وانتشارها بين الناس.
- قلة العلماء في وقته وفي بيئته،فالمتتبع لنشأته وشيوخه يستطيع أن يصل إلى هذه النتيجة، ولعل انتشار التصوف بأفكاره التي تذم العلماء وتعتبرهم أهل الرسوم من أهم أسباب انصراف الناس عنهم.

- **ما انتشر عن هذه الطريقة من الخصائص وهي :**

أولاً: جعلت الطريقة النقشبندية الأحوال[321] تابعة للأحكام الشرعية ، ولا تقبل عندهم الأحوال التي تحصل بارتكاب المحظورات الشرعية .[322]

ثانياً: العمل بالعزيمة ، وتصحيح العقائد وفق معتقدات أهل السنة والجماعة ، وتحصيل علم الواجب والسنة ،

---

[320] (2) الانوار القدسية ص7 – الحدائق الوردية ص127

[321] (3) الحال ، هو : ما يرد على القلب من طرب ، أو حزن ، أو بسط ، أو قبض . وتسمى الحال : بالوارد أيضاً ، ولذا قالوا : لا ورد لمن لا وارد له . وقيل : الأحوال هي : المواهب الفائضة على العبد من ربه ، إما واردة عليه ميراثاً للعمل الصالح ، المزكي للنفس ، المصفي ، للقلب ، وإما نازلة من الحق – تعالى - ، امتناناً محضاً . وإنما سميت الأحوال أحوالاً ، لحول العبد بها من الرسوم الخلقية ودركات البُعد ، إلى صفات الحقية ، ودرجات القرب ، وذلك هو معنى الترقي . وقيل : معنى الأحوال ، هو : ما يحل بالقلوب ، أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار . وقيل : الحال هو الذكر الخفي . وقال الجنيد : الحال نازلة تنزل بالقلوب ، فلا تدوم.
انظر : ((معجم مصطلحات الصوفية للحفني)) ص 73

[322] (1) المكتوبات(1/195)

والمندوب والحلال والحرام والمكروه مما ذكر في علم الفقه، والعمل بمقتضى هذه العلوم.

ثالثاً: اندراج النهاية في البداية ، والمراد بالبداية والنهاية : بداية الولاية ونهايتها ، وفي ابتداء هذا الطريق قرب[323] وشهود[324] .
وفي انتهائه بعد[325] وحرمان ، ومن لوازمه اليأس .

رابعاً: وجود الخلوة في الجلوة يعني لا يلتفت في تفرقة الجلوة إلى أحد ، ولا يكون مخاطباً فيها ولا متكلماً، لا أنه يغمض عينيه ، ويعطل بالتكلف حواسه ، فذلك مناف لهذا الطريق ، وهذا التحول يكون في ابتداء الطريق ووسطه ، وأما في الانتهاء ، ففيه حضور في نفس الغفلة، في استواء الظاهر والباطن.[326]

خامساً: تقدم الجذبة على السلوك وابتداء السير من عالم الأمر لا من عالم الخلق ، وقطع منازل السلوك مندرج فيه ضمن طي معارج الجذبة ، وسير عالم الخلق سير ضمن سير عالم الأمر إلى التجليات الذاتية.

سادساً: أن رجالها لم يجوزوا الرقص ، ولم يقبلوا الأحوال المترتبة عليه باتفاق منهم ، بل اعتقدوا ذكر الجهر بدعة ، ومنعوا أصحابهم منه ، وإذا كان أكابر هذه الطريقة بالغوا في المنع عن ذكر الجهر فماذا نقول في السماع والرقص والوجد والتواجد ، التي تترتب على أسباب غير مشروعة ،وعن رجال الطريقة يقول الفاروقي : "هم لا يجوزون العمل بالرخصة وإن وجدوها نافعة ، ولا يتركون العمل بالعزيمة . وإن علموا أنها مضرة يعتقدون أن الأذواق والمعارف خادمة للعلوم الدينية الأصولية والفرعية ولا يعدلون من النصوص إلى

323(2) القرب :هو:عبارة عن الفناء بما سبق في الازل من العهد الذي بين الحق والعبد في قوله تعالى لست بربكم قالوا بلى وقدم يخص بمقام قاب قوسين,انظر:معجم الكلمات الصوفية/لأحمد النقشبندي:ص66

324(3) الشهود:هو:رؤية الحق بالحق-المرجع السابق/ص45

325(4) البعد:هو:عبارة عن بعد العبد عن المكاشفة والمشاهدة وقيل هو الاقامة على المخالفة/انظر:معجم مصطلحات الصوفية,للحفني/ص44

326(5) المكتوبات (1/197)

الفصوص ، ولا يلتفتون إلى الفتوحات المكية [327] ، تاركين الفتوحات المدنية".[328]
سابعاً: أن رجالها "مستبشرون بالمتابعة ، وإن لم يحصل لهم شيء من الأحوال،وإذا أحسوا فتوراً في المتابعة مع وجود الأحوال لا يقبلون تلك الأحوال", قال الشيخ أحرار:" لو أعطيت جميع الأحوال والمواجيد ولم توافق اعتقاد أهل السنة والجماعة . لا أرى تلك الأحوال غير الشقاوة والخذلان ، وإن أعطيت اعتقاد أهل السنة والجماعة ، وحرمت الأحوال بأسرها فلا تغتم على ذلك ".[329]
ويؤكد صاحب الأنوار القدسيه بقوله :" هي طريقة الصحابة رضوان الله عليهم على أصلها لم يزيدوا فيها ولم ينقضوا منها " [330]
- بناء على ما سبق نخلص إلى :
أن كثيراً من الناس يعتقدون أن الطريقة النقشبندية طريقة سنية لذا تحقق لها هذا الانتشار الواسع فلا خلوة عندهم ، و إن كانت فهي لا تزيد على أيام معدودة كما سيتم بيانها ، والأصل أن تكون الخلوة في الجلوة يعني يخالط الناس ويختلي بقلبه بالله ، والذكر الظاهر فيه عدم البدع فلا رقص ولا تمايل ولا اختلاط فهو مبني على التركيز وكتم النفس كما سيتم بيانه أيضاً فهي في ظاهرها خالية من البدع الظاهرة وفي باطنها تحتوي على ماسيتم بيانه.

327(1) سيأتي مناقشة قول الفاروقي هذا في الباب الثالث الفصل الأول وسيتضح مدى تأثرهم بأقوال ابن عربي بإعتباره مصدر من مصادر التشريع عندهم .
328(2) المكتوبات(1/181)
329(3)المكتوبات(1/182)
330(4) الحدائق الوردية/ص3-5 ،

الفصل الثاني

أبرز دعاتها (أعلامها)

تمهيد :

إن حصر أعلام طريقة من الطرق ، والحديث عنهم أمر ليس باليسير,خاصة إذا كانت هذه الطريقة من الطرق المنتشرة في مناطق متفرقة من العالم مثل الطريقة النقشبندية.

فهي تعد من أكثر الطرق انتشاراً في مناطق عده في آسيا الوسطى الإسلامية كالتركستان ، والصين ، والهند، وماليزيا وتركيا وفي أوزبكستان وروسيا.

كما أن لها انتشاراً واسعاً في سوريا ومصر ، وأتباعها حتى الآن يعدون بمئات الألوف.

وإن الحديث عن أعلامها يحتاج إلى مجلد كامل.لذا وجدت أنه من الأفضل أن أقتصر على أبرز دعاتها ممن لهم أثر كبير في انتشارها . ومن كان لهم مريدون كثيرون ,ومن تركوا مؤلفات ذات قيمة.

من أشهر أعلام الطريقة النقشبندية
1- عبيد الله أحرار :
اسمه : هو عبيد الله بن محمود بن أحمد الشاشي السمرقندي النقشبندي الملقب بالأحرار.
مولده : ولد بشاش عام 806 هـ / 1403م ،وفاته:- توفي عام 895هـ / 1489م. في قرية (كمان كشان) ودفن بسمرقند.
تلقى علومه الأولى على يد خالد ابراهيم الشاشي ، ثم درس في طشقند وسمرقند حيث صحب الشيخ نظام الدين الخاموشي مده.
رحل إلى بخارى ، وتتلمذ هناك على الشيخين حميد الدين الشاشي ، وعلاء الدين الفجدواني وقاسم التبريزي وهما من أصحاب شاه نقشبند .
وهكذا أصبح عبيدالله أحرار ينتقل من شيخ نقشبندي إلى آخر حتى وصل إلى الشيخ يعقوب الجرخي فبايعة على الطريق وعاد إلى بلده وعمره تسع وعشرون سنه.
أخذ يعمل بالزراعة ، ويأكل من عمل يده ويتصدق على الفقراء ويقوم بتربية المريدين.
مؤلفاته:-
- أنيس السالكين في التصوف
- العروة الوثقى لإرباب الإرتقا.[(331)]
من أشهر مريديه:-
- محمد الزاهد خليفة
- أبو سعيد الأوبهتي
- قاسم النقشبندي الذي توفي قبل شيخه عام 891هـ / 1486م.
- محمد القاضي صاحب كتاب سلسلة العارفين وتذكره الصديقين وهو يشتمل على مناقب شيخه وفضائله.

[331](1) الطريقة النقشبندية واعلامها ص109

- علي بن حسين بن علي الواعظ الكاشفي الهروي الشهير بالصفي مؤلف كتاب "رشحات عين الحياة" .[(332)]
- علي الكردي الشهيد. أصله من العمادية ، لازم أحرار عدة سنوات فلما توفي شيخه قصد قزوين يربي ويرشد حتى استشهد عام 925هـ / 1519م.[(333)]

2- عبدالرحمن الجامي الشهير بنور الدين

مولده : في جام إحدى قرى خراسان في بلاد ما وراء النهر عام 817 هـ /1414م ،

وفاته : توفي بهراة عام 898هـ / 1492م

تلقى علومه على الشيخ أحمد الجامي ، وسلك الطريقة النقشبندية على الشيخ الكاشغرلي ، ولما توفي شيخه تولى رئاسة الطريقة النقشبندية .

آثاره:

من آثاره أشعار في التصوف منها (اللوامع في شرح الخمرية), وأشهر أشعاره قصة يوسف وزليخا ، وقد بناها على قصة النبي يوسف عليه السلام .يعتبرها بعض الصوفيه نشيد الأنشاد في الحب الصوفي ، وقد تأثر بها (غوته) عندما نظم محاورته زليخا. ويعتبر عمر فروخ في كتابة التصوف في الإسلام (أن مع الجامي بلغ التعبير عن الاتجاه الصوفي وعقيدة وحدة الوجود في الأدب الفارسي أتم صوره وأوضح بيانه).[(334)]

أشهر كتبه (نفحات الأنس في حضرت القدس) وهو يحتوي على تراجم كبار الصوفيه ، وقد كتبه على منهج كتاب طبقات الصوفيه للسلمى ويعتبر تكملة له,وله أيضاً"شرح على فصوص الحكم"و"شرح لكافية ابن الحاجب"وغيرها.

---

[332](1) كشف الظنون جـ1 ص903 وبمطابقة إسم المؤلف من المرجع كشف الظنون على المؤلف وجدت هناك خطأ في إسمه حيث وجدته في كشف الظنون تحت اسم حسين بن علي الواعظ الكاشفي البيهقي والصواب ما اثبته.انظر الحدائق الوردية ص 172

[333](2) الحدائق الوردية ص173

[334](3) انظر الأنوار القدسية ص152-153,والأعلام(3/86)والطريقة النقشبندية وأعلامها ص111.

3- محمد بن محمد بن عبدالرحمن البهنسي العقيلي النقشبندي:
رحل في عام 995هـ / 1586م إلى مكة المكرمة ، وظل فيها حتى توفي عام (1001هـ / 1592م).
من آثاره :
- الفنون العرفانيه والهيئات المكانية في التصوف.
- المفتاح لبعض أسرار الكريم الفتاح.
- بلوغ الأرب بسلوك الأدب.
- إزالة العبوس عن قصيدة ابن عروس.
- نزهة الأرواح وبهجة الأشباح.
- تفسير القرآن في واحد وعشرين جزءا.[335](1)
4- الفاروقي السرهندي الملقب بمجدد الألف الثاني:
اسمه: أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي
نسبه : ينتهي نسبه إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه
مولده : ولد عام 971هـ/ 1563م سرهند وهي قرية قريبة من دلهي ولاهور ومعناها غابة الأسد.
وفاته: توفي بسرهند عام 1024هـ / 1625م
تلقى علومه الأولى على والده عبد الواحد الذي أجازه بالطرق الصوفية التالية:القادرية، السهروردية ، والجشتيه وهو ابن سبعة عشر عاماً.
اتصل الفاروقي بالشيخ محمد باقي ولازمة حتى نال منه الإجازة بالتربية والإرشاد على الطريقة النقشبندية .
وقد انطلق يصحح للناس معتقداتهم في القرآن والصلاة، ومقامات العارفين وأذواقهم,لذا لقي قبولاً كبيراً لدى جماهير الهند الذين لقبوه بمجدد الألف الثاني هجري.
ومما اشتهر عنه أنه كان ينتقد ابن عربي في قوله بوحدة الوجود ، و كان يصرح بالتوحيد الشهودي.

---

[335](1) معجم المؤلفين ج11،ص230 ،الاعلام ،ج7،ص61 . هدية العارفين ج2،ص259 .

وقد أوغر حساد الفاروقي صدر سلطان الهند آنذاك نور الدين جهانكيز الذي أقام له مناظره خرج منها الشيخ أحمد منتصراً ، لكنهم حرضوه مره ثانية بقولهم:" الم ترى تكبر هذا الشيخ فإنه ما سجد لكم وقت دخوله "

وكان يرى أن السجود أو الانحناء عند الملوك وان جوزه بعض العلماء[336] رخصة والعزيمة أن لا يسجد لغير الله تعالى وترك الرخص والأخذ بالعزائم من مبادئ الطريقة النقشبندية.

فأمر السلطان بسجنه في حصن كواليار وظل في السجن ثلاث سنين ، ثم خرج منه.[337] وكان ابن السلطان المذكور وهو شاه جهان قد أصبح من مريدية المنقطعين له.

وقد تمكن من التأثير على الحكومة المغولية التي كانت تحكم الهند والتي كانت تفضل البراهمه الوثنيين على المسلمين ، فتمكن الشيخ من إعادة هذه الحكومة إلى التدين بدين الإسلام .

آثاره : ترك السرهندي عدة رسائل بالفارسية أهمها .

- المبدأ والمعاد.
- إثبات النبوه.
- آداب المريدين.
- تعليقات على عوارف المعارف للسهروردي
- المعارف اللدنية . وقد بين أحواله ومقاماته الخاصة فيه .
- المكاشفات الغيبية
- المكتوبات[338]

336(1) لم يرد جواز السجود أو الانحناء عند الملوك عن أحد من العلماء ولا يعرف السجود والانحناء عند أهل السنة إلا في الصلاة . وقد ورد نهي الرسول معاذ بن جبل عندما استأذنه في السجود له ، انظر :فتح الباري (12/149) وعلى ذلك فغيره أولى أن لا يسجد له

337(2) الحدائق الوردية/ص183

338(3)الطريقة النقشبندية واعلامها ص65.

ترك السرهندي آلاف المريدين ومئات الخلفاء [339]كما ترك ولدين محمد سعيد ومحمد
معصوم ، والثاني تقلد مشيخة الطريقة بعد وفاة والده. [340]

5- محمد سيف الدين الفاروقي:

اسمه: محمد سيف الدين بن محمد معصوم بن أحمد عبد الأحد الفاروقي

ولادته: في سرهند عام 1055هـ / 1645م ، وفاته : توفي عام (1095هـ / 1683م) ودفن بسرهند.

نشأته :

تلقى علومه على يد والده محمد معصوم الذي سلكه الطريق ثم أمره بالتوجه إلى دهلي للدعوة إلى الدين الإسلامي ونشر الطريقة النقشبندية هناك

وقد لقي الشيخ محمد سيف قبولاً كبيراً في دهلي حتى أن السلطان محمد عالمكير قد تتلمذ على يديه.

وقد تمكن الشيخ من إزالة كثير من المنكرات في بلاد الهند وذلك لاهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كان في زاويته أكثر من ألف وأربعمائة مريد. [341]

6- محمد معصوم بن أحمد السرهندي:

اسمه: محمد معصوم بن أحمد بن عبد الأحد الفاروقي السرهندي

ولادته: ولد عام (1007هـ / 1598م)

نشأته :

تلقى علومه على والده أحمد السرهندي فحفظ القرآن الكريم وحصل العلوم وسلك الطريق ، ثم تصدر للإرشاد بعد وفاة والده وله من العمر ست وعشرون سنه.

---

339 (1) منهم أحمد وحسن البركي ، محمد طاهر اللاهوري الذي نشر الطريقة في لاهور.آدم البنوري توفي بالمدينة ، نعمان ومحمد صديق البدخشي ، علي الطبري ، عبدالحي البلخي ، عثمان اليمني ، يار محمد قديم الطالقاني ، ومحمد أشرف الكابلي .خالد الشهرزوري الكردي المتوفي (1242هـ / 1821م) الذي نشر الطريقة في بلاد الروم ، والعرب ، والحجاز وسوريا انتشاراً لم يعرف لطريقة آخرى.

340 (2)الحدائق الوردية ص190-191.

341 (3) الحدائق الوردية ص199-200.

ظل محمد معصوم يربي ويرشد حتى وفاته عام (1099هـ / 1678م) ودفن بسرهند.

آثاره :-

ترك كتابات كثيرة جمعها تلامذته في ثلاث مجلدات ، وهي تعالج موضوعات صوفيه وقد ترجمت إلى التركيه وعُرِب بعضها.[342]

ترك أكثر من سبعة آلاف من الخلفاء المنتشرين في إيران وأفغانستان وتركستان[343].

أنجاله :

محمد ضيف الله شيخ كابل (ت 1122هـ/ 1710م)

شرف الدين محمد نقشبند (ت 1152هـ / 1739م)

عبدالله محمد (ت 1093هـ/ 1682م)

محمد شرف (ت 1117هـ / 1705م)

له شروح لكتب عديدة لمختلف الفنون

محمد صديق (ت 1130هـ / 1717م)

نشر الطريقة في الحجاز[344]محمد سيف الدين الفاروقي الذي استلم المشيخة بعد وفاة والده.

342(1)الحدائق الوردية ص192

343(2) منهم حبيب الله البخاري وقد نشر الطريقة في خراسان وما وراء النهر .- محمد مراد البخاري الشامي ، ونشرها في الشام- ارغون الخطائي ، نشرها في كاشغر حيث أن سلطان المدينة دخل في الطريقة.- حافظ الصادق ، نشرها في الهند.- محمد حنيف الكابلي ، محمد صديق البشاوري ، آدم السندي ، كلان السمرقندي ، عمر الشافعي اليمني ، إسحق التركستاني ، عبدالله المغربي الصوفي ، مصطفى البنكالي /انظر:الندوى المسلمون في الهند/ص183 نقلاً عن الطريقة النقشبندية وأعلامها/ص159

344(3) الحدائق الوردية / ص196-199

7- عبدالغني بن إسماعيل النابلسي النقشبندي:
مولده: ولد بدمشق عام (1051هـ / 1641م) ،
وفاته: توفي النابلسي عام (1143هـ / 1731م) ودفن بالصالحية.
نشأته: نشأ عبدالغني النابلسي يتيماً حيث توفي والده وهو في الثاني عشر من عمره، قرأ النحو والصرف والمعاني والبيان والفقه والتفسير وسائر علوم عصره على مشاهير العلماء الدمشقيين.
سلك الطريقة النقشبندية على يد الشيخ سعيد البلخي [345].
كان يكثر من مطالعة كتب ابن عربي خاصة وكتب الصوفية عامة ، تولى التدريس بالجامع الأموي .
رحلاته:
اشتهر النابلسي برحلاته العديدة:
رحلته الأولى : كانت إلى دار السلطنة عام (1075هـ / 1664م)
رحلته الثانية : إلى البقاع وجبل لبنان ومصر والحجاز عام (1100هـ / 1688م)
رحلته الثالثة : إلى القدس والخليل عام (1101هـ / 1689م)
رحلته الرابعة: إلى مصر والحجاز عام (1105هـ / 1193م)
رحلته الخامسة : إلى طرابلس الشام عام (1112هـ / 1700م)
ثم عاد إلى دمشق حيث استقر فيها حتى وفاته كما يقول عنه زكي مبارك في كتابه التصوف الإسلامي.
يعد من أقطاب شعراء الصوفية, وإن كان لا يستطيع اللحاق بابن الفارض وهو في أغراضه أوضح من ابن عربي ، وهو كذلك أقرب منه إلى البيئات الشعبية.
ترك النابلسي الكثير من المواويل والأناشيد التي كان ولا يزال ينشدها الصوفية في زواياهم .

---
[345](1) الطريقة النقشبندية وأعلامها ص94

يقول عنه الدكتور عمر فروخ :" قد أتى بمعانٍ أشد تعقيداً من معاني ابن الفارض نفسه".[346]

يقول عنه زكي مبارك في كتابه التصوف الإسلامي: فهو يعد من أقطاب شعراء الصوفية وان كان لا يستطيع ألحاق بابن الفارض وهو في أغراضه أوضح من ابن عربي ، وكذلك أقرب منه إلى البيئات الشعبية.

كما ترك مصنفات عديدة تعالج موضوعات متنوعة من صوفية إلى شرعيه كما أنها تشتمل على مناظرات بين فئات إسلامية مختلفة.[347]

وقد سار على نهج من قبله من أهل وحدة الوجود فجعل الوحدة هي التوحيد الحقيقي والإيمان الكامل,وأن المشرك هو من شغله الفرق عن الجمع وقد جعل علوم النبي ﷺ علوم حقيقية وعلوم خيالية,وقصد بالعلوم الحقيقية وحدة الوجود.[348]

أشهر هذه المصنفات :-

- التحرير الحاوي بشرح تفسير البيضاوي ، في ثلاث مجلدات.
- بواطن القرآن ومواطن العرفان ، وهي خمسة ألاف بيت.
- كنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين.
- ذخائر المواريث في الدلالة على مواضيع الأحاديث.
- الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية.
- جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص للشيخ محي الدين بن عربي.
- الصراط السوي شرح ديباجة المثنوي.
- الظل الممدود في معنى وحدة الوجود.
- إيضاح المقصود في معنى وحدة الوجود.

---

[346](1) انظر التصوف الإسلامي ص149-150 نقلاالطريقةالنقشبنديةوأعلامها ص96

[347](2) البستاني ،دائرة المعارف مجلد 11 –ص612 نقلاالطريقةالنقشبنديةوأعلامها ص95

[348](3) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ، لمحمد أحمد لوح(548,547)، دار ابن عفان_القاهرة ط1 ، 1422هـ,2002م

- مفتاح المعيه شرح الرسالة النقشبندية.
- تعطير الأنام في تعبير المنام.
- ديوان الإلهيات.
- شرح مقامات السرهندي.
- كشف السر الغامض شرح ديوان ابن الفارض.
- نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار.
- زهر الحديقة في ترجمة رجال الطريقة.
- القلائد الفرائد في فوائد الفوائد ، في فقه الحنفية على ترتيب أبواب الفقه.

وقد صنف ابن سبطه (كمال الدين الغزنوي العامري) في ترجمته كتاباً مستقلاً سماه (الورد القدسي والوارد الأنسي في ترجمة العارف عبدالغني النابلسي).[349]

من أشهر مريديه:

1-عبدالرحمن الدمشقي الشهير بابن عبدالرزاق الخطيب:

(1075هـ / 1138م) قد جمع بين الفقه والأدب وكان خطيب جامع السنانية بدمشق.

من آثاره :

- قلائد المنظوم في منتقى فرائض العلوم وشرحها.
- حدائق الإنعام في فضائل الشام.
- مفاتيح الأسرار ولوائح الأفكار في شرح الدر المختار في فروع الفقه الحنفي.[350]

2-عبدالوهاب الدمشقي المعروف بالدكدكي:

توفي باسلامبول (1189هـ / 1775م) اشتهر بالأدب نظماً ونثراً.

من آثاره:

- رفع المشكلات عن حكم إباحة سماع الألات[351]

---

[349] (1) كرامات الأولياء /مجلد2/ص207-212

[350] (2)فهرس المخطوطات /ص69 نقلا الطريقة النقشبندية وأعلامها ص 100

[351] (3)هدية العارفين جـ1 ص643 نقلا الطريقة النقشبندية وأعلامها ص 101

3- موسى بن علي المولوي المعروف بصفي ددة:
توفي بإسلامبول (1157هـ / 1744م) اشتهر بالنظم والتفسير والحديث تولى مشيخة الخانقاه المولوية بمحلة قاسم باشا بإسلامبول.
من آثاره :
- أرجوزة في الفرائض ومنظومة في اللغة.[352]
4-أحمد بن علي بن عمر المنيني:
ولد بطرابلس عام (1089هـ / 1678م)
تولى التدريس بالجامع الأموي له:
- الأعلام في فضائل الشام
- النسمات السحرية في مدح خير البرية.
- شرح صحيح البخاري.
- رسالة في أصول الفقه. [353]
8- حامد بن يوسف بن حامد بن أمر الله الباندرمه وي الرومي النقشبندي.
مولده: في استنبول ، رحل إلى سوريا ومصر وأخذ من علمائها ، جاور في المدينة ،ثم عاد إلى باندرمه وظل فيها حتى وفاته.
وفاته: عام (1172هـ / 1759م) كتب في الأصول والحديث والعقائد.
من آثاره:
- جامع الفهارس.
- البدر التام في تخريج أحاديث شرعه الإسلام.
- تعريفات الفحول في الأصول.
- شهود الفرائض .
- مخلفات حكماء اليونان في معرفة الميزان (في المنطق).
- عقود الدرر في حدود علم الأثر.
- عقود الفرائد في حدود العقائد.
- شهود كتاب في حدود علم الأداب.

---
[352](1)الطريقة النقشبندية وأعلامها ص101.
[353](2) الطريقة النقشبندية وأعلامها ص101.

- مهمات الكافي في العروض والقوافي. [354]

9- إسماعيل بن عبدالله الأسكداري النقشبندي الحنفي:

جاور المدينة المنورة . وظل فيها حتى وفاته عام (1182هـ / 1768م)

آثاره:

- مختصر الجامع الصحيح البخاري.
- مختصر شرح الشفا للشهاب .[355]

10- عبد الله دهلوي:

اسمه : عبدالله بن عبداللطيف الدهلوي النقشبندي الشهير بشاه غلام

مولده: ولد في البنجاب عام (1158هـ / 1745م)

وفاته:كانت وفاته عام (1240هـ / 1825م) توفي الدهلوي وسنن الترمذي على صدره ودفن بجوار شيخه في الخانقاه بدهلي.

نشأته :

تلقى علومة الأولى على يد والده الشيخ / عبداللطيف وعلى مشايخ دهلي آنذاك

لما بلغ الثانية والعشرين قصد زاوية الشيخ جان جانان النقشبندي[356] وقام بتلقينه الطريقة النقشبندية وداوم على الحضور في حلق الذكر والمراقبه خمس عشرة سنه حتى أعطاه الإجازة المطلقة في الإرشاد العام.

لما توفي شيخه قام مقامه في الإرشاد والتربية فأقبلت عليه جموع غفيره في بلاد الروم والشام والعراق والحجاز وخراسان وما وراء النهر.

آثاره:

---

[354](1) الاعلام ،ج2 ،ص 163

[355](2)هدية العارفين ج1 ،ص221 .

[356](3) هو:حبيب الله جان جانان الشهير بمظهر النقشبندي (1113هـ _ 1195هـ) اشتهر بالزهد بالمال والجاه والاقبال على الله من أشهر مريديه- ثناء الله العثماني الباني بني صاحب التصانيف في التفسير والحديث والفقه والتصوف. - مراد الله المعروف بغلام كاكي - وقد نشر الطريقة في البنجال- توفي مقتولاً عام 1159هـ / 1780م . عبدالله الدهلوي وهو الذي تسلم الإرشاد بعد الشيخ –انظر, الحدائق الوردية ص 209-207

ترك مؤلفات عديدة منها:
- المقامات النقشبندية.
- رسالة الاشتغال بذكر اسم الجلال.
- مناهج التحقيق .

وقد هاجم فيه فكرة الإلحاد وذكر البراهين التي تدل على وجود الله ، كما أنه بين دور الرسل في تأييد الفلاسفة الإلهيين وتكميل النقص في أبحاثهم.

- منحة الرحمن.[357]

ربى الدهلوي آلاف المريدين وترك عشرات الخلفاء بعده من أشهرهم:
- محمد شريف,وقد نشر الطريقة في البنجاب وكشمير.
- ملا خدي بردى التركستاني وقد نشرها في التركستان.
- ملا علاء الدين وقد نشرها في بشاور.
- سعد الدين صاحب وقد نشرها في حيدر أباد.
- رؤوف أحمد الذي جمع كلمات شيخه في تأليف سماه"الجواهر العلوية"بالإضافة إلى نظمه للشعر باللغتين الهندية والفارسية كما نشر الطريقة في مدينة "بهوبال".[358]

11- خالد النقشبندي والذي اشتهر عند النقشبندية بمولان خالد النقشبندي

اسمه :خالد بن حسين الشهرزوري العثماني نسبة إلى الخليفة الراشد عثمان بن عفان . اشتهر بذي الجناحين ، وكانوا يقصدون بذلك جمعه بين الطريقة والشريعة.

مولده: ولد عام (1193هـ/1779م) بقرية (قرة داغ) القريبة من السليمانية شمال العراق

وفاته:توفي عام 1242هـ / 1826م بالطاعون ودفن بسفح جبل قاسيون.

نشأته:

---

[357](1) الحدائق الوردية/ص 219-220
[358](2) الحدائق الوردية/ص219-220

نشأ في قريته التي ولد فيها حيث قرأ القرآن ,ودرس الصرف والنحو والفقه على المذهب الشافعي وبرع بالنثر والنظم.

رحلاته العلمية:

- رحل إلى مناطق كوى وحرير ، حيث درس المنطق على الملا عبدالرحيم الزياري المعروف بملا زاده.
- انتقل إلى السليمانية وبغداد وسنندج درس العلوم الشريعة والكلامية والحسابية والهندسية والفلكية على يد علماء تلك البلاد.
- قصد الحجاز لأداء فريضة الحج ، وفي طريقة اتصل بعلماء المدن والأقطار وأخذ علوم الحديث عن الشيخ محمد الكزبري الشامي مدرس الحديث (ت 1220هـ / 1805م) والشيخ مصطفى الكردي المحدث ، وأجازه الشيخان بعلوم الحديث.
- عاد إلى السليمانية ، مدرسا في مدرسة استاذه عبدالكريم البرزنجي ، وكان يتشوق إلى مرشد يسلكه طريقه من الطرق الصوفية ، في تلك الأثناء وصل إلى السليمانية الشيخ مرزا رحيم الله المعروف بمحمد درويش أحد خلفاء الشيخ عبدالله الدهلوي النقشبندي ، حيث أقنعه بالذهاب إلى الدهلوي ليسلك على يديه الطريقة.
- رحل إلى الهند عام (1224هـ / 1809م) تاركا التدريس وخلال رحلته مر بطهران وهراه وقندهار وكابل وبشاور ، وبعد مسيرة سنه وصل إلى جهاد أباد واتصل بالدهلوي ، حيث ظل في صحبته سنة اشتغل خلالها بالمجاهدات والأذكار والأوراد حتى نصبه الدهلوي خليفه بعده ، ثم طلب منه العودة إلى موطنه للإرشاد والتسليك ، ورجع إلى السليمانية عام (1226هـ / 1811م) حيث استقبله أعيانها أحسن استقبال ، لكن وشي به لدى حاكم تركستان ، فرحل إلى بغداد ونزل في المدرسة الإحسائيه الأصفهانيه، وأخذ يقيم فيها حلقات الذكر ودروس الوعظ والإرشاد ، ووشي به مرة أخرى [359].

---

[359](1) الطريقة النقشبندية وأعلامها ص80

- عاد إلى السليمانية ، وقام أميرها محمد بن عبدالرحمن باشا ببناء زاوية ومسجد سلمها له ،كما عين مرتبات للسالكين.
- في عام (1238هـ / 1822م) انتقل إلى الشام فكتب بعض مشايخ حلب إلى السلطان العثماني محمود خان يحذرونه من الشيخ خالد ومريديه وقد ألف أمين فتوى الشام محمد أمين عابدين رسالة في الذود عن شيخه خالد سماها "سل الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندي".
- في دمشق أحبه سكانها ودخل في طريقته معظم علمائها منهم مفتيها الشيخ حسين المرادي.
- قام الشيخ خالد النقشبندي بتوزيع خلفائه على مساجد دمشق يقيمون الصلوات والأوراد والأذكار.
- وقد كان يربي السالكين ويجيزهم بالطريقة ثم يأذن لهم بالعودة إلى بلدانهم لينشروا الطريقة في مواطنهم.
- كما كان يقيم دروساً خاصة لأهل العلم والأدب في داره في حي القنوات بدمشق ، حيث كان يدرس فيها العقائد النسفية وشروحها[360].

آثاره:

ترك الشيخ خالد بالغة العربية كتابات عديدة في العقيدة الإسلامية وآداب الطريقة النقشبندية وفي بعض المسائل العملية ، كما ترك بالفارسية عدة حواش في علم الكلام وفي فقه الشافعي ، وفي علم الحديث وشرح قسماً كبيراً من مقامات الحريري.

أهم هذه المصنفات:

- جلاء الأكدار والسيف البتار بالصلاة على النبي المختار .
- حاشية على تتمة السيالكوتي لحاشية عبدالغفور اللاري على شرح الجامعي للكافيه في النحو.
- حاشية على جمع الفوائد في الحديث.
- حاشية على الخيالي في الكلام.
- حاشية على نهاية الرملي في الفقه.

360(1) الطريقة النقشبندية وأعلامها ص83-84

- رسالة الرابطة في اصطلاح السادة النقشبندية.
- شرح عقائد العضديه.
- فرائد الفوائد في شرح حديث جبريل في العقائد.
- ديوان شعر بالفارسية.
- العقد الجوهري في الفرق بين كسبي الماتريديه والأشعري.
- صلوات على الرسول .

نشر الشيخ خالد طريقته في مناطق عده في بغداد وكركوك وأربيل والسليمانية وكوى والعمادية والهكارية وماردين وديار بكر وغنتان وحلب والشام والحرمين.

ترك من الخلفاء والمريدين أكثر من مئة ألف وهم في ازدياد حيث ذكر الزركلي أن في عام (1235هـ / 1820م) قدر أحد الرحاله مريديه بـ(112) الف منتشرين في مختلف أنحاء تركيا والبلاد العربية. [361]

وقد ذكر النبهاني عن كراماته الشيء الكثير[362]

12- حسن بن محمد الرومي النقشبندي (حسام الدين)

توفي عام (1282هـ / 1865م) له شرح شمائل النبي لأبي عيسى الترمذي.[363]

13- داود بن سليمان البغدادي النقشبندي

مولده: ولد في بغداد عام 1231هـ / 1816م .

وفاته: توفي عام 1299هـ /1882م

---

[361](1) منهم محمد البغدادي(ت1230هـ/1814م)ودفن بتربة الجنيد- عبدالرحمن القعري الكروي أول خليفة له استوطن دمشق /الملا هداية الله الأربيلي - عبدالقادر البرزنجي - عبيد الله بن عبيد الله بن صبغه الله قاضي البصره 1228هـ / 1813م.- محمد بن سليمان صاحب كتاب الحديقة الندبة./عبدالغفور الكردي الكركوكي.- احمد الخطيب الأربيلي . توفي بأربيل عام 1250هـ / 1834م.- اسعد الحيدري ، مفتي الحنفيه ببغداد- أحمد الأغريوزي شيخ الآستانه/خالد الكردي شيخ جامع السويقه بدمشق إسماعيل الاناراني شيخ جامع العداس بدمشق/عبدالله الفردي شيخ القدس – محمد الجندي مفتي معرة النعمان,انظر الحدائق الوردية ص223 حتى ص250,وانظر الحديقة الندية ص41-ص96,وانظر الطريقة النقشبندية واعلامها ص79 حتى ص86، و الأعلام (2/294)

[362](2) جامع كرامات الأولياء ص60

[363](3) الطريقة النقشبندية وأعلامها ص77

سلك الطريق على يد خالد النقشبندي ، ثم رحل إلى مكه المكرمة والشام والموصل.

مؤلفاته:
- المنحه الوهبية في الرد على الوهابية.
- الفوائد الجلية في نظم الرسالة الوضعية.
- صلح الإخوان من أهل الإيمان.
- بيان الدين القيم في تبرئة ابن تيمية وابن القيم.
- تشطير البردة.
- دوحة التوحيد في علم الكلام.
- أشد الجهاد في إبطال دعوى الاجتهاد.
- مناقب المذاهب الأربعة.
- مسلي الواجد وهو تشطير مرتبة للشيخ خالد النقشبندي.[364]

14- أحمد بن مصطفى بن عبدالرحمن الكمشخانوي النقشبندي

مولده: ولد من كمشخانه بولاية طرابزون ، تعلم بالاسكانه ثم انصرف إلى الوعظ والإرشاد والتأليف.

رحل إلى مصر حيث أقام هناك ثلاث سنوات ، أنشا خلالها مطبعة لطبع الكتب وتوزيعها على فقراء العلماء ، ثم عاد إلى الاسكانه وأنشأ فيها ثلاث مكتبات للجمهور.

من أثاره :
- جامع المتون في ألفاظ الكتب وتصحيح الاعتقاد والأعمال.
- جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم وأصنافهم .
- روح العارفين وإرشاد الطالبين في التصوف.
- رموز الأحاديث على ترتيب حروف الهجاء.
- دواء المسلمين في الوعظ.
- لوامع العقول في خمس مجلدات.
- العابر في الأنصاري والمهاجر.[365]

---

[364](1) الأعلام للزركلي (ج2-ص332)
[365](1) الاعلام/ج1,ص258, ا هدية العارفين/ج1,ص149.

15- محمد أمين بن فتح الله الكردي الأربلي النقشبندي

تعلم بالأزهر ، اشتهر بالوعظ والإرشاد ، توفي بالقاهرة عام (1332هـ / 1914م).

من أثاره :

- مرشد العوام.
- الحقيقة العلية في مناقب النقشبندية.
- هداية الطالبين لأحكام الدين في فقه المالكية.
- إرشاد المحتاج إلى حقوق الأزواج.
- تنوير القلوب في التصوف.
- سعادة المبتدئين في علم الدين.
- فتح المسالك في إيضاح المناسك على المذاهب الأربعة.
- العهود الوثيقة في التمسك بالشريعة والحقيقة .[366]

16- محمد ذو الفقار

كردي الأصل . ولد بالقرب من دمشق ، كما تلقى علومه فيها ، توفي عام (1371هـ / 1951م) و دفن بجبانة الأكراد بالقرب من ضريح الشيخ خالد ذي الجناحين النقشبندي ,سلك النقشبندية على يد مشايخها.

استوطن طرابلس الشام بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وعمل كاتباً في كلية التربية والتعليم بطرابلس.

أخذ يدير حلقات الذكر النقشبندية في الزوايا وكان ينتقل من زاوية إلى أخرى يربي ويرشد ويسلك حتى وفاه الأجل بدمشق فكانت وفاته.

لمحمد ذو الفقار دور مهم في نشر الطريقة النقشبندية في طرابلس وضواحيها .

من أشهر مريديه:

- عبدالله البخاري ..أصله من بخارى ، واستوطن المدينة وظل فيها حتى وفاته عام (1380هـ/ 1960م) كانت له زاوية بالقرب من سوق العطارين .

---

[366](2) الاعلام ،6 : 43- ,والطريقةالنقشبنديةوأعلامها ص131

- رشيد إبراهيم الحسن – مولده في قرية بتوراتيج بالقرب من طرابلس عام (1300هـ/ 1882م) توفي (1385هـ / 1965م)، وأخذ بعد وفاة شيخه يدير حلقات الذكر في المدرسة القرطائية بالقرب من الجامع الكبير مصطفى الأيوبي (ت 1392هـ / 1972م) بطرابلس وكانت له زاوية بطرابلس ، وقد سلك على يديه العديد من نقشبندية المنطقة.

- محمد السويسي: (ت 1395هـ / 1975م) بطرابلس كانت له زاوية في منطقة أبي سمراء بطرابلس[367].

17- غلام علي الدهلوي

له زاوية في دهلي يشد لها الرحال من العراق والشام ومصر والصين وبخارى وسمرقند والحبشه.

وفاته: في القرن الثالث عشر الهجري.

كتب عنه أحمد خان مؤسس الجامعة الإسلامية في عليكره في كتابه (آثار الصناديد),

قال " لايقل عدد المقيمين في هذه الزاوية عن خمسمائه رجل تقوم الزاوية بنفقاتهم". [368]

18- جودة ابراهيم

اسمه : جودة بن إبراهيم بن السيد مصطفى جودة ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما.

مولده: ولد في منيا القمح في بلدة العزيزية في إقليم الشرقية سنة 1264هـ .

وفاته: توفي عام 1344هـ ، ويقوم على طريقته نجله عيسى جودة ولطريقته أتباع كثيرون في مصر وخاصة في الشرقية.

نشأته: حفظ القرآن صغيراً ، وتفقه على المذهب الشافعي.

شيوخه :

- محمد الأشموني المتوفي سنه 1321هـ .
- محمد الخضري الدمياطي المتوفي سنة 1298هـ .

---

[367](1) الطريقة النقشبندية واعلامها ص138 -139.

[368](2) الطريقةالنقشبنديةوأعلامها ص122.

- ابراهيم السقا المتوفي سنه 1298هـ .

أخذ الحديث على أحمد ضياء الكمشخانوي صاحب كتاب (رموز الأحاديث) وشرحه (لوامع العقول) كما أخذ عنه الطريقة النقشبندية وغيرهامن الطرق الصوفية على عادة بعض المتأخرين من الصوفية في تلقي أكثر من طريقة صوفيه واحده في وقت واحد.

وقد كان جودة إبراهيم يمثل المدرسة النقشبندية الممتدة إلى عصره عن الضياء الكمشخانوي.[369]

الفصل الثالث

[369] (1) النفحات الجوديةص30

مصادر وطرق التلقي عند النقشبندية

المصدر الأول : الذوق والكشف والاسراءات والمعاريج:

- الذوق مقدمة للكشف :

وله إطلاقان : عام وخاص,أما العام ، فينتظم جميع الأحوال [370] والمقامات[371]

أما الذوق بالمعنى الخاص ، فيرتبط – عندهم – بالتجلي الإلهي[372]، على تفاوت درجات التجلي التي يذكرونها ، فأول مبادئ التجلي ، يسمى عندهم بالذوق .

قال السرهندي في معرض حديثة عن الطريقة النقشبندية والترغيب فيها: "واعتقدوا الأذواق".[373]

الكشف: وهو يكون بين الله - تعالى – وبين العبد على وجه خاص بارتفاع الوسائط ومن هذا الباب ولج من يدعي تفضيل الولي على النبي والرسول ، لأن الولي – في

370(1) سبق التعريف بها.

371(2) المقام ، هو مثل : التوبة ، والورع ، والزهد ، والفقر ، والصبر ، والرضا ، والتوكل ، وغير ذلك . والمقام معناه : مقام العبد بين يدي الله – عز وجل - ، فيما يُقام فيه ، من المجاهدات ، والرياضات ، والعبادات . وشرطه : أن لا يرتقي من مقام إلى مقام ، مالم يستوف أحكام ذلك المقام ، فإن من لا قناعة له ، لا يصح له التوكل ، ومن لا توكل له ، لا يصح له التسليم ، وهكذا . انظر ((معجم مصطلحات الصوفية للحفني)) ص 248

372(3) التجلي ، هو : إشراق انوار إقبال الحق ، وقيل : ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب . والتجلي الذاتي ، هو ما يكون مبدؤه الذات من غير اعتبار صفة من الصفات معها ، وإن كان لا يحصل ذلك إلا بواسطة الأسماء والصفات ، إذ يتجلى الحق من حيث ذاته على الموجودات ، إلا من وراء حجاب من الحجب الأسمائية . والتجلي الشهودي هو : ظهور الوجود المسمى باسم النور ، وهو ظهور الحق بصور أسمائه في الأكوان التي هي صورها ، وذلك الظهور هو نفس الرحمن الذي يوجد به الكل. والتجلي الصفاتي : ما يكون مبدؤه صفة من الصفات من حيث تعينها ، وامتيازها عن الذات . وسر التجليات ، هو شهود كل شيء في كل شيء ، وذلك بانكشاف التجلي الأول للقلب ، فيشهد أحدية الجمع بين الأسماء كلها ، لا تصاف كل اسم بجميع الأسماء ، لا تحادها بالذات الأحديه ، وامتيازها بالتعينات التي تظهر في الأكوان التي هي صورها فيشهد كل شيء في كل شيء . ، انظر : ((معجم مصطلحات الصوفية للحفني)) ص 48 -49 .

373(4) المكتوبات 2 / 221.

اعتقاده يأخذ العلم[374] من حيث أخذه الملك الذي يوحي به إلى النبي فالنبي يأخذ عن الله بواسطة الملك ، والولي يأخذ عن الله بلا واسطة .

يذكر صاحب الأنوار القدسية أقوالاً يرويها عن أبي يزيد البسطامي في ذلك منها قوله:

" أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت"

وقوله :

"فعلماء الرسوم[375] يأخذون خلفاً عن سلف إلى يوم القيامة فيبعد النسب والأولياء يأخذون عن الله ألقاه في صدورهم من لدنه رحمة منه وعناية سبقت لهم عند ربهم"

وقوله:

" ليس العالم من يحفظ من كتاب فإذا نسي ما حفظ صار جاهلاً بل من يأخذ العلم من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني" [376]

- الإسراءات والمعاريج :

ويعنون به عروج روح الولي إلى العالم العلوي ، وجولانها هناك ، وإتيانها بعلوم شتى ، من أسرار الأكوان ، وعجائب المكونات ، وإضافة العلوم عليهم هنالك بواسطة الأنبياء ، والملائكة ، وبلوغ منتهى الأرب بالفناء في ذات الله –تعالى - ، والتحقق بعين الجمع,ومما يلاحظ على هذه الإسراءات والمعاريج ، محاولة أصحابها محاكاة إسراء ومعراج
النبي .[377]

ومن هذا ما ذكره أحمد السرهندي بقوله :

"كثيراً ما كان يعرج بي فوق العرش وأرتفع فوقه بمقدار ما بين مركز الأرض وبينه ، ورأيت مقام الإمام

---

[374](1) المصادر العامة للتلقي عن الصوفي تأليف : صادق سليم صادق ص 190، مكتبة الرشد ، ط1 ، 1415هـ .

[375](2) علماء الرسوم : هم العامة الذين اقتصروا على علم الشريعة انظر. معجم الكلمات الصوفية ص56

[376](3) الانوار القدسية ص99

[377](4) المصادر العامة للتلقي عندالصوفية ص 192.

شاه نقشبند ... إلى أن قال: " واعلم أني كلما أريد العروج يتيسر لي
وربما يقع من غير قصد". [378]

- المصدر الثاني : الإلهام والهواتف:

الإلهام هو :ما يحصل من العلوم في القلب من غير استدلال ، ولا نظر ، وهو حجة عند الصوفية ويكون عن طريق الملك . وقد اختلفوا في مشاهدة الولي للملك حال إفادته إياه بالعلم، وغلط بعضهم فيه بعضاً .

ومن غالبيتهم من يقول : بنزول جبريل – عليه السلام - ، على الولي المفتوح عليه ، وأن الأولياء يستشيرونه.[379]

الهواتف:ومعناه سماع خطاب بواسطة الأذن ، وقد يكون مناماً ، أو في حالة بين النوم واليقظة ، أو في اليقظة – بصوت مسموع – يسمع الصوت ولا يرى صاحبة ، ولا يخلو أن يكون المخاطب إما: لله – سبحانه وتعالى - ، أو ملك من الملائكة ، أو جن صالح ، أو ولي من الأولياء ، أو الخضر – عليه السلام - ، أو إبليس.

والهواتف- عند الصوفية – من أسباب تصحيح المعاملات وتزكية النفوس ، وتلقي المعرفة.[380]

ومنه عند النقشبندية ما كتبه ولد محمد معصوم له يقول :" إني تشرفت في هذه الأيام بإلهامات غريبة ومخاطبات عجيبة فقيل لي : أنت من أوليائي وأنت من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ورأيت يوماً أن وصولي إلى جناب قدسه تبارك وتعالى بلا واسطة أحد . وإذا بصورتك المباركة قد ظهرت بيننا ووجدت نفسي قد اتحدت بجنابكم فهنالك ظهر تنزل الحق سبحانه بلا واسطة فأرجو التصديق على هذا"

فكتب إليه قائلاً : " إني سررت بكتابكم وقد بلغت ترقياتكم إلى مرتبة مشاركتي في المعاملات فما الحاجة

---

[378](5) الأنوار القدسية ص180 ، الحدائق الوردية ص 180

[379](1) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ص 190

[380](2) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ص 191

إلى التصديق على كشفكم ومع ذلك فتصديق في تصديق" [381]

ومن ذلك ما قاله عبدالله الدهلوي[382]:"سمعت في سري الخطاب الإلهي ثلاث مرات : مرة وأنا في المدرسة ومرتين في الخانقاه . وجاءتني فاطمة الزهراء فقالت لي : إني قد بعثت لزيارتك"[383]

المصدر الثالث : اللقاء الروحي

أولاً :التلقي عن النبي :

لا يعنون به الأخذ عن سنته المشرفة من الكتب المصنفة في ذلك ، كالصحاح ، والمسانيد، والمعاجم ، وغيرها . بل هذا خاصة أهل الرسوم . أما الكمّل ، فإنهم يجتمعون بالنبي وهم متفاوتون في هذا الاجتماع كل بحسب مقامة ومرتبته ، ومما يتفاوتون فيه أيضاً ، أن بعضهم يجتمع به بروحه وجسده ويراه عيانا.ومنهم من يراه بعيني الرأس ، ومنهم من يراه بعين القلب ، أو يجتمع به من حيث الأرواح ، لا من حيث الأبدان ، بأن يتبرزخ الرائي له ، ويجتمع بروحانية المصطفى . فهم يستمدون منه المعرفة بالأحكام الشرعية والوقائع المستقبلية ، ويستشيرونه في كل الأمور ويتلقون عنه الأذكار والأوراد ومناقب الأشخاص وغير ذلك.

وقد ذكروا لهذه الاجتماعات أسباباً ، ووضعوا لها شروطاً ، تتحقق باستيفائها، وتنتفي بتخلفها. وبلغ من اهتمام الصوفية بهذا الأمر ، أن صنفوا فيه التصانيف المفردة أشهرها كتاب: (تنوير الحلك في جواز رؤية النبي والملك).[384]للجلال السيوطي[385] .والنقشبندية لا يختلفون عنهم فقد ورد عن سيد هذه الطائفة أن الأوراد

381(3) الحدائق الوردية ص 198

382(1)تقدمة ترجمته في الأعلام

383(2) الحدائق الوردية ص 215

384(3) الكتاب مطبوع مفرداً ، بدار جوامع الكلم –مصر – بدون رقم الطبع وتاريخه ، وضمن مجموع فتاوية المسمى بـ((الحاوي للفتاوي)) 2/473 – 492 ، دار الكتاب العربي – بيروت – بدون رقم الطبع وتاريخه.

البهائية علمها له رسول الله في الرؤيا فتلقاها منه درساً درسا كما سبق.[386]

ثانياً : التلقي عن الخضر – عليه الصلاة والسلام - :

لقد حفلت هذه الشخصية لدى الصوفية باعتناء شديد ، فقالوا ببقائه إلى آخر الزمان ، وتأولوا الأدلة القاضية بوفاته، والحكايا في لقياه ، والأخذ عنه كثيرة.

وقد وقع الخلاف بينهم على مرتبته على أقوال ، والأكثرون منهم على أنه ولي وتلقوا عنه علوماً لدنية وأخذوا عنه الأوراد ، والأذكار ، والمناقب وأعلوا على لسانه من مقامات الشيوخ والطرق.

وصنف بعض الصوفية في إثبات حياته – عليه السلام - ، واستمرارها ، ليثبتوا بذلك ، إمكان الأخذ منه ، والتلقي

---

[385](4) السيوطي ، هو : عبدالرحمن بن ابي بكر بن محمد بن سابق الدين ، الخضيري السيوطي ، مؤرخ ، أديب ، محدث ، ولد سنة 849هـ ، ومات والده وهو صغير ، فنشأ يتيماً ، ولما بلغ أربعين سنه اعتزل الناس ، وخلا بنفسه في روضة المقياس ، على النيل ، منزوياً عن أصحابه جميعاً ، فألف أكثر كتبه . وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الهدايا فيردها . والسيوطي صوفي المشرب ، يقول بالأقطاب والأبدال والاوتاد ، وله في ذلك : ((الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال)) ، و لما تكلم البرهان البقاعي في ابن الفارض – صاحب تائية السلوك – ردّ عليه السيوطي وتعصب لابن الفارض . وكان السيوطي يدعي الاجتهاد المطلق ، وله بسبب ذلك محن وواقعات مع أهل زمانه ، توفي سنة 911هـ ، وقد بلغت مصنفاته نحو 600 مصنف منها : ((الأشباه والنظائر)) ، ((الإتقان في علوم القرآن)) ، و ((تاريخ الخلفاء)) ، ((وتدريب الراوي))، ((والجامع الصغير))، انظر في ترجمته الأعلام 3/ 301 : 302

[386](1)(كشف الظنون(1/ 200)

عنه[387] ,فألف عبدالله بن أسعد اليافعي[388] جزءاً في حياة الخضر .

وذلك عند النقشبندية لا يختلف عن بقية الطرق فقد تلقى الخواجه عبدالخالق الغجدواني وهو شيخ شاه نقشبند بحسب الحقيقة الذكر القلبي عن الخضر عليه السلام كما تقدم.

ثالثاً : الأولياء المقبورين:

تلقي المريدين عن أشياخهم المقبورين كما تقدم من تلقي محمد بهاء نقشبند طريقته وهو في المقبره من عبدالخالق غجدوان شيخه بحسب الحقيقة.[389]

وتلقيه أيضاً من روحانية أويس القرني والحكيم الترمذي كما تقدم [390]ومن الصحابة . أبي بكر الصديق وإليه ترجع الطريقة في بعض سلاسلها المشهورة ومن علي بن أبي طالب في سلسة أخرى.[391]

المصدر الرابع : الرؤى والمنامات:

وهو مصدر مهم بنوا عليه كثيراً من معتقداتهم وروجوا به الضلالات ، كما زعم ابن عربي أنه لما صنف كتابه (فصوص الحكم), أمره الرسول ، أن يخرج به إلى الناس ، لينتفعوا به.

387(2) المصادر العامة للتلقي ص195.

388(3) عبدالله بن أسعد اليافعي ، هو عبدالله بن أسعد علي اليافعي : عفيف الدين ، مؤرخ ، باحث ، متصوف ، من شافعية اليمن ، نسبته إلى يافع من حمير ، و مولده سنة 698هـ ، ومنشأه في عدن ، حج سنة 712هـ وعاد إلى اليمن . ثم رجع إلى مكة سنة 718هـ ، فأقام بها، وكان فيه تعصب للصوفية ، إذا كان منهم ، ومن يقف على كتابه ((روض الرياحين في حكايات الصالحين)) يتحقق من هذا ، توفي بمكة سنة 768هـ . له مؤلفات منها : ((مرآة الجنان ، وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان)) ، و ((نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية)) . انظر ترجمته في ((طبقات الشافعية 6 / 103 و شذرات الذهب 6/210 -212 الاعلام 4/ 72))

389(1) انظر الفصل الثالث من الباب الأول

390(2) انظر الفصل الثالث من الباب الأول

391(3) انظر الفصل الأول من الباب الثاني

وقد يعتمدون على المنامات لمعرفة صحيح الأحاديث النبوية من سقيمها ، أو معرفة الأحكام الشرعية ، وأمور أخرى غير هذه, وأكثر ما يصرحون بالتلقي عنه مناماً ، الله – سبحان وتعالى - ، والنبي ، ثم قد يستمد أحدهم إما من الأنبياء أو من شيخه ومرشده ، أو من الصحابة الكرام ، أو غيرهم . كما تقدم.

المصدر الخامس : التراث الصوفي:

للتراث الصوفي أثر كبير على الطريقة النقشبندية ، حيث نجد كتبهم مليئة بالاحتجاج بأقوال سابقيهم من أئمة التصوف كأبي يزيد والحلاج وابن عربي ، وشعر ابن الفارض ورابعة العدوية [(392)].

أولاً : ابن عربي [(393)]: نطالع في كتب النقشبندية سيلاً من المدائح لابن عربي حيث يصفه صاحب الحدائق الوردية بأنه:

---

[392](4) سبق الترجمة لها .

[393](5) ابن عربي هو: محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبدالله ، العربية ، الحاتمي ، الطائي : أبو عبدالله ، لايكاد يجهل ، يعرفه خواص الصوفية وعوامهم ،ذائع الصيت جداً فيلسوف ، متكلم ، ولد في مرسية بالأندلس ، سنة 560هـ ، وكان أبوه من العلماء في الفقه والحديث ، ثم انتقلت أسرته إلى إشبيلية ، وكان عمره إذ ذاك ثماني سنوات ، فبدأ بها دراسته ، فكان مما قرأه ، بعض كتب الحديث، كصحيحي البخاري ومسلم ، وبعض المسانيد ، كمسند الإمام أحمد ، كما قرأ غيرها من الكتب ، وقد عمل كاتباً لبعض الولاة ، ثم تزهد ، وتعبد ، وساح ، لرؤيا رآها ، وقضى من عمره عشر سنوات ، صحب فيها مجموعة من الصوفية ، ثم دخل إلى تونس ، وفاس ، والقاهرة ، والقدس ، ثم اتجه حاجاً قاصداً مكه ، وبقي بها سنوات ، وألف بها بعض الكتب والرسائل ، ككتاب ((تاج الرسائل)) ، و((روح القدس)) وبدأ سنة : 598هـ ، بكتابة كتابة ((الفتوحات الملكية)) وديوانه المسمى ((ترجمان الأشواق)) . وقد انتقل بعد ذلك في عدة مدن ، مابين القدس ، والقاهره ، ومكه ، ودخل مدينة قُوينة سنة : 606هـ ، وكان قد دخلها قبل ذلك سنة:601هـ ، باستدعاء من سلطانها ، وقد ألف فيها رسالته : (الانوار) ، وبعد رحلات ، وتنقلات ، وسياحات ، استقر به المقام في (ملطية) سنة : 612هـ ، وولد له ابن سماه : سعد الدين محمد ، سنة 618هـ ، ثم انتقل بعدها إلى دمشق ، وقد أثارت آراءه وأفكاره الباطلة ، ثائرة العلماء ، والفقهاء عليه ، فرموه بالكفر والزندقة ، ولكن حماية الاسرة الايوبية الحاكمة آنذاك-له، جعلته يحس بالأمن ، وفي دمشق بدأ إتمام كتابة ((الفتوحات المكية)) وألف أيضاً كتابة ((فصوص الحكم)) واستمر في دمشق قاطناً بها ، حتى جاءه الموت سنة 638هـ . انظر شذرات الذهب (5/190-202) والأعلام : (6/281-282)

إمام أهل الكشف الوجود وقدوتهم ,وهو خاتم الأولياء المحمديين وهو في موضع آخر غوث المحققين وقطب الموحدين وهو بالجملة آية من آيات الله - تعالى- ولو كان في الأمم الغابرة لقص الله علينا أحسن القصص من خبره ,ولهم في مدحه ورثائه قصائد طويلة أقتصر على ذكر بعض الأبيات:

هـو الإمام الذي آياته نسخت   بالعدل ذكر بني العباس والخلفا
وطبق الأرض علماً والسماء تقي   والناس جودا وتاج الأولياء تحفا

وفي موضع آخر:

ألست بحر علوم سـاغ مورده   ماخاب من جاء في الدهر مرتشفـا
ألست مفرد عرفـان ينافس في   وجـودك الخلف الجمع الذي سلفا
ألست أشرف من جاد الوجود به   ورصـع الناس في أوصافة الصحفا
ألست نجل الأولى بين الورى عرفوا   بالقطب والغوث والأفراد والحنفـا
ألست فـرع الذي جبريل خادمه   وحسبك الدهر فخر المصطفى شرفا[394]

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى موافقتهم له في فلسفته الصوفية كما سيأتي في عرض معالم الطريقة . من قولهم بوحدة الوجود فقد أقرّ السرهندي بأن الجم الغفير من هذه الطائفة موافقون لابن عربي في مسألة وحدة الوجود[395]إلا أنه لم يوافقهم صراحة وقد انتقد ابن عربي قائلا:" أنه أول من صرح بوحدة الوجود وأن عباراته مشعرة بالاتحاد وأنه بوب مسائل وحدة الوجود وفصلها "[396]

394(1) الحدائق الوردية ص285-289 – وانظر البهجة السنية ص51 ، والمكتوبات (2/193).

395(1) انظر في بيان معناها والرد عليها الفصل الثاني من الباب الثالث من الرسالة.

396(2) المكتوبات(2/265)

ونجده يحكم على كشوفات ابن عربي بأنها مخالفة لعلوم أهل السنة بعيدة عن الصواب ولا يتبعها إلا كل مريض القلب[397] .

وبالرغم من ذلك فإن النقشبندية لا يخفون إعجابهم بمؤلفات ابن عربي فقد ذكر الخواجة برهان الدين بارسا نقلا عن والده :" أن الفصوص روح والفتوحات قلب" وقال:" من علم الفصوص علماً جيداً تتقوى داعيه متابعته للنبي ".[398]

وكان الجامي .[399] يسمي نصوص الفصوص بالكلمات القدسية .[400]

وقد ألفَّ محمد بن عبدالله الخاني[401]كتاباً سماه المواقف العرفانيه ، شرح في بعضه من كتاب الفصوص فص شعيب وفص إسماعيل فص آدم وخطب الفتوحات المكية وقد وافق
ابن عربي في كلامه عن الروح والحقيقة المحمدية.[402]

ويذكر صاحب كتاب الحدائق الوردية عن محمد الخاني أنه كان مشغوفاً بمطالعة كتب السادة الصوفية خصوصاً الفتوحات المكية وتائية ابن الفارض[403] وشروحها.[404]
وكثيراً ما يفسر النقشبندية آيات القرآن بأقوال ابن عربي. وقد وافقوه بالقول بالحقيقة المحمدية والتجليات

397(3) المكتوبات(2/42 وكذلك2/ 93)
398(4) رشحات عين الحياة ص111
399(5) تقدمت الترجمة له في الأعلام
400(6) رشحات عين الحياة: ص 128
401(7) محمد بن عبدالله الخاني ولد بخان سيخون بين حماه وحلب,عام 1213هـ/1798م,قرأ القرآن وتعلم الكتاب وسلك الطريقة النقشبندية على يد خالد البغدادي ذو الجناحين-توفي عام 1279هـ/1862م ودفن في دمشق,من آثاره:- البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية- السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية,انظر ترجمته في الطريقة النقشبندية وأعلامها/ص149-150
402(8) الحدائق الوردية : ص 282 وانظر المراد من الحقيقة المحمدية والرد عليها في المبحث الثاني من الفصل الثاني من الباب الثالث
403(1) ستأتي ترجمته في المبحث الثالث من الفصل الثاني من الباب الثالث من الرسالة
404(2) الحدائق الوردية : ص 271

الصورية وبالذكر القلبي وكيفيته والذكر بحسب الوفق واستدلوا بأقواله في ذلك كما سيأتي.

ثانياً : الحلاج[405] ومكانته عندهم :

لا يقل الحلاج مكانة عند النقشبندية عن ابن عربي فهم يتمثلون بأقواله في مواضع متفرقة من كتبهم وينتهجون نهجه في كثير من أفكاره .ففي حديثهم عن الفناء الذي هو فناء عن وجود السوى كما سيأتي ، يوافقون الحلاج في أقواله التي تشعر بالحلول والإتحاد.

يستشهد الدوسري وغيره بقول الحلاج :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا[406]

وبقول آخر يذكره مؤسس هذه الطريقة ويحتج به السرهندي في مكتوباته :

كفرت بدين الله والكفر واجب
لدىَّ وعند المسلمين قبيح[407]

---

[405](3) الحلاج ، هو الحسين بن منصور ، وكنيته : أبو مغيث ، كان جده مجوسياً ، والحلاج من أهل بيضاء بفارس . نشأ بواسط والعراق . صحب الجنيد ، وأبا الحسين النوري ، وجماعة لما ظهر منه ما ظهر من الكفر ودعوى الحلول ، أنكره بعض الصوفية ، وقبله آخرون ، وأثنوا عليه ، وصححوا له حاله ، مثل : أبي العباس بن عطاء ، وأبي عبدالله محمد بن خفيف وأبي القاسم إبراهيم بن محمد النصر أباذي .

قال محمد بن خفيف : الحسين بن منصور ، عالم رباني . وكان الحلاج يظهر مذهب الشيعة لخلفاء العباسيين ، ومذهب الصوفية للعامة ، وقد أمر الخليفة : المقتدر بصلبه وقتله ، فقتل ببغداد سنة 309هـ ، وقيل سنة 311هـ. انظر فتوى ابن تيمية عن الحلاج في ((مجموع الفتاوي)) 2 / 480 -488.

وانظر ترجمته في : طبقات الصوفية ص 307 -308 ، و (تاريخ بغداد) 8 / 112 – 141 و (سير أعلام النبلاء) 14 / 313 -354 ، (و شذرات الذهب) 2 / 253-257 ، و (طبقات الشعراني) 1 / 107- 109 ، و (وفيات الأعيان) 2 / 140 – 146 ، و (الأعلام) 2 / 60 .

[406](4) الرحمة الهابطة في تحقيق الرابطة على هامش المكتوبات ص 112

[407](1) الانوار القدسية ص 134 ، الحدائق الوردية ص 134 ، المكتوبات ص 282

ويتفق النقشبندية على استحسان كثير من أقوال الحلاج كقوله " أنا الحق" نجد هذه الجملة تتكرر كثيراً في كتبهم يقول الجامي في توجيه العباره:
" لقد أراد الحلاج بهذه العبارة حقيقة نفسه وحيث قال فرعون : أنا ربكم الأعلى أراد بها صورة نفسه". [(408)]

وقد اعتذر حبيب الله جان جانان[(409)] عن شطحات الحلاج بقوله :" وهذا سر قول الحسين بن منصور رحمه الله (أنا الحق) فإنه وإن كان معذوراً في ذلك نظراً لغلبة السكر[(410)] عليه إلا أنه كان مخطئاً في تلك الرؤية". [(411)]

وقالوا " لو كان أحد على وجه الأرض من أولاد الشيخ عبدالخالق الغجدواني موجوداً لما صلب الحلاج" [(412)]

- رابعة العدوية . وأشعارها في العشق والشوق كما سيأتي في علاقتهم بالله
- وابن الفارض واستدلالهم بتائيته المشهورة كما سيأتي من استحسان مشايخ النقشبنديه لها.

أبو يزيد البسطامي :

يعد النقشبندية أبي يزيد البسطامي إمام من أئمتهم ، حيث تعود سلسة من سلاسلهم الثلاث المشهورة إليه ، وهو المشهور بشطحاتة كما تقدم.

---

[408](2) رشحات عين الحياة 143

[409](3) حبيب الله جان جانان هو:من احفاد كمال الدين الطائفي , من آثاره- اجوبة على مسائل في الحديث والتصوف ,باللغة الفارسية- ديوان شعر فارسي وقد تقدمت الترجمة له ,انظر:الطريقة النقشبندية واعلامها/ص76-77

[410](4) السكر:هو دهش يلحق سر المحب عند مشاهدة جمال المحبوب فجأة فيذهل الحس ويلم بالباطن فرح وهزة وانبساط لتباعده عن عالم التفرقة,ويصيب السر الدهش والوله لتحير النظر في شهود جمال الحق ,وتسمى هذه الحالة سكراً,لمشاركتها السكر الظاهر في الاوصاف المذكورة,سوى ان سبب ذهول العقل في السكر المعنوي هو غلبة نور الشهود,وفي السكر الظاهر او الطبيعي هو غشيان ظلمة الطبيعة.انظر المعجم الصوفي للحفني/ص126-127

[411](5) الحدائق الوردية ص 204 – 180 ،الانوار القدسية 205 البهجه السنية 281 ، رشحات عين الحياة 133- 156

[412](6) الأنوار القدسية 121.

وقد استحسن النقشبنديون جملة من أقواله وأحواله ولم ينكروا عليه شيء منها بل عذروه في بعضها لغلبة السكر عليه ، ومما حكوا عنه قوله : " سبحاني ما أعظم شأني ".[413]

ولم ينكروا هذا القول أو يستنكروه ، بل أثبتوه على أنه نهاية ما يحصل للسالك إلى الله الفاني به وذكرت كتبهم أنه صلى بالناس الفجر ثم التفت إليهم فقال : إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني . فتركه الناس وقالوا : مجنون ، مسكين, وجاء إلى بيته رجل فدق بابه فقال أبو يزيد : ((من تطلب ؟ فقال الطارق : أريد أبا يزيد . فقال له: ليس في البيت غير الله))[414]

وحكى السرهندي أن أبا يزيد قال : " لوائي أرفع من لواء محمد " قال : أراد بلوائه لواء الولاية وبلواء محمد لواء النبوة وعذره بقوله : هذه مقولة سكرية قالها أبو يزيد في حالة

سكره بالله .[415]

وحكوا أيضاً أنه قال :" إن لله علي نعماً منها أني رضيت أن أحرق بالنار بدل الخلق شفقة عليهم". وقوله : " الناس يفرون من الحساب وأنا أ أتمناه لعله يقول لي يا عبدي فأقل: لبيك . فيفعل بي ما يشاء" [416]

واستحسنوا أقواله في العبادة قال : "وقفت مع العابدين فلم أر لي معهم قدماً ، فوقفت مع المجاهدين فلم أرى لي معهم قدماً ، ووقفت مع المصلين فلم أر لي معهم قدماً، فقلت : يارب كيف الطريق إليك ؟ فقال: أترك نفسك وتعال"

وبرأيه أن العبادة مشغلة يشغل الله بها عبادة قال : "اطلع الله على قلوب أوليائه فرأى منهم من لم يكن

---

[413] (1) الأنوار القدسية ص97-99 ، الحدائق الوردية 180-204 ، رشحات عين الحياة 133- 186 ، البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية ص81 .

[414] (2) الأنوار القدسية ص102.

[415] (3) المكتوبات 2/101.

[416] (4) الأنوار القدسية ص99-100 وكأنه يقر مبدأ الفداء عند النصارى.

يصلح لحمل المعرفة [417]صرفاً فشغله بالعبادة" [418] وهم كثيراً ما يعتذرون عنهم ويؤولون كلامهم على غير ظاهره .

يقول الدوسري[419] في الجواب عن السؤال عن الألفاظ التي وردت في أشعار مشايخ الطريقة فأجاب مستعينا بجواب الغزالي في كتابه علوم الدين قائلاً :عن المشايخ وأقوالهم:"هؤلاء قوم غلبت عليهم الأحوال فقال أحدهم سبحاني وقال الآخر ما أعظم شأني وقال الآخر أنا لله – وما في جبتي إلا الله ، هؤلاء قوم سكارى ومجلس السكارى يطوى ولا يحكى معناه ونسلم إليهم أحوالهم ولا نرد عليهم أقوالهم لأن كلاهُم نطق عن ذوق ، وذوق عن

---

[417](1) المعرفة :هي نوع من الذوق لا دخل للعقل فيه,وهي شهود القلب الذي استضاء بنور الله للحق سبحانه,ثم ان المعرفة تتضمن فوق ذلك فناء آنية العبد,بذهاب صفات البشرية عنه والبقاء بصفات الله.وينسب الصوفي كل معرفة بالله الى الله نفسه,لانه تعالى هو الذي يرفع عن العارف حجاب الغيرية والاثينية,بحيث يصبح العارف عين المعروف.ومعرفة الولي العارف هي صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته,وصدق الله في معاملاته,وتنقى عن الاخلاق الرديئة,وطال بالباب وقوفه ودوام الاعتكاف,فتتحقق له من ذلك خواطر,وتدوم مناجاته لله في السر,فيصير محدثاً من قبل الحق,بتعريف اسراره فيما يجريه من تصاريف اقداره,وهذه الحالة هي التي يسمونها المعرفة,وبمقدار اجنبية العارف عن نفسه تحصل معرفته بربه,ومن امارات حصول المعرفة له انها تضفي عليه هيبة لم تكن له,وتزداد هذه الهيبة كلمازادت معرفته بالله,وقيل تزداد سكينته,ولهذا كانت معاشرة العارف كمعاشرة الله,فإنه يحتملك ويحلم عنك,تخلقاً بأخلاق الله عزوجل.
ومنتهى المعرفة:هي الحضرة الواحدية وفيها يكون الدنو من الحق,ويفيض جود الحق وتظهر للوجود المعاني/انظر المعجم الصوفي للحفني/ص235-236

[418](2) الأنوار القدسية ص100-104

[419](3) الرحمة الهابطة في تحقيق الرابطة ص 105 -107 بهامش المكتوبات

شوق[420] ومن ذاق عرف ومن لم يذق فلا حرج عليه إذا سلم وأعترف".

ثم يضيف :
"وإذا قصر إدراكك عنه (يعني الفهم)، فسلم لأهل الله واعتقد برآءتهم ونزاهتهم من كل عيب ونقص وإياك أن يخطر ببالك ما يقع فيه كثير من الناس ممن حرم التوفيق من حمل كلامهم بفهمه القاصر ونظره الغائر على غير مرادهم مما لايليق بالجناب الإلهي ثم يجعل ذلك سبباً للوقيعة فيهم من غير مستند له في ذلك إلا محض جهله وقصور عقله"[421].

[420] (4)الشوق :هو هيجان القلب عند ذكر المحبوب,وهو في قلب المحب كالفتيلة في المصباح,والعشق كالدهن في النار.وقيل من اشتاق الى الله أنس الى الله,ومن أنس طرب,ومن طرب وصل ,ومن وصل اتصل,ومن اتصل طوبى له وحسن مآب.والفرق بين الشوق والإشتياق:ان الشوق يسكن باللقاء,والإشتياق لا يزول باللقاء,بل يزيد ويتضاعف.انظر المعجم الصوفي للحفني/ص137

[421] (1) الرحمة الهابطة في تحقيق الرابطة ص107,بهامش المكتوبات.

الفصل الرابع
معالم الطريقة:

بعد البحث توصلت إلى أن لهذه الطريقة معالم تتعلق بإرشادات المريد وبآدابه وبآدابها وشروطها وأركانها كما أن من معالمها الأساسية معتقداتهم في الله ورسوله ولديهم أيضاً مراحل محددة في السلوك ومفاهيم خاصة في بعض المسائل الشرعية ، وقد رتبت كل ذلك في ستة مباحث .

المبحث الأول:_قواعد السلوك لدى المريد :

لقد اعتمدت هذه القواعد على إحدى عشرة كلمة فارسية ثمانية منها مأثورة عن عبدالخالق الغجدواني والتي يعتبرها النقشبندية إرشادات قدسية ومعرفة طريقهم موقوف على معرفتها وقد أضاف محمد بهاء نقشبند الثلاثة كلمات الأخيرة وهي : _

أولاً .. حفظ النَفسْ عن الغفلة ..

ويسمى باللغة الفارسية .. هوش دردم

والمعنى المراد عندهم ...

أنه ينبغي للسالك العاقل أن يحفظ النَفَسْ عن الغفلة عند دخوله وخروجه ليكون قلبه حاضراً مع الله – تعالى – في جميع الأنفاس ،لأن حفظ الأنفاس عن الغفلة يؤدى

بالقلب إلى الحضور مع الله – تعالى - وحضور القلب معه - تعالى - في الأنفاس إحياؤها بالطاعات و إيصالها إلى الله – تعالى - متصفة بالحياة لأن كل نفس يدخل ويخرج بالحضور فهو حي موصول بالله – تعالى - وكل نفس يدخل ويخرج بالغفلة فهو ميت مقطوع عن الله – تعالى - .

قال بهاء الدين نقشبند :

" أن مبنى هذا الطريق على النفس فينبغي لك أن تحفظ النفس وقت الدخول والخروج بل تحفظ ما بين النفسين وقت خروجه ودخوله لئلا يكون خروجه ودخوله على الغفلة

وحفظ الأنفاس عن الغفلات عسير على السالكين فإذا تخللتها الغفلة فلابد لهم أن يستغفروا الله فيها فالاستغفار يطهرها ويزكيها "

وهم يرون أيضاً أن الحضور مع الله – تعالى - سبب شهود تجليات الحق - سبحانه وتعالى - لأن:

لله – تعالى - تجليات بعدد أنفاس الخلق فمن حفظ أنفاسه عن الغفلات كان حاضرا مع الله - تعالى- فيصيب من تلك التجليات.[422]

ثانياً .. النظر إلى القدم ..ويسمى عندهم .. نظر برقدم

بر , بفتح الباء: بمعنى على والمعنى المراد عندهم أنه ينبغي للسالك أن يكون نظره إلى قدميه عند المشي لئلا ينظر إلى الآفاق لأن النظر إليها يوجب الحجاب في القلب لأن أكثر الحجب التي في القلوب هي :

الصور المرتسمة فيها من طريق النظر فهي لدفع تفرقة[423] الأفاق .

[422](1) التجلي:عبارة عن ظهور ذات الله وصفاته,وهذا هو التجلي الرباني وتجلي الروح أيضاً.انظر المعجم الصوفي للحفني/ص48

[423](2) تفرقة:توزع الخاطر للاشتغال من علم الغيب.والتفرقة التي هي عقيب الجمع:هي ان يفرق بين العبد وحظوظه فلا تكون حركاته لها.انظر المعجم الصوفي/ص52

أو لئلا يشتغل عن الذكر بالنظر إلى المبصرات لأن الذاكر المبتدئ إذا تعلق نظرة بالمبصرات اشتغل قلبه بالتفرقة الحاصلة من النظر إلى المبصرات لعدم قوته على حفظ القلب .

أو لئلا ينظر في وجوه الأغيار لأن النظر في وجوه الأغيار عند الصوفية من المحظورات لأن القلوب الصافية مثل المرايا الثقيلة ينطبع فيها ما كان في القلوب القاسية من الأخلاق الذميمة والأفكار الفاسدة بمجرد النظر إلى وجوه أصحابها .

أو لئلا يصيب نظره إلى الوجوه الحسان فيفتتن بذلك لأن النظر سهم من سهام الشيطان فمن أصابه ذلك افتتن في طريق الله.

فأمر السالك أن يغض بصرة بالنظر إلى قدميه لئلا يدركه ذلك السهم.[424]

ثم يذهبون إلى تفسير آخر وهو..

أن نظر السالك إلى قدميه كناية عن التواضع لأن أصحاب الكبر والتجبر لا ينظرون إلى أقدامهم.

وهناك معنى آخر..وهو إتباع السنة في المشي لأنه كان إذا مشى لا يلتفت يميناً أو يساراً وكان ينظر إلى قدميه متوجها إلى أمامه مسرعاً في مشيه كأنما ينحط من صبب .

ويمكن أيضاً أن يكون عبارة عن علو الهمة لأن صاحب الهمة لا ينظر لسوى الحق - سبحانه وتعالى -كصاحب السرعة في المشي لأنه لا ينظر إلا إلى قدميه لئلا يحبط في مشيه

ويحتمل أن يكون إشارة إلى سرعة سير السالك في قطع مسافة الوجود الموهوم.[425]

ثالثاً .. سفر السالك من عالم الخلق إلى عالم الخالق ..

ويسمى بلغتهم .. سفر دروطن

والمعنى المراد عندهم هو:

---

[424](3) الحدائق الوردية ص 114 ، وانظر رشحات عين الحياة ص 27.

[425](1) الحدائق الوردية ص 113، وانظر رشحات عين الحياة ص 18

أن يكون سفر السالك من عالم الخلق إلى جناب الحق ، ومن حال إلى حال أحسن منه ، أو من مقام إلى مقام أعلى منه ، يعنى ينتقل من صفاته البشرية إلى الصفات الملكية أو بمعنى آخر يسافر من عند هواه وشهوته ومراده لا من بلد إلى بلد ، فسفره باطني لا علاقة له بسفر الظاهر ، فالمشايخ منعوا السالكين من السفر الظاهري لأن فيه من المشاق والمحن التي لا يتحملها أهل البدايات لعدم تمكنهم في مقام العبودية[426]والشهود[427] فتؤديهم تلك المشاق إلى ارتكاب المخالفة في طريق السلوك وترك الفرائض والسنن وتورث في قلوبهم التفرقة وإنما أباحوا السفر الظاهري للسالك للوصول إلى المرشد المربى فإن وصل فيجب علية أن يسلم أمره إليه ويقيم عنده حتى يقدر على السفر الباطني .

أما الكاملين فلا تؤثر فيهم تلك المشاق بل تحصل لهم الترقيات[428] في الدرجات العالية بسبب تحمل مشاق السفر ومحنه .

---

[426] (2)العبودية:العبودية للخواص والعبادة للعوام,وهي: ان ترضى بما يفعل ربك.والعبودية أربعة:الوفاء بالعهود,والرضاء بالموعود,والحفظ للحدود,والصبر على المفقود.وقيل العبودية ثلاثة:منع النفس عن هواها,وزجرها عن مناها,والطاعة في أمر مولاها.وقيل نهاية العبودية الحرية,وانما غلطت تلك الفرقة التي توهمت أن العبد ما دام بينه وبين الله تعالى تعبد,فهو مسمى باسم العبودية,فإذا وصل الى الله فقد صار حراً,واذا صار حراً فقد سقطت عنه العبودية.وخفى على هذه الفرقة ان العبد لا يكون في الحقيقة عبداً حتى يكون قلبه حراً من جميع ما سوى الله عزوجل,فعندئذ يكون في الحقيقة عبداًلله.انظر المعجم الصوفي/ص 173

[427] (3)الشهود:هو رؤية الحق بالحق,وقيل الشهود ان يرى العبد حظوظ نفسه فلا يراها,وشهود المجمل في المفصل هو رؤية الأحدية في الكثرة,وشهود المفصل في المجمل هو رؤية الكثرة في الذات الأحدية.انظر المعجم الصوفي: ص137-138

[428] (1) الترقي, هو:انتقال السالك صعداً في سلم الأحوال والمقامات,وأول مقامات النفس هو مقام النفس الأمارة,فإذا تحقق الارتقاء فهو مقام النفس اللوامة,ثم مقام النفس الملهمة,فالنفس المطمئنة,فالنفس الراضية,فالمرضية,واخيراًمقام النفس الكلية,وهو غاية الوصول ومقام الصديقين والاولياء والصالحين,ودرجتهم درجة المقربين.انظر المعجم الصوفي/ص50

قال عبيد الله أحرار :
" أن السفر لا يورث المبتدئ إلا التفرقة فينبغي للطالب إذا وجد الشيخ أن يلازمه بصدق الهمة في الخدمة ولا يفارقه إلا بعد التمكن فإذا حصل له التمكن يكون سفره وحضره على نية صحيحة ".

قال أحمد الفاروقي السرهندي في شرح هذه الكلمة :
"أن السالك في هذه الطريقة ابتداؤه يكون عبارة عن السير[429] النفسي وفي ضمنه يقطع السير الآفاقي وهذا ما يفسر الخاصية التي تميزت بها هذه الطريقة عن بقية الطرق الصوفية وهو اندراج النهاية في البداية " [430]

رابعاً .. خلوة الباطن ..
وتسمى عندهم.. خلوه دار أنجُمن ..
معناه خلو الباطن من العلوم.

وتقسم الخلوة إلي نوعين هما : ...
الأول ..
خلوة في الظاهر وهي اختلاء السالك في بيت خال عن الناس وقعوده فيه ليحصل له الاطلاع في عالم الملكوت لأن الحواس الظاهرة متى احتبست عن أحكامها انطلقت الحواس الباطنة لمطالعة آيات الملكوت .
الثاني ..

429(2) السير نوعان :سير الى الله,وسير في الله,والاول متناه لانه عبارة عن العبور على ما سوى الله,فإذا كان ما سوى الله متناهياً فالعبور عليه متناه,والثاني غير متناه,لان نعوت جماله وجلاله غير متناهية,فلا يزال العبد يترقى من بعضها الى بعض,وذلك اولى مراتب حق اليقين,وهناك ايضاً ما يسمونه سير القلوب,وهو انتقالها من حال الى حال,ومن مقام الى مقام,وقالوا:نحن مسيرون,يريد من قال ذلك تسيير القلوب وانتقالها في الاحوال والمقامات.وقالوا:الزاهد سيار,والعارف طيار,يقصدون سرعة انتقال العارفين عن الزاهدين في المقامات والاحوال.انظر المعجم الصوفي/ص131

430(3) الحدائق الوردية ص 114 ، 115 ، وانظر رشحات عين الحياة ص 28، 29

خلوة الباطن وهو المراد من خلوة دار أنجُمن ومعناها الخلوة في جماعة الناس بمعنى
أن يكون قلب السالك حاضراً مع الحق غائباً عن الخلق مع كونه بينهم فحينئذ تكون هذه الكلمة بمعنى المراقبة .[(431)]

وقيل أيضاً هي كناية عن كون الذاكر مستغرقاً[(432)] في الذكر القلبي بحيث إذا دخل السوق لم يسمع أصوات الناس بسبب استيلاء الذكر على حقيقة القلب.
وقيل هي كناية عن استيلاء النسبة العلية بحيث لا ينافيها معية الخلق ولا يضرها المعاملة معهم وهذه هي الخلوة الحقيقية ..
وتعتبر هذه الخلوة[(433)] بهذا المعنى خاصة بأصحاب هذه الطريقة حيث يعبر عنها
محمد بهاء نقشبند :...
" الشهرة في الخلوة ، وفي الشهرة الآفة ، والخير في الجمعية [(434)]، والجمعية في الصحبة ، بشرط أن تكونوا فانين بينكم".

قال عبيد الله احرار: ...

"عن سبب اختيار هذه الطريقة للخلوة الباطنة أنها إتباع للسنة لأن النبي أختار الجمعية على الخلوة"
وقال:

---

[431](1) سيأتي التعريف بهذا المصطلح بشكل مفصل في المبحث الثالث من هذا الباب ومناقشته في الباب الثالث بإذن الله.

[432](2)الاستغراق: أن لا يتلفت قلب الذاكر الى الذكر في أثناء الذكر,ولا الى القلب,ويعبر العارفون عن هذه الحالة بالفناء.انظر المعجم الصوفي/ص21

[433](3) الخلوة ,هي:العزلة عند بعضهم,وغير العزلة عند البعض الآخر,فالخلوة من الاغيار,والعزلة من النفس وماتدعوا اليه ويشغل عن الله,فالخلوة كثيرة الوجود,والعزلة قليلة الوجود,ومن ثم فالعزلة اعلى من الخلوة,وقيل بل العزلة اعلى لانها من الاغيار,وقيل هي الخلوة عن جميع الاذكار الا عن ذكر الله,وقال بعضهم الخلوة والعزلة تعنيان الانفراد,وذلك شيء لا يقوى عليه الا الأقوياء,والاجتماع للصوفية أنفع,انظر المعجم الصوفي/ص92

[434](4) جمعية:اجتماع الهم في التوجه الى الله تعالى والاشتغال به عما سواه,وبإزائها التفرقة,وهي توزع الخاطر للاشتغال بالخلق.انظر المعجم الصوفي/ص68

"المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لم يخالط الناس"[435]

قال أبو سعيد الخراز:...

ليس الكامل من صدر عنه أنواع الكرامات وإنما الكامل الذي يقعد بين الخلق يبيع ويشتري معهم ويتزوج ويختلط بالناس ولا يغفل عن الله لحظة واحدة .

وهى أيضا ما يعبر عنه في موطن آخر بأنها الخلوة في الجلوه[436] فهم في الظاهر مع الخلق وفي الباطن مع الحق.[437]

ويعبر عنها بعض الصوفية بأن يكون الصوفي كأناً بائناً ، أي كائن مع الخلق يتعامل معهم بجوارحه بائن عنهم لأنه مع الله فلا ينشغل عن الله بتعامله مع الخلق .

خامساً .. ذكر القلب بالنفي والإثبات

ويسمى عندهم .. يادكرد..

والمراد بها عندهم .. الذكر بمعنى:

أنه ينبغي للسالك أن يذكر بالنفي والإثبات باللسان بعد وصولة إلى مرتبة المراقبة كل يوم بعدد معين لأن القلب بتعلقه بالعناصر يصدأ بصدأ العناصر فإذا ذكر بالنفي والإثبات

435(1) مسند أحمد (2/43)، مسند ابن أبي شيبة (5/293) سنن البيهقي (10/89) ، السلسة الصحيحة لمحمد ناصر الألباني (2/614) ، مكتبة المعارف الرياض ، بدون رقم وتاريخ ، بلفظ "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من الذي لا يخالط الناس و لا يصبر على أذاهم "

436(2) الجلوة : أصل الجلوة الكشف الظاهر يقال : أجليت القوم عن منازلهم فجلو عنها.

الجلوه: كما ذكرها ابن عربي تعني خروج العبد من الخلوة بالنعوت الألهيه.

ويفسرها الجرجاني فيقول : الجلوه خروج العبد من الخلوة بالنعوت الألهيه ، إذ عين العبد وأعضاؤه ممحوه عن الأنانية ، والأعضاء مضافة إلى الحق بلا عبد .. انظر المعجم الصوفي,أول دراسة علمية في الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي/ د . محمود عبد الرازق ص 1142 ،–دار عسيري-الطبعة الاولى-1425هـ-2004م وهذا المعنى على ما يبدو يخالف ما قصده النقشبنديه .

437(3) الحدائق الوردية ص 116 ، وانظر رشحات عين الحياة ص29

باللسان ينجلي صدأه ويترقى في المراقبة حتى يصل إلى مرتبة المشاهدة .[438]
وقيل المقصود منها ذكر النفي والإثبات بالقلب على الطريقة النقشبندية وهى :
أن يغمض الذاكر عينيه ويطبق الفم ويجعل السن على السن ويلصق اللسان بعرش الفم ويحبس النفس ويذكر بالقلب لا باللسان بأن يبتدئ بكلمة (لا) من تحت السره ويرفعها إلى الدماغ وبكلمة (إله) من الدماغ إلى الكتف ويضرب (إلا الله) مع حركة الرأس على القلب الصنوبري الشكل حتى تتصل حرارته إلى الأعضاء كلها وينفى بالنفي ، وجود جميع المحدثات وينظرها بنظر الفناء ويثبت بشق الإثبات ذات الحق تعالى ناظراً إليه

[438] (1)المشاهده,هي: المحاضرة والمداناة,وقيل هي رؤية الحق ببصر القلب من غير شبهة,كأنه رآه بالعين,قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"اعبد الله كأنك تراه"والمشاهدة حال تقتضي اليقين.واهل المشاهدة على ثلاثة احوال:فالاول منهم الأصاغر,وهم المريدون,يشاهدونالاشياء بعين العبر,ويشاهدونها بعين الفكر,والثاني الاواسط,وهؤلاء قال فيهم الخراز:الخلق في قبضة الحق وفي ملكه,فإذا وقعت المشاهدة فيما بين الله وبين العبد,لا يبقى في سره ولا في همه غير الله تعالى,والثالث ما اشار اليه عمرو بن عثمان المكي:ان قلوب العرفين شاهدت الله مشاهدة تثبيت,فشاهدوه بكل شيء,وشاهدوا كل الكائنات به,فكانت مشاهدتهم له,ولهم,به,فكانوا غائبين حاضرين,وحاضرين غائبين,على انفراد الحق في الغيبة والحضور,فشاهدوه ظاهرا وباطنا,وباطنا وظاهرا,وآخرا واولا,واولا وآخرا,كما قال عزوجل:"هو الاول,والأخر,والظاهر,والباطن,وهو بكل شيء عليم"(الحديد:3)انظر المعجم الصوفي/ص232

بنظر البقاء[439]، ويلاحظ الخط الحاصل من الانتقالات ويقول بعد ذلك في القلب :

" محمد رسول الله" ويكررها على قدر قوة النفس ويطلقه من الفم على الوتر المعروف عندهم بالوقوف العددي ، ويجب أن يكون هذا الذكر بغير تصور المعنى حتى يقدرالسالك أن يأتي بإحدى أو ثلاث وعشرين مره في نفس واحد فحينئذ يتصور المعنى وهو أن لا مقصود غير الله فإن نفى المقصودية أبلغ من نفى المعبودية لأن لكل معبود مقصود ولا عكس .

سادساً .. الرجوع

ويسمى عندهم ... يازكشت .

وهو يعني :

أنه ينبغي للذاكر أن يرجع في النفي والإثبات بعد إطلاقه للنفس إلى المناجاة فهو من متممات الذكر عن طريق تخيل جملة (إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي) وقيل يذكرها بلسان القلب .

ثم أنهم يرون أن تخيلها يؤكد معنى النفي والإثبات ويورث في قلب الذاكر سر التوحيد حتى يفنى عن نظره وجود جميع الخلق ويظهر له وجود الواحد المطلق في الظاهر ، فإن لم يجد السالك إخلاصا في الباطن ينبغي أن يداوم على ذكر هذه الكلمات مع الذكر حتى يظهر الصدق في باطنه .

وقيل أنها كناية عن رجوع الذاكر إلى الله - تعالى - عند الذكر بإظهار العجز و التقصير فيه لأنه لا يقدر أحد على

[439](2) البقاء هو: رؤية العبد قيام الله على كل شيء.وقيل بقاء رؤية العبد بقيام الله له في قيامه لله بالله.وقيل هو أن يفنى عما له ويبقى بما لله،وهو مقام النبيين.والباقي هو العبد تصير الأشياء كلها له شيئاً واحداً،وتكون حركاته في موافقات الحق دون مخالفاته،فيكون فانياً عن المخالفات وباقياً في الموافقات. وليس معنى ذلك أن يستوي المنهي عنه مع المأمور به،ولكن معناه ألا يجري عليه إلا ما أمره الله به وما يرضاه الله دون مايكرهه،ويفعل ما لله،لا لحظ له فيه في عاجل أو في آجل.وهذا معنى قولهم"يكون فانياً عن أوصافه،باقياً بأوصاف الحق"،لأن الله تعالى إنما يفعل الأشياء لغيره لا له،لينفع الأغيار أو يضرهم،فالباقي بالحق الفاني عن نفسه،يفعل الأشياء أيضاً لا لجر منفعة لنفسه،ولا لدفع مضرة عنها،وإنما هو يرغب في ثواب الله.انظر المعجم الصوفي/ص44-45

حق الذكر إلا بإعانته - تعالى - وذلك ليحصل له الوصول بالذكر إلي المذكور .

وقالوا أيضاً أن هذه الكلمة تنفي كل خاطر[440] حاصل في القلب من الخير والشر حتى يبقي ذكره خالصاً ويكون سره عن نقش السوى فارغاً.[441]

سابعاً .. حفظ القلب

ويسمى عندهم ... نكاه داشت ..

ومعناه الحراسة والحفظ ،والمراد به: أن يحفظ السالك قلبه على ملاحظة معنى النفي والإثبات عند الذكر لئلا تدخله الخواطر ، فإن دخلت فيه الخواطر لا تحصل فيه نتيجة الذكر .

قال عبيد الله أحرار :

"ليس معنى حفظ الخاطر أنه لا يجئ للسالك خاطر أصلاً بل أنه لا يزاحم الخاطر حضوره كالحشيش إذا سقط على الماء الجاري فأنه لا يمنع جريانه ".

والخواطر يقسمها النقشبنديه إلى أربعة أقسام :

---

[440](1) خاطر:يقال إن الخاطر الصحيح أول الخاطر،أي أول ما يخطر.ومعنى الخاطر أيضاً ما لا يكون للعبد نسبة في ظهوره في الأسرار.والخاطر أيضاً قهر يستوعب الأسرار.وقيل الخاطر ما يرد على القلب والضمير من الخطاب،ربانياً كان أو ملكياً أو نفسياً أو شيطانياً من غير إقامة،وقد يكون كل وارد لا تعمل لك فيه.انظر المعجم الصوفي ص 86.

[441](2)الحديقة الوردية ص 116 ، 117 ، وانظر رشحات عين الحياة ص30

(خاطر نفساني ، وخاطر شيطاني[442] ، وخاطر ملكي ، وخاطر حقاني)
ويرى النقشبنديه أنه يتعين على السالك أن ينفي الثلاثة ويثبت الحقاني .

ثامناً .. حضور القلب مع الله
يسمى عندهم ... ياد داشت ..

والمراد أنه ينبغي للذاكر أن يحفظ قلبه بالحضور[443] ، مع الحق سبحانه على وجه الذوق[444]عند ذكر النفي والإثبات بحبس النفس .
وقيل هي كنايه عن حضور القلب مع الله تعالى على الدوام في كل حال فحينئذ تتحد مع المراقبة ، والحضور الحاصل هو مشاهدة أنوار الذات الأحديه.[445]

---

[442](1) الخواطر:ما يرد على القلب من الخطاب او الوارد الذي لا تعمد للعبد فيه وما كان خطاباً فهو على اربعة اقسام:ربان وهو اول الخواطر ويسميه السهل السبب الاول,ونفي الخاطر فلا يخطي ابداص ويعرف بالقوة والتسليط وعدم الاندفاع بالدفع,وملكي وهو الباعث على مندوب او مفروض في الجملة كل ما فيه صلاح يسمى إلهاماً,ونفساني وهو ما فيه خط النفس ويسمى هاجساً,وشيطاني وهو ما يدعو مخالفة الحق.قال تعالى:"الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء". وقال النبي صلى الله عليه وسلم الشيطان تكذيب بالحق وإبعاد بالشر ويسمى وسواساً ويؤذن بميزان الشرع فما فيه قربة فهو من الاولين ومافيه كراهية او مخالفة شرع فهو من الآخرين والصارف الصافي القلب الحاضر مع الحق سهل عليه الفراق بينها بتيسر الله وتوفيقه.انظرمعجم الكلمات الصوفية.لأحمد النقشبندي الخالدي/ص30

[443](2) الحضور: حضور القلب لما غاب عن عيانه بصفاء اليقين,فهو كالحاضر عنده وإن كان غائباً عنه.يقول النووي:إذا تغيبت بدا,ون بدا غيبني.انظر المعجم الصوفي للحفني/ص77

[444](3)الذوق, هو:نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب اوليائه,يفرقون به بين الحق والباطن من غير ان ينقلوا ذلك من كتاب او غيره.وهو كالشراب,لكن الشراب لا يستخدم الا في الراحات,والذوق يلائم الراحات والمتاعب.واول التجليات الذوق,ثم الشرب,فإذا بلغ النهاية يسمى رياً.انظر المعجم الصوفي للحفني/ص100

[445](4) الذات الأحدية:هي التي تتجلى فيها ولا يحتجب بأحدية وجه الحق عن شهود الكثرة الخلقية ولا يزاحم في شهوده أحدية الذات المتجلية في المحال كثرتها,وإلى المراتب الثلاث أشار الشيخ محي الدين قدس سره:'ان كنت ذا عقل ففي الخلق عين الحق,وإن كنت ذا عين ففي الحق عين الخلق,وإن كنت ذا عقل وعين فما ترى سوى عين شيء واحد فيه بالشكل.انظر معجم الكلمات الصوفية,ص35.

وهي عبارة عن التوجه الصرف المجرد عن الألفاظ والتخيلات إلى حقيقة واجب الوجود(446)
وهذا يكون بعد الفناء التام.

تاسعًا .. وقوف زماني ..

يعني اطلاع السالك على زمانه المستمر علية ، وعلمه بكيفية حاله عند مضيه من حيث الحضور المستوجب للشكر و الغفلة الموجبة للمعذرة .

فعلى السالك أن يعلم أن علم العليم الخبير محيط به ، فكل عمل يعمله لابد وأن يعلم أن الله شهيد عليه وكل شأن يكون عليه من تحرك وسكون لابد أن يكون على يقين من أن الله مطلع عليه فإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

وبناء علية يجب على السالك أن يحاسب نفسه على أعماله وأحواله كل يوم وليلة وينظر كيف مرت علية ساعاتها بل لحظاتها أن خيرا شكر الله عليه وأن شراً لابد وأن تدركه الندامة والإنابة .فرعاية هذين الحالين هو عبارة عن الوقوف الزماني .

وبعبارة أوضح يفسر محمد بهاء الدين نقشبند ، الوقوف الزماني بأنه : عبارة عن أن تكون واقفاً على أحوال نفسك فإن كانت موافقة للشريعة مرضية لله فاشكره وإلا فاستغفره .

فالوقوف الزمانى هو محاسبة الأحوال.(447)

عاشراً .. الوقوف العددي..

وذلك يعنى شعور الذاكر عند ذكره بعدد الذكر وهو عبارة عن الذكر الخفي القلبي مع رعاية العدد، وذلك لحفظ الخاطر وحبسه عن التفرقة .

---

[446](1) الحديقه الوردية ص 117 ، 118 ، وانظر رشحات عين الحياة ص 30، 31

[447](2) الحدائق الوردية ص112 وانظر رشحات عين الحياة ص 31

ويذهب كثير من هذه الطائفة إلى أن كثرة العدد ليست شرطاً في الذكر وإنما العمدة فيه حضور القلب مع المذكور ليترتب عليه فائدة الذكر وأثره وهو :

انتفاء الوجود عند النفي وظهور آثار الجذبات الإلهية عند الإثبات وهذا عندهم أول مراتب العلم اللدني.[448]

يقول بهاء الدين نقشبند ..

"الوقوف العددي للمبتدئ أول درجة من درجات العلم اللدني وللواصل ، هو أن يقف على سريان الواحد الحقيقي في الأشياء وقوفه على سريان الواحد العددي في جميع الأعداد الحسابية ".[449]

الحادي عشر.. الوقوف القلبي..

وهو الوقوف المنسوب إلى القلب، وهذا محمول على معنيين إما وقوف قلب الذاكر على المذكور عند ذكره أى إطلاعه عليه بحيث لا يغيب عن مراقبته بل مشاهدته بكل حال قال عبيد الله أحرار:" الوقوف القلبي كناية عن الحضور مع الحق تعالى على وجه لا يكون معه التفات إلى غيره وهو شرط لازم في الذكر ويسمى .. بالحضور ، والشهود ، والوصول ، والوجود".

وأما وقوف الذاكر أثناء الذكر على قلبه وهو قطرة دم وسط قطعة لحم صنوبري الشكل محاذية للثدي الأيسر وتسمى قلباً لكونها محل القوة المتقلبة باختلاف الأفكار والتدبيرات .

و الوقوف عليه هو: الاطلاع على حالة و إشغاله بالذكر وملاحظة مفهومه وأن لا يخلي عليه سبيلاً للغفلة .

قال بهاء الدين نقشبند :

"الوقوف القلبي بالمعنيين شرط مهم أكثرمن الوقوف العددي".[450]

المبحث الثاني: آداب الطريقة وشروطها..

---

[448](1) العلم اللدنى : يفسره صاحب رشحات عين الحياة بأنة علم يحصل لأهل التقريب بتعليم إلهى وتفهيم رباني لا بدلائل عقلية وشواهد نقليه كما ورد في التنزيل بحق الخضر علية السلام " وعلمناه من لدنا علما " وطريقة الإلهام

[449](2) الحدائق الوردية ص112، 113 ،133 ,وانظر رشحات عين الحياة ص 32

أولاً :

لهذه الطريقة ثلاثة آداب حددها مؤسس الطريقة محمد بهاء نقشبند وهي:

1- أدب مع الله - سبحانه وتعالى - وهو أن يكون المريد في الظاهر والباطن مستكملاً للعبودية بامتثال الأوامر واجتناب النواهي معرضاً عن سواه بالكلية .

2-أدب مع رسول الله وهو أن يستغرق في مقام فاتبعوني يراعي ذلك في جميع الأحوال وجوباً، و يعلم أنه واسطة بين الحق والخلق ، و أن كل شيء تحت تصرف أمره العالي.[451]

3- أدب مع المشايخ .. وهو لازم للطالبين لأنهم سبب في متابعته وصلوا إلى مقام الدعوة إلى الحق فينبغي للمريد حضوراً أو غيبه أن يكون مراعيا لأحوالهم مقتديا بهم متمسكا بأذيالهم.[452]

ثانياً: شروط الطريقة ..

أربعة شروط:

الأول . .

تصحيح الاعتقاد .. وهو اعتقاد ما عليه أهل السنة والجماعة وقد أرادو بأهل السنة والجماعة :

" الاشاعرة والماتريدية " .

الثاني . .

450(3) الحدائق الوردية ص112، 113، 133 وانظر رشحات عين الحياة ص 32

451(1) إشاره إلى الحقيقة المحمديه التي سيتم الحديث عنها في المبحث الثاني من الفصل الثاني من الباب الثالث.

452(2) الحدائق الوردية ص 133 ، وانظر نور الهدايه والعرفان في سر الرابطة والتوجه وختم الخواجكان لمحمد أسعد صاحب ذاة ص44وبهامشه الفيوضات الخالدية_لنفس المؤلف_ط1 _المطبعة العلمية1311ه_نسخة مصورة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ,ومن هنا يبدأ تدريب السالك على الذل والمسكنة وهذه هي بداية قواعد السلوك عندهم.

التوبة النصوح .. وهي هجر المعاصي كلها ظاهرها وباطنها ، كبائرها وصغائرها ، والعزم المصمم على عدم العودة إليها ، والندم الصادق على ما اقترف منها ، والتضرع إلى الله – تعالى - في العفو عنها .

الثالث . .

العمل بالسنة النبوية والتمسك بالأحكام الشرعية كلها والتأدب بآداب الدين وذلك باتباع مذهب احد الأئمة والأخذ بالأحوط والعمل بالمعتمد في ذلك المذهب .

الرابع . .

اجتناب البدعة الدينية أي التباعد عن الأقوال و الأفعال والمعتقدات التي أحدثتها الفرق الضالة.(453)

المبحث الثالث
أركان الطريقة

453 (1) السعادة الابدية فيما جاء به النقشبنديه ص 8 ، 9

الركن الأول : الشيخ والمريد, وفيه

- مكانة الشيخ عندهم.
- كيفية أخذ العهد وتلقين الذكر.
- وجوب ملازمة المريد للذكر الذي يأمره به شيخه.
- أهم آداب صحبة المريد للشيخ.

الركن الثاني : الرابطة : وفيها

- الغرض منها.
- دليلهم عليها.
- النوع الثاني من الرابطة وهي رابطة القبر.

الركن الثالث: الذكر

الطريقة الأولى : الذكر حال الانفراد – ذكر قلبي وهو على نوعين

- النوع الأول – ذكر اسم الذات ,آدابه.
- النوع الثاني – ذكر النفي والإثبات,كيفيته.

الطريقة الثانية : الذكر حال الاجتماع.

- ختم الخواجكان
  - أركانه
  - وصفة
  - آدابه
  - وقته
- صيغة ختم الإمام "محمد بهاء الدين"
- صيغة ختم "أحمد الفاروقي"
- ورد محمد بهاء نقشبند
- شروطه

الركن الرابع : المراقبة

- معناها في اللغة.
- معناها في الاصطلاح.
- المراقبة عند النقشبندية.
- مراتب المراقبات عند النقشبندية.

المبحث الثالث : أركان الطريقة

إن للطريقة النقشبندية أركاناً بنيت عليها وهي كما وصفوها بأنها طرق الوصول إلى الله . وسأعرض فيما يلي هذه الأركان كما هي في كتبهم .

الركن الأول : الشيخ والمريد

للشيخ مكانة كبيرة قي الفكر الصوفي عامة وعند النقشبندية بصفة خاصة فهو ركن من أركان الطريقة ويعد أعلاها وأقواها ،لأنهم يرون أن التطهر من النجاسات المعنوية وأدناس الطوّية ، و الحضور والخشوع في الصلاة وسائر العبادات ، والعبادة بمقام الإحسان ، لا يتيسر في الغالب الأكثر إلا بالسلوك على يد شيخ عالم كامل خبير بعلاج هذه الأمراض و معاملتها علماً وذوقاً وتجربة .

فهم يستدلون بقول للشعراني في كتابه مشارق الأنوار القدسية في العهود المحمدية :

" قد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخاً يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه حضرة الله - تعالى - بقلبه لتصح صلواته من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ولاشك أن علاج أمراض الباطن من حب الدنيا والكبر والعجب والرياء والحقد والحسد والغل والنفاق كله واجب كما تشهد له الأحاديث الواردة في تحريم هذه الأمور و التوعد بالعقاب عليها "[454]

فلابد من شيخ كامل بصير بالطريقة يستمد منه ويعتقد النقشبندية أن الاستمداد منه استمداد من النبي لأنه نائبه عندهم.[455]

وعليه فإنهم يرون أن كل من لم يتخذ له شيخ يرشده إلى الخروج من هذه الصفات فهو عاصي لله - تعالى - ولرسوله لأنه لا يهتدي لطريقة العلاج بغير شيخ ولو حفظ ألف كتاب من العلم ولو عبد الله - تعالى - بعبادة الثقلين.[456]

لذا قالوا من لا شيخ له فشيخه الشيطان ومتى كان شيخه الشيطان كان في الكفر حتى يتخذ له شيخاً متخلقاً بأخلاق الرحمن .[457]

فإذا وجد المريد هذا الشيخ فلابد من رابط يربط بينهما وهو العهد .

والعهد،معناه: الأخذ،والمصافحة،والمبايعة ،وهذه المبايعة في رأيهم مبايعة في الوقت نفسه لرسول الله ، فكل بيعة حصلت بعد بيعة الرسول هي في الواقع تجديد لبيعته .[458]

كيفية أخذ العهد وتلقين الذكر عند النقشبنديه :

---

[454](1) الحديقة الندية ص 31

[455](2) نور الهداية والعرفان ص43.

[456](3) الحديقة الندية ص 31، 36

[457](1) نور الهدايه والعرفان ص 41

[458](2) بغية الواجد : للشيخ محمد أسعد صاحب زادة ص 30 ، 31 وانظر الطرق الصوفية في مصر : د / عامر النجار ص 38 ,دار المعارف,الطبعة السادسه,بدون رقم وتاريخ.

إن أخذ العهد على المريد ، وتلقين الذكر ، إنما يكون بعد الاستخارة من الشيخ والمريد معاً ، أومن أحدهما فقط ، فتكون الموافقة في القبول أو الصحة من أحدهما دليلاً على الإذن من الحضرة الإلهية

ثم يجلس الشيخ ومريده بعد التطهر الكامل من الحدثين مطلقاً ويلصق ركبتيه بركبتيه كما فعل جبريل- عليه السلام – مع النبي ثم يأخذ بيده اليمنى يد المريد اليمنى و يستتيبه عن جميع المنهيات والذنوب،والمعاصي،والقبائح ويكتفي فيها بالإجمال من غير تفصيل ، ويأمره في الوقت نفسه بالاستحلال من أصحاب الحقوق ورد المظالم إلى أهلها ثم يأخذ عليه العهد على التمسك بمتابعة السنة وترك البدعة و العمل بالعزيمة و ترك الرخص ودوام ذكر الله تعالى مع الإعراض عن جميع القبائح من المنكرات ، والصفات المذمومات ، فيقول له : " عاهدتك على إتباع السنة واجتناب البدعة ، ودوام ذكر الله"، فيجيب المريد بقوله :" قبلت"

ثم يستغفر الشيخ والمريد بهذه الصيغة : " أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ، بديع السموات و الأرض وما بينهما من جميع جرمي وظلمي وما جنيت على نفسي ، وأتوب إليه "خمساً وعشرين مره.

ثم يقرأ الشيخ والمريد قوله تعالى [illegible] [الأعـــراف:143] وقوله تعـــالى [illegible] [الأنبياء : 87]

ثم يغمض المريد عينيه ، و الشيخ يذكر بالنفي والإثبات " لا إله إلا الله " ثلاثا كما فعل النبي مع الأمام علي - - .

إشارة إلى ما رواه السيوطي من طرق متعددة حسن أحاديثها كما ذكر صاحب البهجة السنية عن علي - - قال : سألت رسول الله فقلت يا رسول الله : دلني على أقرب الطرق لله - عز وجل- وأسهلها على العباد وأفضلها عند الله - تعالى -، فقال رسول الله : يا علي عليك

بمداومة ذكر الله سراً وجهراً ، فقال علي - رضي الله تعالى عنه -كل الناس ذاكرون وإنما أريد أن تخصني بشيء ، فقال رسول الله ﷺ : " مه يا علي ، أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله ولو أن السموات السبع والأرضين السبع وضعن في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت لا إله إلا الله" ثم قال رسول الله ﷺ : " يا علي لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله " فقال - رضي الله عنه -كيف أذكر يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : " غمض عينيك واسمع مني لا إله إلا الله ثلاث مرات ، ثم قل أنت لا إله إلا الله ثلاث مرات".[459] [460]

ثم يقرأ الشيخ قوله تعالى [illegible] [الفتح : 10] للتـــبرك ، وللإشـــارة إلى أنه كأنما يبايع الرسول ﷺ.

ثم يضع الشيخ والمريد أيديهما على ركبتيهما ، ويغمضان أعينهما ، ثم يذكر الشيخ بقلبه اسم الذات " الله " على نية التلقين والتعليم لقلب المريد ثلاثا بالمد والحضور كأنه يشاهد الملك المعبود .

ثم يقرأ الفاتحة مرة والإخلاص ثلاثة مرات ويهدي مثل ثوابها إلى صحيفة النبي ﷺ وإلى صحيفة مؤسس الطريقة و إلى أرواح السلسلة النقشبندية ، والرابطة لشيخه ، بشرط أن يعتقد أنه خليفة رسول الله ﷺ في الفيض ، والإمداد ، وأنه نائب عنه في تربية الخلق و الإرشاد،ويأمر المريد بتغميض العينين والنظر إلى القلب بالخيال ثم يلقن ما يناسب استعداده من الأذكار.

ثم يدعو الشيخ ، ويؤمن المريد برفع اليدين ، ثم يمسحان وجهيهما وبعده يقبل المريد يد شيخه أو ركبته ، ويقوم من محله ، ويستأذن الشيخ ويذهب ، ويشتغل بما

459(1) البهجة السنية/ ص63 .

460(2) عجائب الآثار لعبد الرحمن الجبرتي(1/348)دار الجيل بيروت

أمره به الشيخ ، ويحفظ نسبة الشيخ في كل حال ووقت ، ويوفي العهد ، والميثاق ، ولا ينقضه إلى أن يموت .[461]

ويرى النقشبندية أنه على المريد ملازمة الذكر الذي يأمره به شيخه بلا زيادة من عنده ولا نقصان لا في وضعة ولا كيفيته ولا آدابه[462] وعلتهم في ذلك أن المريد مريضُ والشيخ طبيبه ولأن فراسة الشيخ اقتضت تخصيصه بذلك وهي من نورالله[463]

ويعتبر النقشبندية شيخ الصحبة هو الشيخ الحقيقي الموصل إلى الله - تعالى- بحاله لا بواسطة شيئا آخركالخرقة[464] أو الذكر فإن شيخ الخرقة يسري حاله في الخرقة ثم يصل إلى المريد وكذلك شيخ الذكر ، فهما شيخان مجازاً وهو شيخ حقيقة لعدم الواسطة بين قلبه وقلب المريد فهو بابه إلى الله - تعالى- ووسيلته إليه .

فعلى المريد أن يكون مع شيخه كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء[465] وعلى هذا وضعت آداب صحبة المريد مع الشيخ .

أهم آداب صحبة المريد للشيخ :

أولاً ..

أن يقصر اعتقاده على شيخه جازماً بأنه لا يحصل مطلوبه إلا على يد هذا الشيخ فإذا تشتت نظره إلى شيخ أخر حرم نفع الأول وانسد عليه باب الإمداد الإلهي .

ثانياً ..

461(1) البهجة السنية في آداب الطريقة العلية ص 60 -63

462(2) ولعل هذا الإلزام للمريد بالأذكار التي يلقنها له شيخه ما يشير إلى علم الجَفْر وعلاقة الصوفية به, الذي سيتم بيانه في الباب الثالث في المأخذ على الطريقة عند مناقشة أوراد وأذكار الطريقة

463(3) السعادة الأبدية ص28

464(4) الخرقة: لبس الخرقة ارتباط بين الشيخ والمريد,وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه,وفيها معنى للمبايعة,وهي عتبة الدخول في الصحبة,وبالصحبة يرجى للمريد كل الخير,ويأخذ الشيخ على المريد عهد الوفاء بشرائط الخرقة,ويعرفه حقوقها,والخرقة خرقتان:خرقة الإرادة,وخرقة التبرك والاصل الذي يقصده المشايخ للمريدين خرقة الارادة,وخرقة التبرك تشبه بخرقة الارادة,فخرقة الارادة للمريد الحقيقي,وخرقة التبرك للمتشبه,ويسمونها لذلك خرقة التشبه ايضاً,ومن تشبه بقوم فهو منهم/انظر المعجم الصوفي للحنفي/ص89

465(1) الحديقة الندية ص 77

أن يكون راضياً بتصرف الشيخ في أموره منقاداً له مسلماً لأوامره مبادراً لامتثاله بلا إهمال ولا تأويل وبهذا فهو يسلب اختيار نفسه باختيار الشيخ في جميع الأمور كلية كانت أو جزئية عبادة أو عادة .

ثالثاً ..

أن يحب شيخه محبة صادقه أكثر من نفسه وماله وولده معتقداً انه لا يحصل له المقصود إلا بتوسط شيخه ، وأن يحب ما يحب ويكره ما يكره ويغض صوته في مجلسه ويكتم أسراره ويخدمه بنفسه و ماله ، والأدب في حضوره وغيبته ، لأن في سوء الأدب زوال البركة وتبدل النور بالظلمة والحجاب والبعد المعنوي .[466]

رابعاً ..

أن لا يكتم عنه شيئا من أحواله وخواطره[467] ولو كانت ذميمة وأطواره التي تحصل له أثناء السلوك ولا يعتمد في عدم إظهارها على كشف الشيخ لأن الكشف قد يتلون وقد يخطئ ، والخطاء الكشفي عند الأولياء بمنزلة الخطأ الاجتهادي إلا أنه لا يعمل به ولو صح لا يبنى عليه حكم ما لم يساعده الظاهر، وأن يكون فانياً في أقوال الشيخ و أفعاله وصفاته بل وفي ذاته فالفناء في الشيخ مقدمة الفناء[468] في الله- تعالى-.

خامساً..

---

[466](2) الحجب : عبارة عن انطباع الصور الكونية في القلب لانها مانعة من قبول التجلي الإلهي,والحجاب الذي يحتجب به الإنسان عن قرب الله قد يكون ظلمانياً بتأثير ظلمة الجسم,وكل المدركات الباطنة من النفس والعقل والقلب والسر والروح والخفى لها حجب تحجبها عن الله تعالى,فحجاب النفس الشهوات,وحجاب القلب الملاحظة في غير الحق/انظر المعجم الصوفي للحفني/ص74

[467](3)الخاطر:يقال ان الخاطر الصحيح أول الخاطر,أي اول مايخطر,ومعنى الخاطر ايضاً مالايكون للعبد نسبة في ظهوره في الاسرار,والخاطر ايضاًقهر يستوعب الاسرار,وقيل الخاطر مايرد على القلب والضميرمن الخطاب,ربانياً كان او ملكياً اونفسياً او شيطانياً من غير اقامة,وقد يكون كل وارد لا تعمل لك فيه/انظر المعجم الصوفي للحفني/ص86-87

[468](1) الفناء:سيتم بيان مقصودهم من الفناء عند مناقشة عقيدتهم في الله في الفصل الثاني من الباب الثالث.

العمل بما لقن من شيخه ذكراً وتوجهاً أو مراقبة وترك جميع الأوراد الغير مأثورة لأن فراسة الشيخ اقتضت تخصيصه بذلك وهي من نور الله – تعالى - .

سادساً ..

أن لا يرد كلام الشيخ ولا يعترض عليه و إن كان الحق مع المريد بل يعتقد أن خطأ الشيخ أقوى من صوابه لأن ملاقاة المريد للشيخ كملاقاة موسى للخضر ولا يشير للشيخ بشيء إن لم يسأله ، فلا بد وأن يكون منقاداً مستسلماً لأمر الشيخ ولمن يقدمه عليه من الخلفاء و المريدين وإن كان عملهم أقل من عمله الظاهري .

فهم يعتقدون كما يعتقد أصحاب بقية الطرق الصوفية أن المريد ببركة شيخه يقطع المقامات[(469)] ويرقى الدرجات.. يقول محمد بهاء نقشبند :" أقرب الطرق عندنا نفي الوجود و إن كان الصلاة والصيام طريقا إلى الوصول إلى حضرة الأحديه ، لكن لا يتم الوصول بها إلا بنفي الوجود فلذلك كان السالك يجد من المدد في الفاقات ما لا يجده في الصوم والصلاة لأنها تنفي وجود السالك وتضمحل معها أوصافه ويصير عبدا خالصا لمولاه وتحفه حينئذ ألطافه فاجعلها لك أيها السالك خلعة يوم أعيادك وألق الحبيب بها يوم الزيادة ولا تلتفت إلى سائر أورادك" [(470)]

ويضيف صاحب المنهج الموصل إلى الطريق الأبهج وجوب التسليم للشيخ بقوله " أن يسلم أعنة نفسه أليه ويفوض أزمة أمره إلى يديه فلا يبقى له بعد ذلك إرادة بل يكون جل مراده ما أمره الشيخ وما أراده حتى يصير كالميت بين يدي الغاسل أو كريشة في فلاة بين الرياح السائقة للسحاب الثقال" [(471)]

سابعاً..

469(2) سبق التعريف بها

470(3) الحديقة الندية ص 37

471(1) المنهج الموصل الى الطريق الأبهج في بان السلسلة الشريفة النقشبندية/ ص30 ,تأليف:محمد أفندي الرومي,مخطوطة سنة/1009هـ نسخة مصورة,وانظر البهجه السنية ص64

أن لا يعصي لشيخه أمراً ، حتى وإن كان مخالفاً لأوامر الشرع.
قال محمد بهاء نقشبند للمولى نجم الدين دادرك:" أتمتثل كل ما أمرك به قال : نعم ، قال : فإن أمرتك بالسرقة تفعلها . قال: لا ، قال: ولم ، قال: لأن حقوق الله تكفرها التوبة وهذه من حقوق العباد فقال: إن لم تتمثل أمرنا فلا تصحبنا ، ففزع المولى نجم الدين فزعاً شديداً وضاقت عليه الأرض بما رحبت وأظهر التوبة والندم وعزم على أن لا يعصي له أمراً فرحمه الحاضرون وشفعوا له عنده وسألوه العفو عنه" [472]

أهم آداب المريد مع إخوانه:

وللمريد تربية خاصة لدى النقشبندية تتضح من خلال آدابه مع إخوانه وهي كثيرة أيضاً منها وهو أهمها أن ينظر إلى رفيقه الفقير بعين التوقير لا التحقير و لا يعامله إلا معاملة الصديق الرفيق أو الأخ الشقيق ولا يستكشف له عورة ولا يتتبع له عثرة فإنه معرض لوقوع مثل ذلك منه "كل فقير كشف له شيء من عيوب الناس فهو صاحب كشف شيطاني ".

ومنها أن لا يكون مقداماً لإخوانه قط في سوء الأدب مع الشيخ أو مع أحد من إخوانه وأن لا يذكر أخاه إلا بخير لاسيما أيام تغيظه منه ويستنبط له عذراً ويسبل على ذلته ستراً " المؤمن يطلب المعاذير و المنافق يطلب العثرات ".

ومنها التلطف بالنصيحة لأخيه إذا رأى منه مخالفة والحرص على إنقاذه منها لا أن يهجره فإن ذلك أنفع له من الهجر .

ومنها أن يبذل الهمة في مساعدة الفقراء وقضاء حوائجهم وحوائج الزاوية [473]إن كان في زاويتهم ويقدم ذلك على جميع نوافله لاسيما خدمة المرضى المنقطعين منهم .

472(2) الحدائق الوردية ص139

473(1) سبق التعريف بها .

ومنها أن ينفق على نفسه وعليهم ما فتحه الله عليه ولو قليلا ولا يأكل وحده إلا لعذر.

ومنها أن لا ينسى اخوانه من الدعاء لهم بالمغفرة لاسيما في القيام بالليل والسجود وأن ينبههم في الأوقات المباركة كالأسحار وليالي الأعياد والقدر والجمع ولا يرى نفسه عليهم.

ومنها أن يتخذ عنده ما تشتد الحاجة إليه من إبره وخيط وسكين ومقص وغيرهما لئلا يحتاج إلى عارية شيء منها فلا يعيروه فيتأذى منهم.[474]

الركن الثاني : الرابطة ..

يعتبر النقشبندية الرابطة أعظم أسباب الوصول إلى الله بعد التمسك التام بالكتاب والسنة وهي على نوعين :

1- حسية : وهي مصاحبة المشايخ الصادقين ومجالستهم ، ويرى النقشبندية أن المداومة على هذا النوع من أنواع الرابطة يكون له أثر كبير في تنوير الباطن بنور الله والتخلق بأخلاقهم.

2- معنوية : وهي أن يستحضر المريد صورة شيخه الكامل المشهود له بالوصول إلى مقام الفناء والبقاء الأتمين المتصرف بقوة الولاية مستمداً من روحانيته وأنواره،وذلك بحفظ صورته في الخيال ، عند غيبته أو بعد وفاته[475]،

وعرفها بعضهم بأنها: استحضار روحانية أئمة رجال سلسلة الخواجكان بواسطة الأستاذ للاستفاضة من روحانيتهم.[476]

وصورتها أن يتصور المريد صورة شيخه الكامل بين عينيه ثم يتوجه إلى روحانيته في تلك الصورة ولا يزال متوجها إليها بكليته حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذبة[477] فبعد حصول أحد الأمرين يترك الرابطة ويشتغل بالأمر

---

[474](2) الحديقة الندية ص 21 ، 22

[475](3) نور الهدايه ص 43 ، الحدائق الورديه ص 295

[476](4) نور الهداية والعرفان ص 5

[477](1) الجذبة:هي جذب الله للعبد الى حضرته وتفريده بعناية منه,فيهيء له كل ما يحتاج اليه في طي المنازل شطر الحق,بلا كلفة ولا سعي منه.انظر المعجم الصوفي للحفني/ص65

الحاصل بالجذبة أو الغيبة(478) وكلما زال عنه ذلك الحال عاد إلى الرابطة حتى يرجع ذلك إليه وهكذا يداوم على الرابطة حتى يفنى عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ فعند ذلك يشاهد روحانية(479) الشيخ مع كمالاته في صورة نفسه لأن الكمالات لا تفارق الروحانية فتربيه روحانية الشيخ بعد ذلك إلى أن توصله إلى الله .

ولا يشترط النقشبندية الاجتماع في مكان واحد فهم يرون أن الرابطة تجمع الشيخ بالمريد ولو كان احدهما في المشرق والأخر في المغرب .

كما أنهم يرون أنه بالرابطة يستفيض(480) الأحياء من الأموات المتصرفين و الشيوخ من الشبان الواصلين .
(481)

فإذا أراد المريد أن يستمد من روحانية الصالحين الأموات فعليه أن يزور قبورهم وعند زيارته للقبر عليه أن يسلم على صاحبه أولا ثم يقف في طرفه اليمين قريبا من رجليه ويضع يده اليمنى على اليسرى فوق سرته ويطرق رأسه على صدره ثم يقرأ الفاتحة مرة والإخلاص إحدى عشر مرة وآية الكرسي مرة ويهب ثوابها إليه ثم يجلس عنده ويجرد نفسه من كل شئ تجريداً تاماً حتى يصير لوحاً صافياً ثم يتصور روحانيته نوراً مجرداً عن الكيفيات المحسوسة ويحفظ ذلك النور في قلبه حتى يحصل له فيض من فيوضاته أو حال(482) من أحواله.

و إذا أراد المريد أن يستمد من روحانية أحد من أهل الله بعيداً كان أو قريباً فإنه يتصور روحانيته كما تقدم ويستمد منها .

478(2)الغيبة هي: غيبة القلب عن علم مايجري من احوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد اليه,وقيل ان يغيب عن حظوظ نفسه فلا يراها,لانه غائب عنها بشهود ما للحق/انظر المعجم الصوفي للحفني/ص186

479(3) الروحانيون هم الصوفية.انظرالممعجم الصوفي للحفني/ص112

480(4)السعادة الابديه ص 22-23وسيتم مناقشة الاستفاضة من الاولياء والمقبورين

481(5) الواصل:هو الكامل المكمل الذي بلغ هذه المرتبة بمتابعة حضرة النبي ,وهو من تهيأت لقواه اللطيفة تزكية بالاضافة الى لطيفة الحق.انظر المعجم الصوفي للحفني/ص255

482(1) تم تعريف الحال في الفصل الثاني من هذا الباب

لأنهم يعتبرون أن روحانية الكاملين منبع الفيوضات فمن أدخل المنبع في قلبه نال فيضه.[483]

والغرض :

من ربط القلب بالشيخ هو الاستمداد على وصف التسليم والمحبة والتحكيم ويكون في اعتقاد السالك أن هذا المظهر هو الذي عينه الحق - سبحانه وتعالى - للإفاضة عليه فلا يحصل له الفيض إلا بواسطته دون غيره ، و أن عدم ربط القلب بالشيخ على وجه التسليم و الإذعان و المحبة الصادقة و الامتنان و الاعتراض يسد باب الفيض .

فهم يعتبرون أن قلب الشيخ بمثابة باب مفتوح إلى عالم الغيب ، وفي كل لحظة يصل إمداد فيض الحق -سبحانه- على قلب المريد بواسطة شيخه .

فإذا تصور الذاكر صورة شيخه في قلبه يفيض الإمداد من الحضرة الإلهية على قلب سيد المرسلين ، ومن قلب سيد المرسلين على قلوب المشايخ على الترتيب حتى ينتهي إلى قلب شيخه و من قلب شيخه إلى قلبه.[484]

ويذهب بعض كبار الطريقة إلى الاقتصار في السلوك[485] والتسليك عليها ، ومنهم من كان يأمر بغيرها مع تنصيصه على أنها أقرب الطرق. [486]

حتى أن بعضهم قالوا أن الانتفاع بالذكر مشروط بها ، بل أن الرابطة من غير التزام طريق الذكر موصله .

---

[483] (2)السعادة الأبدية ص 28

[484] (3) المنهج الموصل إلى الطريق الابهج ص 38 وانظر:الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية:ص346,تأليف:يوسف خطار محمد,مطبعة نضر-دمشق-الطبعة الرابعة,1423هـ-2004م

[485] (4) السلوك:هو تهذيب الاخلاق ليستعد العبد للوصول بتطهير نفسه عن الاخلاق الذميمة مثل حب الدنيا والجاه,ومثل الحقـد والحسد والكبروالبخل ونحوها من المعاصي,وبالنهج على الاخلاق الحميدة مثل العلم والحلم والحياء والرضاء والعدالة ونحوه.والسلوك يسمونه السعي لان السالك يسير في الطريق الله حتى يبلغ المقصود.انظر/المعجم الصوفي للحفني/ص127

[486] (5) الحدائق الوردية ص 295 ، وانظر نور الهدايه و العرفان ص 43

يقول محمد الفاروقي المجددي المشهور بالإمام معصوم [487]:

" مدار الوصول إلى درجة الكمال مربوط برابط المحبة للشيخ المقتدى به فإن الطالب الصادق من طريق محبة شيخه يأخذ من باطنه الفيوض والبركات و ينصبغ ساعة فساعة بلون الشيخ ، وبتلك المناسبة المعنوية قالوا الفناء في الشيخ مقدمة الفناء الحقيقي و الذكر المجرد عن الرابطة وعن الفناء في الشيخ ليس موصلا وأن كان الذكرمن أسباب الوصول ولكنه في الغالب مشروط برابطة المحبة للشيخ والفناء فيه "

ثم يقول : " أن هذه الرابطة وحدها مع رعاية آداب الصحبة و توجه الشيخ و التفاته من غير التزام طريق الذكر موصلة ".[488]

دليلهم عليها :

وقد استدلوا عليها بعدة أدله منها قوله تعالى [illegible] [التوبة : 119]

يقول عبيد الله المشهور بخواجة أحرار :

" أن الكينونة مع الصادقين المأمور بها في كلام رب العالمين الكون معهم صورة ومعنى ثم فسر الكينونة المعنوية بالرابطة "

وفي موضع آخر قال هذه المعية إما حسية و إما معنوية وهى أن يكون متوجها لروحانيتهم رابطاً قلبه بهم بحيث يكون مستحضراً لهم غيبة وحضورا فإنه إذا أحكم هذا

الرباط القلبي انعكست عليه جميع أسرارهم .[489]

كما أنهم يستدلون بقوله تعالى: [illegible] [المائدة : 35] ويفسرون الوسيلة بالرابطة بالشيخ الذي هو سبب الفيض والفتح الألهي[490]

---

[487] (1) تقدمت الترجمة له في الفصل الثاني من الباب الثاني

[488] (2)نور الهدايه والعرفان ص 46

[489] (3)الحدائق الوردية ص 161 ، 295

[490] (1) البهجه السنية ص71

ودليلهم من السنة [491] قوله ﷺ : " المرء مع من أحب[492] ".

وهناك رابطة أخرى عند أصحاب هذه الطريقة وهي : **رابطة القبر .**

وذلك بأن يتخيل السالك أنه ميت ، ووضع في القبر وانصرف عنه الأحباب ، وبقي وحيداً لا ينفعه إلا العمل الصالح,[493] فرابطة القبر، ورابطة المرشد أو الشيخ مقدمات للذكر عندهم .

الركن الثالث : الذكر ..

وله طريقتان عندهم ، الأول : الذكر حال الانفراد ، الثاني : الذكر حال الاجتماع.

الطريقة الأولى : الذكر حال الانفراد

يعتبر الذكر من أهم أركان الطريقة ، ومن أصوله أن يكون ذكر خفي ...

ومعنى الذكر الخفي : هو ذكر القلب بلا حركة لسان ولا إعانة نفس[494] . . ولهم أدلة عليه من الكتاب والسنة والتراث الصوفي .

1- من الكتاب

قوله تعالى﴿ ... ﴾ [الاعراف : الآيه 205] .

وقوله تعالى ﴿ ... ﴾ [الاعراف : الآيه 55]

2- أدلتهم من السنة

ما ورد في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال : " قال الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ

491(2) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب:ص563،تأليف:محمد أمين الكردي الإربلي،علق عليه:محمد رياض،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان-الطبعة الأولى -1416هـ/1995م

492(3) البخاري رقم (5702)،ومسلم رقم (4779)

493(4) الإجابة الربانيه لشرح ومنافع الورد النقشبندي,للشيخ الاكبر السيد محمد بهاء الدين نقشبند, ص30,لمحمد أمين الكردي الإربلي,ويليه الفتوحات السنية في التوسل بالسادة النقشبندية,مطبعة السعادة,بدون رقم وتاريخ.

494(5) انظر الحديقة النديه ص 79

ذكرته في ملأ خير منه"[(495)],وعن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالته: قال رسول الله : يفضل الذكر على الذكر بسبعين ضعفاً إذا كان يوم القيامة رجع الله الخلائق إلى حسابه وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا ، قال الله -تعالى-: انظروا هل بقي لعبدي من شيء ، فيقولون : ما تركنا شيئاً فما علمناه وحفظناه إلا وقد أحصيناه وكتبناه ، فيقول الله -تعالى-: إن لك عندي حسناً وأنا أجزيك به وهو الذكر الخفي، ومعنى قوله الذكر أي الخفي الذي لا تسمعه الحفظة وقوله على الذكر أي تسمعه الحفظة" وقوله "خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي ".[(496)]
3- استدلوا بما ورد في التراث الصوفي فقد قال الشبلي:[(497)]

ذكرتــك لا أني نسيتك لمـحـة
وأيسر ما في الذكر ذكر لسـاني
فلما أراني الوجد أنك حاضري
شهدتك موجوداً بكل مكـــان

فخاطبتك مــوجــوداً بغير تكلم

495(1) أخرجه البخاري (7405)،ومسلم (2675)

496(2) اخرجه الإمام أحمد في المسند(1/187,180,172) وابن حبان (3/91) والحديث ضعيف بهذا الإسناد فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبه وضعفه ابن معين والدار قطني، وابن حجر في التقريب (2/105) وقال كثير الإرسال، والهيثمي في مجمع الزوائد (10/81) وقال:" رواه أحمد وأبو يعلى وفيه محمد بن عبد الرحمن بن لبيبه وقد وثقه ابن حبان وقال: روى عن سعد بن ابي وقاص قلت: وضعفه ابن معين وبقية رجالهما رجال الصحيح" وقد حكم الألباني في الجامع الصغير عليه بالضعف ص 424.

497(3) الشبلي, هو: دلف بن جحدر: وقيل أبو جعفر الشبلي (نسبة إلى قرية شبلية وراء سمرقند) كنيته أبو بكر،كان حاجباً للموفق ثم عزل،فذهب إلى الجنيد فرافقه وتصوف على يديه بعد أن تفقه على مذهب مالك،قال الذهبي :كان له شطحات وتجاوزات لا تكون قدوة،وسبب انحرافه المبالغة في المجاهدات وحقيقته أنه كان مع الحلاج على مذهب واحد،إلا أنه أخفى والحلاج أظهر. توفي سنة (334هـ) انظر :سير أعلام النبلاء :15/367 وطبقات الأولياء ص204 وشذرات الذهب : 2/338

ولا حظت معلومــاً بغير عيــان

وبما قاله أبو علي الدقاق[498] :

ما إن ذكرتك الاهم يغلبني
قلبي وسري وزوجي عند ذكراكا
حتى كأن رقيباً منك يهتف بي
إياك ويحك والتـذكـار إيـاكا[499]

والذكر القلبي على نوعين:

الأول

ذكر اسم الذات وهو لفظ الجلالة (الله) أو (هو هو) وقد استدلوا على هذا الذكر بأدلة :

من كتاب الله قال تعالى :[illegible]] طـه : 14

وقوله تعالى : [illegible]]الأنعام : 91[

من السنة بقوله [illegible] : " لا تقوم الساعة : حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله"[500] رواه مسلم .

من التراث الصوفي ما قاله ابن عربي وليكن ذكرك الاسم الجامع الذي هو الله الله الله لا تتعدّ هذا الذكر وتحفظ أن يفوه به لسانك وليكن قلبك هو القائل ولتكن الأذن مصغية لهذا الذكر حتى ينبعث الناطق من سرك[501] و له سبع مقامات عندهم .

أولا: أن يذكر الله بالقلب دون اللسان حتى يتعمر الباطن باحتراق الخبائث فإن الذكر نار لا تبقى ولا تذر حتى يغلب على الذاكر حال الذكر وهي أن يرى الأشياء ذاكرة أو مكتوب عليها الذكر وهذا هو التوحيد الصرف وهو قطع مسافة الفرق[502] و الدخول في مقام

498(1) أبو علي الدقاق ,هو: ابو بكر نصر بن أحمد الدقاق،صوفي،مصري،كبير،من أقران الجنيد لم يذكر الشعراني تاريخ موته ولم أقف على ترجمته عند غيره انظر : الطبقات الكبرى للشعراني (1/76)

499(2) البهجة السنية ص58-59

500(3) سيأتي تخريجه في الباب الثالث

501(4) البهجة السنية/ص73

502(1)الفرق: هو الاحتجاب بالخلق عن الحق وبقاء الرسوم الخلقية لحالها,انظر معجم الكلمات الصوفية/ص63

الجمع[503] و منه إلى مقام جمع الجمع[504] ثم إلى السداجة المحضة ثم إلى مقام مفاتيح الغيب ، ثم إلى مقام[505] مفاتيح غيب الغيب ثم إلى مقام نزول الرب في الثلث الأخير ثم يطلع الفجر وتظهر شمس الكمال على سائر أعضائه كما كان لروحه وقلبه فحينئذ يكون الحق سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وما بعد هذا إلا العجز والحيرة.[506]

---

[503](2) مقام الجمع:هو شهود الحق /نفس المرجع السابق/ص25

[504](3) جمع الجمع:هو شهود الخلق قائماًبالحق ويسمى الفرق بعدالجمع/المرجع السابق/ص25

[505](4) المقام :المقامات مثل التوبة,والورع,والزهد,والفقر,والصبر,والرضا,والتوكل,وغير ذلك.والمقام في التصوف معناه:مقام العبد بين يدي الله عزوجل,بما يقوم به من مجاهدات ورياضات وعبادات,وشرطه الا يرتقى من مقام الى مقام اذا لم يستوفي احكام ذلك المقام,ففي مقام القناعة مثلاً,مالم يتحقق العبد بتا لتكون القناعة له ملكة,لم يصح له الارتقاء الى مقام التوكل,ومن لم يتحقق بعد بالتوكل لم يصح له مقام التسليم,وهكذا في كل المقامات.وليس معنى الاستيفاء انه تنعدم به اية بقايا من درجات المقام السافل حتى يمكن له الترقى الى المقام العالي,فإن اكثر بقايا السافل انما تستدرك في العالي,بل المراد انه يتملك على المقام باتثبيت فيه,بحيث يصدق عليه اسمه قانع او متوكل,ولذلك وسمي مقاماً لإقامة السالك فيه.انظر معجم الكلمات الصوفية ص237

[506](5) الحيرة هي:بديهة على قلوب العارفين عند تأملهم وحضورهم وتفكرهم،تحجبهم عن التأمل والفكرة،قال الواسطي:حيرة البديهة أجل من سكون التولي عند الحيرة.المعجم الصوفي:ص84 وهي بشكل أوضح: يعنون بها التردد بين أداء الطاعة ورؤيتهم صغارها وحقارتها إلى ما يجب من الشكر في حق الله،وهذا يصح على معنى أن العبد ينال فضل الله برحمته لا فيما يقابل يقابل طاعته،إذ الطاعة سبب في النعمة ولكن لا تزنها.والحيرة عند ابن عربي.ولعل هذا المعنى هو المقصود هنا-هي:حيرة النظر في وحدة الوجود،والحائر هو الذي يرى عين الحق متجلياً في صورة الممكنات،ويعلم أن الله قابل لكل معتقد كان،فمن باب الحيرة عنده ما ورد في قوله تعالى:[illegible]]الصافات:96[,وقوله [illegible]]الانفال:17 [,وكذلك قوله: [illegible]]الأنفال:17[,والقتل ماشوهد إلا من المخلوق،وهذا يعني أن الصوفي حيرته نبعت من اجتماع الأضداد فيرى الحق خلقاً ويرى الخلق حقاً،ويظل حائراً في وحدة الوجود،لا يدرك حقاً وحدة أو خلقاً وحدة،بل حقاً في خلق وخلقاً في حق فيحير،فالوصول إلى الحيرة في الحق هو عين الوصول إلى الله،والحيرة أعظم ما تكون لأهل التجلي لأختلاف الصور عليهم في العين الواحدة.(انظر في معنى الحيرة عند ابن

ويكون الذكر باللطائف[507]الخمسة وهي :(الروح ، السر ، والخفي ، والأخَفى ، والنّفْس).

فيذكر الله أو لا باللسان الروح الخيالي وهي لطيفه تحت الثدي الأيمن باصبعين مائلا إلى الصدر، وهي تحت قدم نوح[508] وإبراهيم عليهما السلام ونورها أحمر ، فالذكر في الروح ، و الوقوف في القلب .

ثم السر[509]وهي لطيفه في يسار الصدر وهي تحت قدم موسى - عليه السلام - ونورها أبيض ويكون الذكر فيها و الوقوف في القلب .

ثم الخفي[510] وهي لطيفه في يمينه وهي تحت قدم عيسى - عليه السلام - ونورها أسود.

ثم الأخفى وهي لطيفه في وسطه وهي تحت قدم نبينا محمد ونورها أخضر .

ثم النفس الناطقة وهي لطيفه في الدماغ ، فإذا رسخ الذكر في لطيفه النفس نقله إلى لطيفه الجسد وهي أن يذكر الله بجميع جسده مستحضرا الذات العلية في نظر قلبه "اعبد الله كأنك تراه " ولا يزال كذلك حتى يذكر الله جميع أجزائه وهناك يحصل له سلطان الذكر .

عـــربي الفتوحـــات المكيـــة:3/490-1/270)نقلاً عن المعجم الصـــوفي(2/612)

507(1) لطيفة:هي اشارة الى القلب عن دقائق الحال,وقيل اشارة تلوح في الفهم وتلمع في الذهن ولاتسعها العبارة لدقة معناها.قال ابو سعيد بن الاعرابي :الحق يريدك بلطيفة من لدنه تدرك ما يريد بك ادراكه.واللطيفة الانسانية:هي النفس الناطقة المسماة عندهم بالقلب,وهي في الحقيقة تنزل الروح الى رتبة قريبة من النفس مناسبة لها بوجه,ومناسبة للروح بوجه,ويسمى الوجه الاول الصدر,والثاني الفؤاد.المعجم الصوفي/ص213

508(2) القدم : والمراد بها السنة عندهم و الطريقة . انظر الإجابة الربانية لمحمد امين الكردي الاربلي ص 31,مطبعة السعادة,بدون بيانات اخرى

509(3) والسر,هو: يقول الله تعالى: [illegible]]طه: 7[, لطيفة مودعة في القلب كالوح في البدن,ونور روحاني هو الة النفس,والسر محل المشاهدة,كما ان الروح محل المحبة,والقلب محل المعرفة,والسر سران:سر للحق وهو ما اشرف عليه بلا واسطة,وسر للخلق وهو ما اشرف عليه الحق بواسطة.انظر المعجم الصوفي/ص123

510(4)الخفي:هي لطيفة ربانية مودعة في الروح بالقوة,فلا يحصل بالفعل الا بعد غلبات الواردات الربانية,ليكون واسطة بين الحضرة والروح في قبول تجلي صفات الربوبية وافاضة الفيض الالهي على الروح.انظر المعجم الصوفي/ص90

ويعبر النقشبنديه عن سلطان الذكر بأن يسمع الذاكر كل جزء من أجزائه بل وكل شيء من الموجودات يذكر الله تعالى.[511]

آدابه:

وله آداب بينها خالد النقشبندي وهي :

" أن يجلس الذاكر على ركبتيه متوركاً بعكس تورك الصلاة ، بأن يخرج قدم الرجل اليمنى من تحت ساق الرجل اليسرى ، ويعتمد على وركه الأيمن ، متوضأً ، مستقبلاً للقبلة ",ويقول بلسانه : " أستغفر الله أما خمساً أو خمسة عشر أو خمساً وعشرين ، ويغمض عينيه لاصقاً الأسنان بالأسنان والشفة بالشفة واللسان باللهاة " أعنى سقف الفم " موجهاً جميع حواسه إلى القلب مدققاً النظر الخيالي بالنفوذ إليه مطلق النفس على حاله ، ثم يخطر بقلبه أنه مذنب مقصر غير قابل لشئ خالي من الأعمال الصالحة ، بحيث ييأس من أعماله ، ويتكل على الله ويعول على فضله " .

ثم يلاحظ الموت ، وأحواله ، والقبر وأهواله ، وكان الموت قد دخل به الآن وان هذا آخر أنفاسه من الدنيا ، ثم يقرأ فاتحة الكتاب مرة والإخلاص ثلاث مرات بلسانه ويهدي مثل ثوابها إلى العارف بالله[512]الشيخ (بهاء الدين محمد نقشبند الأويسي البخاري) ويستمد بالقلب منه"

ثم يقرر صورة شيخه ومرشده بين حاجبيه يعني ناصية ، ويعمق النظر من ناصيته إلى ناصية الشيخ ويستمد في القلب منه ، وهذا التقرير والتصوير يسمى " رابطة " .

ثم يطرح الصورة بالخيال في وسط قلبه ، ويدعها ، ويجمع كل حواسه إلى القلب

---

[511](1) السعادة الأبدية ص 32

[512](2) العارف هو: من أشهده الرب عليه فظهرت الأحوال عن نفسه،المعرفة حاله وعلامة العارف ثلاثة:أن لا يطفئ نور معرفته,ولايعتقد باطنا من العلم ينقض عليه ظاهراً من الحكم,ولاتحمله كثرة نعم الله وكراماته عليه على هتك استار محارم الله تعالى ,واولى الدرجات التي يرقاها العارف هي التحير,ثم الافتقار,ثم الاتصال,ثم التحير.انظرالمعجم الصوفي/ص165

ويتصور بفراغ البال فيه معنى إسم الجلالة ، ومدلول كلمة " الله " ، وهو ذات بلا مثل الذي يفهم من الاسم الأقدس ، ويجعل قلبه مملوء بتذكر المعنى المدلول . وهذا الجعل يسمى : " وقوفاً قلبياً " ، ولابد من وجوده في جميع أوقات الذكر ، وفي خارجها ما يتيسر ، وهو الركن الأتم للذكر والمحطة لفائدته عندهم.

ثم مع الوقوف يقول بلسان القلب : (اللهم أنت مقصودي ، ورضاك مطلوبي) ثم يشرع في ذكر الله تعالى بالقلب ، ولكن مع الوقوف القلبي المذكور وتفريغ القلب
من الخطرات[513] مهما أمكن ، وبين كل مائة أو أقل يكرر قوله : (اللهم أنت مقصودي ، ورضاك مطلوبي) .

وإذا حصلت للذاكر غيبة وذهول عن الدنيا ، وتعطلت حواسه ، ولو مع بقاءً قليل شعور بنفسه فيترك الذكر ويبقى تابعاً لتلك الكيفية ، مستغرقاً في الوقوف القلبي منتظراً لوارد الورد[514]، ومستحضراً قلبه لنزول الفيض إذ قد تفيض عليه تلك المدة اليسيرة أموراً غزيرة وإن لم يدركها .

ثم إن شاء بها يفتح عينيه ، ويؤثر لنفسه وقتاً قدر ساعة أو أقل بعد العصر يشتغل فيه بالرابطة مع الوقوف القلبي من غير ذكر وإذا ارتسخ الذكر في القلب بحيث لو تكلف الذاكر بإحضار الغير لم يحضر أنتقل ذكره إلى الروح وهي لطيفة تحت الثدي الأيمن.

ثم إلى السر وهو في يسار الصدر فوق القلب ، ثم إلى الخفي وهو في يمينه فوق الروح ، ثم إلى الأخفى وهو في وسط الصدر .

---

[513](1) سبق تعريفه في هذا الباب

[514](2)الوارد,هو: كل مايرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمد من العبد.والفرق بين الوارد والبادى:أن الوارد ما يرد بعد البادى فيستغرق القلوب،والوارد له فعل وليس للبادى فعل،لأن البوادى بدايات الواردات .قال ذو النون:وارد حق جاء يزعج القلب . المعجم الصوفي ص255

وهذه اللطائف الخمس من عالم[515] الأمر[516] الذي خلقه الله تعالى بأمر كن من غير مادة وركبها مع لطائف عالم الخلق[517] الذي خلقه الله تعالى من مادة هي النفس الناطقة والعناصر الأربعة (النار ، الهواء ، الماء ، التراب) ثم إلى هذه النفس وهي في الدماغ ، والعناصر الأربعة تندرج فيها ، وكل من هذه المحال محل ذكر على الترتيب ، وكذلك الرسوخ لما بعد القلب من اللطائف على الترتيب .

فإذا " ارتسخ الذكر في لطيفة النفس حصل سلطان الذكر " وهو أن يعم الذكر على جميع البدن " بدن الإنسان " ، بل على جميع الأفاق ، والمراد من الأفاق ما هو مغاير لبدن الذاكر من الموجودات الخارجة ، وذلك أن لا يرى السالك شيئاً من حجر وشجر ومدر وغير ذلك إلا ذاكر بلفظ الجلالة كسائر اللطائف المذكورة.[518]

مما سبق يتضح أن الذكر الخفي باسم الذات يتلخص في النقاط التالية:

1 - أن يجلس الذاكر على ركبتيه ، متوركاً بعكس تورك الصلاة ، لاستراحة البدن ، وإتباع الصحابة - رضي الله عنهم – متوضأً ، ومستقبلاً القبلة.

2 - أن يقول الذاكر بلسانه مع حضور القلب أستغفر الله إما خمساً أو خمسة عشر أو خمساً وعشرين ، للتطهير من الذنوب .

---

[515] (3) العالم هو:الظل الثاني وليس إلا وجود الحق الظاهر بصور الممكنات كلها،فلظهوره بتعيناتها،سمي باسم السوى والغير،باعتبار اضافته إلى الممكنات،إذ لا وجود للممكن إلا بمجرد هذه النسبة وإلا فالوجود عين الحق والممكنات ثابتة على عدميتها في علم الحق وهي شؤونها الذاتية،فالعالم صورة الحق والحق هوية العالم وروحه،وهذه التعينات في الوجود الواحد أحكام اسمه الظاهر الذي هو مجلي لإسمه الباطن.انظر معجم الكلمات الصوفية ص55

[516] (4)عالم الامر,وعالم الملكوت,وعالم الغيب:هو عالم الارواح والروحانيات,لانها وجدت بأمر الحق,بلا واسطة مادة ومدة,معجم الكلمات الصوفية,ص55

[517] (1)عالم الخلق وعالم الملك والشهادة:هو عالم الاجسام والجسمانيات وهو مايوجد بعد عالم الامر بمادة ومدة-المرجع السابق-نفس الصفحة

[518] (2)السعادة الابدية ص79-81

3 - أن يغمض العينيين ولو أعمى ، لدفع الخواطر ، ويطبق الفم ، وأن يقول القلب واللسان (الله ، الله ....) مائة مرة ، ثم يقول بلسانه : اللهم أنت مقصودي ورضاك مطلوبي .
4 - أن يتصور في قلبه معنى أسم الجلالة (الله) ، وهو الذات بلا مثل ، بلا كيف ، ولا كيفية .
5 - أن يشعر بأنه مذنب ، مقصر ، خالي من الأعمال الصالحة .
6 - رابطة الموت وهى تفكرا لموت وأحواله ، والقبر ، والسؤال ، والحساب ، وأهوال القيامة ، لتذليل النفس وانكسارها .
7 - قراءة الفاتحة مرة ، والإخلاص ثلاث مرات بلسانه ، ويهدى مثل ثوابها إلى إمام الطريقة الشيخ " محمد بهاء الدين نقشبند " .
8 - الاستمداد من روحيتهم ، للنجاة من اشتهاء النفس ، ووسوسة الشيطان .
9 - رابطة المرشد ، واستحضار روحانية الشيخ" محمد بهاء الدين نقشبند "بين حاجبيه بواسطة شيخه الذي هو في الحياة ويجعل قلبه مقابلاً لقلبه ، ويستفيض منه كأن قلبه يعلم قلبه ذكر أسم الذات .
10- رابطة الحضور وهي أن يستحضر في قلبه وفكره أن الله حاضر مطلع عليه محيط به وبجميع العوالم ، منزه عن المكان والجهة والنواقص كأنه يراه فأن لم يكن يراه فأنه يراك ، وكل ما خطر بباله فالله منزه عن ذلك ، للوصول إلى درجة الفناء فالله ، والقطع عما سواه .
11- الوقوف القلبي وهو أن ينظر إلى قلبه الصنوبري الشكل الذي تحت ثديه الأيسر بقدر أصبعين بعين الخيال ، ويطهره عما سوى الله تعالى ، لقطع العلائق .
12- الوقوف الذكري وهو أن يرى كأنه مكتوب على قلبه بقلم النور (الله) ، ويجري الذكر فيه ، وملاحظة معناه :وهو ذات بلا مثل .
13- الوقوف العددي وهو ضبط العدد وأقله خمسة ألاف مرة في اليوم والليلة الواحدة ، ولا حد لأكثره . ومعناه :

شعورا لذاكر عند ذكره بعدد الذكر وهو أول درجة من درجات العلم أللدني .
14- أن يقول على رأس كل مائة أو دونها " إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي " إما بالقلب وإما باللسان .
15- معرفة تأثير الذكر في القلب وسائر اللطائف .
16- معرفة تأثير الرابطة بين قلب الشيخ وقلب مريده .
17- العمل بالشريعة أولاً ثم أتباع الطريقة ثانياً ثم أتباع الحقيقة ثالثاً .
18- أتباع المعرفة ، وأن يصلي على النبي خمساً وعشرين مرة[519] .
19- أن يهب ثواب قراءة الفاتحة مرة بالتعوذ والبسملة ، والإخلاص ثلاثاً ، ويهدي ثوابهما إلى روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وللمشايخ ، وللمريدين ، ولكافة المسلمين .[520]

الثاني..

ذكر النفي والإثبات

والمراد بالنفي والإثبات كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ويعتبره النقشبندية أشد تأثيراً في قطع التعلق عما سوى الله وأدخل تمكيناً في إثبات وجوده في القلب .

فإذا قال لا إله إلا الله نظر في طرف النفي إلى الممكنات بنظر العدم والفناء[521] وفي

---

[519](1) انظر بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد,القول الجميل في بيان سواء السبيل,نقلاً عن الامام خالد النقشبندي ومنهجه الصوفي وجهوده في التصوف-رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة والفلسفه,إعداد:أحمد علي محمد عجيزه-جامعة الأزهر-كلية أصول الدين-1408هـ/1988م,ص308-315

[520](1) انظر بغية الواجد في مكتوبات مولانا خالد,القول الجميل في بيان سواء السبيل,نقلاً عن الامام خالد ومنهجه الصوفي وجهوده في التصوف ,ص308-315

[521](2) العدم والفناء هو:فناء في الحقائق وهو الفناء عن الرسوم مع بقاء البقية الخفية وعدم الشعور بالآنية النورانية الموجبة للاثنينية وهو مقام الخلة .انظر معجم الكلمات الصوفيه ص191.

جانب الإثبات يشاهد وجود المذكور بعين القدم[522] و البقاء .
فالنفي يطهر القلب من دنس الأغيار و الإثبات يمكن فيه وجود الملك الجبار ، وبتحقيق ذلك يرى أصحاب الطريقة أن قلب العبد يصير مجلي للتجلي الذاتي .
فإن الذكر يستدعي الحب شيئا فشيئا ، فإذا استمر على الذكر حصلت له المحبة وإذا اشتدت المحبة أكثر الذكر، حتى يستولي الموجود على وجود الذاكر ويفنى الذاكر والذكر وشعور الذكر أيضا ويبقى المذكور فقط ذاكراً و مذكوراً .
ويعتبر النقشبندية أن هذا الذكر هو الذكر اللائق بجناب الله .
و يفسرونه بقولهم : أن حقيقة الذكر المنزه عن الحرف والصوت يتحد مع جوهر القلب فيحيط الحبيب بفضاء القلب نتيجة المحبة المفرطة التي تسمى بالعشق ، فترتقي في هذا المقام إلى أن يفنى الوجود الموهوم في الوجود الحقيقي فيصير الذاكر عين المذكور وتتبدل الذاكريه بالمذكوريه ، فيحكم بفناء جميع الأشياء الموهومة فيخيل له
قوله تعالى [illegible] [القصص: 88]
ويكشف جمال قوله
[illegible] [غافر:آية 16]
وبذلك يكون موحداً توحيداً حقيقياً على حد قولهم وكل ذلك يتحقق بالرابطة.[523]

كيفيته . .

522(3) القدم :عبارة عن حكم الوجوه الذاتي،لأن من كان وجوده واجباً بذاته لم يكن مسبوقاً بالعدم،ومن كان غير مسبوق بالعدم لزم أن يكون قديماً بالحكم،وإلا فتعالى الله عن القدم لأن القدم تطاول مرور الزمان على المسمى به،تعالى الحق عن ذلك،فقدمه إنما هو الحكم اللازم للوجوب الذاتي،وإلا فليس بينه سبحانه وتعالى وبين الخلق زمان ولا وقت جامع،بل تقدم حكم وجوده على وجود المخلوقات هو المسمى بالقدم.انظر المعجم الصوفي (1/199)

523(1) المنهج الموصل إلى الطريق الأبهج ص 33 ، 34 وانظر الرحمة الهابطة في تحقيق الرابطة ص242-245 بهامش المكتوبات

أن يلتصق اللسان كالأول, أي يلصق اللسان بسقف الحلق ، والأسنان ، والشفة بالشفة ، إلا أنه في ذكر النفي والإثبات يحبس النفس تحت السرة ، ويتخيل منها لفظة "لا" إلى منتهى الدماغ .

ومنه لفظ " إله " إلى كتفه الأيمن . ومنه لفظ " إلا الله " إلى القلب الصنوبري الشكل وهو المضغة التي في الجانب الأيسر تحت أصغر عظم من عظام الجنب.

ضارباً عليه منفذاً إلى قعره بقوة يتأثر بحرارتها جميع البدن . وينفى بشق النفي " لا إله"وجود جميع المحدثات وينظرها بنظر الفناء .

ويثبت بشق الإثبات " إلا الله " ذات الحق ناظراً إليه بنظر البقاء ، فيحيط على محال اللطائف كلها ، ويلاحظ الخط الحاصل من الانتقالات ، ثم يلاحظ معناها بأن : لا مقصود إلا الله ، أي : إلا ذات الله البحت بلا مثل ، فإن نفى المقصودية ، أي عن غيره تعالى ، أبلغ من نفى المعبودية ، لأن كل معبود مقصود ، ولا عكس .

ثم يقول في آخرها بالقلب : " محمد رسول الله " ويريد به : التقيد بالأتباع ، ويكرر كلمة التوحيد على قدر قوة النفس ، ويطلقه من الفم على الوتر المعروف عندهم بالوقوف العددي . " أي من ثلاثة إلى أحدى وعشرين " .

ويقول بقلبه أيضاً قبل أطلاق كل نفس : " اللهم أنت مقصودى ، ورضاك مطلوبى ".

فإذا استراح : يشرع في حبس نفس آخر ، لكن يراعى ما بين النفسين بأن لا يغفل فيه بل يبقى التخيل على حاله لئلا يختل الاستمرار [524].

فإذا انتهى العدد إلى أحدى وعشرين مرة تظهر النتيجة وهى النسبة المعهودة من الذهول والاستهلاك . وإن لم تظهر في ما وقع من الإخلال في الآداب فليستأنف ويطابق الفعل والقول مضمون الذكر عملاً واعتقاداً واتباعاً ، فإن المقصودية في ما سواه إذا كانت باقية أو

---

[524](1) الحديقة النديه:ص80.

خلاف الاتباع في شيء كان ثابتاً في الواقع لزم الكذب فليس بصادق . ولا حصر في العدد .

فمن يستعد لتقدم الجذبة فله " الذكر الأول " ، ومن يستعد لتقدم السلوك فله" الذكر الثاني " ، وكلاهما بالقلب .[525]

فإذا " جاهد فيه حق الجهاد ، وأنتفي المنفى ، وثبت المثبت ، وظهرت النتيجة تصح له المراقبة حينئذ " .

" ويميز النقشبندية بين ذكر العوام ، وذكر الخواص . فالنوع الأول يجرى على الألسنة من غير قصد بحيث لا يستشعر الذاكر المعنى أو المذكور .

والنوع الثاني ذكر الخواص اللذين إذا ذكروا بالنفي والإثبات : (لا إله إلا الله) فإنهم يستحضرون في أنفسهم أن المولى سبحانه ناظر إليهم ، مطلع على جميع حركاتهم وسكناتهم ، لذلك فهم يفكرون في معنى " لا إله إلا الله " بأنه لا معبود بحق إلا الله الفاعل المختار . وإذا ذكروا بأية صيغة أخرى فأنهم يستحضرون معناها في أذهانهم ".[526]

وبعد أن بينا معالم الطريقة الأولى للذكر عندهم وهو الذكر حال الانفراد ننتقل لبيان سمات الطريقة الثانية وهو الذكر حال الاجتماع .

الطريقة الثانية : وهو ما يسمى عندهم :
ختم الخواجكان :

525(2) السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية ص 30 ، 34 ، وانظر الحديقة النديةص 81

526(3) الطريقة النقشبندية وأعلامها : ص 35

وختم الخواجكان[527] يعنى ذكر المشايخ . وهذا ما يميز الطريقة النقشبندية عن غيرها من
بقية الطرق وهو منسوب إلى عبد الخالق الغجدوانى[528] رأس الطريقة النقشبندية . ويلجأ النقشبندية إلى هذا النوع من الذكر ، لنيل الثواب من الله أو لدفع مضرة أو جلب منفعة ، وهو يستند إلى سبعة أركان :
1 – الخضوع والخشوع والحضور .
2 – قراءة الفاتحة سبع مرات عن يمين الشيخ .
3 – الصلاة على النبي مائة مرة .
4 – تلاوة سورة الانشراح تسعاً وسبعين مرة .
5 – تلاوة سورة الإخلاص ألف مرة ومرة واحدة .
6 – قراءة الفاتحة سبع مرات عن يسار الشيخ .
7 – الصلاة على النبي مائة مرة . وإهداء ثواب ذلك إلى روح النبي وإلى آله وصحبه والأولياء والمشايخ الكرام[529] المنتسبين إلى الطريقة بذكر أسمائهم وألقابهم واحداً تلو الآخر .ومن اجل ضبط العدد في ختم

527(1) الختم في الاصطلاح الصوفي يرد على أنواع فتارة يعني من ختم الله به النبوة وهو نبينا محمد وتارة يعني بالختم الدلالة على الغلق الذي لا يفتح كقول القشيري (الختم على الشئ يمنع ما ليس فيه أن يدخله وما فيه أن يخرج منه ، وكذلك حكم الله سبحانه وتعالى ما فيها من الجهالة والضلالة ولا يدخلها شئ من البصيرة والهداية) أنظر لطائف الإعلام 1/441 وهو أيضا ما يختم به على قلوب العارفين بمعرفة الحق تعالى . فهو العلامة المميزة لقلوب الأولياء وهذا ما يميزهم عن العامة من الناس انظر : معجم الألفاظ الصوفية د / حسن شرقاوي حرف الخاء .
ويذكر صاحب نور الهداية والعرفان أن سبب تسمية الورد بالختم لقراءة الفاتحة في خاتمته كما قرأت في فاتحته ص 69 . ويذكر سبب آخر لتسميته بالختم بأن المشايخ كانوا إذا أجتمع المريدون عندهم وأراد الشيخ الانصراف ختم مجلسه بهذا الذكر :انظر السعادة الابدية ص 18 .
وخواجكان جمع خواجة بمعنى الأستاذ أو الشيخ و الألف و النون علامة الجمع ويطلق على عيون أعيان الفرس و أكابرهم . انظر نور الهداية والعرفان ص 69 ، والسعادة الابدية ص 17

528(2) تقدم الترجمة له.

529(3) نور الهدايه والعرفان في سر الرابطة والتوجه وختم الخواجكان ,تأليف:محمد أسعد صاحب ذاده النقشبندي وبهامشه كتاب الفيوضات الخالدية والمناقب الصالحية لنفس المؤلف –المطبعة العلمية-الطبعة الاولى-بدون تاريخ/ص67-69

الخواجكان استعمل النقشبندية مائه من صغار الحصى وعشرا من كبارها .

وصف الختم :

يأخذ شيخ الحلقة العشر الكبار مع أحدى وعشرين من الصغار ويوزع بقية المائة على الحاضرين ، ثم يفتتح الختم بدعاء مأثور عن مشايخ الطريقة وهو :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المتقين المبعوث رحمة للعالمين على آله وصحبه أجمعين . اللهم يا مفتح الأبواب ويا مسبب الأسباب ويا مقلب القلوب و الأبصار ، ويا خالق الليل والنهار ويا دليل المتحيرين ، ويا غياث المستغيثين أغثنا (ثلاثا) ، توكلنا عليك يا أرحم الراحمين .

وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد بألف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ,ثم يقول الشيخ جهرا : استغفر الله ، فيستغفر الحاضرون ربهم خمساً وعشرين مرة,ثم يقول : رابطة شريفة ، فيصمت الجميع مدة خمس دقائق متخيلين صورة شيخهم,ثم يوزع سبعا من الحصيات الكبار على سبعة أشخاص ممن جلس عن يمينه ، ويقول : فاتحة شريفة . فمن وصلت إليه حصاة يقرأ الفاتحة مرة واحدة .

ثم يقول الشيخ : صلوات شريفة . فيصلي الحاضرون علي الرسول بعدد ما معهم من حصى ,ثم يقول : ألم نشرح شريف ، فيقرأ كل مريد سورة الانشراح بعدد ما معه من حصى .

ثم يوزع الشيخ قسماً من الحصيات على المريدين ويقول : إخلاص شريف . فيقرأ كل مريد سورة الإخلاص بعدد ما في يده من الحصيات ، ثم يستأنف الشيخ قوله ؟: إخلاص شريف إلى عشرة أدوار,ثم يدير الشيخ سبعاٍ من الحصيات الكبار على سبعة أشخاص ممن يجلس عن يساره,ثم يعود الجمع إلى الصلوات على الرسول صلى اله عليه وسلم . ثم يدعو الشيخ بدعاء مأثور ويهدى ثواب الختم إلى أرواح مشايخ الطريقة .

ثم يقرأ أحد الحاضرين ما تيسر من القرآن الكريم . [(530)]

وهذا الختم منسوب إلى عبد لخالق الغجدواني ويقرأ إذا كان الحاضرون قليل .[(531)]

آداب الختم :

1- الوضوء .
2- خلو المكان من الضوضاء والتشويش .
3- الاستغفار .
4- الرابطة .
5- إغماض العينين خلال الختم ، والذكر بالقلب .
6- انتساب الحاضرين للطريقة النقشبندية.
7- أن يكون شيخ الحلقة مأذونا ، وفي ذلك يقول " شاه نقشبند " : " ينبغي أن يكون تلقين الذكر من الكامل المكمل ، ليؤثر ، وتظهر نتيجته ، فإن السهم إذا كان من كنانة السلطان يصلح للحماية"[(532)]

وقت الذكر :

لقد حدد النقشبندية لهذا النوع من الذكر وقتاً معيناً فجعلوه صباح يومي الجمعة والثلاثاء فقد أوصى خالد النقشبندي خليفته الشيخ عبد الله الجلي[(533) (534)] بقوله : " عليكم بشدة الاعتناء بالختم والتوجه وترويج الطريقة العلية ، والانتظار في صبحي الجمعة و الثلاثاء للأنظار الأكسيرية ".

و الأنظار الأكسيرية مفيدة في الاستفاضة القلبية .

---

[530](1) نور الهداية و العرفان :ص 67 ، 71 .
[531](1) الإجابة الربانية ص 35 .
[532](2) الحدائق الوردية : ص 133 .
[533](3) بغية الواجد : ص237، 238 الرقعة التاسة والسبعون.نقلاً عن الامام خالد النقشبندي ومنهجه الصوفي/ص455
[534](4) عبدالله الجلي : هو عبد الله بن عبد الرحمن الجلي الشهرزوري الكردي الشافعي النقشبندي ت : 1247 هـ كان مدرسا بكوى سنجاق له رسالة في إبطال ثواب صدقة من عليه دين مستغرق جميع حاله ، هدية العارفين: إسماعيل البغدادي 1/489 .

وهي على خمسة أنواع:

الأول

هو أن يتوجه المريد الصادق إلى شيخه الروحانية سواء كان حياً أو ميتاً بعين الخيال ، ويستحضره أمامه منتظرا للفيض الذي يجئ إليه من قلبه .

الثاني

هو أن يلاحظ المريد شيخه الغائب في عين قلبه ، ويجعله واسطة بينه وبين الله تعالى .

الثالث

هو أن يتوجه المريد إلى خياله ، ويلاحظ شيخه فيها ، وهذا النوع لدفع الخيالات ، ولتحصيل الجذب أسرع .

الرابع

هو أن ينفي المريد نفسه من البين[535] ، ويثبت شيخه في محل نفسه وهذا لدفع البليات أوقع .

الخامس

هو أن يجعل المريد قلبه تحت قلوب مشايخ السلسلة واحداً بعد واحد من شيخه إلى سيدنا رسول الله ، ويجعلهم الواسطة العظمى بينه وبين الله - تعالى - ، ثم يجمع حواسه الخمسة ويجعلها شيئا واحداً ، فإن كل حاسة منها تكون باعثه لتفرقة القلب ، ثم يتوجه بهم إلى الحقيقة الجامعة التي هي من عالم الأمر ويراد بها المضغة المتعلقة بالقلب الصنوبري الذي هو وكر القلب الحقيقي الموضوع تحت الثدي الأيسر بأصبعين مائلا منه لجهة الصدر

فإذا واظب المريد على ذلك يظهر له أثر الغيبة ، وعدم الشعور ، وطرد الغير عن القلب في الخفاء، فتتصرف

---

535 (1) بون:معناه البينونة,والكون والبون معناهما ما قال الجنيد يصف المحدين:كانوا بلا لون,وباتوا بلا بون,أي ان الموحدين يكونون في الاشياء كأنهم لا يكونون,ويبينون عن الاشياء كأنهم لا يبينون,لان كونهم في الاشياء بأشخاصهم,وبونهم عن الاشياء بأسرارهم,فهذا معنى الكون والبون.انظر المعجم الصوفي/ص46

حينئذ جذبات الحق ، وتستولي على باطن العبد التجليات الذاتية ، وتذهب عن باطنه جميع الوساوس ، وما شاكلها من الهواجس ويتصرف فيه الحق في نفسه بنفسه ، وفي هذا المقام يتجلى له معني الذكر الحقيقي من معني لفظة الجلالة الذي هو الاسم الأعظم ، ويضمحل في الحقيقة ونفس الأمر العالم والوجود ، ويحصل الاستغراق في بحر التوحيد .

فإذا استغرق السالك فيه يغيب عنه ما سوى المذكور – تعالى - ، كما إذا استغرق في الماء لا يرى الغير أصلا .

ويرى النقشبندية أن اختيار قراءته " في الصباح من يومي الجمعة والثلاثاء ،لأنه أرجى للقبول ، وأقرب للإجابة ".

مكانة الختم عند النقشبندية:

ويفضل مشايخ النقشبندية الختم على بقية الأوراد ، ويعتبرون كُل متوان عنه متهاونا بالطريقة أو متهاونا بالدين ، لأن الختم من أكبر نعم الله على عباده فهو محك لصدأ معادن قلوب المريدين ومظهر لأشعة أنوار الغيوب عند السالكين.[536]

يقول صاحب كتاب تنوير القلوب : " ومن قرأه قضيت له الحاجات وحصلت له المرادات ، ودفعت عنه البليات ورفعت له الدرجات ، وظهرت له التجليات ، ثم بعد قرأت الختم يطلب مقصوده ويسأل حاجته فإنها تقضى بإذن الله – تعالى - .

ثم يضيف :

أن أرواح المشايخ ببركة هذا الورد يعينون من استعان بهم "[537]

ولختم الخواجكان أكثر من صيغه خلاف الصيغة السابقة.

[536](1) بغية الواجد: ص 240 ، 241 . وايضا : شفاء العليل ترجمة القول الجميل ص 93 ، 99 . نقلا عن رسالة دكتوراه عن الإمام خالد النقشبندي ومنهجه الصوفي/ص457

[537](2) تنوير القلوب ص572.

صيغة ختم " محمد بهاء الدين " :

ولها من الشروط و الآداب ما مر ذكره في الختم الخواجكاني وأما أركانه فهي :

1- الاستغفار خمس عشرة مرة .
2- الرابطة الشريفة .
3- الصلوات المنيفة مائة مرة .
4- أن تقول : " يا خفي الألطاف أدركني بلطفك الخفي " خمسمائة مرة .
5- الصلوات على النبي صلى اله عليه وسلم مائة مرة .
6- قراءة ما تيسر من القرآن الكريم [538]

صيغة ختم " أحمد الفاروقي " :

وهي بعد الآداب والشروط المتقدمة :

1- الاستغفار حمس عشرة مرة .
2- الرابطة الشريفة .
3- أن تقول : (صلى الله على النبي محمد وآله وصحبه وسلم) مائة مرة .
4- قراءة الفاتحة سبع مرات .
5- لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم خمسمائة مرة ، وتمام رأس كل مائة يقرؤها رئيس الختم .
6- الصلاة على النبي بالصيغة المذكورة أنفا مائة مرة .
7- عشر قرآني شريف .[539]

شروط الختم :

يقام الختم عن طريق حلقة سرية في أوقات معينة تم بيانها وله شرطين :

الأول : أن لا يحضره أمرد ولا أجنبي ليس داخل في الطريقة لئلا يخل بالنظام .

الثاني : إغلاق الباب وقف الذكر، وهو من أهمَّ أركان الطريقة ، وذلك لحفظ الخاطر من التفرقة وجمع الحواس كلها ودليلهم عليه أن رسول الله كان يوماً مع

538(1) نور الهداية والعرفان ص71 .

539(2) نور الهداية والعرفان ص72

أصحابه فقال: " هل فيكم غريب "[540] يعني من أهل الكتاب ، قالوا : لا يا رسول الله ، فأمر بغلق الباب وقال ﷺ : " ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله" قال شداد بن أوس فرفعنا أيدينا ساعة وقلنا لا إله إلا الله ، ثم قال رسول الله ﷺ : " اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة ، وإنك لا تخلف الميعاد " ثم قال عليه السلام : " ألا فابشروا فإن الله قد غفر لكم "

وهم يرون أن في ذلك تنبيه على أن هذه الطريقة مبنية على السر وصفاء الوقت من حضور من ليس منهم ولا يؤمن بطريقتهم.[541]

الركن الرابع : المراقبة

في اللغة : يقال رقبت الشيء انتظرته ، و المراقب الحارس الناظر المتابع و المرتقب المنتظر المتتبع .[542]

قال تعالى ﴿ [illegible] ﴾ [الدخان : 10-11]

والمراقبة النظر بحذر بغية توقع شيء ما ، وهي على نوعين .

الأول

مراقبة العبد لربه، بالمحافظة على حدوده وشرعه وإتباعه لسنة نبيه الكريم ﷺ

الثاني

مراقبة الله لعباده وحفظه لهم، وإحصائه لكسبهم.

والمراقبة في الاصطلاح الصوفي :

---

540 (1) سيأتي تخرجه ومناقشته في الباب الثالث

541 (2) البهجه السنيه ص63 وانظر السعادة الابدية ص15 .سيأتي تخريج الحديث و مناقشته عند مناقشة الذكر وطريقته قي الباب الثالث.

542 (3) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور :(1/424) دار صادر ، بيروت ط 1، بدون تاريخ.

هي دوام الملاحظة لما هو المقصود بالتوجه إلى الحق ظاهرا وباطنا قال الحارث المحاسبي[543]
ت243 هـ : " أوائل المراقبة علم القلب بقرب الرب عز وجل ، والمراقبة في نفسها التي تورث صاحبها وتكمل له الاسم ، ويستحق أن يسمى مراقبا ويسمى بها ، دوام علم القلب بعلم الله عز وجل في سكونك وحركتك ، علما لازما للقلب بصفاء اليقين ، وكشف غطاء حجب الظلم غير قاطع عن النظر بمشاهدة الغيب ، فعندها تغيب أسباب الغفلة عن القلوب بدواهيها ، فيعقل عن الله نصائح الحكمة بما فيها ، ويكشف له اليقين عما فات منها " ، ويروى عن ذي النون المصري[544] ت 248 هـ أنه قال : " علامة المراقبة ، إيثار ما آثر الله تعالى ، وتعظيم ما عظم الله تعالى ، وتصغير ما صغر الله تعالى "، وينسب إلى الطوسي[545] ت 299 هـ : " من راقب الله تعالى في خطرات قلبه عصمه الله في حركات جوارحه " .[546]

ويذكر السراج الطوسي ت 387 هـ أن المراقبة لعبد قد علم وتيقن أن الله تعالى مطلع على ما في قلبه وضميره وعالم بذلك ، فهو يراقب الخواطر المذمومة المشغلة عن ذكر سيده ، كما قال أبو سليمان الداراني[547] رحمه الله : كيف يخفى عليه ما في القلوب ، ولا يكون في القلوب إلا ما يلقى فيها ، أفيخفى عليه ما

---

[543](1) المحاسبي :كنيته أبو عبد الله من علماء ومشايخ القوم وله تصانيف كثيرة ومشهورة وهو يعتبر أستاذ أكثر البغداديين وهو بصري مات ببغداد توفي سنة 243هـ.انظر طبقات الصوفية ص56.

[544](2) ذا النون ,هو: أبو الفيض ويقال ثوبان بن ابراهيم ويقال الفيض بن ابراهيم وذا النون لقبه وهو مولى لقريش وكان أبوه نوبياً توفي سنة 245هـ وقيل 248هـ,انظر الطبقات الكبرى ص15.

[545](3)الطوسي, هو: أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي شيخ الصوفية,وهو أكثر المؤلفين الصوفيين وأستاذهم جميعاً بلا استثناء (ت 378هـ) انظر مقدمة اللمع ص12-14.

[546](4) المعجم الصوفي: 3/1006.

[547](5) الداراني, هو: عبدالرحمن بن عطية عبدالرحمن بن أحمد بن عطية وهو من اهل داريا قرية من قرى دمشق,انظر"طبقات الصوفية"للسلمي/ص75

هو منه ؟ ثم يجعل أهل المراقبة على ثلاثة أحوال في مراقبتهم :

1) حال الابتداء : وهو حفظ السرائر لأن الله مطلع على الضمائر .

2) الحال الثاني : هو حال من راقب الحق بالحق في فناء ما دون الحق وتابع المصطفى في أفعاله و أخلاقه و آدابه .

3) الحال الثالث : حال الكبراء من أهل المراقبة فإنهم يراقبون الله – تعالى - ويسألونه أن يرعاهم فيها لأن الله - عز وجل - قد خص نجباءه وخاصته بألا يكلهم في جميع أحوالهم إلى أحد وهو الذي يتولى أمرهم فقال -عز وجل - :"وهو يتولى الصالحين"

ويذكر أن القاشانى[548] المراقبة في طريق الصوفية ثلاثة أنواع :

1) مراقبة العامة : هي محافظتهم على القيام بما فرض الله عليهم والوقوف عند حده لهم .

2) مراقبة المريدين : دوام الملاحظة للقلب بالحضور مع الرب .

3) مراقبة الواصلين : حفظ الحق لهم عما يفرق جمعيتهم عليهم فهم يراقبونه به لا بهم .[549]

وهى عند النقشبندية لا تختلف عنها في الاصطلاح الصوفي ، فهي كما توضحها كتبهم بأنها :

علم المريد وتحققه بإطلاع الله عليه واستغراقه بمشاهدة الحق ، واستهلاكه بالحضور الإلهي وملازمة القلب لذلك ,فإذا انتهي أمر السالك في المراقبة إلى انتفاء علمه بنفسه وبالأكوان حصل له مبادئ الفناء وحينئذ يليق له أن يذكر باللسان " لا أله إلا الله " مع التدبر الحقيقي وأقله خمسة ألاف في اليوم والليلة فإذا فني

---

[548](1) القاشاني, هو:عبد الرازق القاشاني كمال الدين صوفي من تصانيفه"شرح منازل السائرين"للهروي و"شرح فصوص الحكم"لابن عربي وله كتب كثيرة في التصوف انظر ترجمته"معجم المؤلفين"لكحالة(5/215)

[549](2) المعجم الصوفي:3/1007

عن فنائه وهو المسمى بالفناء التام أو مبادئ البقاء حصل له أول درجه من درجات الولاية[550] الصغرى .

فإذا تم له البقاء تشرف بالولاية الكبرى بمحض فضل الله – تعالى -وكرمه الأقصى.[551]

وهذا إجمال فصله الأمام " خالد البغدادي النقشبندي " بقوله : " اعلم أن بعد مراقبة المعية مراقبة الأقربية يقول الله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾]ق:16[.

في الدائرة الأولى من دوائر الولاية الكبرى ، وهن ثلاث دوائر ونصف دائرة وهو يسمى بالقوس .

ثم في الـدائرة الثانية والثالثة والقـوس مراقبة " المحبة " وفي ذلك يقول الحق تبـارك وتعـالى : ﴿ [illegible] ﴾] المائـدة:54[وفي هذه الولاية الكـبرى الـتي هي ولاية الأنبياء ، يظهر لصـاحب الإدراك الصـحيح أحـوال غير الأحوال الأولى " كالفناء الحقيقي، وحقيقة الإسـلام ، وشرح الصدور " .

ثم في العناصر الثلاثة غير عنصر التراب مراقبة مسمى الاسم الباطن ،وتسمى هذه الولاية بالولاية العليا ، ثم مراقبة كمالات النبوة في عنصر التراب . ثم كمالات الرسالة . ثم كمالات أولى العزم . ثم مراقبة هيئة الوحداني " أي الهيئة الحاصلة من اللطائف العشرة"، " خمسة " من عالم الأمر وهي : القلب ، والروح ، والسر ، والخفي ، والأخفي . "وخمسة "من عالم الخلق وهي : النفس الناطقة والعناصر الأربعة . فإذا كملت الكل تصير كأنها لطيفة واحدة ، وتصير مورد الفيض .

---

550 (3) الولايه:هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه,وذلك يتولى الحق اياه حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكين.انظر معجم الكلمات الصوفية:ص96.

551 (4) السعادة الأبدية ص 36 ، وانظر الحديقة الندية ص 82 ، 83 ، 84 ،وانظر المنهج الموصل ص 37

ثم مراقبة الخلة[552] الإبراهيمية يعنى مراقبة الذات والأقدس باعتبار كونها بدء للخلة الإبراهيمية أو " الحقيقة الإبراهيمية " ، ثم دائرة المحبة الذاتية وهو المقام الموسوى ، ومراقبة الذات باعتبار كونها منشأ للحقيقة الموسوية أو المحبة الذاتية . ثم دائرة المحبة الذاتية الممزوجة بالمحبوبية الذاتية " ومراقبة الذات باعتبار كونها منشأ " للحقيقة المحمدية " ، ثم دائرة المحبوبية الصرفة ، ومراقبة الذات باعتبار كونها منشأ للحقيقة الأحمدية ، ثم دائرة الحب الذاتي الصرف ومراقبة الذات باعتبار كونها منشأ للحب الذاتي الصرف ، ثم مرتبة اللاتعيين ، وإطلاق حضرة الذات .

ثم حقيقة الكعبة وهى عبارة عن ظهور عظمة الله تعالى وكبريائه ، وهاهنا مراقبة الذات باعتبار مسجوديته لجميع الممكنات ، ثم حقيقة القرآن ، وهى عبارة عن مبدأ الوسعة باعتبار لا مثلية الذات العلية ، وملاحظة أنها منشأ الحقيقة القرآنية ، ثم حقيقة الصوم وحقيقة الصلاة ، وهما عبارة عن كمال وسعة لا مثلية حضرة الذات تعالى وتقدس باعتبار كونها منشأ لحقيقة الصوم وحقيقة الصلاة ، وفى هذه الحقائق تلاوة القرآن المجيد مفيدة ، للترقي ، ثم دائرة المعبودية الصرفة باعتبار معبوديتها ، وحصول السير النظري لا القدمى الذي هو من المقامات العابدية ، ويرى النقشبنديه أن من أشتغل بالمراقبات السابقة يجد حظاً منها ، وبتوجيه الشيخ المرشد تحصل الترقيات" .[553]

ويعلق محمد أسعد صاحب ذاده على ما كتبه " خالد البغدادى" لبيان مراتب المراقبات عند النقشبندية وما

---

[552](1) الخلة:تحقق العبد بصفات الحق بحيث يتخلله الحق ولا يخلي منه ما يظهر عليه شيء من صفاته فيكون مرآة للحق.انظر معجم الكلمات الصوفية.ص32

[553](1) المكتوبات : للإمام خالد ص 153 ، 157 ، الرقعة الثالثة والثلاثون ، بتعليق الشيخ : محمد أسعد صاحب زادة . وانظر ما هو التصوف ؟ وما هي الطريقة النقشبندية ؟ للشيخ أمين علاء الدين ص 212، 213 نقلاً عن الإمام خالد النقشبندي ومنهجه الصوفي وجهوده في التصوف ص275

يتولد منها من حقائق قدسية حتى تصل إلى مرتبة المشاهدة التي هي أسماها بقوله : " وهى على مراتب ودرجات عندهم .

الأولى

مراقبة الحق في السير والسلوك إلى معرفته تعالى على الدوام ، وهذه الحالة عندهم يسمونها بمراقبة الأحدية ، فيشتغلون بها بعد اجتيازهم مقامات اللطائف الخمسة الأمرية ، وارتفاع توجه القلب ، واللطائف الأخرى الخلقية تقع في سير لطيفة النفس الناطقة التي هي عينة في ذلك الشهود ، ثم تترقى إلى .

الثانية

وهي مراقبة الأقربية بمعنى أن الله تعـالى أقـرب إليك من نفسك ، ودليله قوله تعالى :

﴿ [illegible] ﴾ [ق:16]

ثم تترقى إلى .

الثالثة

وهي مراقبة البصرية بمعنى أنه تعالى ناظر إليك في جميع حركاتك وسكناتك وإلى ما قدره عليك مع ملاحظة قربة لديك ، ودليله قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الانعام:103] ثم تترقى إلى.

الرابعة

وهي مراقبة العلمية، لتصون قلبك عن كل خطرة رديه بمعنى أنه تعالى يعلم ما في القلوب في كل آن ولحظة ، ودليله قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [التغابن:4] ، ثم تترقى إلى .

الخامسة

وهي مراقبة الفاعلية بمعنى أن ذاتك و أفعالك فعل من أفعاله تعالى ، ليحصل لك الرضا بجميع أفعاله في الشدة والرخاء ، ودليله قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [البروج:16]، ثم تترقى إلى .

السادسة

وهي مراقبة الملكية بمعنى أن ذاتك وما تملك ملك من أملاكه تعالى ، ولا تعارضه في ملكه ، فسلم الأمر إليه وتوكل في جميع أحوالك عليه ، ودليله قوله تعالى :
   ] الانعام:73 [، ثم إلى

السابعة

هي مراقبة الحياتية بمعنى أن الحياة الأبدية انحصرت برب البرية ، فتفنى عن صفاتك في صفاته ، وذاتك في ذاته ، ولا تجعل لنفسك وجود بل أنت معدوم ،فدع الأمور للحي القيوم ودليله قوله تعالى :
  ] غافر:65[ثم تترقى إلى

الثامنة

وهي مراقبة المحبوبية بمعنى أن محبته تعالى حصلت لك من التقرب من بالنوافل ، أي أن التقرب بها كان سببا لمحبته تعالى للعبد ، والجزاء من جنس العمل ، ودليله قوله تعالى :   ] المائدة:54 [ثم تترقى إلى

التاسعة

وهي مراقبة التوحيد الشهودي بمعنى انك أينما اتجهت ترى الله تعالى بعين البصيرة أمامك ، ودليله قوله تعالى :
      ]البقرة:115[

فإذا داوم السالك على الاشتغال بهذه المراقبات مع المجاهدة يترقى منها إلى مرتبة المشاهدة " [554]..

ثم يضيف المعلق بعد ذلك :" وينتظر الفيض من واهب المنن ، ومورد الفيض هنا أذكار اللطائف الأربعة فقط غير النفس ، فيتشرف فيه بالفناء في الشيخ أولاً ، وله فوائد يعرفها من ذاقها ، ثم بالفناء بالرسول ثانياً الذي هو

---

[554](1) بغية الواجد في مكتوبات حضرة مولانا خالد : محمد خالد صاحب زاده ص 154 ، 155 نقلاً عن الامام خالد النقشبندي ومنهجه الصوفي.ص 460-459

بالحقيقة ونفس الأمر مرآة الحق من الصورة الكونية[555] ، ثم الفناء في الله ، والبقاء به ثالثاً ، ويتلطف بحقيقة معيته تعالى في الكون بجميع الأشياء من الموجودات لكن ليست كمعية الخلق مع بعضهم ، ولا بطريق السريان في الموجودات أيضاً ، ولا بالتداخل في الأشياء ، وإنما هو سر رباني بينه تعالى وبين العبد المتشرف بالولاية المعروفة بالصغرى ، ويكون ظهورها للسالك أظهر من الشمس في رابعة النهار ، وقد قالوا : أن الدنيا وما فيها تكون في بصيرة هذا السالك كذرة في شعاع الشمس إلا أنه يخاف عليه في هذا المقام من أن ينكر شيخه المربى ، ويرى نفسه أكمل منه ، لأنه يرى نفسه أنه هو الملك للملك ، والتصرفات كلها تحت يده وطوع أمره وأرادته ، والحال أن النفس مزينة بجميع كمالات الأفعال والأسماء الظاهرة وقائمة بالرياسة ودائمة بالأنانية ، ولابد له حينئذ من تحكيم دعائم الارتباط الروحاني بمرشده المكمل له ، حتى يخلصه من هذه الورطة المخيفة ، وذلك لأنه مازال مقيداً في برزخ النفس ، ومحبوساً في قفص تهليل الذكر اللساني وهذا المقام سبب قوى للترقي إلى المكالمة لملاحظة تقدير " لا موجود إلا الله " في ذكره ، وتهليله حينئذ يظهر له التوحيد الشهودى ، وإذا وافقته العناية الإلهية بالجذبة والسلوك ، وفنيت النفس ، وفقدت الأنانية وحصل له الاطمئنان بحيث لا تبقى ولا تذر في المراتب الثلاث باعتبار المظاهر الثلاث ، وبلحوق النقطة التي هي أصل الأسماء الظاهرة في تلك المراتب وحقيقتها ، وبداية الأسماء الباطنية صافحته حينئذ الولاية الكبرى التي هي ولاية الأنبياء العظام بالأصالة ، ووهبت له الوجود الموهوب من محض الفضل الإلهي ، وبعد الاستهلاك والجمع يحق له أن يشرع في سير كمالات النبوة ، فإذا أنعكس هذا المقام في باطن السالك فيحصل التجلي الذاتي على سبيل الدوام ويعبرون عنه بكمالات النبوة

[555](2) اشارة الى الحقيقة المحمدية والتي سيتم بيانها والتعليق عليها في الباب الثالث الفصل الثاني.

وفيه يكون الترقي للسالك بأداء الفرائض ، وتلاوة كلام الله القديم ، وأتباع النبي".

وبمراقبة الذات البحت المعرى عن قيد الصفات ، والمعاملة هنا تكون بعنصر التواب ، وفيها تختفي الأكوان ، والألوان ، ولا تبقى الكيفية ، ولا المثلية فيقع في الحيرة [556]، ولا يبقى للنفس مدخلاً في هذا المقام ،ويتبدل فيه الاستدلالي بالبديهي ، وينقلب الظني باليقيني فيكشف فيه عن معاني أسرار حروف مقطعات سور القرآن ، ومن ثم يظهر له معاني تلك الحقائق المقدسة .

ومراتب المراقبات عند النقشبندية تقضي في نهايتها إلى وحدة الوجود و الذي سأبينه في حديثي عن عقيدتهم في الله.

المبحث الرابع : عقيدتهم في الله

أولاً : علاقتهم بالله:

يذهب النقشبندية في علاقتهم بالله إلى عبادته عبادة محضة لا يشوبها غيره.

فهي عندهم عبادة مجردة من الخوف من ناره والطمع في جنته..

قال محمد أمين الكردي:

أحبك لا أرجو بذلك جنـة ولا أتقي ناراً وأنت مراد

إذا كنت لي مولى فأية جنـة وأيـة نار تبتغى وتـراد[557]

---

[556](1) الحيرة:بديهة على قلوب العارفين عند تأملهم وحضورهم وتفكرهم ,تحجبهم عن التأمل والفكرة,قال الواسطي:حيرة البديهة اجل من سكون التولي عند الحيرة,انظر المعجم الصوفي/ص84

[557](1) تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب :ص 486.

قال صاحب الأنوار القدسية:" إن أهل الله لاينظرون في أعمالهم إلا إلى الله واستدل بقول لرابعة العدوية[558] ما عبدتك طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك ولكن لوجهك الكريم"[559]

ويعتبر النقشبندية أن من عبد الله خوفاً من ناره ورجاء في جنته مشركاً شركاً خفياً لأنه في حقيقته عابد للجنة والنار وهما طاغوت.

قال أرسلان الدمشقي :

" كله شرك خفي والكفر به على المخلصين واجب لأن من عبده لأجل الجنة والنار فقد عبد الجنة والنار وهما طاغوت وقد قال تعالى [illegible]

[illegible] [560]]البقرة : 256]

فهذا النوع من الحب المجرد من الخشية من عذاب الله متمثلة في ناره ومجردة ايضاً من الرجاء في جنته، يعتبره أصحاب هذه الطريقة محبة الخواص.[561]

ولا يقف الأمر عندهم عند هذا الحد بل يتعداه إلى درجة أعلى وهي العشق [562].

قال صاحب تنوير القلوب" اعلم أن المحبة على ثلاثة أقسام : عوام وخواص وخواص الخواص فأما العوام فمحبتهم له تعالى لوفور إحسانه ، وأما الخواص فمحبتهم خالصة عن الشوائب ، وأما خواص الخواص ، فمحبتهم عبارة عن التعشق الذي به ينمحي العاشق عند تجلي نور معشوقة" [563]

ثم أننا نجدهم كثيراً ما يذكرون في كتبهم شعراً لرابعة العدوية في العشق الإلهي

مثل قولهم:

558(2) سبق الترجمة لها .

559(3) الأنوار القدسيه ص135

560(4) الانوار القدسية ص135

561(5) سيأتي بيانه في الفصل الثاني من الباب الثالث من الرسالة عند مناقشة عقيدتهم في الله

562(6) سيأتي تعريف العشق بشكل مفصل عند مناقشة عقيدتهم بالله

563(1) تنوير القلوب ص509

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحث جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيـسي

وقول آخر في العشق:

عش عاشقاً وأقعد مع العشاق لا تقربن من ليس ذا اشواق

وقول آخر:

خيالك في عيني وذكرك في فمي وشوقك في قلبي فأين تغيب[564]

ومنه إلى آخر :

ولقد جرى مجرى دمي جيش الهوى فأزالني عـني وعمر بالمنا
أخذ الحبيب جميع ما استكملته كلي له والاسم لي يامـن دنا [565]

ويرى النقشبندية أن غيرهم ممن يسمونهم أهل الظاهر ليس لديهم خبر عن حقيقة العشق:

وما في العشق من نعمان قول ولا للشافــعي فيه فتوى[566]

ثانياً : الفناء عند النقشبندية:

عبارة عن نسيان ما سوى الحق سبحانه كما عرفه الفاروقي في مكتوباته ويقسم النقشبندية ما سوى الله إلى قسمين:-

أفاقي :- وهو زوال العلم الحصولي بالنسبة إلى الأفاق وهو يتعلق بفناء القلب وهو نصيب الأولياء عندهم .

564(2) رشحات عين الحياة ص154-155
565(3) رشحات عين الحياة ص146
566(4) رشحات عين الحياة ص215

أنفسي :- وهو زوال العلم الحضوري بالنسبة إلى الأنفس وهو متعلق بفناء النفس وهي بهذا الفناء تستقر في مقام الاطمئنان وتكون راضية عن الحق ومرضية له وهو نصيب الكمل من الأولياء.

ويعتبر الفناء الآفاقي عندهم بالنسبة للأنفسي كالظل له,وعلامة نسيان السوي عندهم يعني:-

عدم حضوره في القلب ، فينتفي العالم عيناً وأثراً فيصل المريد إلى حقيقة الفناء وهو فناء النفس.[567]
قال محمد بهاء نقشبند :

" إذا أنسى الله تعالى المريد الملك والملكوت فهذا الفناء وإذا أنساه فناءه فهو فناء الفناء". [568]

وفناء الفناء في الاصطلاح الصوفي مرتبة من مراتب الفناء ويراد به الفناء الثاني[569]
وهو أن يذهب الشعور بالفناء فلا يبقى للوجود الروحاني شعور ، ويكون في هذا المقام الروح ذاكراً والقلب ساجداً. [570]

يقول الفاروقي : "ولا يخفى عليك أن بقاء الإمكان في الممكن ليس عبارة عن بقاء الأثر في الممكن وبقاء ثبوته في مرتبة من مراتب الثبوت فإنه مناف للفناء الأتم ، والفاني بهذا الفناء بعد ردّ الأمانات إلى أهلها ورد الضلال المنعكسة فيه إلى أصلها من الوجود وتوابعه من الصفات الكاملة والنعوت الفاضلة لحِق هو بالعدم [571] الصرف الكامل في العدمية بحيث لم يوجد فيه إضافة ولا نسبة

567(1) المكتوبات:3/68
568(2) الحدائق الوردية:ص164
569(3) المعجم الصوفي:2/928
570(4) البهجة السنية ص92
571(1) العدم:كان الانسان بعد أن لم يكن,وسيفنى بعد ان كان,ومن كلا طرفيه عدم,فهو عدم,ومعنى ذلك أن الكائنات لا تثبت لها رتبة الوجود المطلق لأن الوجود الحق انما هو لله وله الاحدية فيه,ومن كان وجوده من غيره فالعدم وصفه في نفسه.والصوفي من يرى الخلق لا موجودين ولا معدومين بحسب ماهم في علم رب العالمين.انظر المعجم الصوفي/ص 174

إلى شيء ولا اسم ولا رسم فإن وجود الإضافة في العدم ينبيء عن ثبوته ولو في الجملة" .[572]

فالفناء عندهم مقدمة لوحدة الوجود فقد قالوا :

العبد مـالـم يفنى في خلاقة لم يتصف بحقيقة التوحيـد

ليس الفناء سوى استتار وجوده فعليك في الأقوال بالتسديد[573]

ويتضح المعنى أكثر عندما نقرأ للفاروقي قوله:

" اعلم أن العناية الإلهية جذبتني جذب المرادين[574] أولاً ثم يسرت لي طي منازل السلوك ثانياً فوجدت الله سبحانه أولا عين الأشياء كما قاله أرباب التوحيد الوجودي من متأخري الصوفية ثم وجدت الله في الأشياء من غير حلول[575] ولا سريان ثم وجدته سبحانه معها بمعية ذاتيه ثم رأيته بعدها ثم قبلها ثم رايته سبحانه وما رأيت شيئاً وهو المعنى بالتوحيد الشهودي المعبر عنه بالفناء وهو أول قدم توضع في الولاية وأسبق كمال في البداية.

ثم ترقيت في البقاء وهو ثاني قدم في الولاية فرأيت الأشياء ثانياً فوجدت الله تعالى عينها بل عين نفسي ثم وجدته تعالى في الأشياء بل في نفسي"

وهذا النص يبين عقيدتهم في الله من وحدة وجود إلى وحدة شهود إلى فناء وبقاء.

وفي تفسيره لقوله تعالى

[illegible]

---

[572] (2) المكتوبات :3/71,70

[573] (3) رشحات عين الحياة/ص165

[574] (4) المراد:هو العارف الذي لم تبق له ارادة,وقد وصل الى النهايات,وعبر الأحوال والمقامات والمقاصد والارادات,فهو مراد أريد به ما أريد,ولا يريد الا ما يريد.انظر المعجم الصوفي ص227

[575] (5)الحلول: قال بعضهم ان الله تعالى يحل في العارفين ,وقيل ان الله تعالى لا يحل في غيره,لأن الحلول هو الحصول على سبيل التبعية فينفى الوجوب الذاتي ,وكما لا تحل ذاته في غيره لا تحل صفته في غيره,لأن الانتقال لا يتصور على الصفات وإنما هو من خواص الأجسام والجواهر.والمخالف في هذا الأصل من المتصوفة قالوا لقد حل البارى تعالى في عيسى عليه السلام,وقالوا لا يمتنع ان يظهر الله تعالى في صورة بعض الكاملين,واكملهم العترة الطاهرة,ولم يتحاشوا ان يألهوا ائمتهم ,وهذه ضلالة بينة.انظرالمعجم الصوفي/ص81

[الإنسان : 1]

و تتضح الفكرة عندما يقول:

" بلى يارب قد أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا لا عينا ولا أثرا ولا شهودا ولا وجودا ثم يصير بعد ذلك إن شئت حياً بحياتك وباقياً ببقائك ومتخلقاً بأخلاقك بل صار باقياً بك بفضلك في عين الفناء وفانياً فيك في عين البقاء لتلازم بينهما وحصول كمالٍ كالواحد منهما بوجود الآخر"

ويوضح المعنى بمثال ضربه بقوله:

" مثل إنسان ألقى في معدن ملح حتى صار شيئاً فشيئاً منصبغاً بأحكام الملح إلى أن صار كله ملحاً ما بقي منه عين ولا أثر فلا جرم أبيح قتله وقطعة وحل أكله وبيعه وشراؤه فلو بقي منه عين أو أثر لما جاز ذلك كله".

ويكمل الفاروقي كلامه واصفاً طريق العودة بقوله : " ثم رأيت الأشياء وما رأيت الله تعالى أصلاً وهي النهاية التي هي الرجوع إلى البداية والعودة إلى مرتبة العوام"[576]

وعـودة الفـاني عنـدهم تكـون بـأن تـركب في الصـفات البشـرية والخصـائص الإنسـانية الزائلة لتحصل المناسـبة بينه وبين العـــــــــالم بعد ما زالت ، وليبتلى المكلفين ويختـبرهم ليمـيز الخـبيث من الطيب ، وليحصل الإيمـان بـالغيب بعد ما لبس الأمر وسُـتر الحـال ويسـتدلون بقوله تعـالى :

[الأنعام:9]

ويعتبر النقشبندية أن الفناء والبقاء من صفات الباطن كما يقول إمامهم الفاروقي لا تعلق للظاهر بهما بالأصالة فإن الظاهر دائم على أحكامه والباطن ينخلع ويتلبس [577]

وعند النقشبندية طريق على السالك أن يلتزمه لكي يحصل له الفناء

---

[576](1) المكتوبات 3/69-70 وانظر الأنوار القدسية ص181

[577](2) المكتوبات:3/69-70

قال صاحب الرشحات:" ينبغي للسالك أن يلتزم طريق المذلة والمسكنة لتحصيل الفناء والاضمحلال حتى يرى جمال الشاهد اللاهوتي في مرآة انعدامه"[(578)]

وإذا حصل الفناء بمعناه الذي سبق تحصل للفاني غيبة ، فالفناء عندهم يعني زوال البشرية يقول عبيد الله أحرار : "إن العارف من فنيت ذاته وصفاته في ذاته - تعالى – وصفاته فلم يبقى له اسم ولا رسم "[(579)]

قال بهاء الدين نقشبند:" كنت يوماً من أيام الأحوال في ذلك البستان أنا وجماعة من المتعلقين بي فغلبت عليَّ الجذبات الإلهية ولطف العنايات الربانية واضطربت اضطراباً عظيماً لم أطق معه الثبات ولا الاشتغال وأنا مستريح فقمت مسلوب القرار وجلست مستقبل القبلة فحصل لي وقتئذ غيبة اتصلت بالفناء الحقيقي، ورأيت أني في صورة نجم في بحر من نور بلا نهاية وأني انمحيت فيه ولم يبق بي من الحياة الظاهرة أثر ففزع الحاضرون وبكوا في تلك الحالة عليَّ ثم بعد ست ساعات ردت إليَّ بشريتي شيئاً فشيئاً"[(580)]

ويقول:" في أوائل حالي في الجذبة كنت قريباً من مزار مرداخن ومعي الدرويش محمد زاهد[(581)] وكان متكئاً ففي ذلك الحال فارقت روحي قلبي وذهبت إلى طرف السماء وهي بتلك الصفة وصلت إلى السماء الأولى ومن هناك إلى السماء الثانية والثالثة والرابعة وكذلك رجعت إلى الأرض ، ودخلت في قالبي وليس لمحمد زاهد خبر من هذه الحال".

ونقل عنه أيضاً " أني كنت ليلة في مبادئ الأحوال في مسجد زيورتون وكنت متوجها عند الاسطوانة لجهة القبلة فشرع أثر الفناء يظهر واستولى عليَّ قليلاً قليلا ، حتى انمحيت عني بالكلية وفي حال ذلك المحو والفناء الكلي قالوا لي :استيقظ فإنك حصلت ماهو المقصود

---

[578] (1) رشحات عين الحياة ص199

[579] (2) الأنوار القدسية ص163

[580] (3) الحدائق الوردية ص130

[581] (4) لم اقف على ترجمته

والمطلوب ووصلت إلى ذلك وبعد مدة ردوني من تلك الحالة إلى وجودي"(582)

ثالثاً : وحده الوجود وما ترتب عليها :-

يعتبر النقشبندية أن التوحيد الوجودي أعلى مراتب التوحيد وكتبهم مليئة بما يدل على هذه العقيدة مقتدين في ذلك بابن عربي إمام طريقتهم فقد ذكر صاحب رشحات عين الحياة قولا حكاه الجامي عن مولاه الخواجه محمد الكوثري أنه كان معتقداً لمصنفات ابن عربي وكان يقرر مسألة التوحيد الوجودي ويبينها على رأس المنبر.

قال بعض العارفين منهم : " إذا تجلى الله - سبحانه - للعبد بذاته يجد جميع ذوات الموجودات وصفاتهم وأفعالهم متلاشية في أشعة ذاته - تعالى - وصفاته وأفعاله ويجد نفسه بالنسبة إلى جميع الموجودات كأنه مدبرها ، ويرى ذاته وذات الحق - سبحانه وتعالى - وصفاته وصفات الحق وأفعاله وأفعال الحق متحدة لكونه مستهلكاً في عين التوحيد "(583)

وليس أدل من إيمانهم بهذه العقيدة من تفسيرهم لآيات القرآن الكريم عليها فقد قالوا عن قوله - تعالى - ﴿ [illegible] ﴾ [غافر:16]

يحتمل أن يكون المراد من الملك قلب السالك يعني لما تجلى الحق سبحانه وتعالى للقلب بقهر الأحدية لا يترك فيه شيئاً غيره فيلقى إليه صدى لمن الملك اليوم فإذا لم يرى في تلك المملكة غيره يجيب تعالى بنفسه بالضرورة بقوله لله الواحد القهار وهو صدى سبحاني ما أعظم شأني وأنا الحق وهل في الدارين غيري وأمثالها كلها من هذا المقام.(584)

وفي قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ [الكوثر:1]

يعني إنا أعطيناك شهود الأحدية في الكثرة(585) وهو ما يعبر عنه في الاصطلاح الصوفي

582(5) البهجة السنية 104

583(1) رشحات عين الحياة ص 112

584(2) رشحات عين الحياة ص186

585(3) رشحات عين الحياة ص186

بشهود المجمل في المفصل[586] .

يذكر صاحب رشحات عين الحياة رشحة لمولاه علاء الدين[587]تفسيراً لما قاله الحلاج:"أنا الحق" أراد به حقيقة نفسه وحيث قال فرعون أنا ربكم أراد به صورة نفسه فلو عرف فرعون أيضاً حقيقة نفسه لكان قوله مقبولاً. [588]

ومرادهم بحقيقة نفسه يعني الله فقد ذكر عبيد الله أحرار أن الله إذا تجلى في قلب العبد يمحو منه الغير فلا يبقى فيه إلا هو فيسمع القلب حينئذ: (سبحاني ما أعظم شأني) و (أنا الحق وهل في الدارين غيري).[589]

وقالوا إذا توجه الشيخ إلى قلب المريد تحصل للمريد الحركة العلمية فيخرج من دائرة الإمكان إلى دائرة الوجوب.[590]

وعلماء الكلام يقسمون الموجودات إلى وجود واجب وهو الله ووجود ممكن وهو كل ما سوى الله من المخلوقات ، وبهذا يكون المريد الممكن الوجود واجب الوجود تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وهم بهذه العقيدة يرون الله في كل شيء قال شيخهم عبد الكبير:

" بينما أنا في الطواف إذ هبت ريح وحركت أستار الكعبة وانكشف بعض جدرانها فحصل لي منه " كيفية" وسقطت مغشياً علي وتوجهت نحو حضره الشيخ فقال لي :

ما ترى في البيت فهو غير محدود بل هو في الجبال وفي الجدار وفي السماء وفي الأرض وفي الحجر وفي المدر

586(4) المعجم الصوفي ج1,ص138

587(1) لم اقف على ترجمته

588(2) رشحات عين الحياة ص143

589(3) المواهب السرمدية ص162 نقلا عن حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية ص68,تأليف:عبدالرحمن محمد سعيد دمشقيه,دار المسلم-الرياض,الطبعة الاولى/1419هـ-1998م

590(4) نور الهداية والعرفان ص76

موجود ومشهود بل كل ذلك هو هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو الله الذي لا إله إلا هو" .[591]

هذه أقوال بالوحدة المطلقة ، وان جميع المخلوقات هي – تعالى - عينه- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- بل أنهم يقولون أن بعض السالكين أرباب المكاشفات[592] والمجاهدات[593] يرون الحق سبحانه بالتجليات الصورية على اختلاف استعداداتهم ويستدلون على ذلك....بالتجلي[594] الصوري الذي وقع لسيدنا موسى- عليه السلام - في لباس شجرة في الوادي المقدس والتجلي الصوري الذي وقع لسيدنا محمد في صورة شاب مخطط الوجه .

ويقول ابن عربي في بعض مؤلفاته:"رأيت ربي على صورة الفرس".

يقول صاحب رشحات عين الحياة : " ويتجلى الحق سبحانه للعبد في التجليات الصورية التي هي مناسبة للآثار في صورة جميع الأشياء من مفردات العناصر والمعادن والنباتات والحيوانات وأفراد الإنسان ، وغاية التجلي الصوري في مرتبة الإنسان أن يتجلى الحق - سبحانه - للسالك في صورة صاحب التجلي،وليس أصعب على السالك من أن يتجلى له الحق - سبحانه - في صورة بحيث لا يرى السالك أحداً غير نفسه وكلما نظر يري الكل نفسه ويجد الموجودات كلها محاطة بنفسه ".[595]

591(5) رشحات عين الحياة ص139

592(6)المكاشفات: مكاشفات العيون بالابصار,ومكاشفات القلوب بالاتصال,والمكاشفة:حضور القلب بنعت البيان,فيكشف له الله عز وجل مايستتر على الفهم كأنه رآه رأي عين.انظر المعجم الصوفي ص238

593(1)المجاهدات: هي صدق الافتقار الى الله تعالى بالانقطاع عن كل ما سواه.وقيل بذل النفس في رضاء الحق,وقيل فطام النفس عن الشهوات,ونزع القلب عن الاماني والشبهات.انظر المعجم الصوفي ص 219-220

594(2) التجلي عبارة عن: ظهور ذات الله وصفاته,وهذا هو التجلي الرباني وتجلي الروح ايضاً.انظر المعجم الصوفي ص48

595(3) رشحات عين الحياة ص134

ولا عجب إذا ترتب على هذه الأقوال ما نلمح فيه القول بسقوط التكاليف ومن هذا تفسير عبيد الله أحرار لقوله تعالى [النجم : 53] أي اعرض عمن استغرق واستهلك في ذات الله ، واحتج بما قاله محي الدين ابن عربي:

ألا بـذكر الله تزاد الذنـوب وتنطمس البصائر والقلوب
وترك الذكر أحسن منه حـالا فإن الشمس ليس له غروب[596]

وما يؤيد ذلك ما قاله صاحب تنوير القلوب مستشهداً بقول أبي سعيد الخراز[597] " إذا أراد الله ان يوالي عبداً من عبيده فتح عليه باب ذكره ، فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب , ثم رفعه إلى مجالس الأنس[598] ، ثم جعله على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجاب وادخله دار الفردانية وكشف له حجاب الجلال والعظمة و إذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو فحينئذ يصبر العبد زمناً فانياً ثم انشد:

وبعد الفناء في الله كن كيف تشاء فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر[599]

---

[596](4) الحدائق الوردية ص161

[597](5) ابو سعيد الخراز:هو احمد بن عيسى قال عنه الجنيد:لو طلبنا الله بحقيقة ماعليه ابو سعيد الخراز لهلكنا ,توفي سنة 277هـ-وقيل 286هـ,انظر في صفوة الصفوة:(2/245)

[598](1) الانس والمؤانسة أيضاً:ويطلق على انس خاص هو الانس بالله,وهو التذاذ الروح بكمال الجمال,وهو من آثار مشاهدة الحضرة الالهية في القلب,وهو جمال الجلال,وقيل الانس ضد الهيبة,وقال الجنيد الانس ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة,وقيل الانس ان تستأنس بالاذكار فتغيب عن رؤية الاغيار.وقيل ان لله تعالى عباداً استأنسوا بالله فكانوا في وحدتهم اشد استئناساً من الناس في كثرتهم,والانس على احوال,فمن اهله من يأنس بالذكر ويستوحش من الغفلة,ويأنس بالطاعة ويستوحش بالذنب,ومنهم من يأنس بالله ويستوحش ماسوى الله,ومنهم من يذهب عن رؤية الانس بوجود الهيبة والقرب,ويصف الامام علي رضي الله عنه اهل الانس فيقول:هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الامر,فباشروا روح اليقين,واستلانوا ما استوعر المترفون,وانسوا بما استوحش منه الجاهلون,صحبوا الدنيا بأبدان,ارواحهم معلقة بالمحل الاعلى,اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه.المعجم الصوفي/ص35

[599](2) تنوير القلوب ص510 وكذا 466 .

يقول محمد بهاء نقشبند:"الصلاة والصيام والمجاهدة هي طريق الوصول إلى الله تعالى ولكن نفى الوجود عندنا أقرب وهذا وإن كان لا بد منه مع العبادة والمجاهدة أيضاً ولكن لا يحصل إلا بترك الاختيار وعدم رؤية الأعمال".

قال الشيخ صلاح جامع مناقب محمد بهاء نقشبند:"أن محمد بهاء كان مع أصحابه يوما فقال:

إن التعلق بالسوى أقوى حجاب   والتخلص منه فاتحة الوصول

فخطر ببالي ساعتئذ أن التعلق بالإيمان والإسلام أيضاً كذلك فالتفت بالحال إليِّ[600]وتبسم ثم قال: أما سمعت قول الحلاج قدس الله سره

كفرت بدين الله والكفر واجب   لديَّ وعند المسلمين قبيح[601]

رابعاً : صرف ما يجب لله إلى مشايخهم من الاستعانة والاستغاثة:

يعتقد النقشبندية أن للمشايخ قدرة على تفريج الكروب ، ومدَّ يد العون لمريديهم وإغاثتهم بناء على اعتقادهم بأنهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون . حال حياتهم وبعد مماتهم.

وعليه فلا عجب إذا اشتدت العلاقة بينهم وبين قبور أوليائهم ، فنجد القبر مكاناً للتبرك وطلب قضاء الحاجات.

والنقشبندية في كتبهم يصرحون بذكر ذلك الغرض من زيارة الأنبياء والأئمة بقولهم "فإن المقصود من الزيارة الاستمداد من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء والأئمة - عليهم السلام - والعبارة عن هذا الإمداد

---

[600](3) اشارة الى قدرات الاولياء لانهم يعلمون بما يختلج في الصدور كما سيأتي

[601](4) الحدائق الوردية ص134

الشفاعة وهذا يحصل من جهتين الاستمداد من هذا الجانب والإمداد من الجانب الآخر" .[602]

وليس من العجيب أن نقرأ هذا فشيخ الطريقة بهاء الدين نقشبند حصل له التكليف والولاية حينما اجتمع بسلسلة مشايخ النقشبندية وأخذ العهد والولاية والتكليف منهم في المقبرة.[603]

وقد أجاب شمس الدين محمد الرملي [604] عن سؤال عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد يا شيخ فلان ونحو ذلك من الاستغاثة بالأنبياء والأولياء هل هو جائز وهل للمشايخ إغاثة بعد موتهم .

فأجاب: بأن الاستغاثة بالأنبياء والأولياء جائزة ولهم إغاثة بعد موتهم لأن معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بعد موتهم[605] .كما أنهم يرون أن الدعاء عند قبور الصالحين آكد في الاستحباب وأن لتلك البقعة شرفاً وفضلاً بوجود ذلك الصالح فيها.[606]

فقبر شاه نقشبند لم يزل إلى يومنا هذا يزار ويستغاث بجنابه كما ذكر ذلك صاحب الأنوار القدسية ويكتحل بتراب أعتابه ويلتجأ إلى أبوابه.[607]

وقد زعموا أن أحد أحبابه رآه في المنام فأخبره أن الله أكرمه بأن يشفع إلى مائة فرسخ من جهات قبره الأربع.[608]

كما أنهم يعتقدون أن الولي لديه القدرة على التصور في صور عديدة قال أحد مشايخهم:" إن الله يوكل بقبر الولي ملكا يقضي الحوائج ، وتارة يخرج الولي من قبره ويقضيها بنفسه"[609]. ويرون أنه كما أن الشيطان لا يمكن أن يتمثل بصورة النبي لا يستطيع أن يتمثل بصورة الشيخ

[602](1) نور الهداية والعرفان ص38

[603](2) المواهب السرمدية ص113

[604](3) شيخ من مشايخ الطريقة النقشبندية,انظر نور الهداية والعرفان ص 60

[605](4) نور الهداية والعرفان ص60

[606](5) نور الهداية والعرفان ص62

[607](1)الانوار القدسية ص142

[608](2) الحدائق الوردية ص148

[609](3) تنوير القلوب ص410

ولذا تظهر صور المشايخ في مناطق مختلفة في آن واحد ويمكنهم الله من الظهور بصور عديدة بلا حصر وقد يكون لهم صورة واحدة تملأ الكون فالتعدد يكون للصورة الروحانية[610] إذ الأرواح عندهم على ثلاثة أنواع:-

الأول أرواح مجردة

وهي قبل تعلقها بالأجساد الإنسانية

الثانية أرواح مفارقة

لأنها فارقت الأجساد لكنها باقية بسبب البعث والحشر والميزان

الثالثة أرواح متصرفة

وهى متعلقة بها و تصرفه فيها لكسب الكمالات الدنيوية والأخروية,وهذا النوع من الأرواح ، تندرج تحته أرواح الأولياء فلأرواحهم تصرفات ثلاثة:

الأول – التجسد والتمثيل بالصورة

وهذا التجسد والتمثيل إما قبل تعلقها بالأجساد: كتجسد روح سيدنا علي - كرم الله وجهه - لاستخلاص سيدنا سلمان الفارسي - رضي الله عنه - من السبع المفترس وإما بعد تعلقها بها: كتجسد الشيخ الكامل لمريده في حال اليقظة حين اشتغاله بالرابطة أو في الرؤية حال المنام مع مكالمتهم وإرشادهم ، أو كتجسد صورهم في أماكن متعددة في لحظة واحدة

الثاني – التصرف في الأجساد النورانية

ويمثلون لهذا النوع بجسد النبي لأنهم يعتقدون أن أصل خلقه نوراني وانه لا يرى له ظل بالغدو والآصال (كما أنتشر عند العامة)

الثالث – التصرف في الأشياء

فهم يرون أن أرواح الأبدال و الأنجاب والأوتاد والقطب والغوث باقية وأن لهم كرامات ثابتة وتصرفهم باق إلى يوم القيامة لا ينقطع بالموت فهم أهل الحل والعقد[611]

610(4) نور الهداية والعرفان ص55-95

611(1) نور الهداية والعرفان ص24-28 وسيأتي التعريف بالابدال والاقطاب والانجاب وغيرهم ومناقشة قدرتهم على التصرف في المبحث الثالث من الفصل الثاني من الباب الثالث بإذن الله

ولعل هذا التقسيم ما يفسر اعتقادهم السابق,يقول أحمد ولي الله الدهلوي[612] في كتابه القول الجميل:"وللنقشبندية تصرفات عجيبة من جمع الهمة على المراد فيكون على وفق الهمة والتأثير في الطالب ودفع المرض عن المريض و إفاضة التوبة على المعاصي والتصرف في قلوب الناس حتى يحبوا ويبغضوا وفي مداركهم حتى تتمثل فيها واقعات عظيمة والإطلاع على نسبة أهل الله من الأحياء وأهل القبور والإشراف على خواطر الناس وما يختلج في الصدور وكشف الوقائع المستقبلة ودفع البلية النازلة وغيرها".[613]

هذا إجمال تفصيله بذكر ماورد في كتبهم من قصص عن كرامات أوليائهم :

- الخلق : يرون أن لبعض أوليائهم القدرة على خلق كل ما أرادوا خلقه .

قال صاحب رشحات عين الحياة: " قال حضرة شيخنا : قد أعطى بعض العارفين قدرة على كل ما أرادوا خلقه".[614]وأنهم أصحاب همه[615] يستطيعون توجيهها إلى ما أرادوا يفعلون بها ما يريدون.

قال صاحب (الرشحات) : " كما أن معارضة القرآن غير ممكنة فكذلك معارضة الأولياء أصحاب الهمة فإن همة العارف فعالة لا يتخلف المراد عنها فمن عارض تلك الهمة يصير مغلوباً البته".

وضرب لذلك مثالاً ، " فحكى أن سعد الدين الكاشغرلي وغيره كانوا يمتحنون قوة همتهم فيذهبون إلى أمكنة المتصارعين فيتوجهون بهمتهم إلى أحد المتصارعين وهو ضعيف فيتغلب على خصمه و إن كان أقوى منه . وأن قوتهم لا يقف في وجهها ولا حتى مائة ألف رجل فإن في أكابر سلسلتهم تصرفات يحصل كلما يريده خواطرهم ، والعجيب قوله أن مثل هذه الهمة

612(2) انظر في ترجمته الفصل الثاني من الباب الثاني

613(3) نور الهداية ص36

614(4) رشحات عين الحياة ص133

615(5)الهمة:هي توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية الى جانب الحق لحصول الكمال له او لغيره,انظر المعجم الصوفي:ص252

تحصل حتى للكافر إذا توجه بخاطره إلى أمر وصرف همته إليه يحصل له ذلك الأمر وليس الإيمان والعمل الصالح شرطاً فيه"[(616)]

- أنهم يرون الأشياء من مواضع بعيده يقول صاحب الرشحات : " ولهم نظر آخر وراء القوة المبصرة : يرون به الأشياء في ليلة مظلمة من مواضع بعيدة ولا يكون البعد المكاني مانعاً عن هذا النظر".

- القدرة على التصرف في قلوب الناس والإشراف على خواطرهم .

قال الدهلوي : " وللنقشبندية تصرفات عجيبة من التصرف في قلوب الناس والإشراف على خواطر الناس وما يختلج في الصدور".[(617)]

- علم الغيب للمستقبل.

لما حصل للشاه نقشبند التكليف والولاية للطريقة اجتمع مع سلفه من أصحاب الطريقة (أمواتاً) فأعطوه علامات قبول ولايته وقالوا له: " تذهب غداً عند مولانا شمس الدين الأبنيكوني وتخبره بأن ما يدعيه فلان التركي صحيح ، والحق مع التركي فإن أنكر السقا صحة هذه الدعوى فقل له عندي شاهدان : الأول أنك يا سقا عطشان ، فهو يعرف معنى هذه الكلمة . والثاني أنك أتيت امرأة أجنبية فحملت منك فسعيت بإسقاط الحمل ودفنته في الموضع الفلاني ... ثم اذهب إلى نسف لخدمة السيد أمير كلال وستجد في المحل الفلاني شيخاً يعطيك رغيفاً حاراً فخذه منه ولا تكلمه .. وامض على طريقك فتمر على قافلة إذا تجاوزتها استقبلك فارس فانصحه فإنه ستكون توبته على يديك".

والقصة طويلة وتنتهي إلى حدوث ما أخبروه به [(618)]

616(1) رشحات عين الحياة ص216-217 و ص220-221

617(2) شفاء العليل ترجمة القول الجميل ص104 نقلا عن النقشبندية عرض وتحليل, ص,78 تأليف:عبدالرحمن دمشقيه-مكتبة ابن تيمية,الطبعة الثانية,1408هـ-1988م

618(1) الانوار القدسية ص128-129 ، وجامع كرامات الأولياء (1/ 145-146)

ومما يذكر في ذلك أن زوجة أحد أصحاب عبدالله دهلوي مرضت ، فالتمس منه أن يدعو الله تعالى بتخفيف مرضها فلم يفعل ، فألح عليه ، فقال له : لا تبقى هذه المرأة أكثر من خمسة عشر يوماً ،فبقدرة الله تعالى توفيت يوم الخامس عشر.[619]

- العلم بما يختلج في الصدور [620]

يحكون عن الشيخ عبيد الله أحرار أنه " ما من خاطر إلا وقد اطلع عليه"[621]

ومن كرامات الشيخ أحمد ضياء الدين " أن أحد مريديه حدثته نفسه أن يسأل حضرة الشيخ ظهور كرامة فكاشفة الشيخ في الحال بما في نفسه وقال له : الاستقامة خير من ألف كرامة" [622]

وخطر ببال أحد الواقفين أمام الشيخ محمد سيف الدين الفاروقي أن هذا الشيخ متكبر فعرف ما في قلبه وقال له : " تكبري من تكبر الحق تعالى ".

وأما محمد الخاني النقشبندي يخبر عنه أصحابه أنه كان يخبر بالأمر قبل أن يقع فيقع كما أخبر وكان في الاطلاع على خواطر المريدين مرآة صقيلة يلوح فيها أدنى الخطرات كأعلاها . وكان لا يسأل مريده عن أحواله أبداً بل هو الذي يخبر المريد بأطواره.[623]

- القول للشيء كن فيكون

قال صاحب نور الهداية والعرفان : " وسئل أحد أكابر الأئمة عمن قال : إن من كرامات الولي أن يقول للشيء كن فيكون .

فنهى أحدهم هذا القائل عن ذلك فقال – أي لمن نهاه - : من أنكر ذلك فعقيدته فاسدة. فهل ما ادعاه صحيح – أي أن من كرامات الولي أن يقول للشيء كن فيكون - ؟

619(2) الانوار القدسية ص216-217 ، جامع كرامات الأولياء (2 / 129)

620(3) الانوار القدسية ص175 ، جامع كرامات الأولياء (2 / 140)

621(4) الانوار القدسية ص272

622(5) الانوار القدسية ص200 ، وانظر الحدائق الوردية ص 135 ،200

623(6)الحدائق الوردية ص272 ، وانظر جامع كرامات الأولياء جـ1 / 222 - 223

فأجاب بأن ما قاله صحيح إذ الكرامة الأمر الخارق للعادة يظهره الله - تعالى - على يد وليه".[624]

- القدرة على نقل الأمراض من شخص لآخر

يذكر النقشبندية أن لعبيد الله أحرار ميزة عجيبة فكان عنده قوة ينقل بها المرض من شخص لآخر .

ونص الدهلوي على أن نقل المرض من كرامات مشايخ هذه الطريقة [625] . ويحكي الخاني " أن الشيخ عبيدالله أحرار مرض فقال له الشيخ قاسم : إني قد فديتك بنفسي . فقال له عبيد الله : لا تفعل هكذا فإن المتعلقين بك كثيرون وأنت رجل شاب . فقال الشيخ قاسم : ما جئتك مستشيراً في هذا الأمر بل قررته في نفسي وصممت عليه وجئتك ، وقد قبل الله مني ذلك . ففي اليوم التالي انتقل مرض الشيخ عبيدالله إلى الشيخ القاسم ، وبرئ الشيخ عبيد الله من المرض برءاً تاماً فلم يعد بحاجة إلى طبيب"[626]

ويحكي الخاني أن تحمل المشايخ للأمراض ونقله إلى آخرين من عادة السادة أصحاب الطريقة .[627]

وقال أحد أصحاب المولى الجامي الذي يصفه النقشبنديون بــ(روح الله)[628] : " لما سمعت بمرض مولانا الجامي حضرت إليه لعيادته فرأيت المرض قد قام منه وتوجه إلي فتضرعت إلى الله وقلت يا رب ليس لي طاقة لتحمل هذا المرض فاندفع المرض عني .

وقد حضر الجامي إلى شخص أثناء نزعه الأخير وأعاده إلى الحياة بالرغم من خروج الروح منه".[629]

---

[624](1)نور الهداية والعرفان ص60

[625](2) جامع كرامات الأولياء (2/ 236) ، الانوار القدسية (177) ، الحدائق الوردية(ص9) وانظر رشحات عين الحياة (247- 248)

[626](3) شفاء العليل ترجمة القول الجميل (104) نقلاً عن الطريقة النقشبندية عرض وتحليل ص47

[627](4) الانوار القدسية (177) ، جامع كرامات الأولياء (2/ 236 - 237)

[628](5) الحدائق الوردية (148)

[629](1) المكتوبات (1/10)

- القدرة على وهب الثواب للمريد وإنزال العقاب بالمعترض

ومن ذلك أنه أهديت لبهاء الدين نقشبند سمكة مطبوخة وكان عنده شاب زاهد عابد فقال للشاب: "أفطر فلم يقبل الشاب فقال له : أفطر وأنا أهبك صوم يوم من شهر رمضان ، فأبى فقال له : أفطر و أنا أهبك صيام أيام شهر رمضان . فأبى فقال بهاء للناس : دعوه فإنه من المبعدين . فنظرا لا نهماكه في أوامر أهل الله ابتلاه الله بالانهماك في الدنيا والإعراض عما فيه من سعادة العباد"[(630)]

وحين الاعتراض على الأولياء فلدى الولي القدرة على إنزال العقاب على المعترض. فقد حكوا أن أحد الأولياء النقشبنديين اعترض عليه رجل فعاقبة هذا الولي بمرض الإسهال . فصار يقعد بين النجاسات والقاذورات ويضعها في أنفه ويقول نعم الشيء المسهل ويعمل من نجاسته دمى يلعب بها ثم تقطعت أمعاؤه ومات بسبب شدة مرض الإسهال الذي أصابه به الولي.[(631)]

وأن رجل رافضي كان عند الشيخ محمد معصوم يطعن في ابي بكر وعمر فغضب الشيخ غضباً شديداً وكان بين يديه بطيخ : فأخذ السكين وقال لها : اذبحي هذا الخبيث ثم مرر السكين على البطيخ فمات الرافضي من وقته.

وأن حبيب الله جان جانان غضب مره من رجل فقال : إني رأيت كل المشايخ إلى حضرة الصديق قد أعرضو عنه فمات الرجل ثالث يوم من غضبه.[(632)]

ويعتبر النقشبندية أن إنكار هذه الأمور على الأولياء الكاملين والعلماء العاملين سمُ قاتل قد ورد فيه الوعيد الشديد ، وهو عندهم علامةُ على إعراض القلب عن الله عز وجل
ويخشى على فاعلة من سوء الخاتمة.[(633)]

---

[630] (2) الحدائق الوردية ص126
[631] (3) رشحات عين الحياة ص229
[632] (4) الانوار القدسية ص204
[633] (5) نور الهداية والعرفان ص67

- ما ترتب على هذا الاعتقاد:

التقرب للولي وهو عندهم بقصد التبرك بكل ماله علاقة به ، مثل مشهده ومسجده وعصاه وصوته ونعله وعضادته ، وعادته ، وسيرته وولده الذي هو بضعة منه ولو بعد توالد وتناسل ، ويرى النقشبندية أن هذا التقرب مقتضي للشفاعة.

ويرون لتبرير هذا الاعتقاد أنه لو وضع شعر رسول الله ﷺ أو عضادته أو سوطه على قبر عاص أو مذنب نجا ذلك المذنب ببركات تلك الذخيرة من العذاب[634]

- الإستغاثه بهم

يرى النقشبندية أن الشيخ محمد معصوم كان غوثاً يستغيث به الناس ويصفونه بحضرة القيوم فقد سقط أحد مريديه عن فرسه في الصحراء ، قال : " فا ستغثت بحضرة القيوم ، فحضر بنفسه وأنقذني".

كذلك أشرف آخر من أتباعه على الغرق فاستغاث به فحضر في الحال وأنقذه ، وكان يغيث الناس في أقصى الأرض وهو جالس في مكانه . فقد استغاث به رجل في سفينة كانت تغرق فمد الشيخ يده وانتشل السفينة وهو في بيته أمام أصحابه الذين رأوا فجأة أن كمه صارت مبلله بعد أن رأوه يمدها في الهواء.[635]

ويحكون عن هذا الشيخ أنه كان وليا منذ الولادة . وانه لم يكن يأخذ ثدي أمه في رمضان . وتكلم بـالتوحيد وهو ابن ثلاث سنوات فقال: أنا الأرض أنا السماء أنا كذا أنا : هذا الجدار حتى هذه الأشجار حق . وكان يقول : إني أرى نفسي نوراً سارياً في كل ذرة من ذرات العالم والعالم يتنور بي كالشمس . وقد خلعة الله بخلعة (أي صفة) القيومية فصاروا يصفونه بالقيوم.[636]

---

[634](1) نور الهداية ص28

[635](2) جامع كرامات الأولياء (1/ 199) ، الانوار القدسية 195، الحدائق الوردية 195.

[636](3) رشحات عين الحياة ص229

يذكر صاحب الأنوار القدسية ، جاء يوم سيل عظيم على قرية (مولانا عارف)فخاف أهلها من الغرق ففزعوا إليه فخرج وجلس مكان طغيان الماء
وقال للماء : "إن كان لك قوة فاحملني . فتراجع السيل.".[637]
- طلب المدد
- الدعاء
وهم يتوجهون بالدعاء إلى حيث أماكن مشايخهم ولو من مكان بعيد ويستقبلون قبلتهم . فقد ذكر صاحب الرشحات : " أن واحداً من مريدي الشيخ قطب الدين حيدر كان جائعاً فقلب وجهه نحو قرية شيخه وقال : شيء لله يا قطب الدين حيدر لا تحرمنا من بركاتك أصلاً ولا تنسانا"[638]
وقد جعلوا التوجه إلى قبلة الشيخ والاستمداد من باطن همته أفضل من التزام أعمال الخير بل بل أفضل من التزام الرجوع إلى الله عزوجل.[639]

التوسل بالسلسلة النقشبندية

التوسل بسلسلة الطريقة التي يسلكها المريد سلوك عام في الطرق الصوفية بل هو من واجبات المريد إذا أراد الترقي والوصول وهذا التوسل انطلاقا من عقيدة راسخة لدى المريدين عن قدرات المشايخ ، ومددهم في الدنيا ، وحتى بعد موتهم ، وعادة ما تكون سلسلة المشايخ على شكل قصائد مكتوبة بحسب التسلسل التاريخي للمشايخ .[640]
وهذا الكلام ينطبق بشكل كبير على الطريقة النقشبندية قال أبو سعيد محمد الخادمي[641] في فضل

---

[637] (1)الانوار القدسية ص125
[638] (2) رشحات عين الحياة ص194
[639] (3) رشحات عين الحياة ص140
[640] (4) عقائد الصوفيه في ضوء الكتاب والسنة / د محمودالمراكبي ص 391 ، 392,مطابع الاهرام ط3/1996م
[641] (5) أبو سعيد الخادمي هو : محمد بن مصطفى بن عثمان الحسيني الخادمي النقشبندي,ولد في خادم من اعمال ولاية قونية بالاناضول,وتوفي بتا عام 1176هـ/1762م من تصانيفه:- البريقة المحمدية في شرح الطريقة المحمدية- العرائس والنفائس في المنطق- مجامع الحقائق في

قراءة السلسلة " من يقراء سلسلة المشايخ بعد ختم الخواجكان وعند تلقين الذكر للمريد ، وعند شروع ذكره وتمام ورده تحصل له الترقيات والمكاشفات ويقرؤها لتفريج الكروب والهموم والغموم ، وتيسير المراد وقضاء الحوائج ولشفاء المريض" [642]

فنجد كتبهم مملؤة بتلك القصائد فمنها ما يسمى بالفتوحات السنية ، ومنها ما يسمى بالأنوار المحمدية وغيرها

حيث تبدأ عادة بالتوسل بالله - عز وجل - ، ثم بالنبي وأهل بيته وأصحابه وفى بعضها بالأنبياء ، ثم بأبي بكر الصديق الذي يعدونه أصل الطريقة كما سبق ثم سلمان و أبي يزيد البسطامي وهكذا تتسلسل القصيدة مع مشايخ الطريقة واحداً بعد الأخر ، وكل منهم يلقب بأحسن الألقاب .

ومن أمثلة هذه القصائد قصيدة التوسل المزيل من القلوب الوساوس الشيطانية المسمى بالفتوحات السنية مؤلفها محمد يوسف السقا .

الاصول- رسائل في الاحاديث الضعيفة- رسالة في وحدة الوجود,بالاضافة الى تفسير العديد من سور القرآن/انظرترجمته في"الطريقة النقشبندية واعلامها":ص157

[642](1) الإجابة الربانية ص 37

بدأت ببسم الله منشئ خلقنـــ … تبارك رحمانا رحيما مهيمنا
واحمده إذ ليس يحمده غــيره … واشكره إذا بالعطايـا أمدنــا
فسبحانه أهدى مفاتيح جوده … خزائن إمكان الوجود وأحسنا
فكانت مصابيحاً لمكنون سره … وكل له بالمجد والقهر أذعنـا
هو الأول الباقي هو الواحد الغنى … وفى الأرض آيات لمن كان موقنا
وأزكى صلاة مع اجل تحيتــة … لأجناس أنواع السرور تضمنا
على منبع الأنوار سر الحقائق … ودرة عقد المرسلين هداتنا
إمام الورى المبعوث للخلق رحـ … وشمس سماء المجد قدوة ديننا
أبى القاسم المهدي إلى الناس … محمد المختار طه نبينا
مرسلاَ … تلاهم بإحسان إلى يوم حشرنا
وعترته والآل والصحب ثم من … بمحكمة القرآن شرف قدرنا
وبعد فإن الله جل ثناؤه … كذا وعده أن يستجيب دعاءنا
وفيه بدا نص على الأمر بالدعا … أسير الخطايا في القبائح قاطنا
فها أنا ذا عبداً ضعيفاً محقراً … بأسمائك الحسنى كما قد أمرتنا
دعوتك يا رب الورى متوسلاً … وسر كتاب جاء بالحق معلنا
بأوصافك العليا وأسرار سرها … وبالمصطفى خير الأنام حبيبنا
وبالأنبياء والمرسلين جميعهم … أمام الورى مفنى الأعادي علينا
وبابنته الزهراء ثم بزوجها … وأزواجه اللاتي طهرن من العنا
وبالقمرين النيرين وزينب … ولاسيما الصديق من فاز بالمنى
وسائر أهل البيت ثم بصحبة … هو الفارسي سلمان ذو المجد
بوارثه المولى الصحابي المفضل … والسنا
وبابن أبن صديق النبي وهو قاسم … وبالصادق المشهور جعفر زخرنا
وبالبطل المعروف كنز المعارف … هو السيد البسطام شيخ شيوخنا
وبالخرقاني الشهير أبى الحسن … وبالفارمدي من نال منه المحاسنا
وبالهمدانى الشيخ يوسف سيدي … وبالغجدوانى الحبر بحر عطائنا
بعارف المولى ومحمود مع على … وبابا لسماسى مع كلال أميرنا
وبالعلم المشهور غوث الخلائق … ملاذي بهاء الدين ربى به اهدانا
عن أنقش الاسم الكريم بصدره

الحيوانات وأخذها الأولياء بها عند النقشبندية:

[643] (1) الإجابة الربانية ص20.

الحيوانات وعلاقة الأولياء بها عند النقشبندية:

الحيوانات عند أصحاب هذه الطريقة لهم مكانة عظيمة كما تقدم في الحديث عن وحدة الوجود ذلك أن السالكين يرون الحق سبحانه بالتجليات الصورية على صورة الفرس كما حكاه صاحب الرشحات عن شيخهم ابن عربي.[644]

ويعتقد النقشبندية أن من الحيوانات أولياء وصلوا في الولاية إلى درجة الكمال يطلب منهم الإمداد ويحصل بخدمتهم سعادة عظيمة ، حيث نطالع في كتب القوم قصة لمؤسس هذه الطريقة في بدايات سلوكه ، أن شيخه أمره بخدمة الحيوانات ومداواة أمراضهم ومداراة جروحهم وقروحهم قال:" فنهضت بهذه الخدمة سبع سنين كما أمرني حتى كنت إذا لا قاني كلب في الطريق وقفت حتى يمر هو أولا حتى لا أتقدم عليه ، ثم بعد ذلك أمرني أن اشتغل بخدمة كلاب هذه الحضرة بالصدق والخضوع و أطلب منهم الإمداد وقال لي : إنك ستصل كلباً منهم تنال بخدمته سعادة عظيمة ، فاغتنمت نعمة هذه الخدمة ولم آل جهداً بأدائها حسب إشارته ورغبة ببشارته حتى وصلت إلى كلب فحصل لي من لقائه أعظم حال فوقفت بين يديه واستولى علي بكاء شديد فاستلقى في الحال على ظهره ورفع قوائمه الأربع نحو السماء فسمعت له صوتاً حزيناً وتأوها وحنينا فرفعت يدي تواضعا وانكسارا وجعلت أقول آمين حتى سكت وانقلب، ووجدت حرباء قد استغرقت في رؤية جمال الشمس فاعتراني

---

[644](1) رشحات عين الحياة ص134

من مشاهدتها وجد[645] وخطر لي أن أطلب الشفاعة منها وهي في هذا المقام فوقفت
على أتم هيئة من الأدب والاحترام ورفعت يدي فرجعت من استغراقها واستلقت على ظهرها وتوجهت إلى السماء وأنا أقول آمين". [646]

وعلى ذلك يستشهد صاحب كتاب البهجة السنية بقول لابن عربي في معرض كلامه عن المشايخ الموصلين إلى الله تعالى.

" وأما الحيوانات قلنا منهم شيوخ ومن اللذين اعتمدت عليهم الفرس ، فإن عبادته عجيبة والبازي والهرة والكلب والفهد والنحلة وغير ذلك ، فما قدرت قط أن أتصف بعبادتهم على حد ماهم عليها وغايتي أن أقدر على ذلك في وقت دون وقت".[647]

645(2) الوجد: كل ما صادف القلب من غم اوفرح فهو وجد,والوجد مكاشفات من الحق,والوجد وجدان,وجد ملك:أي ان يملك اذا وجدك,ووجد لقاء.وكل وجد تجده فهو وجد لقاء,وكل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل.والوجد لا يكون الا لاهل البدايات,لانه يرد عقب الفقد,فمن لا فقد له لا وجد له,والواجد:صاحب التلوين,يجد تارة بغيبة صفات النفس,واخرى بوجودها,ويثيره تارة سماع خطاب المحبوب ,وتارة يكون بشهود جماله,ولذا قيل ان الوجد هو خشوع الروح عند مطالعة سر الحق,او عجز الروح عن احتمال غلبة الشوق من حلاوة الذكر,او بتأثير وارد من الله يورث الحزن او السرور ، انظر معجم مصطلحات الصوفية للحفني ص195.

646(1) الحدائق الوردية ص129-130

647(2) البهجه السنية ص12

المبحث الخامس:عقيدتهم في رسول الله ﷺ:
أولاً : الحقيقة المحمدية

لقد ذهب الصوفية في النبي ﷺمذاهب شتى ، فمنهم من يرى أنه حقيقة الذات الإلهية، ومن يرى أنه نور من نور الله قديم قبل العرش ، وقبل الماء وانه كان يعلم جبريل القرآن، بل كان هو الذي ينزل عليه .

ولعل هذا ما يفسر الاختلاف في تعريف ما ذهبوا إليه ، إلا أن هذه التعريفات على اختلافها تشترك في أمر واحد وهى الإطراء للنبي ﷺ، بدعوى حبه إطراء يشبه إطراء النصارى بل يزيدون عليهم ، فنجد من يعرفها بأنها " الذات مع التعيين الأول ، وهى الاسم الأعظم ، وسر الحقيقة وما لا يفشى من حقيقة الحق في كل شيء "(648)

ومنهم من يعرفها بأنها " ضامه لجميع الذوات ، هادية بأمر الله لا تحدث أمراً إلا بأذنه، وهى قديمة قدم الخالق ، وهى خلق دون إيجاده إذ هي الوجه المتعين للنور الأول " (649).

وهناك تعريفات أكثر وضوحاً .

فهي " حقيقة الحقائق هي المرتبة الإنسانية الكمالية الإلهية الجامعة لسائر المراتب كلها وهى المسماة

---

[648](1) معجم مصطلحات الصوفية - ص 79
[649](2) النصوص في مصطلحات الصوفية محمد غازي عرابي نقلاً عن عقائد الصوفية ص58

بحضرة الجمع ، وبأحدية الجمع ، وبها تتم الدوائر وهي أول مرتبة تعينت في غيب الذات وهى الحقيقة المحمدية " .[650]

وهي أيضاً : " صورة الحق هو محمد لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية "[651]

والفرق بين الأحدية والواحدية " أن الاحدية لا يظهر فيها شيء من الأسماء والصفات ، أما الواحدية فتظهر فيها الأسماء والصفات"ومحمد هو الأحدية ، التي هي " مجلي الذات الإلهية ليس للأسماء ولا للصفات ولا لشئ من مؤثراتها فيه ظهور ، فهي أسم لصرافة الذات المجردة من الاعتبارات الحقية والخلقية".[652]

ومحمد هو الواحدية وهى عبارة " عن مجلي ظهور الذات فيها صفة ، والصفة فيها ذات"[653]

وقد عرفت بأنها: " هي الذات مع التعيين الأول ، فله الأسماء الحسنى كلها وهى الاسم الأعظم ".[654]فهو ﷺ -عندهم – الاسم الأعظم ,والاسم الأعظم هو " الجامع لجميع الأسماء " أو هو أسم الذات الإلهية من حيث هي هي أي المطلقة[655]

يقول الحلاج في طواسينه : " أن نور محمد أشرق قبل أن يكون الخلق ومنه أستمد الأنبياء هديهم ، والأولياء معارفهم ، لتجليه على مر الأيام فيهم ، وهذا النور القديم كما هو مصدر الهداية هو مصدر خلق ، فمنه كانت الأكوان ، ولولاه لما كان وجود " .

ثم يضيف:" أنوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم من نوره ظهرت، وليس في الأنوار نور أنور وأظهر وأقدم

---

[650](3) رسالة في معرفة الحقائق لمحمد الدمرداش ص 7 نقلاً عن عقائد الصوفية ص105

[651](4) جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم وأصنافهم وأصول كل طريق ومهمات المريد وشروط الشيخ ص107,لأحمد ضياء الكمشخاتلي .طبع بالمطبعة الجماليةبمصر1328هـ

[652](5) أي أنها لاتوصف بأنها حق ولا توصف بأنها خلق في تلك المرتبة

[653](1)جامع الأصول (مادني الأحدية والواحدية)

[654](2) معجم الكلمات الصوفية ص28

[655](3) جامع الأصول ص 92

سوى نور صاحب الكرم، وهمته سبقت الهمم، ووجوده سبق العدم، وأسمه سبق القلم لأنه كان قبل الأمم "[656]

لقد نادى الحلاج بين الصوفية من أهل السنة بهذه النظرية القديمة ، التي مزجت الفلسفات اليونانية والنظرة المسيحية للابن ، والمزاعم الشيعية عن الأمام .

فهذه الفكرة جسر عبرت عليه كل الأفكار الهدامة[657] ثم وجدت من يطورها مرة ويفلسفها أخرى ويغلفها بقشرة أسلامية حتى يدخل بها إلى قلب أهل السنة.

وهذا هو الدور الذي قام به أبن عربي الذي هو في نظر النقشبندية خاتم الأولياء وهو غوث المحققين وقطب الموحدين .[658]

وهو أمام أهل الكشف والوجود وقدوتهم [659]،كما أن للحلاج مكانة كبيرة عندهم

فهم يستشهدون بكلامه ويدافعون عنه ويصفونه بأعلى المقامات.[660]

وعند النظر في كتب أبن عربي لتتبع أفكاره ، نجده في بداية كتاباته " الفتوحات المكية، مواقع النجوم ، عنقاء مغرب ، شجرة الكون " كان حذراً في عرض أفكاره لذا كان يستخدم الرمز والأسلوب الإشارى فكانت أفكاره غامضة لا يكاد يفهم مراده منها.

لكنه في آخر كتبه " فصوص الحكم " نجده قد تخلى عن حذره فكانت أفكاره واضحة قد انقشع عنها الغموض، وعبر عنها بعد أن تخلي عن خوفه القديم أن يرمى بالكفر والزندقة، وأيضاً بعدما حقق شهرة وأتباعاً، وحماية كافية.[661]

يقول ابن عربي في فتوحاته :" إيجاز البيان بضرب من الأجمال : بدء الخلق الهباء ، وأول موجود فيه الحقيقة

656(4) عقائد الصوفية ص120.
657(5) عقائد الصوفية ص 43
658(6) رشحات عين الحياة ص 73
659(7) الحدائق الوردية ص 285
660(1) الأنوار القدسية ص 121
661(2) عقائد الصوفية ص 60

المحمدية الرحمانية ، ولا أين يحصرها لعدم التمييز ,ومم وجد ؟ وجد من الحقيقة المعلومة التي لا تتصف بالوجود ولا بالعدم ,وفيم وجد ؟ في الهباء,وعلى أى مثال وجد ؟ الصورة المعلومة في نفس الحق ,ولما وجد لإظهار الحقائق الإلهية ,وما غايته ؟ التخلص من المزجة ".[662]

فالذين يؤمنون بوحدة الوجود من فلاسفة المتصوفة يرون أن الوجود الإلهي له أطوار ومراتب ، أو تعيينات ونسب ، أو تنزلات وإضافات وكلها ذات مدلول واحد ، وأولى تلك المراتب " العماء " والوجود الإلهي في هذا الطور لايوصف بوصف ولا يسمى باسم، ولا يعرف بحد ولا برسم وقد يسمى الرب الصوفي في تلك المرتبة بالوجود المطلق.

ولقد أراد هذا العماء ، أو الوجود المطلق " أن يتعين في صورة ليعرف وليعرف نفسه"– وهذا علة وضع الحديث الصوفي (كنت كنزاً مخفياً فأردت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني) ويفسر الصوفية " فبى " بكلمة " محمد" لأنها تساويها في حساب الجمل – فتعين في صورة " الحقيقة المحمدية " فكانت هي التعين الأول للذات الإلهية
أو الفتق بعد الرتق ، أو معبر الوجود من الإطلاق إلى التقييد أو من العماء إلى الأحدية ثم الواحدية .[663]

وهذا عين ما يقوله ابن عربي في موضع آخر " كان الله ولا شئ معه ، ثم أدرج فيه ، وهو الآن على ما عليه كان ، فلما أراد وجود العالم وبدءه، انفعل عن تلك الإرادة المقدسة بضرب تجل من تجليات التنزيه إلى الحقيقة الكلية ، انفعل عنها حقيقة تسمى الهباء ، ويسميه أصحاب الأفكار الهيولي الكلي ، والعالم كله فيه بالقوة والصلاحية ، فقبل منه تعالى كل شيء في ذلك الهباء على حسب قوته واستعداده فلم يكن أقرب إليه قبولاً في ذلك الهباء

662(3) الفتوحات المكية,لمحي الدين بن عربي,(1/150),دار صادر-بيروت/ 1424هـ/2004م

663(1) شبهات التصوف ص 76 ,د/عمر بن عبد العزيز القرشي,دار الهدى,بدون بيانات اخرى، وأنظرهامش مصرع التصوف ص 41

إلا حقيقة محمد □ المسماة بالعقل ، فكان سيد العالم بأسره وأول ظاهر في الوجود ، فكان وجوده من ذلك النور الإلهي ومن الهباء ومن الحقيقة الكلية ، وفي الهباء وجد عينه وعين العالم في تجليه ، وأقرب الناس إليه علي بن أبى طالب، وأسرار الأنبياء أجمعين " .[664]

وعلى ذلك فأن الوجود عنده ليس فيه إلا حقيقة واحدة إذا نظرنا إليها سميناها حقا، وفاعلا، وخالقا، وإذا نظرنا إليها من جهة أخرى سميناها خلقاً وقابلاً ومخلوقاً. فالوجود من العدم المحض مستحيل عنده وإنما أصل كل وجود وسبب كل فيض إلهي دائم ، يعبر عنه أحياناً بالتجلي الإلهي يمد كل موجود في كل لحظة بروح من الله فيراه الناظر في الصور المتعددة التي يظهر فيها ، وذلك هو الخلق ، وتجلي إلهي دائم ، فيما لا يحصى عدده من صور الموجودات ، وتغير دائم ، وتحول في الصور ، في كل آن ، ذلك هو الذي يطلق عليه وبقوله : أنه المشار إليه في قوله – تعالى - : [illegible]]ق :15[.

ثم نجد نصاً آخر يروي فيه ابن عربي حواراً بين الله - عز وجل - ومحمد □ فيقول: " أن محمداً لما أبدعه الله- تعالى - حقيقةً مثلية، وجعله نشأة كلية حيث لا أين ، ولا بين ، قال له : أنا المَلِك ، و أنت المُلك ، وأنا المدبر و أنت الفُلك ، وسأقيمك فيما يتكون عنك ، سايساً ومدبراً وناهياً وآمراً ، تعطيها مما قد أعطيك ، وتكون فيها كما أنا فيك ، فلست سواك ، كما لست سواي ، فأنت صفاتي فيهم و أسمائي ، فتفصد النبي عرقاً فكان ذلك العرق الطاهر ماء ،وهو الماء الذي نبأ به الحق تعالى في صحيح الأنباء فقال سبحانه وتعالى: [illegible]]هود :7[[665]

[664] (2) الفتوحات المكية (1/152)

[665] (1) فصوص الحكم ,فص كلمة نوحية 70,لمحي الدين ابن عربي _ط 2_دار الكتاب العربي_1400ه

بهذا النص يزعم ابن عربي قدم النبي قبل العرش ، وقبل الماء ، بل أن الماء الذي عليه العرش هو من عرق النبي [666]

ونجد النقشبندية يسيرون على هذا النهج مقتدين بسابقيهم كيف لا وكتبهم طافحة بأقوال الحلاج وابن عربي ...

فالله عندهم كان في العماء فخلق النفس الكلية أو الروح الكلية التي هي حضرة الجمع والوجود لأنها جامعه لحقائق الوجود ، وسماها الحقيقة المحمدية منها تخلق الموجودات فهو عين الوجود الصادر من الله بلا واسطة سوى الأمر .

وهو مرآة للكمال الإلهي و أن الحق لا يتجلى إلا من خلف الكمال المحمدي .

يقول محمد أسعد صاحب زادة في كشفه سر الرابطة رداً على من قال أن الرابطة من البدع المنكرة :" أن رابطة الكاملين إنما هي مرايا لكمالاته تعالى فالكمال الإنساني مرآة للكمال المحمدي و الكمال المحمدي مرآة للكمال الإلهي ولا يتجلى الحق الكامل إلا من خلف حجاب الكمال المحمدي إذ هو الواسطة العظمى التي لا وصول إلا بها " .[667]

وتتضح الفكرة أكثر إذا قرأنا النص التالي :" أن الله تعالى لما توجه لخلق العالم خلق روحاً كلياً سماه حضرة الجمع والوجود لكونه جامعا لحقائق الوجود وسماه بالحقيقة المحمدية لكون محمد أكمل مظاهرها .... وما زال الحق تعالى يخلق الموجودات من الحقيقة المحمدية علوية وسفلية كثيفة وبسيطة ومركبة وكلما خلق صورة قبضها إلى صورتها الأولى حتى انتهى الأمر إلى الإنسان فخلقه منها ولم يقبضه فكان الإنسان صورة حضرة الجمع والوجود لانها بسطت فيه ولم تنقبض عنه .

---

[666](2)عقائد الصوفيه – ص64 ,وهذه الأقوال في الحقيقة المحمدية تتنافى مع الإسلام ، لأنها تضع الرسول صلى الله عليه وسلم في مرتبة الألوهية وفي هذا تشويه لحقيقة التوحيد التي حرص الإسلام على تثبيتها في نفوس أتباعه ، من أنه تعالى وحده الفرد المتصرف في الوجود .

[667](3) نور الهداية والعرفان ص 26

ثم خلق الله العماء الذي كان فيه الرب قبل خلق الخلق وكان أول ما خلق الله في العماء الأرواح المهيمنة والعقل والنفس الكلية فهم مخلوقون من حضرة الجمع والوجود وهم مظاهرها لكن دون مظهرية الإنسان الكامل " .

ثم يوضح " ومحمد الإنسان الأكمل فإنه لا إنسان يماثل محمد وكل ما عداه فهو مخلوق منه ،فهو عين الوجود الصادر من الله - تعالى - بلا واسطة سوى الأمر ، فهو صورة الأمر الإلهي الذي لا صورة له في نفس الأمر وكلما فعلت الطبيعة الكلية صورة نفخ فيها روحاً على قدر قابليتها واستعدادها فالطبيعة ظاهره وهو باطنها " . (668)

ونظرية الإنسان الكامل أو الأكمل أصلها من الشيعة فقد زعمت المصادر الكبرى للشيعة عند الوافي و الكليني ما نصه " كنا عند الله ، وليس عنده أحد سوانا لا ملك ولا غيره ، ثم بدا له خلق السموات والأرض فخلق الخلق " ونصب الخلق في صورة كالهباء قبل دخول الأرض ، ورفع السماء . وهو في انفراد ملكوته وتوحيد جبروته ، أتاح نورا من نوره ، فلمع ، ونزع قبسا من ضيائه فسطع ، ثم اجتمع النور في وسط تلك الصورة الخفية فوافق ذلك صورة نبينا محمد .

فقال الله - عز من قائل - : " أنت المختار المنتخب وعندك مستودع نوري وكنوز هدايتي من أجلك أسطح البطحاء ، وأمواج الماء ، وارفع السماء . واجعل الثواب والعقاب والجنة والنار ، وأنصب أهل بيتك للهداية واوتيهم من مكنون علمي ما لا يشكل عليهم دقيق – ولا يغيب عنهم خفي واجعلهم حجتي على بريتي والمنبهين على قدرتي ووحدانيتي "(669) .

والنص يؤكد نظرية الحقيقة المحمدية التي خلق الله من أجلها كل شئ في السماء والأرض والنقشبندية

668(1) الحدائق الوردية ص 283

669(2) عقائد الصوفية ص105.

يوافقون الجيلي [670] في رأيه في هذه النظرية حيث يذهب الجيلي إلى أن الإنسان الكامل هو " القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره ، وهو واحد منذ كان الوجود إلى ابد الآبدين ، وله تنوع ، وسر هذا الأمر تمكنه ، من التصور بكل صوره وانه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملهم ، ليعلى شأنهم فهم خلفاؤه في الظاهر ، وهو في الباطن حقيقتهم " .

والإنسان الكامل مقابل لجميع الحقائق الوجودية ، فيقابل الحقائق العلوية بلطا فته ويقابل الحقائق السفلية بكثافته .

ثم يقول أيضا : " أن الإنسان الكامل مرآة الحق، فإن الحق تعالى أوجب على نفسه أن لا ترى أسماؤه ولا صفاته إلا في الإنسان الكامل "وهذا مايقول به النقشبندية.

فالكمال الانساني عندهم مرآة للكمال المحمدي ، والكمال المحمدي مرآة للكمال الإلهي ولا يتجلى الحق إلا من خلف حجاب الكمال المحمدي إذ هو الواسطة العظمى التي لا كمال إلا بها.

وعن مرتبة النبوة عند الصوفي الولي يقول الإمام الجيلي : " إن لها برازخ ثلاث بعدها مقام الختام ، وفي البرزخ الثالث لا يزال الإنسان توله العادات بها في ملكوت القدرة ، حتى يصير له خرق العوائد عادة في فلك الحكمة ، فحينئذ يؤذن له بإبراز القدرة في مظاهر الأكوان "

ومفاد كلام الجيلي أن الإنسان الكامل إذا وصل المرتبة الكاملة تمكن أن يخلق ما يريد و أن يحدث ما يشاء بعيدا عن سلطان الطبيعة ، لأنه سيكون مبدعا خلاقا في امتداده الكامل الحقيقي عن الكامل الأول .[671]

---

[670](1) الجيلي هو: عبد الكريم بن ابراهيم الجيلي القادري,صوفي كبير,مقدس فكره وآراؤه عند الصوفية,مات سنة(832هـ),له تصانيف كثيرة أشهرها:"الإنسان الكامل"انظر معجم المؤلفين(5/313).

[671](2) الإنسان الكامل – الجيلي ص 71 : 78 وانظر كشاف اصطلاحات الفنون _ التهانوي _ تحقيق د/ لطفي عبد النعم _ الثقافة جـ1 ص 112 ، 113 نقلا عن الشيخ احمد الفاروقي السرهندي وآراؤه الكلامية

ويوافقه في ذلك احتجاج السرهندي في مكتوبة العشرون والمائتان بقول ابن عربي :

"إن الجمع المحمدي أجمع وأشمل من الجمع الإلهي فإن الجمع المحمدي مشتمل على الحقائق الكونية والإلهية فيكون أجمع" [(672)]

ثانياً : اعتقادهم أنه خلق من نور

يعتقد النقشبندية بأن رسول الله خلق من نور ويستدلون بحديث يروونه عن رسول الله :"أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر"[(673)]

يقول أسعد صاحب زاده في معرض كلامه عن الأرواح الكمل وتصرفاتهم:"التصرف في الأجساد النورانية كجسد نبينا محمد لأن أصل خلقته نوراني وروحانيته سر ملكوتي ولهذا لا يرى له ظل بالغدو والآصال"[(674)]

**اعتقادهم الإستمداد من روحه **

يعتمد النقشبندية في طريقتهم على الاستمداد والاستفاضة من الأرواح الطاهرة ، ابتداء من روحه وأرواح الأنبياء والصالحين كما سبق في الحديث عن الرابطة.

فقد ذكر محمد أسعد صاحب زاده في كتابه نور الهداية والعرفان:

"أما التقرب لمشاهد الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام ، فإن المقصود به الزيارة الاستمداد من سؤال المغفرة وقضاء الحوائج من أرواح الأنبياء والأئمة عليهم السلام ، والعبارة عن هذا الإمداد الشفاعة وهذا يحصل من جهتين الاستمداد من هذا الجانب والإمداد من الجانب الآخر ولزيارة المشاهد أثر عظيم في هذين الركنين"

والصوفية,ص402-,403رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية الدكتوراه في العقيدة والفلسفة,اعداد احمد محمد عبدالوهاب,جامعة الازهر,كلية اصول الدين بالقاهرة,قسم العقيدة والفلسفة.

[672](1) المكتوبات 2 : 193

[673](2) الحدائق الوردية ص284 وسيأتي تخريج هذا الحديث حين مناقشة معتقدهم هذا

[674](3) نور الهداية والعرفان ص24

ويضيف قائلاً:" أما الاستمداد فهو بصرف همة صاحب الحاجة باستيلاء ذكر الشفيع والمزور على الخاطر حتى تصير كلية همته مستغرقة في ذلك ويقبل بكليته على ذكره وخطوره بباله وهذه الحالة سبب منبه لروح ذلك الشفيع أو المزور حتى تمده تلك الروح الطيبة بما يستمد منها". [675]

ومع أن هذه النصوص تدل صراحة على الاستمداد من الأنبياء والأئمة وأصحاب المشاهد فإنها بطريق الأولى تدل على الاستمداد من روحه .

**ثالثاً : بعض صيغ الصلاة على الرسول **

الصيغة الأولى:

اللهم صلِّ على سيدِنَا محمدٍ،السَّابِقُ إِلى الأَنامِ نُورُهُ،الرَّحمَةُ للعالمينَ ظُهورُهُ، عَدَدَ من مَضَى مِنَ البريَّةِ ، وَمَن بَقِىَ ، وَمَن سَعِدَ مِنهُم وَمَن شَقِي ، صَلاَة تستغرق العدَّ ، وَ تُحيطُ بِالحدِّ ، لا غايةَ لها وَلا انِتهاءَ وَلا أمدَ ، صلاتك التي صَلَيتَ عليه ، صَلاَة دائمةً ، وَعَلى آله وأُسرتهِ ، وَسَلم تسليماً مِثل ذلكَ ، والحمدُ لله رب العالمينَ.[676]

الصيغة الثانية :

اللهم وبارك على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل سيدنا محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته وصحبه كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ، وكما يليق بعظيم شأنه وشرفه وكماله ورضاك عنه وما تحب وترضى له دائماً أبداً عدد معلوماتك ومداد كلماتك ورضا نفسك وزنة عرشك أفضل صلاة وأكملها وأتمها كلما ذكرك وذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكرك وذكره الغافلون وسلم تسليماً كذلك ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم والتابعين ، وعلى أهل طاعتك أجمعين من أهل السموات والأرضين وعلينا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين . وأمرهم بعشر صباحاً وعشر

---

[675](4) نور الهداية والعرفان ص38

[676](1) الاجابة الربانية ص19

مساءً من قول اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أفضل صلواتك ، عدد معلوماتك وبارك وسلم.[677]

الصيغة الثالثة:

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أفضل صلواتك وعدد معلوماتك وبارك وسلم كذلك "عشراً صباحاً وعشراً مساء"[678]

المبحث السادس (مراحل السلوك عند النقشبندية)

أولاً: الشريعة والطريقة والحقيقة :

إن مراحل السلوك عند النقشبندية لا تختلف كثيراً عن غيرها من الطرق فمراحل السلوك الصوفي واحده ، أوجد لها الصوفية مصطلحات وعبارات خاصة بهم فجعلوا مراحل السلوك إلى الله ثلاث مراحل : شريعة ، وطريقة ، وحقيقة.

ويروون حديثاً موضوعاً على الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك القول:" الشريعة أقوالي ، والطريقة أفعالي ، والحقيقة أحوالي"[679]

يشرح القشيري[680] في رسالته كيف يرتقي السالك من مقامات الشريعة إلى فتوحات الحقيقة ,بقوله:" السلوك إلى الله بهذا التقسيم يبدأ في المقام الأول ، بالشريعة التي هي لإصلاح الظواهر ثم بالطريقة لإصلاح الضمائر ، ثم بالحقيقة لإصلاح السرائر ، ولا يصح الانتقال من مقام إلى مقام حتى يحقق الصوفي ماقبله ، فمن أشرقت بدايته أشرقت نهايته فلا ينتقل إلى عمل الطريقة حتى يحقق عمل الشريعة ، وترتاض جوارحه منها بأن

677(2) البهجة السنية ص90-91

678(3) النفحات الجودية ص72

679(1)كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما أشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس(2/6)لإسماعيل بن محمد العجلوني.مؤسسة الرسالةبيروت,ط4_1405_قال :"لم أرمن ذكره فضلا عن بيان حاله. قيل يذكره الصوفية"

680(2) القشيري:هو عبدالكريم بن هوزان القشيري الشافعي الصوفي المفسر,سمع الحديث وتفقه على عدد من العلماء,توفي سنة 465هـ,له التفسير الكبير,و"لطائف الاشارة"و"الرسالة"انظر"سير اعلام النبلاء":(18/227)

يحقق التوبة بشروطها ويحقق التقوى بأركانها ويحقق الاستقامة بأقسامها وهي متابعة الرسول في أقواله ، وأفعاله ، وأحواله . فإذا تزكى وتنور بالشريعة انتقل من عمل الشريعة الظاهرة إلى عمل الطريقة الباطنة ، وهي التصفية من أوصاف البشرية ، فإذا تطهر الصوفي من أوصاف البشرية تحلى بأوصاف الروحانية ، وهي الأدب مع الله عزوجل في تجلياته التي هي ظواهره، فحين ترتاح الجوارح من التعب فما بقي إلا حسن الأدب"[681]

من هذا النص يتضح معنى كل من الشريعة ، والطريقة ، والحقيقة.

أولاً: الشريعة عندهم هي :

ما جاء به رسول الله محمد عن جبريل - عليه السلام - ، عن رب - العزة جل شأنه-,وهي ما أشار إليها الحديث : " أتيتكم بها بيضاء نقيه" [682] الشريعة جاءت بتكليف الخلق ، وهي في نظرهم لعامة المسلمين تبين الحلال من الحرام ، ولها حدود من تعداها أقيمت عليه الحدود ، وقالوا : الشريعة لإصلاح الظواهر فهي عمل العباد ، وهي لأهل البداية ويسمى علماؤها بعلماء الرسوم.

يقول بعض الصوفية:" أن الشريعة هي معرفة السلوك إلى الله" والمريد في هذه المرحلة يفهم من معاني لا إله إلا الله ، أنها : لا معبود إلا الله ، وخلاصة قولهم في الشريعة : أن تعبده.

ثانياً: الطريقة :

قصده- تعالى- بالعلم والعمل ، وقيل : هي الأخذ بالتقوى وما يقربك من المولى من قطع المنازل والمقامات ، فالطريقة لإصلاح الضمائر والقلوب ، وذلك بالتخلي عن الرذائل ، والتحلي بأنواع الفضائل وهي عندهم لأهل الوسط.

---

[681](3) عقائد الصوفية ص203.

[682](1) مسند احمد رقم(16519)

فهي طريق موصل إلى الله - عزوجل- ،كما أن الشريعة طريق موصل إلى الجنة ، وهي أعم من الشريعة لاشتمالها على أحكام الشريعة من الأعمال الصالحة البدنيه ، وأحكام خاصة من الأعمال القلبية والرياضات المختصة بالسالكين إلى الله - تعالى-، فهي مجموعة من القواعد والرسوم التي يضعها المشايخ لبلوغ المريدين الغاية من التصوف وهي التحقق بالحق- سبحانه وتعالى-[(683)] فعلى السالك أن يجتاز مقامات الطريقة بالتدرج والترتيب حتى ينال غايته التي هي الوصول إلى الحقيقة ، والمريد عندهم في هذه المرحلة يفهم من معاني لا إله إلا الله أنها تعني : لا مقصود إلا الله ، وخلاصة قولهم في الطريقة : أن نقصده

ثالثاً: الحقيقه هي :

الوصول إلى المقصود بالسر والروح ، وتلقى أنوار التجلي ومشاهدة الربوبية ، فهي عندهم أن يشهد العبد ربه بنور يودعه الله في سويداء قلبه ، وهي لإصلاح السرائر بثلاثة أمور بالمراقبة ، والمشاهده ، والمعرفة ، يقال : هي سر معنوي لا حد له ، ولا وجه له والمريد في هذه المرحلة يفهم من معاني لا إله إلا الله أنها تعني : لا موجود إلا الله وخلاصة قولهم في الحقيقة : أن تشهده.[(684)]

وهذا التقسيم بمعناه الذي ذكرناه ، موجود عند النقشبندية .

يقول السرهندي في مكتوبه السابع والخمسين :"تحلية الظاهر بظاهر الشريعة وتزيين الباطن بباطنها الذي هو عبارة عن الحقيقة"[(685)]

وهذا الكلام يقارب التقسيم السابق ، ثم نراه يوضح المعاني في مكتوبه الرابع الثمانين "

---

[683] (2) المعجم الصوفي ص158

[684] (1) مذاقات في عالم التصوف:للدكتور حسن عباس زكي,نقلاً عن عقائد الصوفية ص201-204

[685] (2) المكتوبات(1/69)-مكتوب 57

"إن كلا من الشريعة والحقيقة عين الآخر لا تمايز بينهما في الحقيقة ، غير الإجمال والتفصيل والاستدلال والكشف والشهادة ، والأحكام والعلوم التي صارت معلومة بموجب الشريعة الغراء تنكشف بعينها تفصيلاً بعد التحقق بحقيقة حق اليقين ، وتخرج من الغيبة إلى الشهادة ، وعلامة الوصول إلى مرتبة حق اليقين مطابقة علوم ذلك المقام ومعارفه بعلوم الشريعة ومعارفها فلو بقيت المخالفة مقدار شعره فهو دليل عدم الوصول إلى حقيقة الحقائق". [686]

ثانياً : علم الباطن ومفهومهم للعلم الشرعي :-

العلم عند الصوفية علمان كل منهما مرتبط بمراحل السلوك الصوفي يقول ابن عجيبة[687] في كتابة فتوحات الإلهية: " والعلم الظاهر هو علم الشريعة ، والعلم الباطن هو علم الطريقة والحقيقة "[688] ويعرفونه بأنه هو :

ما يلقيه الله على عبده من خاطر يكون به جواب المسائل,ويعتبرون أن هذا العلم خاص بمن رضي الله عنهم.[689]

وله عدة مسميات عندهم فهو علم الحقائق ، وعلم الإشارة ، وعلم القلوب ، وعلم المعارف ، وعلم الأسرار. [690]

686(3) المكتوبات(1/95-96)

687(4) ابن عجيبة هو:احمد بن عجيبة الحسيني,من اهل فارس بالمغرب,ولد سنة 1160هـ-توفي سنة 1224هـ,له مؤلفات منها:"قواعد التشوف في حقائق التصوف"و"تفسير القرآن"وله شرح على حكم ابن عطاء الله السكندري سماه"إيقاظ الهمم" انظر في ترجمته في"طبقات الشافعية الكبرى"ص161-164,تأليف:الحسن بن محمد الكوهن الفاسي,الشاذلي,المطبعة العلامية,بمصر,ط1347هـو"الاعلام"(1/245)

688(1) الفتوحات الالهية في شرح المباحث الاصلية,لابن عجيبة:ص95,نقلاً عن عقائد الصوفية:ص228

689(2) النصوص في مصطلحات التصوف,لمحمد غازي عرابي:ص119,نقلاً عن عقائد الصوفية:ص228

690(3) المعجم الصوفي(1/178)

وهو أيضاً علم الحكمة، وهو يأتي بعد تحصيل علم المعرفة والتوحيد والفقه والشرائع الذي يسميه الصوفية بعلم الظاهر .

وذلك أن نفس السالك إذا استقام على الواجبات صلح طبعه وتأدب بأدب الله فيتمكن من مراقبة خواطره وتطهير سرائره ، ومراقبة خواطره تكون بالاتجاه الكلي لله.

فيتمكن من بلوغ علم المكاشفة والمشاهدة ، وهو الذي يسمى بعلم الحكمة وهو لايحصل بالتعلم ولا بالتعليم ولكن بالمجاهدة.

وهذا الأمر يشرحه الشبلي [691] حين سُئِل: " ما بال الحكمة عليها حلاوة ؟ فأجاب قائلاً : لأن الحديث هو ميت،حدثني فلان وقد مات،عن فلان وقد مات، والحكمة حي عن حي ، حدثني قلبي عن ربي" .[692]

والمقصود بالحكمة عند الصوفية هي علم الباطن الذي لا يناله إلا الخاصة من المشايخ والعارفين بالمكاشفة.

ويفرق الحكيم الترمذي[693] بين العلم والحكمة بعدة أمور

1- العلم يدرك بالتعلم ، بينما الحكمة لا تدرك بالتعلم
2- العلم يكتسب ، والحكمة لا تنال بالجهد والاكتساب ، بل هي منة إلهية موهوبة.
3- العلم الظاهر مبذول للجميع ، وهو ما يقع تحت الحواس والجوارح بينما الحكمة تتجاوز ذلك إلى المغيبات التي لا تقع تحت حس ظاهر.
4- لا ينال العلم الباطن إلا بالمرور على العلم الظاهر ، ويظل العلم الظاهر فرع من فروع الحكمة ، ومكانته ومنزلته دائماً منزلة الفرع من الأصل ، أو منزله الخادم من المخدوم ، أو منزله المفتاح من خزانة الكنوز ، وهو

691(4) سبق الترجمة له

692(5) علم القلوب لابي طالب المكي:ص46,نقلاً عن عقائد الصوفية:ص 229

693(1) سبق الترجمة له

(أي علم الظاهر) أمر عظيم بمكانه ولكنه يصغر في جنب الحكمة لأنها منطقة خاصة لا يقربها إلا الأولياء .[694]

فهذا العلم كما يعرف عندهم بأنه علم أعمال الباطن التي هي على الجارحة الباطنة وهي القلب قال تعالى :

﴿ ... ﴾]النساء : 83[

والعلم المستنبط هو علم الباطن وهو علم أهل التصوف لأن لهم مستنبطات من القرآن والحديث وغير ذلك.[695]

وعلى هذا فلا عجب إذا ذهب الصوفية عامة إلى تقديس كلمات أوليائهم والنقشبندية خاصة فقد ذهب صاحب رشحات عين الحياة إلى :"أن كلمات الأولياء مقتبسه من مشكاة الحقيقة المحمدية فكما أن تعظيم القرآن والحديث النبوي واجب على عامة الأمة كذلك تعظيم كلام أولياء الله لازم أيضاً" .[696]

لذا نجد كتبهم مليئة بأقوال في القرآن والحديث مروية عن أوليائهم فقد قال بهاء الدين نقشبند في قوله تعالى :

﴿ ... ﴾]الكوثر: 1[

أي أعطيناك شهود الأحدية في الكثره.[697]

وقالوا في معنى قوله تعالى: ﴿ ... ﴾]النجم:29[

إن هذه الآية متضمنة لمعنيين أحدهما ما يفهم من ظاهر الآية يعني أعرض عن طائفة يعرضون عن ذكرنا وهم أهل الجحود والغفلة ، وثانيها وهو المعنى الباطني أنه – تعالى - أمر ﷺ بالإعراض عن طائفة ارتفع عنهم وصف الذكر بكمال استغراقهم واستهلاكهم في شهود المذكور فإن كلفوا بالذكر مثلا يكون الذكر مانعاً إياهم من شهود المذكور فأمر النبي ﷺ بالإعراض عنهم بمعنى الانتهاء عن تكليفهم بالذكر. وقالوا في معنى قوله تعالى :

﴿ ... ﴾]التوبة: 9[

---

[694](2) الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية للدكتور عبدالفتاح عبدالله بركه (2 :282)نقلاً عن عقائد الصوفية(230)

[695](3) المعجم الصوفي(1/178)

[696](4) رشحات عين الحياة:ص120

[697](1) رشحات عين الحياة :ص174

أن الكينونة لها معنيان :
الأول بحسب الصورة والثاني بحسب المعنى وهو أن يلتزم طريق الرابطة بحسب الباطن بطائفة يستحقون الوساطة ولا تنحصر الصحبة في المجالسة والنظر بالعين بل تتجاوز إلى المعنى فإنها وبهذا المعنى تكون على الدوام فيحصل لسر الطالب إتحاد بسر مرشده .[698]
وقالوا في "بسم الله" أي بسم الإنسان الكامل [699]، والكمال الإنساني عندهم مرآة للكمال المحمدي ، والكمال المحمدي مرآة للكمال الإلهي ، ولا يتجلى الحق إلا من خلف
حجاب الكمال المحمدي إذ هو الواسطة العظمى التي لا كمال إلا بها .[700]
وقالوا في معنى كلمة لا إله إلا الله ، أنه هذا ذكر عام وذكر الله خاص وذكر هو ذكر خاص الخاص.[701]وفسروا قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾]فاطر:32[
الظالم لنفسه من منع نفسه عن اللذات ولم يعطها مرادها فصار مستعداً لقبول الفيض الإلهي وحينئذ يكون مقدماً على المقتصد وعلى السابق بالخيرات .[702]

---

[698] (2) رشحات عين الحياة ص184-185

[699] (3) الانسان الكامل هو:البرزخ بين الوجوب والامكان,والمرآة الجامعة بين صفات القدم وأحكامه,وبين صفات الحدثان,والواسطة بين الحق والخلق,وبه وبمرتيته يصل فيض الحق والمدد-الذي سبب بقاء ما سوى الحق –الى العالم كله:علواً وسفلاً,ولولاه من حيث برزخته التي لا تغاير الطرفين: لم يقبل شيء من العالم المدد الالهي الوحداني,لعدم المناسبة,والارتباط,ولم يصل اليه.والانسان الكامل,اريد به محمد [illegible],والانسان الكامل,هو:الجامع لجميع العوالم الالهية والكونية,الكلية والجزئية,وهو كتاب جامع للكتب الاهية والكونية,فمن حيث روحه وعقله,كتاب عقلي مسمى بأم الكتاب,ومن حيث قلبه,كتاب اللوح المحفوظ,ومن حيث نفسه,كتاب المحو والاثبات,فهو الصحف المكرمة,المرفوعة,التي لا يمسها,ولا يدرك اسرارها:الا المطهرون من لحجب الظلمانية.انظر:(معجم المصطلحات الصوفية)ص27

[700] (1) نور الهدايه والعرفان ص26 ورشحات عين الحياة ص121

[701] (2) رشحات عين الحياة ص184

[702] (3) رشحات عين الحياة : ص186 وفي هذا تحريف للقرآن وقد صرح الحافظ بن حجر بأن تحريف معاني النصوص موجودة بكثرة عند اليهود (فتح الباري 13/524)

وفي قوله تعالى : [illegible]
]يس : 36[

قالوا : النهار هو نور الوجود والليل ظلمة العدم ،وهذا التفسير مبناه على خاطر خطر على قلب المريد فأستحسنه الجامي.[703]

وقالوا في تفسير سورة الإخلاص ، أن أول موجود أوجده الله بلا واسطة هو التعيين الأول ولما كان ظهوره من المبدأ الفياض بما يشبه الولادة قال تعالى [illegible] نفياً لشبه الولادة ، ولما ظهر تعالى في المظاهر الإلهية بحسب الذات والأسماء والأفعال وكان هذا الظهور يشبه المولودية قال تعالى [illegible] نفياً لشبه المولوديه ، ولما جعل الحق هذا النوع الإنساني فظهر جميع أسمائه أن الله خلق آدم على صورته أو صورة الرحمن فكان مرآة ذاته الأقدس الذي : هوالله أحد الله الصمد صنعته وكان هذا التوهم كفر ، نفى هذه المشابهة وقال : [illegible][704]]الإخلاص : 4[

وفي معنى الحمد لله قالوا : أن للحمد بداية ونهاية فبداية الحمد أن يحمد العبد في مقابلة النعمة التي وردت إليه لعلمه أن الحمد يزيد النعمة.

ونهاية الحمد عندهم أن يعلم العبد أن ليس في مظهره غير الحق سبحانه ولا كمال للعبد غير أن يعلم أنه معدوم صرف لاذات له ولا صفات ولا أفعال.[705]

ومن القرآن إلى أقوالهم في الأحاديث النبوية.

قالوا في خبر التكبر ..أن التكبر على نوعين أحدهما مذموم وهو التعظم على خلق الله تعالى والمحبوب عدم الالتفات إلى ما سوى الله تعالى بأن يرى غير الحق حقيراً عديم المقدار وهذا التكبر أصل موصل إلى مرتبة الفناء.[706]

---

703 (4) رشحات عين الحياة ص126

704 (5) الحدائق الوردية ص171

705(1) رشحات عين الحياة ص184

706(2) رشحات عين الحياة ص187

وفي قوله "أمط الأذى عن الطريق " [707] قال بهاء نقشبند "الأذى معناه أذى النفس والطريق طريق الحق". [708]

علم الباطن هو أسرار الأسرار

يرى النقشبندية أن علم الباطن هو العلم الذي يضم سر الأسرار الذي لا ينبغي الحديث عنه لعامة الناس ، وهم يشيرون في الواقع إلى عقيدة وحدة الوجود التي سبق الحديث عنها.

يقول أحمد الفاروقي وهو من كبار رجال النقشبندية كما تقدم:

"كشفت لي خفايا المتشابهات القرآنية وأسرار المقطعات الفرقانية فوجدت تحت كل حرف منها بحراً من العلوم الدالة على الذات العلية لو أظهرت شيئاً منها لقطع مني الحلقوم" .[709]

وهم يرون أن النبي اختص علي - رضي الله عنه - دون سائر الصحابة بعلم الباطن.

يقول أحمد الفاروقي:"جاءتني روحانية أمير المؤمنين على كرم الله وجهه فقالت إني بعثت إليك لأعلمك علم السموات"[710]

مفهوم العلم عند النقشبندية:

لقد قرر رسول الله أسلوب التعلم وتلقي العلوم بقوله: " يأيها الناس إنما العلم بالتعلم ، والفقه بالتفقه ، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" .[711]

وفي حديث آخر قال علية الصلاة والسلام "إنما العلم بالتعلم"[712]

فالعلم ينال بالمذاكرة والتلقي وتحصيل أسبابه ,لكن الصوفية عامة لهم رأي آخر في هذا الأمر,فقد سُئل

---

[707](3) مسند أحمد(4/323).

[708](4) الحدائق الوردية ص131.

[709](5) الحدائق الوردية ص181

[710](6) الحدائق الوردية ص182

[711](1) حديث معاوية عن أبي سفيان أخرجه ابن أبي عاصم ، الطبراني اسناده حسن (صحيح البخاري 131:1 فتح)

[712](2) أخرجه البخاري تعليقات في باب العلم قبل القول والعمل

عبدالله بن المبارك : من الناس ؟ فقال : العلماء ، قيل فمن الكبراء من الناس؟ فقال الحكماء ،قيل فمن الملوك؟ قال : الزهاد .

ويستشهد المكي بقول الحلاج:"الحكمة سهام رب العالمين ، وقلوب المريدين أهدافها ، وألسنة الحكماء قسيها ، والرامي الحي القيوم ، والخطأ معدوم" .[(713)]

فالصوفية تحدثهم قلوبهم عن ربهم يقول الغزالي: "وليس العلم بكثرة الرواية إنما هو نور يقذفه الله في القلب" .[(714)]

وعلى ذلك فالعلم عندهم مشغلة لا توصل إلى المطلوب ، وذلك أن العلوم جملة يمكن تحصيلها في ساعات.

لذا نجد النقشبندية تؤكد هذه الحقيقة فقد حكوا عن أبي يزيد البسطامي في بداية كتاب الأنوار القدسية ، بأن العلم ليس بالتعلم إنما هو نور يقذف في القلوب.
يقول : " ليس العالم من يحفظ من كتاب بل من يأخذ العلم من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس وهذا هو العالم الرباني".

ويقول أيضاً:"أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت"

ويعلق أحد مشايخ النقشبندية على ذلك بقوله :" أن علماء الرسوم يأخذون خلفاً عن سلف إلى يوم القيامة فيبعد النسب والأولياء يأخذون عن الله ألقاه في صدورهم من لدنه رحمة منه وعناية سبقت لهم عند ربهم".

ويستشهدون بقول آخر لأبي يزيد البسطامي:"أشد المحجوبين عن الله ثلاثة الزاهد بزهده والعابد بعبادته والعالم بعلمه"[(715)]

---

[713](3) علم القلوب لأبي طالب المكي :نقلاً عن عقائد الصوفية ص228

[714](4) مجموعة رسائل الامام الغزالي/لابي حامد الغزالي:ص336,راجعها وحققها:ابراهيم أمين محمد,المكتبة التوفيقية,بدون بيانات اخرى

[715](1) الأنوار القدسية ص99

ثالثاً : موقفهم من بعض المسائل الشرعية

1- موقفهم من الرخصة :

الأخذ بالعزيمة واجتناب الرخص من خصائص الطريقة النقشبندية .

يذكر محمد مراد الأزبكي [716] مجملاً خصائص هذه الطريقة قال : " إن الطريقة النقشبندية قدس الله أسرار أهاليها السنية طريقة الصحابة رضي الله عنهم على أصلها لم يزيدوا ولم ينقصوا وهي عبارة عن دوام العبودية ظاهراً وباطناً بكمال الالتزام للسنة والعزيمة وتمام الابتعاد عن البدعة والرخص في جميع الحركات والسكنات في العادات والعبادات والمعاملات". [717]

وفي نفس السياق يقول السرهندي[718] :"واجتنبوا البدعة بحيث لا يجوزون العمل بالرخصة مهما أمكن وإن وجدوها نافعة في الظاهر والباطن ولا يتركون العمل بالعزيمة وإن علموا أنها مضره"[719]

ويضيف عبدالله دهلوي[720] قولاً في ذلك :" كما أن طلب الحلال فرض على المؤمنين كذلك ترك الحلال فرض على العارفين "[721]

2- موقفهم من الزواج :

للنقشبندية موقف من الزواج نجده في رسالة الوصية في آداب الطريقة كتبها عبدالخالق غجدوان للخواجه أولياء كبير بوصيه فيها بعده وصايا منها قوله : "لا تتزوج ما استطعت فتطلب الدنيا ويكون دينك هباء في طلب الدنيا" .[722]

ويستشهد صاحب البهجة السنية بقول لأبي سليمان الداراني[723] يقول فيه : " من تزوج ركن إلى الدنيا، وقال

716(2) لم اقف على ترجمته

717(3) البهجة السنية ص16-17

718(4) تقدمت الترجمة له

719(5) المكتوبات 2/221

720(6) تقدمت الترجمة له

721(7) الأنوار القدسية ص213

722(1) رشحات عين الحياة ص26

723(2) سبقت الترجمة له .

ما رأيت مريداً تزوج وثبت على ما كان ، وقيل ما أحوجك إلى إمرأة تستأنس بها فقال: لا أنسني الله بها ".

ويقول آخر للسهروردي[724] في آداب المريدين:" والأولى في زماننا مجانبة التزوج وقمع النفس بالرياضة والجوع والسهر والسفر ، وقيل لبعض الصالحين : ألا تتزوج فقال لي نفس لو تمكنت من تطليقها لطلقتها أأضم إليها أخرى".

وبقول للغزالي[725] :" اعلم أن المريد في ابتداء أمره لا ينبغي أن يشغل نفسه بالتزوج فإن ذلك شغل شاغل يمنعه من السلوك ويستجره إلى الأنس بالزوجة ومن أنس بغيرٍ ، شغل عن الله" .[726]

724(3) السهروردي هو:عمر بن محمد بن عبدالله ابو حفص شهاب الدين القرشي البكري السهروردي,من كبار الصوفية كان شيخ شيوخ بغداد,له كتب كثيرة في التصوف منها"عوارف المعارف"و"جذب القلوب الى مواصلة المحبوب"توفي سنة 632هـ,انظر:" الاعلام"للزركلي(5/223)

725(4) الغزالي هو: هو محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، أبو حامد .ولد سنة 450هـ.فيلسوف متصوف ، لـه نحو مائتي مصنف نسبته إلى صناعة الغزل.توفي سنة 505هـ. الأعلام (3/ 88).

726(5) البهجة السنية ص 31-32

الفصل الخامس
واقع النقشبندية وانتشارها

واقع النقشبندية وانتشارها

تعد النقشبندية من أكثر الطرق انتشاراً في الوقت الحاضر ، ويعد أكثر انتشاراً لها في مناطق أسيا الوسطى الإسلامية في تركستان ، الصين ، والهند ، وماليزيا ، وتركيا.
وأتباعها حتى اليوم يعدون بالملايين في باري وخوارزم وكمنجن بوادي فرغانة "أوزبكستان"، حتى أن مفتي المسلمين في روسيا ضياء الدين بابا خان ووالده المفتي السابق إيشان بابا خان كانا من شيوح النقشبندية.

وللنقشبندية فروع عديدة أهمها : الأحرارية والتاجية والكاسانية والمجددية والماوية والمظهرية والجامعية والخالدية ، وهي أسماء لبعض مشايخها المجددين المشهورين.

وقد لعبت النقشبندية دوراً مهماً في نشر الدين الإسلامي في تلك المناطق ولا بد من الإشارة إلى أن النقشبندية قد كانت من العوامل المهمة في ثورة المسلمين الكبرى في مناطق التركستان الصينية .

كما أنها ألهبت حماس جماهير المسلمين في جزر الهند الشرقية ليتصدوا للنفوذ الاستعماري.[727]

أولاً: الهند :

حمل لواء دعوتها في الهند أحمد عبد الأحد الفاروقي السرهندي وتلاميذه وأولاده وخلفائه من بعده كما تقدم في الحديث عن أبرز دعاتها ، قال محمد إقبال : "الشيخ أحمد السرهندي الذي انتهى نقده التحليلي الجريء للتصوف في عصره إلى استحداث طريقة صوفية جديدة ، ظلت دون سائر الطرق الصوفية التي جاءت جميعاً إلى الهند من آسيا الوسطى وبلاد العرب قوة روحيه في البنجاب وأفغانستان وروسيا الأسيوية" [728]

وللطريقة النقشبندية شعبتان في الهند ، أحدها للشيخ رضي الدين النقشبندي . وثانيها: العلائية وهي للأمير أبي العلاء النقشبندي ، وللأخيرة شعبتان : المجدديه و الأحسنية ، فالمجدديه للشيخ أحمد السرهندي أخذها عن الشيخ عبد الباقي ، وشاعت هذه الطريقة في مشارق الأرض ومغاربها ، وتشعبت منها طرق أخرى ، والطريقه الأحسنية : هي للشيخ أدم بن إسماعيل البنوري أخذها عن الشيخ أحمد السرهندي وتشعبت كذلك منها طرق أخرى.[729]

في العراق :

في الثلث الأول من القرن الثالث عشر الهجري القرن التاسع عشر الميلادي انتشرت الطريقة النقشبندية في العراق على يد خالد النقشبندي الذي اشتهر عند أصحاب هذه الطريقة بمولانا خالد ذي الجناحين كما تقدم.

في الشام:

انتقلت الطريقة إلى هذه البقعة بانتقال الشيخ خالد إليها ومنها فقد وزع خلفاؤه حيث انتشرت في الأقطار العربية.

727(1) انظر النقشبندية وأثرها في انتشار الإسلام في تركيا ص32.

728(1) تجديد الفكر الديني في الاسلام,ص75- نقلا عن الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي وآراؤه الكلامية والصوفية,ص44.

729(2) الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي وآراؤه الكلامية والصوفية ص47

أما واقعها الآن فقد تسلم خلافتها في سوريا الأسرة الخزنويه ابتداء من الشيخ أحمد الخزنوي (ت 1950) الذي تسلمها من الشيخ محمد ضياء الدين ومن ثمَّ إلى ابناءه.

محمد معصوم الثاني (ت 1958) وكان يتسم بالشجاعة والغيرة على الدين ، وكان إرشاده في منطقة الحسكه والقامشلي وعامودا ومنطقة ماردين والقرى المجاورة لتل معروف.

الشيخ علاء الدين (ت 1969) وكان مدرساً في معهد والده ، وقد تسلم الطريقة من شقيقة الأكبر ، ووصل إرشاده داخل سوريا إلى دير الزور والبوكمال وخارجها إلى ولايات ماردين وبطمان في تركيا.

عز الدين (ت 1992) وقد جال البلاد شرقاً وغرباً ، وقد استجاب لدعوته العباد عجماً وعرباً ، حتى عمَّ إرشاده المحافظات السورية ،وولايات تركيا ولبنان والخليج العربي وبلدان أوروبا كبريطانيا والمانيا وفرنسا وهولندا وغيرها ، ثم أنه في آخر حياته قام بجولة إرشادية إلى بلدان العالم دامت سبعة أشهر إلى أن انتقل إلى رحمة الله.

محمد الخزنوي (ت 19 رمضان 1426) الذي ورث الطريقة عن والده عز الدين وصل إرشاده إلى آسيا واوروبا وامريكا ، ثم رحل إلى جوار ربه وهو في طريق عودته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة.

محمد مطاع خلف والده محمد الخزنوي في مشيخة الطريقة النقشبندية حتى الآن.[730]

في مصر:

انتقلت هذه الطريقة إلى مصر عن طريق الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي ، الذى التلقى بالشيخ جودة إبراهيم جودة وكان لهذا اللقاء قصة ذكرها صاحب كتاب النفحات الجودية بقوله:"وكانت قصة اللقاء آية تشهد بعظمة المنصب وجلال المقام فبينما كان سيدي أحمد

---

[730](1) الذكرى الرابعة عشر لرحيل العلامة العارف بالله الشيخ عز الدين الخزنوي ص17-20,بدون أي بيانات أخرى.

ضياء الدين بالقسطنطينية إذ رأى ذات ليلة في منامة أشرف الخلق مولانا رسول الله يأمره بالذهاب إلى مصر ليلتقي بسيدي الشيخ جودة ويلقنه الطريقة ويعطيه البيعة الروحية .

وفي نفس الليلة يرى مولانا الشيخ جودة مولانا رسول الله الأعظم يأمره بالحضور إلى حجرة المخلفات النبوية الشريفة بحرم مولانا الإمام الحسين - رضي الله عنه - ليأخذ العهد عن سيدي أحمد - عليه رضوان الله - دائماً أبداً ويتبايعان في الطريق ويأخذ مولانا الشيخ جودة العهد المحمدي ويتلقى من سيدي أحمد ضياء الدين أصول اثنين وأربعين طريقة انتهت إليه بأسانيدها".

وعلى ذلك فقد كان الشيخ جودة يمثل المدرسة النقشبندية الممتدة إلى عصره متفرعة عن الضياء الكمشخانوي باعتباره أجل أصحابه ، وأن هذه النسبة امتدت من بعده بواسطة نجله وخليفته الشيخ عيسى جودة وتلامذته .[731] وهم حتى الآن في منيا القمح بمحافظة الشرقية.

كما أنها انتقلت من طريق آخر عن:

محمد أمين بن فتح الله الكردي الإربلي النقشبندي ، الذي تعلم بالأزهر ، واشتهر بالوعظ والإرشاد ، وتوفي بالقاهره عام 1332هـ ، ودفن بحري مقام السيدة زينب وبالقرب من ضريحه قبر ابنه الذي مات شهيداً.

وما زالت مشيخة الطريقة في مصر مع أحد أبنائه وهم حتى الآن في منطقة شبرا بالقاهرة وقد تمت زيارتي لهذا الموقع كما وضحت في المقدمة .

وهي لها في مصر سلاسل ثلاث:

1- عن جودة بن إبراهيم بن مصطفى الحسني الحسيني.
- عن أحمد ضياء الدين الكمشخانوي.
- عن أحمد بن سلمان الطرابلسي ، مفتي الشام.
- عن خالد البغدادي الملقب بذي الجناحين.
2- عن السيد نجم الدين الكردي.
- عن سلامة العزامي.

---

[731](1) الأنوار القدسية ص265 و النفحات الجودية ص 92- 93.

- عن محمد أمين الكردي.
- عن عمر بن عثمان.
- عن والده عن ضياء الدين الكمشخانوي [732]
3- عن الشيخ الإمام أحمد محمد مرسي النقشبندي:
- عن محمد أمين بغدادي.
- عن عمر طويلة.
- عن والد الشيخ عثمان طويلة
- عن خالد النقشبندي. [733]

وهي تنتشر بصورة ملحوظة بين أوساط المثقفين في مصر ، ففي الجامعة الأمريكية قام مجموعة من الأساتذة الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً بالدعوة إلى عقد جلسات صوفية على الطريقة النقشبندية تضم تلك الجلسات العديد من الجنسيات الأجنبية من الجامعة الأمريكية وشارك فيها أكثر من ثلاثين شخصاً معظمهم من الأجانب ما بين طلاب وشخصيات عامة وأساتذة مسلمين ، لغتهم الأولى فيها اللغة الانجليزية وتنقسم تلك اللقاءات إلى ثلاثة أنواع ، الأول يجمع بين النساء والرجال وغالباً ما يكون يوم السبت في بيوت أتباع الطريقة في أحد الأحياء الراقية ويسمون هذا اللقاء "لقاء الصحبة" ويكون موعد الحضور حوالي الرابعة قيل المغرب ، يبدأ اللقاء بمحاضرة لأحد الأساتذة ، ويتم بعد ذلك تدارس بعض أمور الدين يعقبه أداء صلاة المغرب ، وتشهد حلقات الذكر النقشبندية الكثير من حالات الزواج بين الشباب المصري والأجانب ويحرص على حضور هذه اللقاءات ميسورو الحال من المصريين من أساتذة الجامعة الأمريكية وأسرهم والشباب الأثرياء لأن القائمين عليها يحسنون معاملتهم ويتساهلون معهم في مسائل كثيرة وعلى رأسها طريقة لبس أعضاءها إذ لا يشترط الحجاب للسيدات .

---

[732](2) انظر النقشبندية وأثرها في انتشار الاسلام في تركيا ص41.

[733](1) انظر النقشبندية وأثرها في انتشار الاسلام في تركيا ص42.

وغير لقاء السبت هناك لقاءان آخران يومي الأحد والخميس وهما مخصصان للذكر أولهما يوم الأحد للنساء والخميس للرجال ويعتاد الرجال تخفيض الإضاءة وترديد أدعية الاستغفار وقراءة القرآن جماعة ، ويحضر تلك الجلسات الكثير من الشخصيات العامة والشهيرة وبعضهم يجعل ذلك من باب الدعم للمسلمين حديثي الدخول في الدين من هؤلاء الدكتور عبدالوهاب المسيري رئيس حركة كفاية. [734]

الباب الثالث
المآخذ العقدية والعملية على الطريقة

الفصل الأول : المآخذ على مصادر التلقي

الفصل الثاني : المآخذ العقدية على الطريقة

[734](2) جريدة الجمهورية المصرية – العدد الأسبوعي مقال بعنوان الصوفية الأمريكية في مصر ، بتاريخ 14/2/2008م الموافق 7 / 2/ 1429هـ .

الفصل الثالث : المآخذ العملية على الطريقة

الفصل الأول
المآخذ على مصادر التلقي وفيه

- مصادر التلقي عند أهل السنة:

تنقسم مصادر التلقي عند أهل السنة إلى قسمين:

الأول: مصادر رئيسية ،وهي :

الكتاب ،والسنة ،والإجماع .أما القياس فهو , و إن كان من جملة أدلة التشريع، إلا أن الفرق بينه وبين هذه المصادر ،أن القياس الأصولي لا يصح في مسائل الاعـتـقـاد . و أن هذه المصادر يؤخذ الحكم منها مباشرة. (735)

أما القياس فإنه : إلحاق واقعة لا نص على حكمها بواقعة ورد نص بحكمها ، في الحكم الذي ورد به النص ؛ لتساوي الواقعتين في علة هذا الحكم.فالقياس لا يؤخذ منه الحكم بل يؤخذ بواسطته الحكم الشرعي ، فلا يظهر أنه مصدر مباشر للتلقي . والقياس المستعمل في العلم

---

[735](1) علم أصول الفقه : ص52 ، تأليف : عبد الوهاب خلاف ، مكتبة الصفحات الذهبية ، الرياض ، الطبعة السابعة عشر، 1406 هـ - 1985م

الإلهي هو قياس الأولى ، لا القياس الأصولي والمنطقي.
(736)

الثاني : مصادر ثانوية ، وهي :

العقل الصحيح ، والفطرة السليمة .

أ_ القرآن عند أهل السنة ، حجة في جميع قضايا الدين.

فهو الفرقان بين الحق والباطل ، وقد سماه الله- تعالى- ، فرقاناً كما في قوله :

□ □□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □ □□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ □

]الفرقان : 1[.

وقد أقام الله به الحجة ، ووضح به المحجة ، قال – تعالى - :

□ □□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□]الانعام : 19[

قال ابن القيم : " فكل من بلغه هذا القرآن ، فقد أنذر به ، وقامت عليه حجة الله".(737)

وقد بين الله تعالى ، أنه الحكم بين الناس بما أنزل من الكتاب المفصل ، كما في قوله :

□ □□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □ □□□□□□□□]الانعام:114[

وأمرنا بالتحاكم إلى هذا الكتاب المفصل،قال تعالى :

□ □□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□ □]الشورى : 10[

وقد قال – تعالى – عن هذا الكتاب :□□□□□□□ □ □□□□ □ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□ □ □□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□]إبراهيم :1[

وقال – عز شأنه - : □□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□ □ □□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□□□ □□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□ □ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□]الانعام:122[.

وقد بين النبي □ لأصحابة القرآن لفظاً ومعنى فبلغهم معانية كما بلغهم ألفاظه ، ولا يحصل البيـــــــــان والبلاغ

---

[736](2) مجموع الفتاوي : 3/ 296 ، وما بعدها.

[737](1) مختصر الصواعق المرسلة علي الجهمية والمعطلة:ص 75 . تأليف : ابن القيم ، اختصار: محمد بن الموصلي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، 1405-1985 هـ ، بدون رقم الطبع.

المقصود إلا بذلك قال تعالى : ﴿ ... ﴾]النحل:44[وقـــال : ﴿ و... ﴾]آل عمران:138[قال تعالى : ﴿ ... ﴾]إبراهيم:4[وقال تعـالى : ﴿ ... ﴾]الدخان:58[. وقال تعـالى : ﴿ ... ﴾]فصـلت:3[, أي بينت وأزيل عنها الإجمـــال ، فلو كـــانت آياته مجملة لم تكن قد فصلت .

وقال تعالى : ﴿ ... ﴾]العنكبوت:18[.

وهذا يتضمن بلاغ المعـنى وأنه في أعلى درجـات البيـان .(738)

وقد اعتنى صحابة رسول الله ﷺ والتابعين وسلف الأمة بالقرآن العظيم ، ومن ذلك : قول ابن مسعود – رضي الله عنه - : " والذي لا إله غيره ، ما من كتاب الله سورة ، إلا أنا أعلم حيث نزلت ، وما من آية إلا أنا أعلم فيما أنزلت ولو أعلم أحداً هو أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل ، لركبت إليه".(739)

738(1) مختصر الصواعق ص441

739(2) رواه البخاري : (9/47 - فتح) ، في فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ حديث رقم 5002 ((فتح الباري بشرح صحيح البخاري)) للحافظ ابن حجر العسقلاني ، بترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، إخراج وتصحيح وإشراف : محب الدين الخطيب – دار المعرفة بيروت ، بدون رقم الطبع وتاريخه .رواه مسلم : (16/16-17 نووي) : كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عبدالله بن مسعود وأمه . ((صحيح مسلم بشرح الإمام النووي)) – دار الفكر ، بيروت ، 1981م ، بدون رقم الطبع.

وقال مجاهد بن جبر[740] : "لقد عرضت القرآن على ابن عباس ، ثلاث عرضات ، أقف عند كل آية أسأله ، فيم أنزلت ، وفيم كانت[741] ". وقد بين الإمام ابن القيم منهج الصحابة في أخذ القرآن بقوله :" فالصحابة أخذوا عن رسول الله ، ألفاظ القرآن ومعانية ، بل كانت عنايتهم بأخذ المعاني أعظم من عنايتهم بالألفاظ ، يأخذون المعاني أولاً ، ثم يأخذون الألفاظ ؛ ليضبطوا بها المعاني ، حتى لا تشذ عنهم".[742]

ب- السنة النبوية:

ما نقل عن النبي ، من قول ، أو فعل ، أو تقرير[743].

وعرفها المحدثون بأنها : ما أثر عن النبي من قول ، أو عمل ، أو تقرير ، أو صفة خُلُقِيّة أو خِلْقّيه ، أو سيرة،سواء أكان ذلك قبل البعثة،أم بعدها؛إذ غرضهم معرفة ما كان

740(3) مجاهد بن جبر : أبو الحجاج المكي ، مولى بني مخزوم ، تابعي ، مفسر ، من أهل مكة ، وهو شيخ القراء والمفسرين ، ولد سنة 21هـ ، أخذ التفسير عن ابن عباس ، قرأة عليه ثلاث مرات ، وتنقل في الأسفار، واستقر في الكوفة ، وكان لا يسمع بأعجوبة ، إلا ذهب فنظر إليها ، ذهب إلى ((بئر برهوت)) بحضرموت، وذهب إلى ((بابل)) يبحث عن ((هاروت)) و((ماروت)) . أما كتابه ((التفسير)) فيتقيه المفسرون ، وسئل الأعمش عن ذلك فقال : كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب ، يعني : اليهود ، والنصارى . مات وهو ساجد، سنة 104هـ.

انظر ترجمته في : ((سير أعلام النبلاء)) 4/449-457 ، و ((شذرات الذهب)) 1/125 ، و ((البداية والنهاية)) 9/232 ، ((الجرح والتعديل)) لعبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس الرازي التميمي (8/319) دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ، ط 1 ، 1271هـ / 1952م . و ((الأعلام)) 5/287.

741(4) ((سنن الدارمي)) 1/257 : كتاب الطهارة : ((ورواه أبو نعيم في الحليه)) 3/279-280 .

742(5) مختصر الصواعق المرسله –ص442 .

743(1) الاحكام في أصول الأحكام: 1/241 ، تأليف : سيف الدين أبي الحسن علي بن علي بن محمد الآمدي – دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1400 هـ - 1980 م ، بدون رقم الطبع ، و ((إرشاد الفحول لتحقيق الحق من علم الأصول)) ص33 ، تأليف : محمد ابن علي الشوكاني ، وبهامشة : شرح الشيخ أحمد بن قاسم العبادي على شرح جلال الدين المحلي على الورقات في الأصول لإمام الحرمين – دار المعرفة ، بيروت ، 1399هـ - 1979م، بدون رقم الطبع.

عليه النبي ﷺ ، في أحواله كلها ، سواء أفاد حكماً شرعياً ، أم لم يفد.[744] والسنة عند الفقهاء : هو ماثبت عن النبي ﷺ ، من حكم ، هو دون الفرض ، والواجب.[745]

ولا شك أن الســنة النبوية ، وحي من عند الله – تعــالى – كما دل على ذلك القــرآن نفسه ، قــال – جل ثنــاؤه - : ﴿ [illegible] ﴾]النجم : 4-3[.

وقال – تعالى:

﴿ [illegible] ﴾]البقرة : 231[

وقال – تعالى - ﴿ [illegible] ﴾]الأحزاب:34[

وقد دلت السنة النبوية المطهرة ، أن السنة وحي من عند الله – تعالى - ، فمن ذلك ، حديث " ألا إني أوتيت القرآن ، ومثله معه".[746]

وهي حجة شرعية ، دل على حجتها : الكتاب ، والسنة ، وإجماع الأمة : أما الكتاب ، ففي

- قوله تعالى - : ﴿ [illegible] ﴾]النساء : 80[

- وقوله تعالى - ﴿ [illegible] ﴾]النساء:59[

قال ابن القيم : " فأمر – تعالى - ، بطاعته ، وطاعة رسوله ، وأعاد الفعل ، إعلاماً بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب ، بل إذا أمر ، وجبت طاعته مطلقاً، سواء كان ما أمر به في

---

[744](2) توجيه النظر إلى أصول الأثر: ص2-3 ، تأليف : طاهر بن صالح الجزائري-دار المعرفة ، بيروت ، بدون أي بيانات أخرى ، و انظر السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : ص47-49 ، تأليف : مصطفى السباعي – المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1396هـ - 1976م.

[745](3) العدة في أصول الفقه: 1/116 ، تأليف : القاضي أبي يعلي محمد بن الحسين الفراء – تحقيق : د. أحمد بن علي سير المباركي – مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1400هـ - 1980م.

[746](1) الحديث رواه أبو داود : 5/10-12 : كتاب السنة : باب لزوم السنة ، حديث رقم 4604 ورواه الإمام أحمد في المسند : 4/130-131. ورواه ابن حبان في صحيحة : 1/110، باب الاعتصام بالسنة وما يتعلق بها فعلاً.

الكتاب ، أو لم يكن فيه ، فإنه أوتي الكتاب ، ومثله معه ". ودلت السنة أيضاً على حجية السنة المطهرة .[747]
وفي ذلك عدة أحاديث مثل قوله : " لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمر مما أمرت به ، أو نهيت عنه ، فيقول : لا أدري ، ما وجدنا في كتاب الله، اتبعناه".[748]

وكذلك حديث "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهتديين الراشدين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ".[749]
وحديث " يا أيها الناس ، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به ، فلن تضلوا أبداً : كتاب الله وسنتي".[750]

747(2) إعلام الموقعين عن رب العالمين:1/48 ،لإبن قيم الجوزية, بتحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد – دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى 374هـ - 1955م.
748(3) الحديث رواه الترمذي :4/144-145 : كتاب العلم : باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ، حديث رقم 2800وحسنة. ورواه أبو داود : (5/12- معالم السنن) كتاب السنة ، باب لزوم السنة ، حديث رقم 4605. ورواه ابن ماجه في ((مقدمة السنن)) 1/6-7،باب تعظيم حديث رسول الله ،والتغليظ على من عارضة ،حديث رقم 13.
749(4) الحديث رواه أبو داود : (5/13-15- معالم السنن) : كتاب السنة : باب لزوم السنة رقم الحديث 4607.
ورواه الترمذي 4/149-150 : كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ، رقم الحديث
2816 ،2817ديث حسن صحيح.ورواه ابن ماجه : (1/15-16 – مقدمة : باب اتباع سنة الخلفاء
الراشدين المهديين) رقم الحديث 42 ، 43
والحديث صححه الألباني في ((صحيح الترغيب والترهيب)) 1/ 20 – المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة
الثانية ، 1406هـ - 1986م، وصححه أيضاً في ((صحيح ابن ماجه)) 1/13-14.
750(1) الحديث رواه الحاكم : 1/ 93 : كتاب العلم ، وصححه ووافقه الذهبي ، ((مستدرك الحاكم)) وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي – دار المعرفة ، بيروت ، بدون أي بيانات أخرى .
ورواه البيهقي : 10/ 114 ، كتاب آداب القاضي ، باب ما يقضي به القاضي .. وقد رواه بعدة روايات ، ((السنن الكبرى)) للبيهقي ، وبذيله : ((الجوهر النقي لابن التركماني)) دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر آباد الدكن ، الهند ، الطبعة الأولى ، 1355هـ
ورواه الإمام مالك : 2/ 899 : كتاب القدر : باب النهي عن القول بالقدر ، حديث رقم 3 . وقد رواه بلاغاً : ((الموطأ)) للإمام مالك بن أنس ، خدمة : محمد فؤاد عبدالباقي – دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي

الإجماع :

فقد دل على حجية السنة المطهرة ، قال الإمام الشافعي : " ولا أعلم من الصحابة ، ولا من التابعين أحداً ، أخبر عن رسول الله إلا قبل خبره ، وانتهى إليه ، واثبت ذلك سنة ،.... وضع ذلك الذين بعد التابعين ، والذين لقيناهم ، كلهم يثبت الأخبار ، ويجعلها سنة ، يحمد من تبعها ، ويعاب من خالفها ، فمن فارق هذا المذهب ، كان عندنا مفارق سبيل أصحاب رسول الله . وأهل العلم بعدهم إلى اليوم ، وكان من أهل الجهالة ".[751]

جـ - الإجماع : عرفة الأصوليون بأنه : اتفاق مجتهدي أمة محمد ، بعد وفاته ، في عصر من العصور ، على أمر من الأمور .[752]

وجماهير العلماء على حجية الإجماع ، وقد دل على ذلك : الكتاب ، والسنة ، والمعقول ، أما الكتاب ، فقوله – تعالى - : [illegible]]النساء:115[

وهذه الآية أول من استدل بها علي كون الإجماع حجة : الإمام الشافعي.[753]

المصادر الثانوية:

وشركاه ، 1370 هـ - 1951م بدون رقم الطبع.

والحديث صححه الألباني في ((صحيح الجامع الصغير)) 3/39 ، حديث رقم 2934 ، ((صحيح الجامع الصغير وزيادته : الفتح الكبير)) تأليف : محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1399هـ - 1979م.

[751](2) - انظر : ((إرشاد الفحول)) ص 71 ، و ((حاشية المحلي على جمع الجوامع)) 2/176. مطبوع بهامشه تقرير الشيخ عبدالرحمن الشربيني – مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ، الطبعة الثانية ، 1356هـ - 1937م.

[752](1) - انظر : ((الإبهاج شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول)) ، 2/394 ، تأليف : علي بن عبدالكافي السبكي ، وولده تاج الدين عبدالوهاب ابن علي السبكي ، تحقيق : د . شعبان محمد اسماعيل – مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر ، 1401هـ - 1981م بدون رقم الطبع.

[753](2) - مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة 4/23-24 ، للسيوطي – منشور ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ، إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1346هـ.

وهما مصدران : العقل ، والفطرة

أ- العقل:

قال ابن تيمية : "العقل شرط في معرفة العلوم ، وكمال ، وصلاح الأعمال ، وبه يكمل العلم والعمل ، لكنه ليس دليلاً مستقلاً بذلك ، لكنة غريزة في النفس ، وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين ، فإذا اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها ، وإن عزل بالكلية ، كانت الأقوال والأفعال مع عدمة أموراً حيوانية ، قد يكون فيها محبة ، ووجد ، وذوق ، كما يحصل للبهيمة . فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة ، والأقوال المخالفة للعقل باطلة".[(754)]

فالعقل ، وإن كان قد يدرك بعض أمور الدين ، ومسائله الكبار ، كوجود الله –تعالى - ، وتوحيده ، وعلوه على خلقه ، لكنه لا يدرك تفاصيل هذه المسائل،مما جاء الوحي بتعريفها ،واستقل ببيانها، كحقائق أسماء الله –تعالى - ، وصفاته ، وما في الجنة والنار من النعيم والعذاب . "والمقصود ....بيان أن العقل مصدر من مصادر المعرفة الدينية ، لكنه ليس مصدراً مستقلاً ، بل يحتاج إلى تنبيه الشرع ، وإرشاده إلى الأدلة ؛ لأن الاعتماد على محض العقل ، سبيل للتفرق والتنازع ، وهو حال الفلاسفة والمتكلمين ".[(755)]

ب- الفطرة :

وهي من المصادر الثانوية ، كالعقل ، وقد ورد لفظ الفطرة "مصدراً" في آية واحدة من القرآن الكريم ، في قوله – تعالى - : ﴿ [illegible] ﴾]الروم:30[

وقد وردت بصيغة المصدر في أحاديث كثيرة ، أشهرها ، ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعاً : "كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو

---

[754](3) مجموع الفتاوى : (3/338-339)

[755](1) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة (1/160-161)

يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء" .[(756)]

وفي رواية لمسلم قال أبو هريرة – رضي الله عنه – آخر الحديث :" إقرءوا إن شئتم □□□□□□ □□□□□□□ □□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□ □ □ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□ "[(757)] وقد اختلف العلماء بالمراد من لفظ الفطرة المذكورة على أقوال[(758)] ، أرجحها ، وأصحها ، أن المراد بالفطرة : الإسلام ؛ لأدلة كثيرة ، ليس هنا موضع بسطها .

وقد قال الإمام ابن القيم – مبيناً رجحان هذا القول على غيره - : " فقد تبين من دلالة الكتاب ، والسنة ، والآثار، واتفاق السلف ، على أن الخلق مفطورون على دين الله ، الذي هو معرفته ، والإقرار به ، ومحبته ، والخضوع له ، وأن ذلك موجب فطرتهم ومقتضاها ، يجب حصوله فيها ، إن لم يحصل ما يعارضه ، ويقتضي حصول ضده ، وأن حصول ذلك فيها لا يقف على وجود شرط ، بل على انتفاء المانع ، فإذا لم يوجد ، فهو لوجود منافيه ، لا لعدم مقتضيه ، ولهذا لم يذكر النبي □ . لوجود الفطرة شرطاً ، بل ذكر ما يمنع موجبها ؛ حيث قال : "فأبواه يهودانه ، وينصرانه ، ويمجسانه" ، فحصول هذا التهويد ، والتنصير ، موقوف على أسباب خارجه عن الفطرة ، وحصول الحنيفية ، والإخلاص ، ومعرفة الرب ، والخضوع له ، لا يتوقف أصله على غير الفطرة ، وإن توقف كماله ، وتفصيله على غيرها ، وبالله التوفيق".[(759)]

---

[756](2) فتح الباري (3/245-246) : كتاب الجنائز : باب ما قيل في أولاد المشركين ، حديث رقم 1385. ورواه غيره أيضاً

[757](3) مسلم : (16/207-209 نووي) ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موتى أطفال الكفار والمسلمين

[758](4) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص 283-307-لإبن قيم الجوزية,دار المعرفة ، بيروت ، 1398هـ - 1978م ، بدون رقم الطبع ، وانظر درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية (8/ 359-353) – تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، 1401هـ -1981م.

[759](1) شفاء العليل: ص 302-303

وقد دلت الفطرة الصحيحة ، على بعض المطالب الدينية،كدلالتها على علو الله – سبحانه وتعالى-، على مخلوقاته . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "و أما كونه عالياً على مخلوقاته ، بائناً عنهم : فهذا أمر معلوم بالفطرة الضرورية التي يشترك فيها جميع بني آدم ، وكل من كان بالله أعرف ، وله أعبد ، ودعاؤه له أكثر ، وقلبه له أذكر : كان علمه الضروري بذلك أقوى وأكمل، فالفطرة مكملة بالفطرة المنزلة ، فإن الفطرة تعلم الأمر مجملاً ، والشريعة تفصله وتبينه ، وتشهد بما لا تستقل الفطرة به".[760]

وقد قدمت بالحديث عن مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة كي أجعل هذه المصادر ميزان أدير عليه مصادر التلقي عن النقشبندية ،حيث يذهب النقشبندية كما تقدم إلى تقسيم الدين إلى حقيقة وشريعة ، أو ظاهر وباطن ، فهم يدينون بأن للقرآن الكريم وللسنة النبوية ظاهراً – وهو التنزيل الذي جاء به محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم وأعلنه وأظهره للعموم ، وباطناً اختص به الله من رضي عنهم من الأولياء وهو يأتي بالمجاهدة وطريقة المكاشفة وغيرها من مصادر التلقي عندهم .

وهذه هي مشكلة التصوف ورجاله ، أنهم لا يكتفون بمصادر الدين الثابتة عند جمهور المسلمين من كتاب وسنة وإجماع ، بل يزيدون عليها باباً يفتح على الصوفية أبواب الشطح والإلهام والخواطر والخيالات وأقوال المجاذيب وأحوال الدراويش ، ومن وصل منهم إلى مقامات السكر والفناء.

حقيقة الظاهر والباطن عند أهل السنة والجماعة :

أن هذه الألفاظ مجملة تحتمل الحق والباطل ؛ لأن المقصود بالشريعة هو العلم الذي يسقط به الواجب وتبرأ به الذمة ، فإذا أقيمت الصلاة مثلاً فقام المكلف وتطهر وصلى ، فإن كل من يراه يحكم ببراءة ذمته وسقوط

[760](2) مجموع الفتاوى (4/45.)

الفرض عنه . فالشريعة والظاهر إذن هي أن تؤدي الفرائض شكلاً بصرف النظر عن الموضوع والمضمون .
وعلى هذا فإذا كان المراد بالحقيقة والباطن يعني أن القيام بالعبادة الظاهرة لا بد أن يصحبه خلوص النية وصدق القصد إلى الله ، وصفاء السر بين العبد وربه صح ذلك.
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " وقد شاع في كلام كثير من الناس علم الظاهر وعلم الباطن ، وأهل الظاهر وأهل الباطن ، ودخل في هذه العبارات حق وباطل .... إلى أن قال : ومن لم يكن له علم بما يصلح باطنه ويفسده ولم يقصد صلاح قلبه بالإيمان ودفع النفاق كان منافقاً وإن أظهر الإسلام ، فإن الإسلام يظهره المؤمن والمنافق وهو علانية لكن الإيمان في القلب".[761]
وقال : "ولكن جماع الأمر أن كل قول وعمل فلا بد له من ظاهر وباطن ، فظاهر القول اللسان ، وباطنه ما يقوم من حقائقه ومعانيه بالجنان ، وظاهر العمل حركات الأبدان ، وباطنه مايقوم بالقلب من حقائقه ومقاصد الإنسان . فالمنافق لما أتى بظاهر الإسلام دون حقائق الإيمان لم ينفعه ذلك وكان من أهل الخسران بل كان في الدرك الأسفل من النار".[762]
وقال أيضاً مؤكداً ما سبق : " والمقصود هنا أن الظاهر لا بد له من باطن يحققه ويصدقه ويوافقه، فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق، ومن ادعى باطناً يخالف ظاهراً فهو كافر منافق ، بل باطن الدين يحقق ظاهره ويصدقه ويوافقه ، وظاهره يوافق باطنه ويصدقه ويحققه ، فكما أن الإنسان لا بد له من روح وبدن وهما متفقان فلا بد لدين الإنسان من ظاهر وباطن يتفقان ".[763]

---

[761](1) رسالة في علم الباطن والظاهر ضمن المجموعة المنيرية (1/230-231). وانظر مجموع الفتاوى (13/230)
[762](2) رسالة في علم الباطن والظاهر (1/ 247).
[763](1) رسالة في علم الباطن والظاهر (1/ 251)

ذلك هو مفهوم مصطلحات " الشريعة " و " الحقيقة " أو "الظاهر" و "الباطن" عند السلف فالباطن أو الحقيقة أصل للشريعة أو الظاهر.

مناقشة الظاهر والباطن عند النقشبندية:

أما النقشبندية فيتجهون في فهم الحقيقة أو الباطن اتجاها آخر ومما يدل على ذلك أنهم جعلوها فرعاً والشريعة أصلاً ، ومعلوم إذا قصد بالحقيقة الإخلاص فهي الأصل وعليها مدار الأمر،لكنها كما تقدم عندهم من العلوم الخاصة التي لا تكون إلا لخاصة الخاصة أو لمن رضي الله عنهم . وهي تارة ينطوي تحتها علم السموات كما مر من قول الفاروقي [764] ومعلمة كما زعم روحانية علي – رضي الله عنه – وقد ورد عنه – رضي الله عنه – أنه أجاب على من سأله : هل عندكم من رسول الله شيء خصكم به دون الناس ؟ فقال : " لا . والذي خلق الجنة وبرأ النسمة ما أسر النبي- - إلينا شيء كتمه عن غيرنا إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه وما في هذه الصحيفة ، وكان فيها العقول والديات وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر ".[765]

وبالحقيقة تكشف خفايا المتشابهات القرآنية وأسرار المقطعات الفرقانية ،كما مرَّ من قول الفاروقي[766]،وبهذا العلم يستنبط الأولياء من القرآن والحديث فنجد لهم إسهامات في تأويل آيات الكتاب الكريم والسنة المطهرة ،وهذه الكلمات يسميها النقشبندية بالكلمات القدسية وتعظيمها لازم كوجوب تعظيم القرآن والحديث النبوي عندهم.

مع أن هذه التأويلات تشير إلى أمور في الدين لم ينزل الله بها من سلطان وتختلف إختلافاً ظاهراً عما جاء به خير الخلق أجمعين،ففي تفسيرهم للكينونة في قوله تعالى "وكونوا مع الصادقين" ،بالرابطة إقرار لاتخاذ الوسائط بين الله وبين خلقه.

764(2) انظر ص184من الرسالة

765(3) صحيح البخاري(1/246فتح)

766(4) انظر ص184 من الرسالة

وفي تفسيرهم لقوله تعالى : [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [النجم:29] بأنه أمر للرسول [illegible] بالإعراض عن طائفة ارتفع عنهم وصف الذكر بكمال استغراقهم في شهود المذكور كما تقدم.[767]

فالحقيقة وسيلتهم لإباحة إسقاط التكاليف عن بعضهم والخروج عن الأحكام الشرعية ومما يؤيد ذلك ما تقدم من النصوص في ذلك[768] ،وطريقها المجاهدة وليس التعليم وهي نور يقذف في القلوب [769]، ومصادرها عند النقشبندية قد تم بيانها وسيتم بإذن الله الرد على كل مصدر مع توضيح حقيقته عند أهل السنة والجماعة والآثار المترتبة عليه.

- مناقشة مصادر التلقي عند النقشبندية:

المصدر الأول : الكشف ، والذوق ، والإسراءات والمعاريج

الكشف :

الكشف لغة :الكاف والشين والفاء ، أصل صحيح ، يدل على سرو الشيء عن الشيء ، كالثوب يسري عن البدن . يقال : كشفت الثوب وغيره أكشفه.

والكشْفُ : رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه . وكشف الأمر يكشفه كشفاً : أظهره .

والكَشَفُ : دائرة في قصاص الناصية ، كأن بعض ذلك الشعر ينكشف عن مغرزه ومنبته . وذلك يكون في الخيل التواء يكون في عسيب الذنب .

والأكْشَفُ : الرجل الذي لا تُرْسَ معه في الحرب

ويقال : تَكشَّفَ البرقُ ، إذ ملأ السماء . والمعنى صحيح ؛ لأن المكتشف بارز.

والكِشَافُ : نتاج في إثر نتاج ؛ والكشاف : أن تبقى الأنثى سنتين أو ثلاثاً لا يحمل عليها.[770]

---

[767](1) انظر ص182من الرسالة

[768](2) انظر ص153من الرسالة

[769](3) انظر ص185 من الرسالة

[770](1) انظر : مادة كشف في لسان العرب (9/300) ، وما بعدها ؛ معجم مقاييس اللغة(5/181-182). لابن فارس طبع عيسى البابي الحلبي – مصر – الطبعة الأولى ، 1366هـ .

الكشف اصطلاحاً: هو الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية ، والأمور الحقيقية ، وجوداً وشهوداً.[771]

وقيل : "الكشف : هو بيان ما يستتر على الفهم ، فيكشف عنه للعبد كأنه رأي العين".[772]

وطريقة عندهم التطهر من شوائب الحس ، وأدران المادة ، وهو ينال بتقديم الرياضات والمجاهدات ، ليتصفى القلب ، وتنزاح عنه الحجب الظلمانية ؛ فيصبح قابلاً لا نعكاس العلوم عليه من الملأ الأعلى.

- حقيقة الكشف في ميزان أهل السنة:

لا إنكار عند أهل السنة بأن الزهد والتقوى ، من أسباب العلم ، لكن من الخطأ ، قصر العلم على هذا السبب وحده ، كما أن من الخطأ إنكار أن يكون الزهد والتقوى من أسباب حصول العلوم في القلوب . فقد قال ابن القيم : "و أما دعوى وقوع نوع من العلم بغير سبب من الاستدلال : فليس بصحيح ؛ فإن الله – سبحانه- ربط التعريفات بأسبابها كما ربط الكائنات بأسبابها ولا يحصل لبشر علم إلا بدليل يدل عليه . وقد أيد الله – سبحانه – رسله بأنواع الأدلة والبراهين ، التي دلتهم على ما جاءهم ، هو من عند الله ، ودلت أممهم على ذلك ، وكان معهم أعظم الأدلة والبراهين ، على أن ماجاءهم هو من عند الله ، .... فكل علم لا يستند إلى دليل ، فدعوى لا دليل عليها ، وحكم لا برهان عند قائله . وما كان كذلك ، لم يكن علماً ، فضلاً عن أن يكون لدنيا.

فالعلم اللدني : ما قام الدليل الصحيح عليه : أنه جاء من عند الله على لسان رسله .وما عداه فلدني من لدن نفس الإنسان . منه بدا وإليه يعود . وقد انبثق سد العلم اللدني ، ورخص سعره ، حتى ادعت كل طائفة أن علمهم لدني ، وصار من تكلم في حقائق الإيمان والسلوك ، وباب الأسماء والصفات بما يسنح له ، ويلقيه شيطانه في

---

[771](2) المعجم الصوفي: ص208

[772](3) اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع: ص249,لأبي الحسن االأشعري,صححه وقدم له د.حمودة غرابة,طبع شركة مساهمة مصر 1955م.

قلبه: يزعم أن علمه لدني ، فملا حدة الاتحادية ، وزنادقة المنتسبين إلى السلوك ، يقولون : إن علمهم لدني ، وقد صنف في العلم اللدني متهوكوا المتكلمين ، وزنادقة المتصوفين ، وجهلة المتفلسفين ، وكل يزعم أن علمه لدني ، وصدقوا وكذبوا ، فإن (اللدني) منسوب إلى (لدن) بمعنى (عند) ، فكأنهم قالوا : العلم العندي ، ولكن الشأن فيمن هذا العلم من عنده ومن لدنه.

وقد ذم الله – تعالى – بأبلغ الذم من ينسب إليه ما ليس من عنده ،كما قال- تعالى-: [illegible]]آل عمران:78[

، .. فكل من قال : هذا العلم من عند الله – وهو كاذب في هذه النسبة – فله نصيب وافر من هذا الذم . وهذا في القرآن كثير . يذم الله – سبحانه – من أضاف إليه ما لا علم له به ، ومن قال عليه ما لا يعلم ؛ ولهذا رتب – سبحانه – المحرمات أربع مراتب ، وجعل أشدها : القول عليه بلا علم ، فجعله آخر المحرمات التي لا تباح بحال . بل هي محرمة في كل ملة ، وعلى لسان كل رسول .

فالقائل : إن هذا علم لدني ، لما لا يعلم أنه من عند الله ، ولا قام عليه برهان من الله ، أنه من عنده : كاذب مفتر على الله ، وهو من أظلم الظالمين ، وأكذب الكاذبين". [773]

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية ، أن الناس في حصول العلم بالزهد : طرفان ووسط ، فقال ".. والناس في هذا الباب على ثلاثة أقسام : طرفان ووسط . فقوم يزعمون أن مجرد الزهد ، وتصفية القلب ، ورياضة النفس ، توجب حصول العلوم بلا سبب آخر.

وقوم يقولون : لا أثر لذلك ، بل الموجب للعلم ، العلم بالأدلة الشرعية أو العقلية.

وأما الوسط : فهو أن ذلك من أعظم الأسباب معاونة على نيل العلم ؛ بل هو شرط في حصول كثير من العلم

---

[773](1) مدارج السالكين بين اياك نعبد واياك نستعين (3/432-433)-للإمام ابن قيم الجوزية,تحقيق:محمد حامد الفقي,دار الفكر,بيروت-بدون رقم وتاريخ.

،وليس هو وحده كافياً ؛ بل لابد من أمر آخر، إما العلم بالدليل فيما لا يعلم إلا به وإما التصور الصحيح لطرفي القضية في العلوم الضرورية.

وأما العلم النافع الذي تحصل به النجاة من النار ، ويسعد به العباد ، فلا يحصل إلا باتباع الكتب التي جاءت بها الرسل ، .. فمن ظن أن الهدي والإيمان يحصل بمجرد طريق العلم مع عدم العمل به ، أو بمجرد العمل والزهد بدون العلم فقد ضل.

وأضل منهما من سلك في العلم ، أو سلك في العمل والزهد طريق أهل الفلسفة والتصوف بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة ، ولا اعتبار العمل بالعلم ؛ فأعرض هؤلاء عن العلم والشرع ، وأعرض أولئك عن العلم والشرع ، فضل كل منهما من هذين الوجهين ، وتباينوا تبايناً عظيماً ، حتى أشبه هؤلاء اليهود المغضوب عليهم ، وأشبه هؤلاء النصارى الضالين ؛ بل صار منهما من هو شر من اليهود والنصارى ، كالقرامطة ، والاتحادية ، وأمثالهم من الملاحدة والفلاسفة ".[774]

ومما زين لهم طريقهم ، أن وجدوا كثيراً من المشتغلين بالعلم والكتب ، معرضين عن عبادة الله – تعالى - ، وسلوك سبيله ، إما اشتغالاً بالدنيا ، وإما بالمعاصي.

لذا قالوا : أخذتم علمهم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت . قال ابن تيمية " فهذا قد يقع ، لكن منهم من يظن أنما يلقي إليه من خطاب أو خاطر هو من الله – تعالى – بلا واسطة ، وقد يكون من الشيطان ، وليس عندهم فرقان ، يفرق به بين الرحماني والشيطاني ، فإن الفرق الذي لا يخطيء ، هو القرآن والسنة . فما وافق الكتاب والسنة ، فهو حق ، وما خالف ذلك ، فهو خطأ[775] وعبادات الصوفية ، ومجاهداتهم ، الغرض منها : الكشف عن هذا العالم والتأثير فيه ؛ فلم ير بعضهم من فائدة للعبادة ، سوى أنها تصقل النفوس

---

[774](1) مجموع الفتاوى (13/246-248)

[775](2) مجموع الفتاوى (10/411-413). بتصرف

وتجردها ، لتصبح مستعدة لنزول العلوم عليها من الملأ الأعلى ، فإذا حصل لأحدهم ما يعتقد أنه علم ، أو معرفة ، بقي مخيراً في حفظ العبادة ، أو ردها ، أو الاشتغال بالوارد عنها ومنهم من يوجب القيام بالعبادة والأوراد والوظائف وعدم الإخلال بها إما حفظاً للقانون الشرعي ، وحفظاً للنفوس ، وإما خوفاً من أن تركه للوظائف والأوراد قد يؤدي به إلى أن تعود نفسه إلى حالته الأولى من البهيمية ، وعند ذلك ، تزول عنه الواردات والمعارف.[776] ومجرد علم القلب ومعرفته بالشيء ، لايفيد شيئاً إن لم يتبع ذلك عمل بموجب ذلك . قال ابن تيمية : " واعلم أن حياة القلب ، وحياة غيره ،ليست مجرد الحس والحركة الإرادية ، أو مجرد العلم والقدرة....".[777]

وغالب مكاشفات الصوفية إنما تدور على مجرد العلم بما في العالمين : السفلي ، والعلوي ، بما في ذلك ، صفات الله – تعالى - ، وذاته المقدسة.

وليس الكشف معياراً للولاية ، بحيث أن من لم يحصل له شيء من ذلك ، لا يكون ولياً ، وينقص ذلك من مرتبته عند الله . قال ابن تيمية : ".. إن عدم الخوارق علماً ، وقدرةً ، لا تضر المسلم في دينه ، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات ، ولم يسخر له شيء من الكونيات ، لا ينقصه ذلك في مرتبته عند الله ؛ بل قد يكون عدم ذلك أنفع له في دينه ، إذا لم يكن وجود ذلك في حقه ، مأموراً به ، أمر إيجاب ، ولا استحباب. وأما عدم الدين والعمل به ، فيصير الإنسان ناقصاً مذموماً ، إما أن يجعله مستحقاً للعقاب ، وإما أن يجعله محروماً من الثواب ، وذلك لأن العلم بالدين ، وتعليمه ، والأمر به ، ينال به العبد رضوان الله .. وأما العلم بالكون ، والتأثير فيه ، فلا ينال به ذلك ، إلا إذا كان داخلاً في الدين ، بل قد يجب عليه شكره ، وقد ينال به إثم ".[778]

---

[776](1) انظر : الصفدية (2/235),لإبن تيمية,تحقيق محمدرشاد سالم,الرياض ,مطابع حنيفة,1396ه_1976م؛ مدارج السالكين (1/96-97)

[777](2) مجموع الفتاوى(10/109)

[778](3) مجموع الفتاوى :(11/323)

وقال أيضاً :".. قد علم أن الكفار والمنافقين – من المشركين وأهل الكتاب – لهم مكاشفات ، وتصرفات شيطانية ، كالكهان ، والسحرة ، .. فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك ، على كون الشخص ولياً لله ، وإن لم يعلم منه ، ما يناقض ولاية الله ، فكيف إذا علم منه ، ما يناقض ولاية الله ؟!.. ".[779]

وقال : ".. إن ما يصدر عن ذوي الأحوال من كشف علمي ، أو تأثير قدري ، ليس بمستلزم لولاية الله ،بل ولا للصلاح ،بل ولا للإيمان، إذ قد يكون هذا الجنس في كافر، ومنافق ، وفاسق ، وعاص".[780] وهذا النوع من الكشف ، هو كشف جزئي ، مشترك بين المؤمن والكافر ، وهو كالكشف عما في دار الإنسان ، أو عما في يده ، أو تحت ثيابه ، أو ما غاب عن العيان من أحوال البعد الشاسع ، فإن هذا يقع من الشيطان تارة ، ومن النفس تارة ، فليس هذا النوع من الكشف محموداً.[781]

بل الكشف المحمود ، هو : الكشف الكوني المؤيد للكشف الديني الشرعي ، فيجتمع له الأمران ؛ بأن يؤتى من الكشف والتأثير الكوني ، ما يؤيد به الكشف والتأثير الشرعي: وهو علم الدين والعمل به ، والأمر به ويؤتى من علم الدين والعمل به ، ما يستعمل به الكشف والتأثير الكوني.[782]

قال الإمام ابن القيم : " فالكشف الصحيح : أن يعرف الحق الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، معانيه لقلبه ، ويجرد إرادة القلب له ، فيدور معه وجوداً وعدماً . هذا هو التحقيق الصحيح ، وما خالفه ، فغرور قبيح ".[783]

الذوق :

الذوق لغة : مصدر ذاق الشيء يذوقه ذوقاً ، ومذاقاً ، فالذواق والمذاق ، يكونان مصدرين ، ويكونان طعماً.

779(4) مجموع الفتاوى (:11/192).

780(1) المرجع السابق: (10/353).

781(2) انظر : مدارج السالكين :(3/227)

782(3) انظر : مجموع الفتاوى (11/324-325)

783(4) مدارج السالكين(3/226)

والمذاق : طعم الشيء . والذواق : هو المأكول والمشروب ,وتقول : ذقت فلاناً ، وذقت ما عنده ، أي : خبرته.

والذوق : يكون فيما يكره ويحمد . قال الله – تعالى- : [illegible]]النحل: 112[.

والذوق يكون بالفم ، وبغير الفم . لقوله – تعالى - : [illegible]]الأنعام: 30[

ويقال : أذاق فلان بعدك سرواً ، أي : وأذاق الفرس بعدك عدواً ، أي صار عداء ، بعدك.[784]

الذوق في الاصطلاح الصوفي:

يعرف بأنه: "نور عرفاني ، يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه ، يفرقون به بين الحق والباطل ، من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره ، ... وأول التجليات : الذوق .. ثم الشرب ، ثم إذا بلغ النهاية كان رياً"

وأهل الذوق من تكون أحكام تجلياتهم نازلة من مقام أرواحهم وقلوبهم إلى مقام نفوسهم وقواهم ، كأنهم يجدون ذلك حساً ويذوقونه ذوقاً ويلوح ذلك في وجوههم.[785]

نستخلص من هذا التعريف الآتي:

أ-الذوق حال من الأحوال ، فهو لا يستقر بل ينتقل صاحبه بعده إلى الشرب.

ب-أنه نور مقذوف في القلوب .

ج-أنه ناتج عن تجلي الله – سبحانه وتعالى – على قلوب أوليائه ، وأنه أول مباديء التجلي.

د-أن هذا الذوق – أو هذا النور الناشيء عن التجلي - ، به يفرق المرء بين الحق والباطل ، من غير نظر في كتاب ، أو غيره.

فالذوق الصوفي ، مرتبط بالتجلي ؛ وهذا التجلي عندهم ، له مراتب فهو إما أن يكون تجلياً ذاتياً ، بمعنى : أن الذات الإلهية تتجلى لنفسها بنفسها ، فهو تجل مبدؤه من

---

[784](1) انظر : لسان العرب(10/ 111-112). مادة : ذوق

[785](2) المعجم الصوفي : ص:100

الذات ، ومنتهاه إليها ، من غير اعتبار صفة من صفاتها معها ، والذات الإلهية في هذا التجلي الأول – عندهم – غير موصوفة ، ولا منعوتة ، فوجوده مطلق مجرد عن الأسماء والصفات ، ويسمى هذا – عندهم – بالحضرة الأحدية.

والتجلي الثاني : هو أن الذات المجردة –عندهم- من الأسماء والصفات ، تتعين بصفة العالمية ، والقابلية، يعني أنها تصبح عالمة وتتحقق بهذه الصفة ، كما تصبح قابلة لأن تظهر وتتجلى فيها الممكنات والأعيان . ويسمى هذا – عندهم - : بالحضرة الواحدية . فالظهور –هنا – في الممكنات بالقوة ، لا بالفعل.

والتجلي الثالث : معناه ظهور الله – تعالى – في الأعيان والممكنات ، بالفعل.

وهذه عقيدة أصحاب وحدة الوجود ، كما هو ظاهر ، ولذلك كان سر التجليات – عندهم – هو:- " شهود كل شيء ، وذلك بانكشاف التجلي الأول للقلب ، فيشهد أحدية الجمعية بين الأسماء كلها ، لا تصاف كل اسم بجميع الأسماء ، لإتحادها بالذات الأحدية ، وامتيازها بالتعينات التي تظهر في الأكوان التي هي صورها ، فيشهد كل شيء ، في كل شيء" .[786]

فالذي يشهد رجوع كل شيء في الوجود ، إلى ما سموه بالحضرة الأحدية ، فهو المتحقق ، الذي يشهد الحق – تعالى – في كل الأكوان .[787]

وهو بهذا له معنيان : عام ، وخاص

أما المعنى العام للذوق الصوفي ، فلا يقتصر على نتائج التجليات ، بل يطلق على الحالة الوجدانية التي يكون عليها الصوفي عند مُنَاَزَلَتِه لحالٍ من الأحوال ، أو مقامٍ من المقامات ، فيُدْرك هذه الأحوال ، و تلك المقامات عن تجربةٍ ، ابتلاءٍ ، لا عن تسامع ، وعلم مجرد.

فيقال – مثالاً - : فلان يذوق البسط ، أو القبض ، ونحو ذلك.

786(1) المعجم الصوفي:ص42-43

787(2) معجم مصطلحات الصوفية : ص96

وأما الذوق الصوفي بمعناه الخاص : فيقتصر على نتائج التجليات الإلهية ، وبيانه، وهو الذي يعنونه عند إطلاقهم لهذا اللفظ – الذوق - ، وطريقه القلب عن طريق التجلي الإلهي ، وليس لبصر العين وسمع الأذن فيه نصيب ، وهو حال يفجأ العبد في قلبه.[788]

آراء أهل السنة في الذوق ،وحقيقته عندهم :

الذوق عند الصوفية أول مباديء التجلي و له ثلاثة أنواع :كل نوع منها بحسب الذات الإلهية في كل مرتبة من مراتبها ، فأعلى مراتب الذات : ما أسموه "بالحضرة الأحدية "، وقد تقدم عنهم ،بأن الذات الإلهية في هذه المرتبة ،مجردة عن كل وصف ، واسم ،ونعت ، فهي مطلقة بشرط الإطلاق.[789]

فيقال في الرد على هذا : أن نفي الصفات والأسماء عن الله ـ سبحانه وتعالى - يستلزم نفي الذات،لأن ما لا يقبل الاتصاف بصفة أصلاً هو المعدوم .

ثم قولكم بأنه ـ تعالى ـ في هذه " الحضرة الأحدية " مجرد عن الصفات والأسماء ،وجعلكم هذا أعلى مراتب الذات : فهذا أيضاً باطل ،لأن الذي لا يتصف بالصفات من سمع ، وبصر ،وحياة وكلام ،ونحو ذلك ،يلزم أن يتصف بنقيضها ،من الخرس ،والعمى ،والموت ،والبكم .ومعلوم عند أهل العقول ،أن المتصف بالصفات الثبوتية من سمع ،وبصر ،ونحو ذلك ،أكمل من الخالي عنها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :"..وكذلك كونه لا يتكلم ،أو لا ينزل،ليس في ذلك صفة مدح،ولا كمال،بل هذه الصفات فيها تشبيه له بالمنقوصات،أو المعدومات .فهذه الصفات منها مالا يتصف به إلا المعدوم ،ومنها مالا يتصف به إلا الجمادات ،والناقص".[790]

---

[788](3) الفتوحات المكية (2/548)

[789](1) انظر : ص: 80من الرسالة

[790](2) الرسالة التدمرية : ص: 22

فهؤلاء قد جمعوا من الباطل :نفي الأسماء والصفات ،عن الله ،نفيا يستلزم تعطيل الذات ،وتشبيهه ـ تعالى ـ،بالنواقص والمعدومات ،ثم أنهم عكسوا الأمر بجعلهم ذلك أعلى مراتب الذات ،ومنتهى كمالها وهم أيضاً متناقضون ،لأن تجلي الذات لنفسها بنفسها ـ في هذه المرتبة ـ يلزم منه إسناد الفعل " الذي هو التجلي " إلى " الذات الأحدية " ،والحال أنها ـ عندهم ـ منزهة عن ذلك .

والنوع الثاني من التجلي ،ضرب من المحال أيضاً ،وقول على الله بلا علم ،ثم ما هو وجه اتصاف الذات بصفة العلم ،دون سائر الصفات ؟وأين الدليل على ذلك من كتاب الله،أو سنة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ؟والقول بقبول الذات لتجلي الممكنات فيها ،قول باطل ،لا دليل عليه ،وكفر وبيل،لأنه يتضمن قبول الذات لتجلي الخنازير ،والكلاب ،والنجاسات ،وهذا لا يقوله إلا أضل الناس وأكفرهم .

وأما النوع الثالث من التجـلي ، فهو عين القول بوحدة الوجود ،وهو قول طائفة الاتحادية ،وقد قال ـ عنهم ـ شيخ الإسلام ابن تيمية :

"..فإنهم تارة يجعلون وجود الحق :هو عين وجود المخلوقات،ليس غيرها ،وعلى هذا ،فلا يتصور وجوده مع عدم المخلوقات ،وهذا تعطيل محض للصانع ....وتارة يجعلون له وجوداً قائماً بنفسه ،ثم يجعلون نفس ذلك الوجود ،هو أيضاً :وجود المخلوقات ،بمعنى أنه فاض عليها ،وهذا أقل كفراً من الأول ،وإن كان كلاهما ،من أغلظ الكفر،وأقبحه".[791]

فإذا ثبت بطلان التجلي بالمعنى الذي فسروه به، فما معنى ذوق القلب له؟ هل يعنون به أن شهود القلب لأحد أنواع التجليات ،يخلف في القلب أثراً،وحالاً ،يطرب له القلب؟

فإن كان المراد هو هذا ،فالذوق ـ بهذا المعنى ـ باطل ،لبطلان التجلي المدعى ،إذ أن شهوده ـ تعالى ـ بالقلب ،لا يكون لأحد في الدنيا ،ومن جوز ذلك ،إنما جوزه للنبي

---

[791](1) مجموع الفتاوى (2/197-198)

ـ ـ خاصة ،فالقلب لا ترتفع عنه جميع الحجب ،بينه وبين الله ـ تعالى ـ بحيث تشاهد الروح ،ذات الله.(792)

لكن ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن هناك مشاهدات تحصل لبعض العارفين في اليقظة ،ويكون هذا المشاهد ،هو المثال العلمي ،الذي يقوم بالقلوب ،بحسب المعرفة بالله ،والمحبة له ،وهذا يتنوع تنوعاً ،لا ينحصر ،كما أن الخلق متفاوتون في إيمانهم بالله ،وكتابه ،ورسوله ،فلكل منهم في قلبه للكتاب والرسول ،مثال علمي ،بحسب معرفته ،مع اشتراكهم في الإيمان بهذه المذكورات.(793)

وقد أسهب الإمام ابن القيم في بيان المراد من الأمثلة العلمية التي تشاهدها القلوب ،فكان مما قاله:"..وحقيقة الأمر :أن ذلك كله شواهد وأمثلة علمية ،تابعة للمعتقد.فذلك الذي أدرك بعين القلب والروح :إنما هو شاهد دال على الحقيقة ،وليس هو نفس الحقيقة ،فإن شهد نور جلال الذات في قلب العبد ،ليس هو نفس نور الذات ،الذي لا تقوم له السماوات والأرض ،فإنه لو ظهر لها،لتدكدكت ،ولأصابها ما أصاب الجبل .

وكذلك ،شاهد نور العظمة في القلب :إنما هو نور التعظيم ،والإجلال ،لا نور نفس المعظم ،ذي - الجلال والإكرام - .

وليس مع القوم إلا الشواهد ،والأمثلة العلمية،والرقائق التي هي ثمرة قرب القلب من الرب،وأنسه به،واستغراقه في محبته وذكره ،واستيلاء سلطان معرفته عليه .

والرب ـ تبارك وتعالى ـ وراء ذلك كله ،منزه مقدس عن اطلاع البشر على ذاته ،أو أنوار ذاته ،أو صفاته ،أو أنوار صفاته .وإنما هو الشواهد التي تقوم بقلب العبد ،كما يقوم بقلبه شاهد من الآخرة،والجنة ،والنار،وما أعد الله لأهلهما" (794)،وقال أيضاً : "...فإن التجلي الذاتي

792(2)مجموع الفتاوى (5/492)

793(3)مجموع الفتاوى(5/251-252)

794(1) مدارج السالكين (3/249)

والصفاتي،لا يقع في هذا العالم،ولا تثبت له القوى البشرية ".[795]

المعنى الصحيح للتجلي:

إذا كان المقصود من التجلي ،هو شهود المثال العلمي بالقلب ،فهذا معنى صحيح ،وليس شهود المثال العلمي ،هو نفس شهود الله ـ تعالى وتقدس ـ بالقلب ،فإن هذا مما لا سبيل إلى نواله في الدنيا، ومن جوزه ، فقد جوزه للنبي ـ عليه الصلاة والسلام خاصة . وقيام المثال العلمي في القلب المطابق لما عليه المعلوم في الخارج ، له في القلوب آثار عظيمة ، من الحب ، والأنس ، وسرور القلب بذلك ، أشد السرور ،وأعظم الأنس ، فإذا اصطلح على تسمية هذا ذوقاً : كان اصطلاحاً صحيحاً . والله اعلم .

وهناك معنى آخر للتجلي الإلهي ، صحيح ، لا مانع من إطلاقه – وقد أشار إليه ابن تيمية ـ :" إذا أريد من التجلي ، كون جميع الكائنات ، آيات له ، شاهدة ، دالة ،مظهرة لما هو مستحق له من الأسماء الحسنى ،والصفات العلى ، وعن مقتضى أسمائه ،وصفاته ، خلق الكائنات .

فهو –تعالى – قد اظهر من آثار علمه ، وحكمته،ورحمته ،مالا يحصيه إلا هو.فهو رب العالمين ، والعالمون ممتلئون بما فيهم ، من آثار أسمائه ، وصفاته".[796]

الذوق عند أهل السنة :

لقد ورد لفظ الـذوق في الكتـاب والسـنة وله معـنى وضـــــحه ابن القيم بقوله : "والـــــذوق : مباشر الحاسة الظاهرة ،و الباطنـة، للملائم ، و المنـافر ، ولا يختص ذلك بحاسة الفم في لغة العـرب" .قـال الله –تعـالى:

. [الأنفال: 50]

وقال: [الانفال: 35]

وقال –تعالى-: [ص : 57]

---

795 (2) مدارج السالكين (3/ 191)

796 (1)انظر : مجموع الفتاوى (2/ 400-401)

وقال: ﴿ ... ﴾ [النحل:112]

فتأمل كيف جمع بين الـذوق واللبـاس ، ليـدل على مباشـرة المـذوق ،وإحاطته ،وشـموله .فأفـاد الإخبـار عن إذاقته : أنه واقع مباشِـر ، غـير منتظر ، فـإن الخـوف قد يتوقع ، ولا يباشَـر ،وأفـاد الإخبـار عن لباسه :أنه محيـطٌ ،شاملٌ ،كاللباس للبدن .فهذا الـذوق المـذكور في الآيـات، هو ذوق حقيقي يتمثل بالعذاب الذي أعده الله – عز وجل – للمخـالفين له ، وهو غـير الـذوق المـذكور في السـنة ، الذي هو ذوق معنوي يجده المؤمن وفرق بينهما .

ففي الصحيح عنه – ﷺ -: "ذاق طعم الإيمان :من رضي بالله ربا ،وبالإسلام دينا وبمحمد –ﷺ –رسولا ".[797]

فأخبر أن للإيمان طعماً ،وأن القلب يذوقه ، كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب .

وقد عبر النبي –ﷺ–عن إدراك حقيقة الإيمان ، والإحسان ، وحصوله للقلب،ومباشرته له :بالذوق تارة ، وبالطعام والشراب تارة ،وبوجود الحلاوة تارة ،كما قال:" ذاق طعم الإيمان .."،وقال:" ثلاث من كن فيه ،وجد بهن حلاوة الإيمان :من كان الله ورسوله ،أحب إليه مما سواهما ،ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ،كما يكره أن يلقى في النار".[798]

---

[797] (2) الحديث رواه الإمام مسلم : (2/2- نووي) : كتاب الإيمان : بابٍ الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد - ﷺ - رسولاً ، فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر.

[798] (1) الحديث رواه الإمام البخاري :(1/60-فتح):كتاب الإيمان : باب حلاوة الإيمان ،رقم الحديث:16،وأيضاً:(1/72-فتح :كتاب الإيمان :باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار ،رقم الحديث : 21،وكذلك رواه في :(10/463 –فتح):كتاب الآداب :باب الحب في الله ،رقم الحديث :6041،وأيضاً في :(12/315 –فتح):كتاب الإكراه :باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ،رقم الحديث :6941، ورواه مسلم :(2/13-14-نووي):كتاب الإيمان :باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان .

ولما نهاهم عن الوصال ،قالوا :"انك تواصل ،قال :إني لست كهيئتكم ،إني أطعم وأسقى".[799]
وقد غلط حجاب من ظن أن هذا طعام وشراب حسيّ للفم ،ولو كان كما ظنه هذا الظان:لَمَا كان صائماً ،فضلاً عن أن يكون مواصلاً ،ولما صحّ جوابه ،بقوله :" إني لست كهيئتكم "،فأجاب بالفرق بينه وبينهم ،ولو كان يأكل ويشرب بفيه الكريم حساً ،لكان الجواب أن يقول :وأنا لست أواصل أيضاً .
فلما أقرهم على قولهم :" إنك تواصل ": علم أنه –ﷺ– كان يمسك عن الطعام والشراب,

ويكتفي بذلك الطعام والشراب ،العلي ،الروحاني ،الذي يغني عن الطعام والشراب ،المشترك ،الحسي.[800]
وهذا الذوق ،هو الذي استدل به هرقل على صحة النبوة ،حيث قال لأبي سفيان :"فهل يرتد احد منهم سخطة لدينه ؟ فقال :لا .قال : وكذلك الإيمان ،إذا خالطت حلاوته بشاشة القلوب ".[801]

---

[799](2) الحديث رواه البخاري من رواية أنس في :(4/202- فتح):كتاب الصوم باب الوصال ،ومن قال ليس في الليل صيام ، لقوله –عز وجل -:(..ثم أتموا الصيام إلى الليل ..){ البقرة:187}.ونهى النبي –ﷺ –عنه ،رحمة لهم ،وإبقاء عليهم،وما يكره من التعمق ،رقم الحديث : 1961،وأيضاً في(13/224-225-فتح):كتاب التمني،ما باب ما يجوز من اللو ...،رقم الحديث :7241،ورواه البخاري من حديث عبدالله بن عمر :(4/202-فتح):كتاب الصوم :باب الوصال ...،رقم الحديث:1962،ورواه من حديث أبي سعيد الخدري ،(4/202-فتح): كتاب الصوم :باب الوصال ..،رقم الحديث 1963،وأيضاً :(4/208- فتح) :كتاب الصوم :باب الوصال إلى السحر ،رقم الحديث :1967،ورواه من حديث عائشة : 4/202-فتح)كتاب الصوم:باب الوصال ..،رقم الحديث :1964،ومن حديث أبي هريرة :(4/205-206-فتح):كتاب الصوم :باب التنكيل لمن أكثر الوصال .رقم الحديثين :1965، 1966،وأيضاً:(12/176فتح):كتاب الحدود :باب التعزيز والأدب ؟ رقم الحديث 6851.

[800](1) انظر :زاد المعاد في هدي خيرالعباد,لابن قيم الجوزية,تحقيق شعيب وعبدالقدر الأرناؤط,مؤسسة الرسالة _بيروت,ط8 :(2/32-33), 1405ه_1985م.
[801](2) الحديث رواه البخاري :(1/31-33-فتح) :كتاب بدء الوحي ،باب حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ...،رقم الحديث :7،وقد رواه في مواضع

فاستدل بما يحصل لأتباعه من ذوق الإيمان – الذي خالطت بشاشته القلوب :لم يسخطه ذلك القلب أبداً- على أنه دعوة نبوة ،ورسالة ،لا دعوى ملك ورياسة .

والمقصود :أن ذوق حلاوة الإيمان والإحسان ،أمر يجده القلب ،تكون نسبته إليه كنسبة ذوق حلاوة الطعام إلى الفم ...

فللإيمان طعم ،وحلاوة ،يتعلق بهما ذوق ،ووجد ،ولا تزول الشُّبه ،والشكوك ،عن القلب ،إلا إذا وصل العبد إلى هذه الحال ،فباشر الإيمانُ قلبه حقيقة المباشرة ،فيذوق طعمه ،ويجد حلاوته .[802]

والناس في الذوق يتفاوتون كما بين ذلك ابن تيمية بقوله : " وهذا الذوق ، أصحابه فيه يتفاوتون،فالذي يحصل لأهل الإيمان عند تجريد توحيد قلوبهم إلى الله ،وإقبالهم عليه ،دون ما سواه،بحيث يكونون حنفاء له ،مخلصين له الدين ،لا يحبون شيئا إلا هو ،ولا يتوكلون إلا عليه،ولا يوالون إلا فيه ،ولا يعادون إلا له ،ولا يسألون إلا إياه ولا يرجون إلا إياه،ولا يخافون إلا إياه،يعبدونه ويستعينون له وبه ،بحيث يكونون عند الحق بلا خلق ، وعند الخلق بلا هوى :قد فنيت عنهم إرادة ما سواه بمحبته ،وخوف ما سواه بخوفه ،ورجاء ما سواه برجائه ،ودعاء ما سواه بدعائه :هو أمر لا يعرفه بالذوق والوجد،إلا من له نصيب ،وما من مؤمن إلا له منه نصيب وهذا هو حقيقة الإسلام ،الذي بعث الله به الرسل ،وأنزل به الكتب ،وهو قطب القرآن ،الذي تدور علية رحاه والله –سبحانه – أعلم ".[803]

وللذوق على المؤمن آثار:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " أما الذوق الشـرعي : فهو أن القلب إذا ذاق حلاوة عبوديته لله ،لم يكن شــــيء أحب إليه من ذلك ،حـتى يقدمه عليه ،وبـذلك يصـرف عن أهل الإخلاص لله،السوء،والفحشاء ، كما قال –تعالى -: [illegible] [يوسف: 24]

كثيرة من صحيحه .

[802](3)مدارج السالكين :3/87-89.

[803](1) مجموع الفتاوى :(10 / 335-336)

فإن المخلص لله ،ذاق من حلاوة عبوديته لله ،ما يمنعه عن عبوديته لغــيره ،ومن حلاوة محبته للـــه،ما يمنعه عن محبة غيره ،إذ ليس عند القلب ،لا أحلي ،ولا ألذ،ولا أطيب ،ولا ألين ،ولا أنعم من حلاوة الإيمـان ،المتضـمن عبوديته لله ،ومحبته له ،وإخلاصه الـــــــــدين له ،وذلك يقتضي ، انجـــذاب القلب إلى الله ،فيصر القلب منيبـــاً إلى الله ، خائفـاً منه ،راغبـاً ، راهبـاً ،كما قـال – تعـالى: ﴿ ﴾ [ق : 33] إذ المحب ، يخـاف من زوال مطلوبه ،وحصـول مرغوبه ،فلا يكون عبدُ الله ،ومُحبُّه ،إلا بين خوف ورجاء ،قال – تعـالى :- ﴿ ﴾ [الاسراء:57]

ومن آثار هذا الذوق الشرعي أيضاً :زوال الشكوك والشبهات عن القلب.[804]

الإسراءات والمعاريج :-

السُّرَى : سَيْرُ الليل عامته ، وقيل : السُّرَى ، سَيْرُ الليل كلّه ، وَسَرِيْت سُرىً وَمسْرىً وأسْرَيْتُ ، بمعنى : إذا سرتُ ليلاً.[805]

والعَرَجُ والعرْجةُ : الظَّلَعُ : و العُرْجة أيضاً : موضع العَرَج من الرّجْل . والتَّعْرِج على الشيء : الإقامةُ عليه . وانْعَرَجَ الوادي وانفرج القوم عن الطريق : مالوا عنه.

وعَرَجَ في الدَّرَجة والسُّلّم ، يعرُج عُرُوجاً . أي ارْتقَى وعَرَج في الشيء وعليه ، يَعْرِج ، ويَعْرُج عُرُجاً أيضاً : رَقِيَ . وَعَرَج الشيء ، فهو عَرِيج : ارتفعَ وَعَلاَ . و المَعَارِجُ : المَصَاعِدُ الدَّرَج ، والمِعْراج : شِبْهُ سُلَّم ، أو دَرَجَة ، تَعْرُج عليه الأرواحُ إذا قُبِضتْ.

وجمع المِعْراج : مَعَارج ، ومَعَارِيج ، مثل : مَفَاتِح ، ومَفَاتِيح.[806]

---

[804](2) انظر : مدارج السالكين : (3 / 88-89)

[805](3) لسان العرب (382-14/381) . مادة : سرا

[806](1) لسان العرب (2: 320-322) ، مادة : عرج ، وكتاب المعراج ، ص 24-25- تأليف:أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري – تحقيق : د.علي حسن عبدالقادر . نشر : دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، طبع :

الإسراءات والمعاريج عند النقشبندية:

يتضح من أقوال النقشبندية حول الإسراءات والمعاريج أن الإسراء الروحاني للأولياء إلى السماء ، بمثابة المنام يراه الإنسان . لكل منهم مقام معلوم لا يتعداه ، وذلك حين يكشف له حجاب المعرفة ، فكل مكان كشف له فيه الحجاب:حصل المقصود به ، فمنهم من يحصل له ذلك بين السماء والأرض ، ومنهم من يحصل له ذلك في سماء الدنيا ، ومنهم من ترقى روحه إلى سدرة المنتهى وهو ما ذكره أحمد السرهندي في خطابه لوالده كما تقدم.[807]

رأي أهل السنة في الإسراء ت والمعاريج:

قال القاضي عياض[808] ، بعد أن عدد جملةً من المكفرات فعدَّ منها : "من ادّعى مجالسة الله –تعالى – والعروج إليه ، ومكالمته ، أو حلوله في أحد الأشخاص ، كقول بعض

الصوفية." .[809]

والحق : أن أليق وصف بهذه الإسراءات ، هو ما نعت شيخ الإسلام ابن تيمية به ، إسراء ابن عربي ، بأنه:شرمن قرآن مسيلمة الكذاب.[810]

وهؤلاء وأمثالهم ، تستغويهم الشياطين وتضلهم ، وتخيل إليهم أموراً غير صادقة ، فيظن أحدهم ، أنه أسري به أو عرج به إلى الملأ الأعلى.

مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الأولى 1384هـ - 1964م.

[807](2) انظر ص 81 من الرسالة.

[808](3) القاضي عياض ، هو: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون ، اليحصي ، السبني : أبو الفضل . عالم المغرب ، وإمام أهل الحديث في وقته . ولد في سبتة عام : 476هـ ، وولي القضاء فيها ، ثم قضاء غرناطة . توفي بمراكش مسموماً سنة 544هـ .

من مؤلفاته : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، وشرح صحيح مسلم .

انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء :(20/212-218) ، وفيات الأعيان:(3/138-139) ، والأعلام : 5/99.

[809](1) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: (2/268) . تأليف القاضي عياض بن موسى ، اليحصبي – طبع المطبعة العثمانية بتركيا ، سنة : 1312هـ . بدون رقم الطبع .

[810](2) الصفدية : (1/266)

وهذه الأمور ونحوها ، هي ثمرات الخلوة المبتدعة ، والذكر المبتدع ، وتخلية القلب من كل شيء ، حتى تحل فيه الشياطين ، وتتلبس أصحاب هذه القلوب . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " .. وأما ذكر الاسم المفرد ، فبدعة ، ... ولهذا صار بعض من يأمر به من المتأخرين ، يبين أنه ليس قصدنا ذكر الله – تعالى - ، ولكن جمع القلب على شيء معين ، حتى تستعد النفس لما يرد عليها ، فكان يأمر مريده بأن يقول هذا الاسم مرات ، فإذا اجتمع قلبه ، ألقى عليه حالاً شيطانياً،فيلبسه الشيطان ، ويخيل إليه أنه قد صار في الملأ الأعلى ، وأنه أعطي مالم يعطه محمد - ﷺ- ليلة المعراج .."[811].

المصدر الثاني : الإلهام والهواتف

الإلهام :

في اللغة هو : ما يلقي في الروع ، أو ما يلقيه الله في النفس من الأمور التي تبعث على الفعل أو الترك.[812]

وهو عند الصوفية :

ما يلقى في الروع بطريق الفيض ، وقيل هو ما وقع في القلب من علم وهو ما يدعوا إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجه .وهو حجه عند الصوفية[813]،والعمل به حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية عن بعض الشيوخ ، ممن يأمر أتباعه بالاستعانة به بعد موته ؛ استناداً على وجود الخطاب في قلبه بذلك.[814]

ويعتبره الصوفية وحي الأولياء قال أبو المواهب الشاذلي – رداً على ما أنكر قول القائل : حدثني قلبي عن ربي :- " لا إنكار ؛ لأن المراد ، أخبرني قلبي عن ربي من طريق الإلهام الذي هو وحي الأولياء ".[815]

- آراء أهل السنة و الجماعة في الإلهام ، وحقيقته عندهم:

811(3) مجموعة الفتاوى: (10/397) .

812(4)انظر : لسان العرب(5/12)، مادة : لهم

813(5) المعجم الصوفي : ص30

814(1)مجموع الفتاوى (17/457)

815(2) طبقات الشعراني (2/68)

الإلهام عند أهل السنة من جملة أصناف الوحي ، ومراتب الهداية ، فالإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم ، فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان . فهذا إلهام عام.

وأما الإلهام الخاص فهو التحديث ، وهو الوحي إلى غير الأنبياء ، وهذا الموحى إليه ؛ إما أن يكون مكلفاً ،كما في قوله-تعالى-: [illegible] [القصص :7] ، وقوله: ﴿ وإذ أوحيت إلى الحوارين أن ءامنوا بي وبرسولي ..﴾ (المائدة:11).

فأهل السنة لا ينكرون الإلهام كله بل يميزون بين الحق والباطل فيه يقول ابن حجر العسقلاني : "وإنكار الإلهام مردود" .. ولكن التمييز بين الحق والباطل في ذلك : أن كل ما استقام على الشريعة المحمدية ، ولم يكن في الكتاب والسنة ما يرده ، فهو مقبول ، وإلا فمردود ، يقع من حديث النفس ، ووسوسة الشيطان ، .. ونحن لا ننكر أن الله – تعالى – يكرم عبده بزيادة نور منه ، يزداد به نظره ، ويقوى به رأيه ، وإنما ننكر أن يرجع إلى قلبه بقول لا يعرف له أصل ، ولا نزعم أنه حجة شرعية ، وإنما هو نور يختص الله به من يشاء من عباده ، فإن وافق الشرع، كان الشرع هو الحجة ".[816]

وإلهام الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء ؛ لعدم العصمة وعدم الدليل على الاستدلال به. بل ولوجود الدليل على عدم جواز الاستدلال به ، وما يزعمه بعض الصوفية من جواز العمل بالإلهام في حق الملهم دون غيره ، .. كله باطل لا يعول عليه ، لعدم إعتضاده بدليل . وغير المعصوم لا ثقة بخواطره ، لأنه لا يأمن من دسيسة الشيطان .. وقد ضمنت الهداية في اتّباع الشرع ، ولم تضمن في اتّباع الخواطر والإلهامات ..

أما ما يلهمه الأنبياء ، مما يلقيه الله في قلوبهم ، فليس كإلهام غيرهم ، لأنهم معصومون ، بخلاف غيرهم..

---

[816](3) فتح الباري : (388/12-389) . نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني عن أبي المظفر ابن السمعاني.

وبالجملة ، فلا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام ، أنه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه ، وما يتقرب إليه به من فعل وترك : إلا عن طريق الوحي ، فمن ادعى أنه غني – في الوصول إلى ما يرضي به ربه – عن الرسل ، وما جاءوا به ، ولو في مسألة واحدة ، فلا شك في زندقته.(817)

وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية عن مسألة الإلهام ، وهل هي طريق شرعي على الإطلاق ، بحيث يحتج به على انفراده ، أو هو أحد طرق الترجيح ؟ فقال : ".. ففي الجملة ، متى حصل ما يظن معه أحد الأمرين أحب إلى الله ورسوله ، كان هذا ترجيحاً بدليل شرعي ، والذين أنكروا كون الإلهام طريقاً على الإطلاق ، أخطأوا ، كما أخطأ الذين جعلوه طريقاً شرعياً على الإطلاق، ولكن إذا اجتهد السالك في الأدلة الشرعية الظاهرة ، فلم ير فيها ترجيحاً ، وألهم حينئذ رجحان أحد الفعلين ، مع حسن قصده وعمارته بالتقوى ، فإلهام مثل هذا دليل في حقه ؛ قد يكون أقوى من كثير من الأقيسة الضعيفة ، والأحاديث الضعيفة ، والظواهر الضعيفة ، والاستصحابات الضعيفة ، التي يحتج بها كثير من الخائضين في المذهب ، والخلاف ، وأصول الفقه ".(818)

وقال أيضاً : ".. فالله – سبحانه وتعالى – فطر عباده على الحنيفية : وهو حب المعروف ، وبغض المنكر ، فإذا لم تستحل الفطرة ، فالقلوب مفطورة على الحق ، فإذا كانت الفطرة مقومة بحقيقة الإيمان ، منورة بنور القرآن ، وخفي عليها دلالة الأدلة السمعية الظاهرة ، ورأى قلبه يرجح أحد الأمرين ، كان هذا من أقوى الأمارات عند مثله .. ". (819)

ثم بين – رحمة الله - ، أن القلب قد يقع فيه ترجيح أحد القولين المتعارضين ، على الآخر ، وليس ذلك

817(1) أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن,تأليف:محمد الأمين الشنقيطي : (4/159)بيروت عالم الكتب.

818(2) مجموع الفتاوى : (10/473).

819(1) مجموع الفتاوى : (10/474).

الترجيح بدليل خارجي ، بل بشيء ينقدح في قلبه ، وهو الإلهام . ثم إن الله – تعالى – يكرم بعض عباده ، بكشف الأمور الكونية لهم ، فالأمور الدينية أولى بأن تكشف للعبد المؤمن ، لأنه إليها أحوج ، لكن ليس الإلهام وحده دليلاً على الأحكام الشرعية ، لكنه قد يرجح به طالب الحق ، أحد الأقوال التي تكافأت فيها الأدلة السمعية الظاهرة ، فالترجيح بالإلهام ، خير من التسوية بين الأمرين المتناقضين قطعاً ، فإن التسوية بينهما باطلة قطعاً .

وعلى ذلك فإن الإلهام ليس دليلاً شرعياً مستقلاً ، بل هو من جملة المرجحات عند تكافؤ الأدلة السمعية ، وانسداد وجوه الترجيح المعتبرة ، فيكون ذلك من قلب تقي معمور بالتقوى ، ترجيحاً في حق نفسه ، لا يتعداه إلى غيره.[820]

الهواتف :

في اللغة هي : الهَتْفُ والهُتَافُ : الصوتُ الجَافِي العَالي ، وقيل : الصوتُ الشديد . وقد هَتَفَ به هُتَافاً ، أي صاحَ به ، وهَتَفٌ بفلانٍ ، أي دَعَوْتُه ، وَهَتَفْتُ بفلان ، أي مَدْحْتُهُ . وسمِعْتُ هَاتِفاً يهتف . إذا كُنْتَ تسمَعُ الصَّوتَ ، ولا تُبْصِر أحداً.[821]

والهاتف ليس له عند الصوفية معنى جامع مانع إلا أن الغزالي قد عبر عنه بقوله : أنه لفظ منظوم ، يقرع السمع لمن صفا قلبه في اليقظة.[822]

أنواعه ودرجاته: وهو لا يخلو إما أن يكون :

أ- الله عز وجل [823] ب- أو الخضر – عليه السلام-

ج- أو ولياً من الأولياء د- أو ملكاً

---

[820](2) مجموع الفتاوى : (10 / 476-477).

[821](3) انظر : لسان العرب (9/344). مادة : هتف.

[822](4) أحياء علوم الدين : (2/268).لأبي حامد الغزالي,مطبعة مصطفى البابي الحلبي_1358ه_1939م

[823](5) طبقات االشعراني (2/7)، و الرسالة القشيرية: ص84.

هـ - أو جناً صالحاً [824] و- أو إبليس - لعنه الله-[825]
ودرجات سماع هذا الهاتف ، إما :
أ- يقظة
ب- أو مناماً
جـ - أو يكون بين اليقظة والمنام[826] ، والحكايا في ذلك كثيرة منها ما كتبه ولد محمد معصوم له يقول :" إني تشرفت في هذه الأيام بإلهامات غريبة ومخاطبات عجيبة فقيل لي : أنت من أوليائي وأنت من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون". [827]
ومن ذلك ما قاله عبدالله الدهلوي :
"سمعت في سري الخطاب الإلهي ثلاث مرات : مرة وأنا في المدرسة ومرتين في الخانقاه . وجاءتني فاطمة الزهراء فقالت لي : إني قد بعثت لزيارتك".[828]

آراء أهل السنة في الهواتف ، وحقيقتها عندهم :

تقدم أن الهاتف لا يخلو إما أن يكون من الله – سبحانه وتعالى – أو هو الخضر–عليه السلام-،أو ولياً من الأولياء ، أو ملكاً ، أو جنياً صالحاً ، أو إبليس – لعنه الله – و القول بأن هذا الهاتف هو الله – عز وعلا – ، باطل ولا يستقيم تخريجه على مذهبهم في الكلام الإلهي ؛ لأن الهاتف فيه : سماع صوت وكلام متكلم بحروف وأصوات ، وقد نقل الكلا باذي إجماع جمهور الصوفية على نفي الحرف والصوت ، عن كلام الله – تعالى – ، فقال : "... وأجمع الجمهور منهم على أن كلام الله – تعالى – ، ليس بحرف ، ولا صوت ، ولا هجاء ، بل الحروف ، والصوت ، والهجاء ، دلالات على الكلام ..".[829]

824(1) الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية (1/4).لعبد الوهاب الشعراني,تحقيق وتقديم طه عبد الباقي سرور,الطبعة الاولى.
825(2) الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية (2/52).
826(3) الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية (1/2-3).
827(4) انظر ص82 من الرسالة.
828(5) انظر ص83من الرسالة.

وطائفة أخرى من الصوفية : كابن عربي ، وابن سبعين ، وغيرهما ، مذهبهم في كلام الله ، أنه ليس له وجود في خارج النفوس البشرية ، بل هو ما يفيض على النفوس من المعاني : إعلاماً وطلباً : فعندهم أن الكلام الذي سمعه موسى لم يكن موجوداً إلا في نفسه ، بل كلام الله – تعالى– عند هؤلاء الإتحادية ، كابن عربي وأمثاله ، هو كل ما يظهر من شيء من الموجودات.[830]

والحاصل : أنهم لو ادعوا سماع الله – تعالى – حقيقة ، فقد تناقضوا ؛ لأن الكلام لو كان – عندهم – معنى واحداً قائماً بالله – تعالى – ليس بحرف ، ولا صوت ، فالهاتف صوت وكلام مسموع بواسطة الأذن كما ثبت من تعريفه .

أما الاتحادية وأصحاب وحدة الوجود ، إذا كان كل كلام في الوجود ، هو كلام الله – تعالى – فما الفرق بين الهواتف الربانية ، والملكية ، والإبليسية ؟ والحال أنها كلها كلام الله ؟ . مع أن مذهبهم : أن كلام الله – عز وجل – ليس له وجود خارج نفس النبي.

ومعلوم أن الكلام الإلهي للأنبياء وتكليمهم يقظةً بلا واسطةً : هو من مراتب الوحي الخاص بالأنبياء ، لا يكون لغيرهم.[831]

والقول باحتمال كونه ولياً من الأولياء – أي الهاتف – ، فلم يذكروا له كيفية ، وغالب الظن أنهم يقصدون به ، إما الصور الروحانية للأولياء التي تخلفهم إذا غابوا ، وهؤلاء يسمونهم بالأبدال ، لكون هذه الصورة تقوم مقامهم إذا سافروا ، وقد صححوا به إمكان وجود الولي في عدة أمكنه في زمان واحد . فلعل مقصودهم بهواتف الأولياء ،

829(6) التعرف لمذهب أهل التصوف : ص55,لأبي بكر محمد الكلاباذي,تحقيق محمود أمين النواوي,مكتبة الكليات الأزهرية,بدون رقم وتاريخ.,

830(1) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ، لأحمد عبدالحليم بن تيمية ص384، مكتبة العلوم والحكم ، تحقيق د. موسى سليمان الدرويش ط 1 ، 1408هـ

831(2) مدارج السالكين (1 / 37-39)

هو هذا ، من مخاطبة إحدى الصور الروحانية له مع عدم مشاهدته لها .

وإما أن يقصدوا به أن أرواح الأولياء بعد موتهم ، يكون لها إتصال ، بهذا العالم ، بل وتتصرف فيه ، لأنها – في اعتقادهم – مأذون لها بالتصرف ، وأرواحهم تتشكل في صور مختلفة ،ولا شك أن كلا القولين باطل ، فالتصرف في بدنين أو أكثر ، أو ترك الولي لنفسه صورة محاكية له ، لا شك أن ذلك كله محال ، وهو من الأحوال الشيطانية ، إذ الشيطان هو الذي يظهر بصورة ذلك الشخص لمن أراد إضلاله ، فيعتقد الملبس عليه ، أن الإنسان يمكن أن يكون في مكانين مختلفين في زمان واحد ، وأما إثبات تصور الأرواح بعد الموت ، وتصرفها في هذا العالم بالتدبير ، فهو قول على الله بلا علم ، وليس عند من ينصر هذه الاعتقادات من الأدلة ، إلا ظنون وهمية ، وسفسطة جدلية، من جنس ما عند المشركين وعباد الأوثان ، والتي سيتم الرد عليها مفصلاً في الفصل القادم بإذن الله.

أما دعوى احتمال كون الهاتف ملكاً ، فبأي طريق علم ذلك ؟ وهل عنده عليه برهان قاطع ، وحجة نيره ؟ أم هو مجرد الظن والتخمين والرجم بالغيب ؟ . وكذلك دعوى أن صاحب الهاتف، جن صالح ، فليس ما يمنع من أن يكون الأمر كذلك ، فيأمر الجني الصالح ، الإنسي العاصي، بالمعروف ، أو ينهاه عن المنكر ، لكن الواجب عرض هذه المخاطبات على الكتاب والسنة ، فإن وافقت : كانت الحجة في الكتاب والسنة.

أما كون الآمر جنياً صالحاً ، فلا يدل مجرد أمره بالمعروف على صلاحه ، لاحتمال أن يكون هذا الآمر شيطاناً ، قد يخاطبه بكلام يقبله ، رشوة منه له ، ليتمهد له بذلك إضلالة.

ثم إن الجن فيهم المؤمن والكافر والمنافق ، كما في الإنس ، فلا يدل مجرد الأمر بالخير على صلاح الآمر ، وإن كان ذلك مظنة ذلك.

وقد ذكر الإمام ابن القيم أن من جملة المخاطبات التي يسمعها أهل السلوك ، خطاب الهواتف من الجان ، ويحتمل أن يكون المخاطب جنياً صالحاً ، أو شيطاناً . لكن لا يعتمد على شيء من هذا لعدم العصمة.قال ابن القيم – رحمه الله - : "النوع الثاني من الخطاب المسموع : خطاب الهواتف من الجان ، وقد يكون المخاطب جنياً مؤمناً صالحاً ، وقد يكون شيطاناً ، وهذا أيضاً نوعان :
أحدهما : أن يخاطبه خطاباً يسمعه بأذنه.
والثاني : أن يلقي في قلبه عندما يلم به ، ومنه : وعده وتمنيه ، حين يعد الإنسي ويمنية ..، وللقلب من هذا الخطاب نصيب ، وللأذن أيضاً منه نصيب ، والعصمة منتفية إلا عن الرسل ، ومجموع الأمة ، فمن أين للمخاطب أن هذا الخطاب رحماني ، أو ملكي ؟ بأي برهان ؟ أو بأي دليل ؟ والشيطان يقذف في النفس وحيه ، ويلقى في السمع خطابه ...".[(832)]
ثم ذكر الإمام ابن القيم نوعاً آخر من المخاطبات : " وهو الخطاب الحالي ، الذي تكون بدايته من النفس ، وعَوْدُه إليها ، فيتوهمه السالكُ ، مِنْ خارجٍ ، وإنما هو من نفسه ، منها بدا وإليها يعود ،وهذا النوع من المخاطبات كثيراً ما يعرض للسالكين ، فيغلطون فيه ، وسبب الغلط أن اللطيفة المدركة من الإنسان ، إذا صفت بالرياضة ، وانقطعت عِلَقُها عن الشواغل الكثيفة : صار الحكم لها ، بحكم استيلاء الروح والقلب على البدن ، ومصير الحكم لهما ، فتنصرف عناية النفس والقلب إلى تجريد المعاني التي هي متصلة بهما ، وتشتد عناية الروح بها ، وتصير في محل تلك العلائق والشواغل ، فتملأ القلب ، فتصرف تلك المعاني إلى المنطق ، والخطاب القلبي الروحي بحكم العادة ، ويتفق تجرد الروح ، فتتشكل تلك المعاني ، للقوة السامعة بشكل الأصوات المسموعة ، وللقوة الباصرة ، بشكل الأشخاص المرئية ، فيرى صورها ، ويسمع الخطاب ، وكله في نفسه ليس في الخارج منه شيء ،

---

[832](1) مدارج السالكين : (1/46-47)

ويحلف أنه رأى وسمع ، لكن رأى وسمع في الخارج ، أو في نفسه ؟ ويتفق ضعف التمييز ، وقلة العلم ، واستيلاء تلك المعاني على الروح ، وتجردها عن الشواغل ".[833]

الفراسة :

في اللغة هي : بكسر الفاء ، وهي لغة : تستعمل بمعنى النظر والتثبت والتأمل للشيء ، والبصر به : يقال : إنه لفارس بهذا الأمر ، إذا كان عالماً به ، وتفرس فيه الشيء : توسمه.

والاسم : الفراسة ، بالكسر.

ويقال أيضاً : أفرس الناس ، أي أجودهم ، وأصدقهم فراسة ، ويتفرس : أي يتثبت وينظر ، تقول منه : رجل فارس النظر.[834]

وفي الاصطلاح الصوفي : وردت له عدة تعريفات . فقيل : الفراسة خاطر يهجم على القلب ، فينفي ما يضاده . وله على القلب حكم ، اشتقاقاً من فريسة السبع ، وكل من كان أقوى إيماناً ، كان أحد فراسة.

وقيل: الفراسة سواطع أنوار لمعت في القلوب ،وتمكين معرفة حملة السرائر في الغيوب من غيب إلى غيب ،حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق- سبحانه – إياه ، فيتكلم على ضمير الخلق.[835]

وقال الكتاني[836] :"الفراسة مكاشفة اليقين ،ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الإيمان".[837]

وقيل في معناها أيضاً "أرواح تتقلب في الملكوت ،فتشرف على معاني الغيوب ،فتنطق عن أسرار الخلق نطق مشاهد ،لا نطق ظن وحسبان "[838], وعرفت بأنها

833(2) مدارج السالكين : (1/ 47-48)

834(1) انظر "لسان العرب (6/160)،مادة:فرس.

835(2) "الرسالة القشيرية : ص105 .

836(3) الكتاني:هو محمد بن علي بن جعفر ، الكتاني :ابو بكر:ويقال :أبو عبد الله .وابو بكر أصح .اصله من بغداد .صحب الجنيد، وأبا بكر الخراز،النوري .أقام بمكة ، وتوفي بها سنة 322هـ

انظر ترجمته في : طبقات الصوفيه ص373-377، وتاريخ بغداد (3/74-76)، و شذرات الذهب(2/ 296)

837(4) الرسالة القشيرية : ص106

838(5) الرسالة القشيرية : ص106

الاطلاع على ما في ضمائر الناس [(839)]، ومنها ما تقدم من قدرة أولياء النقشبندية على معرفة ما يختلج في صدور مريديهم كما تقدم .

فالفراسة – كما تدل عليه هذه التعريفات – لون من ألوان المكاشفة والاطلاع على الغيوب ، ولعل الأشهر ،إطلاقها على معرفة كوامن النفوس. والإشراف على الضمائر ،وما يرد على الخواطر.

وهي عند النقشبندية من جملة الوسائل التربوية التي تعتمد على ملاحظة الشيوخ لبواطن المريدين، والكشف عن خواطرهم كما تقدم ، وهي بذلك ليست كالفراسة الخِلْقِيَة والتي هي الاستدلال بالأحوال الظاهرة ،على الأخلاق الباطنه ، وهذا النوع صنّف فيه الأطباء كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل ،وبكبره على كبره وبغير ذلك.[(840)]

بل التي يعنونها هي:الفراسة الإلهية،أو الإلهامية. وهي نور إلهي في عين بصيرة المؤمن؟ يَعْرِف به حالَ الناس وما في نفوسهم ، من غير أن يحصل هناك علامة جسمانية ،ولا أمارة محسوسة ،وذلك لإشراق النفوس الصافية . التي وهبت هذه القوة القدسية ، فأدركت بها الغيوب.[(841)]

آراء أهل السنة في الفراسة ،وحقيقتها عندهم:

قال ابن القيم :"وعلى حسب قوة البصيرة وضعفها ، تكون الفراسة ، وهي نوعان: فراسة علوية شريفة ،مختصة بأهل الإيمان ،وفراسة سفلية دنيئة ، مشتركه بين المؤمن والكافر ،وهي فراسة أهل الرياضة والجوع والسهر والخلوة ، وتجريد البواطن من أنوع الشواغل .

فهؤلاء لهم فراسة كشف الصور ،والإخبار ببعض المغيبات السفلية ،التي لا يتضمن كشفها والإخبار بها ،كمالاً للنفس ،ولا زكاةً، ولا إيماناً، ولا معرفةً وهؤلاء لا

---

[839](6) الرسالة القشيرية : ص105

[840](1) مدارج السالكين : (2/487)

[841](2) الفراسة : ص30 ، تأليف : فخر الدين الرازي ، تحقيق : مصطفى عاشور ، مكتبة الساعي – الرياض ، بدون رقم وتاريخ .

تتعدى فراستهم هذه السفليات ، لأنهم محجوبون عن الحق – تعالى – فلا يتصعد فراستهم إلى التمييز بين أوليائه وأعدائه ،وطريق هؤلاء وهؤلاء.

وأما فراسة الصادقين ، والعارفين بالله وأمره :فإن همتهم لمّا تعلقت بمحبة الله ومعرفته وعبوديته ،ودعوة الخلق إليه على بصيرة : كانت فراستهم متصلة بالله ،متعلقة بنور الوحي مع نور الإيمان ،فميزت بين ما يحبه الله وما يبغضه ،من الأعيان والأقوال والأعمال ،وميزت بين الخبيث والطيب ،والمحق والمبطل ،والصادق ،والكاذب ،وعرفت مقادير استعداد السالكين إلى الله.فحملت كل إنسان على قدر استعداده ،علماً،وإرادةً،وعملاً ففراسة هؤلاء دائماً حائمة حول كشف طريق الرسول وتعرفها ،وتخليصها من بين سائر الطرق ،وبين كشف عيوب النفس ، وآفات الأعمال العائقة عن سلوك طريق المرسلين ،فهذا أشرف أنواع البصيرة والفراسة ،وأنفعها للعبد في معاشه ومعاده". [(842)]

حقيقتها عندهم :

كان للصحابة –رضي لله عنهم – من هذه الفراسة الإيمانية ،أوفى نصيب ،قال ابن القيم "وفراسة الصحابة- رضي الله عنهم –أصدق الفراسة.

وأصل هذا النوع من الفراسة :من الحياة والنور الذين يهبهما الله – تعالى – لمن يشاء من عباده،فيحيا القلب بذلك ويستنير ،فلا تكاد فراسته تخطيء.. وكان الصديق – رضي الله عنه أعظم الأمة فراسة ،وبعده عمر بن الخطاب-رضي الله عنه - ،ووقائع فراسته مشهورة،فإنه ما قال لشيء : أظنه كذا ،إلا كان كما قال ،ويكفي في فراسته : موافقته ربه في المواضع المعروفة ...أما فراسة الصوفية، فهي فراسة الجوع والسهر والخلوة ،وذلك أن هذه الأمور تجرد النفس عن الشواغل ،فيصير لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها ،وهذه الفراسة،مشتركة بين المؤمن والكافر ،ولا تدل على إيمان ،ولا على ولاية ،وكثير من الجهال يغتر بها ،وللرهبان

---

[842](1) مدارج السالكين : (1/ 130-131).

فيها وقائع معلومة، وهي فراسة لا تكشف عن حق نافع،ولاعن طريق مستقيم ، بل كشفها جزئي من جنس فراسة الولاة ،وأصحاب عبارة الرؤيا وغيرهم.(843)

ومعلوم أن الرسول- □–لم يكن يعلم من الغيب إلا ما أعلمه الله به ،ولم يكن يعلم-□- بعض المنافقين وهم جيرانه في المدينة كما قال - تعالى- : □ □□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□ □ □□□□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□ □ □□□□□□□□□□□□□□ □ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□ □ □□□□□□□□□□□□□□□ □ [التوبة:101] وأما علم ما في الضمائر والقلوب ،فليس بمجرده دليلاً على الولاية الرحمانية وقد يكون له أسباب شيطانية ،وهو شيء لا يخلص من الكهانة،بدليل قصة ابن صياد ، الكاهن ،لما أضمر له النبي –□- في نفسه سورة الدخان ،فلما سأله رسول الله- □- عما خبأه له ؟ قال ابن صياد:الدخ،فقال له رسول الله –□-:اخسأ،فلن تعدو قدرك.(844)

المصدر الثالث: اللقاء الروحي

أولاً ـ مناقشه التلقي عن النبي - □- :

التلقي عن النبي □ يقظة بعد موته ، يعتبر من أوثق مصادر التلقي التي يستقي منها الصوفية عامة والنقشبندية علومهم ومعارفهم ، وقد مرَّ أن محمد بهاء نقشبند قد أخذ الأوراد البهائية عن رسول الله □ فقد علمها له في الرؤيا وتلقاها هو منه درساً درساً وحيث أن محمد بهاء نقشبند لم يحدد الرؤيا في قوله أهي يقظة أم مناماً فقد حملتها على الرؤيا حال اليقظة بناءً على أصولهم في التلقي عن النبي □ وفي هذا مشابهة لقول النصارى في قيامة المسيح من الأموات ، ولقاءه الحوارين وأخذهم عنه ، وهذه من المصادر التي أدت إلى فساد المسيحية فبولس الذي أفسد المسيحية يزعم أنه رآى المسيح -عليه السلام - يقظة وأنه أمره بإتباعه ونشر لمسيحية ، ولما أدت هذه العقيدة عند المسيحيين إلى

843(2) مدارج السالكين : (1/ 486-487)

844(1) رواه مسلم (18/47-49 نووي) كتاب الفتن وأشراط الساعة : باب ذكر ابن صياد.

فساد دينهم فلا شك أن اعتقاد ذلك عند الصوفية من الأسباب التي أدت إلى فساد العقيدة عندهم [845].

مذهب أهل السنة في رؤية النبي – – يقظة بعد موته :

إن هذه الرؤية مستحيلة شرعاً وعقلاً ، وغير ممكنة الوقوع البته ، قال القاضي أبو بكر بن العربي:[846]
" وشذ بعض الصالحين ، فزعم أنها تقع بعيني الرأس حقيقة ".[847]
وفي كتاب : " شرح الطريقة المحمدية " ، ما نصُّه : " .. رؤية شخصه – – يقظة بعين الرأس بعد موته ، ورؤيته – تعالى – في الدنيا بعين الرأس : غير ممكن و الأول عقلي ، إذ الموتى ماداموا كذلك، لا يتصور منهم ذلك[848].. ".

وفي " شرح المواهب اللدنية " ما نصُّه : " .. وبالجملة ، فالقول برؤيته – – بعد موته بعين الرأس في اليقظة ، يدرك فساده بأوائل العقول [849].."

ولو كانت هذه الرؤية من كرامات الأولياء ، لكان أولى الناس بها ، أصحاب الرسول ، ولا سيما مع قيام المقتضي لهذه الرؤية ، فإنه قد جرى بين الصحابة – رضي الله عنهم – من النزاع في كثير من المسائل ،

845(2) استفد هذه المعلومة من المشرف على الرسالة

846(3) ابوبكر بن العربي هو محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي القاضي .من حفاظ الحديث . ولد في إشبيلية ، سنة : 468هـ . رحل إلى المشرق ، وبرع في العلوم . ولي قضاء اشبيلية ، ومات سنة: 543هـ .من كتبه : (العواصم من القواصم) ، (وأحكام القرآن). انظر في ترجمته : الأعلام (6/230) وسير أعلام النبلاء(20 / 197/204) ، وفيات الأعيان (4/296).

847(4) فتح الباري (12/384).

848(1) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية (1/103) تأليف : أبي سعيد الخادمي وبهامشيه كتاب : الوسيلة الأحمدية والذريعة السرمدية في شرح الطريقة المحمدية تأليف : رجب بن أحمد . مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر- (1348هـ) بدون رقم الطبع .

849(2) شرح المواهب اللدنية (5/ 309).لمحمد بن عبد الباقي الزرقاوى,المطبعة الأزهرية_الطبعة الاولى1325ه.

كاختلافهم في أمر الخلافة ، ثم ما وقع بينهم من القتال وغير ذلك من الأمور التي كانت تستدعي ظهوره لهم لنزع الخلاف والشقاق.[(850)]

وقد اشتد حزن ابنته فاطمة – رضي الله عنها - ، عليه ، بعد موته ، حزناً شديداً ، فَلِمَا لم يظهر لها وهي لها من المكانة والمنزلة عنده مالها ؟ قال الشيخ : محمد الخضر الشنقيطي : " الظاهر عدم وقوعه لفاطمة : دليل قطعي ، إذ لا أحد أولى منها بذلك ، ولو وقع لها ، أو لغيرها ، لنقل متواتراً ، لما له من الدواعي التي توجب نقله متواتراً ، كما وقع في حديث رؤيته مناماً ، وهذا أولي منه بذلك".[(851)]

نعم قد يتعلق القلب بالنبي تعلقاً شديداً ، مع دوام استحضار صورته الشريفة ، حتى يتخيل صورته ، أو مثاله ، فيظن أنه رآه ، أو رأى مثاله ، لكن ليس هذا المثال من جنس الحقيقة أصلاً . قال ابن تيميه : " يحصل تمثّل وتخيّل لبعض العالِمين والمحبين ، حتى يتخيل صورة المحبوب وقد لا يحصل تخيل حسي ، وليس هذا المثل من جنس الحقيقة أصلاً ".[(852)] ويمكن أن يكون مستند مدعي هذه الرؤية ، الحس الظاهر فيخبر أنه رأى ما يعتقد أنه النبي ، وهو صادق فيما أخبر به من الرؤية ، لكن إنما الذي رآه ، هو شيطان ، ادعى أنه النبي ، فصدقه هذا الملبَّس عليه ، فظن أن نفس الأمر كذلك .

ومع ذلك فهذا الغلط لا يوجب هجر ما جاء به الرسول ، و الإعراض عن سنته إكتفاء – كما زعموا – بأخذ الولي لها عن النبي . ولا ريب أن هذا الزعم ضلال أيما ضلال ومخالف لسبيل المؤمنين ، ومفارق له .

وأما صحابة رسول الله – - ، فلم يكن الشيطان ، ليأتيهم ، من هذه الجهة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ".. وكان أصحابة ، خير القرون ، وهم أعلم الأمة بسنته ،

850(3) انظر اسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب لمحمد درويش الحوت ص 318/319_طبعة قطر،شرح المواهب اللدنية (5/354)

851(1) مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني ص 92، لمحمد خضر الشنقيطي ، دار البشائر – عمان – 1405هـ .

852(2) مجموع الفتاوى (2/383)

و أطوع الأمة لأمره ، وكانوا إذا دخلوا إلى مسجده ، لا يذهب أحد منهم إلى قبره ، لا من داخل الحجرة ، ولا من خارجها ، وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره ، لا يدخلون إليه ، لا لسلام ، ولا لصلاةٍ عليه ،... ولا لسؤال عن حديث أو علم ، ولا كان الشيطان يطمع فيهم ، حتى يسمعهم كلاماً ، أو سلاماً ؛ فيظنون أنه هو كلمهم ، وأفتاهم ، وبين لهم الأحاديث ، أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج ، كما طمع الشيطان في غيرهم ، فأضلهم عند قبره ، وقبر غيره : حتى ظنوا أن صاحب القبر يحدثهم ، ويفتيهم ، ويأمرهم ، وينهاهم في الظاهر ، وأنه يخرج من القبر ، ويرونه خارجاً من القبر ، ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت من القبر تكلمهم ، وأن روح الميت تجسدت لهم ، فرأوها....".[853]

وخلاصة الأمر :

أن هذه الرؤية حال اليقظة ، مستحيلة عقلاً ، وشرعاً ، فضلاً عن أن أصحابها يمكن أن يأتوا بشرع جديد يضلون به ويُضلون .

ثانياً : مناقشة التلقي عن الخضر عليه السلام

أن شخصية الخضر - عليه السلام – حظيت عند الصوفية عامة وعند النقشبندية أيضاً باعتناء بالغ بحيث أصبح الأخذ عنه ولقياه – عندهم – أمراً مسلماً به لا يقبل النقاش وقد ذهبوا إلى إسناد شرائعهم المخترعة و أباطيلهم الملفقة ، إلى الخضر – عليه السلام -، كما مر من أنه - عليه السلام- لقّن عبدالخالق الغجدوان الوقوف العددي ، و علمه الذكر الخفي ، حيث أمره أن ينغمس في الماء ، ويذكر بقلبه " لا إله إلا الله " ففعل كما أمره ، وداوم عليه فحصل له الفتح العظيم.[854]

باعتباره أدرك زمن النبي ﷺ، ولقيه ، و أخذ عنه علوماً جمة ،فهو علي هذا ، صحابي كغيره من الصحابة ، فإذا ثبت له شرف الصحبة ، وثبت بقاؤه إلى آخر الزمان ،

853(1) مجموع الفتاوى (27/ 387- 388)

854(2) الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية ص 111-112.

فالأخذ عنه غير مستنكر ولما كان الأمر عندهم كذلك ، فإبطال أن الخضر أدرك زمن الرسالة المحمدية ، أو أنه باق إلى آخر الزمان، أمر مهم وسيتبين بالأدلة أنه متقادم الموت ، لم يدرك زمان النبي [illegible].

ولعل من متممات ذلك ، إقامة الأدلة على نبوته ، خلافاً لمن صرح بولايته ؛ لأنهم بنوا على القول بولايته ، جواز خرق الولي لسياج الشريعة ؛ استناداً على الإلهام ، كما فعل الخضر مع موسى – عليه السلام - .

أراء أهل السنة والجماعة في حقيقة الخضر وحياته :

حقيقته :

الذي عليه الجمهور، أن الخضر – عليه السلام – نبي [855] ، والأدلة على ذلك كثيرة منها :

قوله – تعالى - : [illegible]]الكهف:65[

ووجه الاستدلال بالآية الكريمة : أن الرحمة تكرَّر إطلاقها في القرآن الكريم على النبوة,كقوله – تعالى- : [illegible]

---

[855](1) نسبه إلى الجمهور : الآلوسي في : روح المعاني : 15/320، وابو حيان في تفسيره :6/147 تفسير البحر المحيط . تأليف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان . دار الفكر – بيروت – الطبعة الثانية : 1403هـ - 1983م ، والقرطبي في تفسيره : 11/16. الجامع لأحكام القرآن . تأليف : أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي . تحقيق أبو إسحاق إبراهيم أطفيش. دار الكتاب العربي – بيروت ، بدون رقم الطبع وتاريخه . وممن قال بنبوته الشاطبي في الموافقات : 2/196، انظر كتاب الموافقات في أصول الشريعة . تأليف : إبراهيم بن موسى الشاطبي تحقيق : عبدالله دراز . دار المعرفة بيروت ، بدون رقم الطبع وتاريخه . وممن قال بنبوته من العلماء : الثعلبي ، وابن عباس ، ووهب بن منبه ، وجاء القول برسالته عن إسماعيل بن أبي زياد ، ومحمد بن إسحاق ، وأبي الحسن الروماني ، وابن الجوزي . انظر: الزهر النضر في نبأ الخضر : ص 68.للحافظ ابن حجر,تحقيق مجدي إبراهيم,مكتبة القرآن القاهرة1407ه.

[illegible]] الزخرف :31-32[وقوله – تعالى –: [illegible]
[illegible]
]القصص : 86[، وإطلاق إيتاءه العلم ، دليل على نبوته أيضاً ، وقد أُطلق هذا في القرآن الكريم في مثل قوله – تعالي -: [illegible]]النساء :113[

وقوله : [illegible]] يوسف : 68[، فهذه الأدلة ترشد إلى نبوته.[856]

قال ابن حجر – في بيان وجه الاستدلال من الآية على نبوة الخضر - : " وهذا ظاهر أنه بأمر من الله ، والأصل عدم الواسطة ، ويحتمل أن يكون بواسطة نبي آخر لم يذكره ، وهو بعيد . ولا سبيل إلى القول بأنه إلهام ؛ لأن ذلك لا يكون من غير نبي وحياً ، حتى يعمل به ما عمل ، من قتل النفس ، وتعريض الأنفس للغرق ، فإن قلنا : إنه نبي ، فلا إنكار في ذلك ".[857]

دلائل نبوة الخضر :

1- أن موسى - عليه السلام - طلب مصاحبة الخضر- عليه السلام - ،لينال ما عنده من العلم الذي اختصه الله به ، فلو كان الخضرُ ولياً ولم يكن نبياً ، لم يكن معصوماً وموسى أراد أن يتعلم منه زيادة علمٍ على ما عنده من التوراة ، فلو كان ما عند الخضر مجرد إلهام ، فمعلوم أنه ليس بعلم ولا تشريع ، و لا يفيد اليقين ، لجواز أن يكون للشيطان فيه مدخلٍ ، فهل يعقل أن يمضي موسى – عليه السلام – حقباً من الزمان ، قيل : ثمانين سنة ، يتواضع له ، ويتبعه في صورة مستفيد منه ، ليتعلم منه شيئاً للشيطان فيه مدخل ؟ هل يستقيم هذا في العقل ؟ [858]

2- تعليله لما فعل بقوله : [illegible]]الكهف : 79[[illegible]]الكهف :81[وقوله: [illegible]

---

[856] (1) اضواء البيان(4/158).

[857] (2) الزهر النضر : ص66.

[858] (3) البداية والنهاية :(1/305 -306)، خواطر دينيه ص64. تأليف : عبدالله بن محمد بن الصديق الغماري . مكتبة القاهرة – مصر – الطبعة الأولى 1388هـ - 1986م .

[illegible]]الكهف :82[فهذا يدل على أنه كــان واثقــاً من نتيجة عمله ، جازمــاً بها ، وهي غيب ، لا يُـدرك إلا بـوحي نبـوةٍ . ولو كـان إلهامـاً لقـال : فَرَجَوت أن يكون كذا ، ولم يجزم به أبداً.(859)

3- أنه لو فعل ما فعل من الأمور بحكم الإلهام ، لوجب عليه القصاص في قتل الغلام ، ودفع قيمة تعييب السفينة ، ولا تعفيه ولايته من ذلك ، لكنّ شيئاً من ذلك لم يحصل ، فدل على أنه كان يفعل بوحي من عند الله.(860)

وهناك أدلة أخرى لكني رأيت فيما سبق ما يكفي .

والخلاصة :

أن اعتقاد نبوة الخضر – عليه السلام - : أول عقدة تُحَّلُ من عقد الصوفية لأنهم يتذرعون بكونه غير نبي ، إلى أن الولي ، يتلقى من الله مباشرة .

حياته :

مذهب أهل السنة الجماعة في الخضر أنه مات وأنه ليس من الأحياء وكل الأحاديث المرفوعة التي فيها حياة الخضر ، ولقياه نبينا [illegible] ، لا يصح منها شيء قال أبو الخطاب بن دحية (861): " وجميع ما ورد في حياته ، لا يصح منها شيء باتفاق أهل النقل ، وإنما يذكر ذلك من يروي الخبر، ولا يذكر علته ، إما لكونه لا يعرفها ، وإما لوضوحها عند أهل الحديث".(862)

قال ابن تيميه : ".. الصواب الذي عليه محققوا العلماء ، أن إلياس والخضر ، ماتا ...".(863) وقال أيضاً : ".. إنهما

---

[859](1) خواطر دينية ص64 .

[860](2) خواطر دينية ص64 .

[861](3) أبو الخطاب بن دحية : عمر بن الحسن بن علي بن محمد : أبو الخطاب ابن دحية الكلبي . أديب مؤرخ ، حافظ للحديث ، من أهل سبتة بالأندلس . مولده سنة : 544هـ . ولي قضاء (دانية) . ورحل إلى مراكش ، والشام ، والعراق ، و خراسان ، واستقر بمصر . توفي سنة : 633هـ من تصانيفه : (نهاية السؤل في خصائص الرسول) ، تنبيه البصائر (انظر في ترجمته في الأعلام : 5/44) ،شذرات الذهب : 5/160 .

[862](4) الزهر النضر : ص80 .

[863](1) منهاج السنة النبوية (1/28) .لإبن تيمية,تحقيق د.محمدرشادسالم,مطابع جامعةالإمام محمدبن سعودالإسلامية_الطبعة

ليسا في الأحياء ، ولا معمران .." [864] ونقل عن إبراهيم الحربي [865] ، أيضاً ، القول بموت الخضر[866], وقد قال بموت الخضر– عليه السلام - ؛ غير هؤلاء من العلماء [867] وقد دل على موته : الكتاب والسنة والمعقول.

الأدلة من الكتاب : قوله – تعالى - : [illegible]

]الأنبياء : 34[.

قال ابن الجوزي : " فلو دام الخضر كان خالداً " [868] وقال أيضاً : " فالخضر إن كان بشراً فقد دخل في هذا العموم لا محاله ، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بدليل صحيح ". [869]

وقال ابن كثير مؤكداً كلام ابن الجوزي – بعد نقله إياه - : " والأصل عدمه، حتى يثبت ولم يذكر ما فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله ". [870]

ودل على وفاته أيضاً ، قوله – تعالى: [illegible]] آل عمران : 81[. قال ابن كثير: " قال ابن عباس : ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمد وهم أحياء ، ليؤمنن به وينصرنه ... فالخضر إن كان نبياً أو ولياً فقد دخل في

الأولى1406ه_1987م.

[864](2) مجموع الفتاوي (4/337).

[865](3) هو إبراهيم ابن إسحاق الحربي : أبو إسحاق ، البغدادي ، أحد الأعلام من جلة أصحاب الأمام أحمد بن حنبل . أصله من مرو . ولد سنة : 198هـ . كان عارفاً بالحديث . بصيراً بالأحكام ، زاهداً . وفاته سنة : 285هـ . من مؤلفاته : (غريب الحديث) ، و(مناسك الحج) ، انظر ترجمته في الأعلام : 1/23، وسير أعلام النبلاء : 13/356-372 ، وتاريخ بغداد : 1/27 -40 .

[866](4) الزهر النضر ص88 .

[867](5) منهم علي بن موسى الرضا ، ابن أبي الفضل المرسي ، أبو طاهر العبادي ، أبو الفضل بن ناصر ، أبو بكر بن العربي ، أبو بكر بن محمد بن الحسين النقاش . انظر الزهر النضر : ص86-89.

[868](6) المنار المنيف: ص70.

[869](7) البداية والنهاية (1/312).

[870](8) البداية والنهاية : (1/312) .

هذا الميثاق ، فلو كان حياً في زمن رسول الله ، لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه يؤمن بما أنزل الله عليه ، و ينصره أن يصل أحد من الأعداء إليه ؛ لأنه إن كان ولياً فالصديق أفضل منه وإن كان نبياً ، فموسى أفضل منه ، وقد روى الإمام أحمد في مسنده ..أن رسول الله – – قال: والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني". [871]

وهذا الذي يقطع به ويعلم من الدين بالضرورة وقد دلت هذه الآية الكريمة أن الأنبياء كلهم ، لو فرض أنهم أحياء مكلفون في زمن رسول الله – -: لكانوا كلهم أتباعاً له ، وتحت أوامره ، وفي عموم شرعه كما أنه – صلوات الله وسلامه عليه – لما اجتمع معهم ليلة الإسراء ، رفع فوقهم كلهم ، و لما هبطوا إلى بيت المقدس ، وحانت الصلاة ، أمره جبريل عن أمر الله ، أن يؤمهم ، فصلى بهم في محل ولايتهم، ودار إقامتهم ؛ فدل على أنه الإمام الأعظم ، والرسول الخاتم المبجل المقدم – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين -.

فإذا علم هذا ..علم أنه لو كان الخضر حياً ، لكان من جملة أمته ، وممن يقتدي بشرعه ، لا يسعه إلا ذلك وهذا عيسى بن مريم – عليه السلام – إذا نزل في آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة ، لا يخرج منها ، ولا يحيد عنها ، وهو أحد أولي العزم الخمسة المرسلين وخاتم أنبياء بني إسرائيل. [872]

الأدلة من السنة :

حديث : " أرأيتم ليلتكم هذه ، قال على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض أحد" [873] وقد رواه البخاري

---

[871] (4) رواه الإمام أحمد في مسنده (3/338- كنز) ، و الدارمي : (1/115-116) : باب ما يتقي من تفسير حديث النبي وقول غيره عند قوله ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله: (2/42) ، وابن أبي عاصم في السنة : (5/2) .

[872] (1) البداية والنهاية (1/312)

[873] (2) صحيح البخاري : (1/211 /فتح) ، كتاب العلم باب السمر في العلم . رقم الحديث :116 ، و (2/45 - فتح) : كتاب مواقيت الصلاة باب العشاء والعتمة ، ومن راءه واسعاً . رقم الحديث : 564 ، و (2/73-74-فتح) : كتاب مواقيت الصلاة : باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء .

ومسلم من حديث عبد الله بن عمر ، ورواه الإمام مسلم أيضاً من حديث جابر بن عبد الله بلفظ: " قال رسول الله – – قبل موته بشهر : تسألوني عن الساعة ، وإنما علمها عند الله ، وأقسم بالله ، ما على الأرض نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة ".[874]

قال ابن الجوزي : " فهذه الأحاديث الصحاح ، تقطع دابر دعوى حياة الخضر.. فالخضر إن لم يكن قد أدرك زمان رسول الله – - ، كما هو المظنون الذي يترقى في القوة إلى القطع: فلا إشكال ، وإن كان قد أدرك زمانه ، فهذا الحديث ، يقتضي أنه لم يعش بعد مائة سنة ، فيكون الآن مفقوداً ، لا موجوداً ، لأنه داخل في العموم ، والأصل عدم المخصص له حتى يثبت بدليل صحيح يجب قبوله ، والله أعلم ".[875]

فقوله : " نفس منفوسة " ونحوها من الألفاظ في روايات الحديث نكرة في سياق النفي ، فهي تعم كل نفس مخلوقة على الأرض . ولاشك أن ذلك العموم بمقتضى اللفظ يشمل الخضر ، لأنه نفس منفوسة على الأرض .[876]

ودل على موته أيضاً حديث : " اللهم إن تهلك هذه العصابة ، لا تعبد في الأرض".[877]

رقم الحديث : 601 ، ورواه مسلم :(16 / 89- 90 – نووي) : كتاب فضائل الصحابة : باب بيان معنى قوله : على رأس مائة سنة .

874(3) صحيح مسلم : (16 / 90 -91- نووي) : كتاب فضائل الصحابة باب بيان معنى قوله ، على رأس مائة سنة : ، ورواه بنحوية عن أبي سعيد الخدري في نفس الكتاب والباب : (16/90- نووي) .

875(1) البداية والنهاية (1/ 313-314)

876(2) أضواء البيان: (4/ 167) .

877(3) رواه البخاري : (7/87- فتح) : كتاب المغازي : باب قوله تعالى إذ تستغيثون ربكم فأستجاب لكم (الانفال : 9) . رقم الحديث : 3953 . لكن بلفظ : (اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك . اللهم إن شئيت لم تعبد) ، ورواه مسلم (12/84- 85 - نووي) : كتاب الجهاد والسير : باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم .

قال ابن الجوزي : "ولم يكن الخضر فيهم ، ولولا كان يومئذٍ حياً لورد على هذا العموم ، فإنه كان ممن يعبد الله قطعاً ".[878]

واحتج به شيخ الإسلام ابن تيميه أيضاً : فقال : "... وكانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً ، معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ، فأين كان الخضر حينئذ ؟ " [879]

واستدل بهذا الحديث الإمام ابن كثير ووجهه : بأن تلك العصابة – التي هي مقصود الحديث – كان فيها سادة المسلمين يومئذ ، وسادة الملائكة ، حتى جبريل – عليه السلام -، فلو كان الخضر حياً ، لكان وقوفه تحت هذه الراية ، أشرف مقاماته ، وأعظم غزواته.[880]

الأدلة من المعقول :

نقل الإمام ابن القيم عن الإمام ابن الجوزي ، وجوها من المعقول تدل على موت الخضر ،وهي:

1- أن الذي أثبت حياته يقول : إنه ولد آدم لصلبه ، وهذا فاسد : لأنه يلزم منه أن يكون عمره الآن أكثر من ستة الآف سنة ، ومثل هذا بعيد في العادات أن يقع في حق البشر .

2-لو كان الخضر ولد آدم لصلبه ، أو الرابع من ولد ولده – كما زعموا – فإن تلك الخلقة ليست على خلقتنا ، بل لكان الخضر ، مفرطاً في الطول والعرض ، بدليل حديث أبي هريرة ، في الصحيحين مرفوعاً : "خلق الله آدم طوله ستون ذراعاً ، فلم يزل الخلق ينقص بعد" [881].

ولم يذكر أحد ممن زعم رؤية الخضر : أنه رآه على خلقة عظيمة .

3-أنه لو كان حيا قبل نوح ، لركب معه السفينة ، ولم ينقل هذا أحد .

878(4) الزهر النضر ص94 .

879(5) المنار المنيف ص 68 .

880(6) البداية والنهاية (1/ 312-313) .

881(1) البخاري : (6/ 362 – فتح) : كتاب أحاديث الأنبياء : باب خلق آدم وذريته رقم الحديث : 3326، وأيضاً : (11/ 3- فتح) : كتاب الإستئذان باب بدء السلام ، رقم الحديث : 6227، ورواه مسلم : (17 / 177 – 178 – نووي) : كتاب الجنة وصفة نعيم أهلها .

4-أنه قد اتفق العلماء أن نوحاً لما نزل من السفينة مات من كان معه ، ثم مات نسلهم ، ولم يبق غير نسل نوح . والدليل على هذا قوله – تعالى - : [illegible]] الصفات : 77[.

5-أنّ هذا لو كان صحيحاً ، أنّ بشراً من بني آدم يعيش من حين يولد إلى آخر الدهر ، ومولده قبل نوح : لكان هذا من أعظم الآيات والعجائب ، ولكان خبره في القرآن مذكوراً في غير موضع ، لأنه من أعظم آيات الربوبية ، وقد ذكر الله – سبحانه - ،أنه أحيا نوحاً – عليه السلام – ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وجعله آية ، فكيف بمن أحياه إلى آخر الزمان؟

6-أن القول بحياة الخضر ، قول على الله بلا علم .

7-أن غاية ما يتمسك به من ذهب إلى حياته : حكايات منقولة ، يخبر فيها الرجل : انه رأى الخضر .فيا لله العجب . هل للخضر علامة يعرفه بها من رآه ؟ و كثير من هؤلاء ، يغتر بقول القائل : أنا الخضر . ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله . فأين للرائي أن المخبر له صادق ، لا يكذب ؟.

8-أن الخضر فارق موسى بن عمران كليم الرحمن ، ولم يصاحبه ،وقال له : [illegible]]الكهف:78[

فكيف يرضى لنفسه بمفارقته لمثل موسى ، ويدور على صحبه الجُهَّال من العُبَّاد؟!.

9-أن الأمة مجمعة على أن الذي يقول : أنا الخضر ، لو قال : سمعت رسول الله- ﷺ– يقول : كذا وكذا ، لم يُلتَفت إلى قوله ، ولم يُحتَج به في الدين . إلا أن يقال أنه لم يأت إلى رسول الله ﷺ -، ولا بايعه ، أو يقول هذا الجاهل : أنه لم يرسل إليه . وفي هذا من الكفر ما فيه .

10-أنه لو كان حياً ؛ لكان جهادُهُ الكفارَ ، ورِباطُه في سبيل الله ، ومُقامُه في الصف ساعة ، وحضورُه الجمعة والجماعة ، ويعلم العلم : أفضل له بكثير من سياحته بين الوحوش في الصحاري والبراري . وهل هذا إلا من أعظم الطعن عليه ، والعيب له ؟.[882]

---

[882](1) المنار المنيف ص 73-76

فهذه الأدلة بمجموعها ترسخ في النفس الجزم بموته .
قال الألوسي : ".. الأخبار الصحيحة النبوية ، والمقدمات الراجحة العقلية تساعد القائلين بوفاته – عليه السلام – أي مساعدة ، وتعاضدهم على دعواهم أي معاضدة ولا مقتضى للعدول عن ظواهر تلك الأخبار ، إلا مراعاة ظواهر الحكايات المروية والله – تعالى – أعلم بصحتها ، عن بعض الصالحين الأخيار .. ".[883]

ثم أن التعويل لإثبات أمثال هذه الأمور أو نفيها : يكون بمقتضى الدليل الشرعي المعتبر ، أما الحكايات بذلك عن الصالحين ، فليست حجة شرعية مرعية توجب صرف ما تظاهرت دلائل الكتاب والسنة على إثباته أو نفيه .

إلا أنه يجوز أن يكون مستند مدعي رؤية الخضر ، هو الحس الظاهر، فيظن أنه رآه بعينيه ، وإنما ذلك شيطان .
قال شيخ الإسلام ابن تيميه : ".. والجهال الذين يعلقون أمورهم بالمجهولات ، كرجال الغيب ، والقطب ، والغوث ، والخضر ، ونحو ذلك – مع جهلهم وكونهم يثبتون ما لم يحصل به مصلحة ،ولا لطف ، ولا منفعة ، لا في الدين ، ولا في الدنيا – أقل ضلالاً من الرافضة ؛ فإن الخضر ينتفع برؤيته وموعظته ، وإن كان غالطاً في اعتقاد أنه الخضر ، فقد يرى أحدهم بعض الجن، فيظن أنه الخضر ، ولا يخاطبه الجني ، إلا بما يرى أنه يقبله منه ، ليربطه على ذلك .. ، وقد يرى الخضر على صور مختلفة ، وعلى صورة هائلة ، وأمثال ذلك ، وذلك لأن هذا الذي يقول إنه الخضر، هو جني ، بل هو شيطان يظهر لمن يرى أنه يضله .. ".[884]

وجملة القول : أن الأدلة الصحيحة ، تقضي بموت الخضر ، ومن زعم رؤيته ، فلا يخلوا هذا الزاعم من أن يكون رأى شيطاناً لبس عليه ، أو يكون ذلك خيالاً ، ظنه حقيقة ، أو يكون كاذباً والله اعلم.

ثالثاً : التلقي عن الأولياء المقبورين

---

[883] (2) روح المعاني : (15/ 328)
[884] (1) منهاج السنة : (1/ 31)

لقد اعتبر النقشبندية التلقي عن أوليائهم المقبورين أمراً مسلماً به وذلك حسب اعتقادهم بقدره أوليائهم علي التصرف حتى بعد الموت وهذا اعتقا د عام عند النقشبندية ، فهم يتلقون علومهم ومعارفهم و طرقهم منهم ، وذلك كما مر من أن مؤسس هذه الطريقة محمد بهاء نقشبند تلقي طريقته من عبدالخالق غجدوان وهو في المقبرة وتلقى أيضاً من أويس القرني ومن الحكيم الترمذي كما تقدم ، وحتى من الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - والحقيقة أن هذه الأمور من أسباب الضلال الناتجة عن جهل هؤلاء ، وعن اعتقاداتهم الفاسدة في أوليائهم و التي سيتم بيانها والرد عليها في الفصل الثاني من هذا الباب بإذن الله .

وهي جميعها مداخل للشيطان يضل بها من بعد عن الصراط المستقيم الذي شرعه الله وبينه نبيه الكريم .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه : ".. والمقصود هنا ، أن من أعظم أسباب ضلال المشركين ما يرونه أو يسمعونه عند الأوثان ، كإخبار عن غائب ،.. ونحو ذلك ، فإذا شاهد احدهم القبر انشق ، وخرج منه شيخ بهي عانقه ، أو كلمه ، ظن أن ذلك هو النبي المقبور، أو الشيخ المقبور، والقبر لم ينشق ، وإنما الشيطان مثل له ذلك ، كما يمثل لأحدهم ، أن الحائط انشق ، وانه خرج منه صورة إنسان ، ويكون هو الشيطان ، تمثل له في صورة إنسان ، وأراه أنه خرج من الحائط . ومن هؤلاء من يقول لذلك الشخص الذي رآه قد خرج من القبر : نحن لا نبقى في قبورنا ، بل من حين يقبر احدنا ، يخرج من قبره ويمشي بين الناس .... وأهل الضلال إما أن يكذبوا بها ، وأما يظنوها من كرامات أوليا الله ، ويظنون أن ذلك الشخص نفس النبي ، أو الرجل الصالح ، أو ملك علي صورته ، وربما قالوا : هذه روحانيته ، أو رقيقته ، أو سره ، أو مثاله ، أو روحه تجسدت ، حتى قد يكون من يري ذلك الشخص في مكانين ، فيظن أن الجسم الواحد يكون في الساعة

الواحدة في مكانين ، ولا يعلم أن ذلك حين تصور بصورته : ليس هو ذلك الإنسي ...".[885]

وقال أيضاً : " .. فمن ظن أن أحداً من الموتى يجيء بنفسه للناس عياناً قبل يوم القيامة ، فمن جهله أتى[886] " .

ويمكن أن يقع مثل هذا التلبيس للأولياء ، فلا يعرف أن ذلك من جهة الشيطان .

قال ابن تيميه : " .. وليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطئ ، بل يجوز أن يخفي عليه بعض علم الشريعة ، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين ، ..ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء الله – تعالي -، وتكون من الشيطان ، لبسها عليه ، لنقص درجته ، ولا يعرف أنها من الشيطان ، وان لم يخرج بذلك عن ولاية الله – تعالي - .. ".[887]

ولذلك لم يكن اعتقاد هذه الرؤية من المكفرات ، لكنه غلط وخطأ ، وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيميه في اعتقاد بعض النصارى ، بان المسيح قد عاد بعد أن اعتقدوا موته وصلبه ، فاعتقدوا انه جاء بعد الرفع وكلمهم ، وذكر – رحمه الله -، انه قد يكون في بعض المسلمين من يعتقد ذلك في النبي – ﷺ– وانه يجئ بعد موته ، ويراه الرائي يقظة ، فهذا الاعتقاد غلط ، لا يوجب كفر من اعتقد ذلك .[888]

المصدر الرابع : الرؤى والمنامات:

آراء أهل السنة في الرؤى و المنامات ،وحقيقتها عندهم :

الرؤى المنامية ،لا يثبت بها شيء من الأحكام الشرعية ،إنما هي : تبشير وتحذير[889]،ويصلح الاستئناس بها ،إذا

---

[885](1) مجموع الفتاوى:(1/177/178)

[886](2) مجموع الفتاوى:(13/94)

[887](3) مجموع الفتاوى:(11/201-202)

[888](1) مجموع الفتاوى:(13/109)

[889](1) الرؤى والمنامات عند أهل السنة موجودة والناس الآن يرون رؤى ومنامات ولكنها تختلف من إنسان لإنسان فتفسير رؤية المؤمن الصالح

وافقت حجة شرعية صحيحة ،فهي كالتنبيه على موضع الدليل . والعصمة منتفية عنها ،إلا رؤيا الأنبياء فإنها وحي .

قال الإمام النووي "..حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي ،وقد اتفقوا على أن من شرط من تقبل روايته وشهادته ،أن يكون متيقظا ،لا مغفلا ،ولا سيء الحفظ ،ولا كثير الخطأ ،ولا مختل الضبط ،والنائم ليس بهذه الصفة ،فلم تقبل روايته ،لاختلال ضبطه ..". [890]

وقال الإمام ابن القيم :" والرؤيا كالكشف ،منها رحماني ،ومنها نفساني ،ومنها شيطاني ،...ورؤيا الأنبياء وحي ،فإنها معصومة من الشيطان ، وهذا باتفاق الأمة ،ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل –عليهما السلام –بالرؤيا , وأما رؤيا غيرهم :فتعرض على الوحي الصريح ،فإن وافقته وإلا لم يعمل بها . فان قيل :فما تقولون إذا كانت رؤيا صادقه ،أو تواطأت ؟.قلنا :متى كانت كذلك ،استحال مخالفتها للوحي ،بل لا تكون إلا مطابقة له ،منبهة علية ،أو منبهة على اندراج قضية خاصة في حكمة ، لم يعرف الرائى اندراجها فيه ، فيتنبه بالرؤيا على ذلك,[891] ومن هذه الرؤى رؤيا النبي وليحذر مما يقع لبعض الناس في هذا الزمان ،وهو أن يرى النبي –– في منامه ،فيأمره بشيء ،أو ينهاه عن شيء ،فينتبه من نومه، فيقدم على فعله ،أو تركه بمجرد المنام ،بل يلزمه أن يعرضه على كتاب الله ، وسنه رسوله – -،وعلى قواعد السلف ،..وان كانت رؤيا النبي –– حقاً لاشك فيها ..فعلى هذا ، فمن رأى النبي ––في منامه ، وكلمه ، ووصل إلى ذهن الرائي لفظ ، أو ألفاظ من العوائد التي هي واقعة في زمان الرائي ، أو قبلة ، وتكون مخالفة لشريعته –-. فلا يجوز له ، ولا لغيره : التدين بها ، ولا أن يعتقد أن ما وصل إلى ذهنه ، في منامه مما خالف

السائر على نهج النبي يختلف عن تفسير رؤيا الفاجر البعيد عن طريق الحق وإن اتفقا في الرؤيا .

[890](2) مقدمة صحيح مسلم : (1/ 115 - نووي)

[891](3) مدارج السالكين : 1/51

الشريعة : صحيح،لأن تنزيه النبي –ﷺ–عن نسبة ذلك ، وما شاكله إليه : واجب ، متعين ، إذ العصمة في رؤيا صورته الكريمة –عليه الصلاة والسلام -،ليس إلا ،دون ما يكون من الزيادة والنقصان ".[892]

وقال الشيخ زكريا الأنصاري:" علامة صحة رؤياه – ﷺ– أن من رآه لا يسمع منه ما يخالف ما جاءت به الشريعة ، بأن يكون له تأويل صحيح عند علماء هذا الفن".[893]

وقال ابن حجر العسقلاني – " أن النائم ،لو رأى النبي -ﷺ–يأمره بشيء ، هل يجب علية امتثاله ولابد ، أو لابد أن يعرضه على الشرع الظاهر . والثاني هو المعتمد كما تقدم ".[894]

وقال الشاطبي : "وأضعف هؤلاء احتجاجاً ، قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المقامات ، وأقبلوا وأعرضوا بسببها ، فيقولون : رأينا فلاناً الرجل الصالح ، فقال لنا : اتركوا كذا ، واعموا كذا . ويتفق مثل هذا كثيراً للمتمرسين ،برسم التصوف ، وربما قال بعضهم : رأيت النبي –ﷺ –في النوم ، فقال لي : كذا ، و أمرني بكذا ، فيعمل بها ،ويترك بها ، معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة . وهو خطأ ، لأن الرؤيا من غير الأنبياء ، لا يُحكم بها شرعاً على حال ، إلا أن تُعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية ، فإن سوغتها : عمل بمقتضاها ،وإلا وجب تركها والإعراض عنها ،وإنما فائدتها : البشارة ،والنذارة ، خاصة . وأما استفادة الأحكام : فلا ..فلو رأى في النوم قائلاً يقول : إن فلاناً سرق فا قطعة ، أو عالماً فاسأله ، أو اعمل بما يقول لك ، أو فلان زنى فحدّه ، وما أشبه ذلك ،لم يصح له العمل حتى يقوم له الشاهد في

892(1) فتاوي أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين : ص: 145-146 . تأليف : محمود محمد خطاب السبكي . ومعه : فتح الملك المبين بإيضاح وتتميم فتاوي أئمة المسلمين . تأليف: أمين محمود خطاب . المطبعة العربية الحديثة بالقاهرة . الطبعة الخامسة ، بدون تاريخ الطبع.

893(2) هامش الرسالة القشيرية : ص : 175

894(3) فتح الباري : 12/389

اليقظة ، وإلا كان عاملاً بغير شريعة ، إذ ليس بعد رسول الله-ﷺ-وحي ".[895]
وقال الشوكاني : "المسألة السابعة : في رؤيا النبي –ﷺ-. ذكر جماعة من أهل العلم ،...أنه يكون حجة ،ويلزم العمل به ، وقيل لا يكون حجة ،ولا يثبت به حكم شرعي ، وإن كانت رؤية النبي- ﷺ-رؤية حق ، والشيطان لا يتمثل به ،لكن النائم ليس من أهل التحمل للرواية ، لعدم حفظه ،وقيل : إنه يعمل بما لم يخالف شرعاً ثابتاً ،ولا يخفاك أن الشرع الذي شرعه الله لنا على لسان نبينا –ﷺ– قد كمله الله – عز وجل -..، ولم يأتنا دليل يدل على أن رؤيته في النوم ، بعد موته –ﷺ –إذا قال فيها بقول ، أو فعل فيها فعلاً ، يكون دليلاً وحجة ،بل قبضه الله إليه ، عند أن كمل لهذه الأمة ما شرعه لها على لسانه ، ولم يبق بعد ذلك حاجه للأمة في أمر دينها ،وقد انقطعت البعثة .. بالموت ، وإن كان رسولاً حياً ، وميتاً ، وبهذا تعلم أن لو قدرنا ضبط النائم ، لم يكن ما رآه من قوله –ﷺ -، أو فعله : حجةً عليه ، ولا على غيره من الأمة ".[896]

فثبت بهذه النقول عن هؤلاء العلماء أن الرؤى المنامية ، لا يُعتمد عليها ،لعدم ضبط الرائي ، لأن النوم ليس حالة ضبط ، ولأن الرؤى أسبابها من النفس ، أو الرحمن ، أو الشيطان ، فالتمييز بينها مشكل ، والرائي ليس بمعصوم ، إلا إذا كان نبياً أو رسولاً, ثم أين الدليل على جواز الاحتجاج بالرؤى والمنامات ،من كتاب الله أو سنة رسوله –صلى ﷺ -؟ , فغاية ما تفيده المنامات عند أهل السنة : أنها بشارات ، ونذارات، وتصلح للاستئناس بها ، إذا وافقت حجة شرعية ، فالعبرة بما ثبت في الشرع ، لا بها.[897]

وأما رؤية الله –سبحانه وتعالى –في المنام ، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيميه : "ومن رأى الله –عز وجل –في

895(1) الاعتصام لابي اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي,(12/389),تحقيق:سليم بن عيد الهلالي-دار ابن عفان-الخبر-المملكة العربية السعودية-الطبعة الاولى(1412هـ-1992م)
896(2) إرشاد الفحول : 2/249.
897(3) الاعتصام(1/263-264).

المنام ، فإنه يراه على صورة من الصور ، بحسب حال الرائي ، إن كان صالحاً ، يراه في صورة حسنة ".[898]

ويمكن للشيطان أن يُرِيَ النائمَ نوراً ، ونحو ذلك ، ويزعم أنه الله ، كما وقع هذا في اليقظة لبعض الناس ، فيظن الرائي أنه رأى الله – تعالى – في المنام ، والحال أن الشيطان لبّس عليه .

وخلاصة الأمر : أن الشريعة الإسلامية ، مكمَّلة ، متممة ، معصومة عن الخطأ والخلل ، الله - تعالى - ضمن لنا ذلك ، ولم يضمن لنا ذلك في غيرها ، ولذلك كان على كل أحد ، أن يزن ما يعرض له من الكشوفات على هذا الميزان المعصوم ،بل المعتصم تمام الاعتصام بهذه الشريعة : مستغن بها عن أن يحتاج إلى شيء من المكاشفات والإلهامات ونحو ذلك .

المصدر الخامس : التراث الصوفي :

من مصادر التلقي عند النقشبندية التراث الصوفي حيث هرع رجال النقشبندية إلى التراث الصوفي الذي تمثل في رواده من أبي يزيد البسطامي – الحلاج – إلى ابن الفارض وابن عربي . فجعلوا ينتهلون من أرائهم يستدلون بها مرة ويفسرونها أخرى ويبررون شطحاتهم مرات ، ويعلو من شأنهم ويصفونهم بأحسن الأوصاف فإلى أبي يزيد تعود سلسلة من سلاسلهم المشهورة ، وقد استحسنوا من أقواله ما اعترض بسببها عليه علماء السلف من قوله "سبحاني ما أعظم شأني" وغيرها كما تم بيانه في الحديث عنه ، ولابن عربي يكيلون المدح بالمكيال فهو إمام الكشف والوجود وقدوتهم ، وهو خاتم الأولياء المحمديين ، وهو غوث المحققين ، وقطب الموحدين ، وهو في نظرهم لو كان في الأمم الغابرة لقص الله علينا أحسن القصص من خبره ، وقد تبنوا فلسفته الصوفية ، ويتضح ذلك في كتبهم التي امتلأت بأفكاره التي هي عندهم قرآن يتلى ، وبكشوفاته يفسر القرآن , والحلاج لا يقل مكانةً عندهم عن ابن عربي

---

[898](4) مجموع الفتاوي :(5/251).

ويكفي من إيمانهم به وبأفكاره أن قالوا : لو كان أحد على وجه الأرض من أولاد الشيخ عبدالخالق الغجدوان موجوداً لما صلب الحلاج ، ولابن الفارض مكانته ويتضح ذلك من الاستدلال بتائيته المشهورة.

وفي هذا المبحث سألقي الضوء على بعض أفكار كل من أبي يزيد البسطامي والحلاج وابن عربي وابن الفارض و سأذكر بعد ذلك آراء علماء السلف فيهم .

أولاً : أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي[899]

يعد أبي يزيد البسطامي أول من أشاع – في الساحة الإسلامية – فكرة الفناء الصوفي بمعنى الاتحاد بذات الله وإن كانت النظرية هندية الجذور حيث انها أخذت عن عقيدة الواحدية التي أساسها فكرة المراقبة التي يرادفها في الفلسفة الصوفية الهندية البوذية مصطلح الذيانا والسماذي .

والذيانا عبارة عن التأمل والمراقبة ، والسماذي : هو الاستغراق ، وبمجموع المراقبة والاستغراق يصل المريد – في زعم أصحاب النظرية – إلى مرتبة يصبح فيها المراقب والمراقب واحداً ، وتلك هي جوهر نظرية البسطامي التي أخذها عن صوفية الهند في فلسفة الذيانا والسماذي ، بواسطة شيخه أبو علي السندي الذي علمه الطريقة الهندية في مراقبة الأنفاس ، تلك التي عدها البسطامي جوهر عبادة العارف بالله.[900]

وقد كانت لأبي يزيد عبارات صريحة واضحة في الدعوة إلى عقيدة الاتحاد بالله[901] ومجمل فكر أبي يزيد ذكره د . عبدالقادر محمود فقال : " المهم لدى الاتجاه البسطامي أن الاتحاد بالله يقصد به كاملاً ، وإلا انتفى معنى الاتحاد ، فإن هدف الشوق العارم أن يصير المحب والمحبوب شيئاً واحداً سواء في الجوهر أو الفعل أي في الطبيعة والمشيئة ، والفعل الصادر منهما فتكون الإشارة

---

[899](1) سبق الترجمة له

[900](2) انظر التصوف الاسلامي وتاريخه,ص_75,والفلسفة الصوفية في الاسلام ومصادرها ونظرياتها ومكانها في الدين والحياةص309_د.عبد القادر محمود_دار الفكر العربي ,القاهرة_ط2_1966م.

[901](3) شطحات الصوفيةص213.

إلى الواحد عين الإشارة إلى الآخر ثم تختفي الإشارة لانعدام المشير فلا يصير غير واحد أحد هو الكل في الكل ".[902]

وإذا تقرر أن الرجل كانت عقيدته الاتحاد وأنه كان من أوائل من سعى – إن لم يكن أول من سعى – في نشر هذه العقيدة بين المسلمين استطعنا أن ندرك لماذا.

قال الشيخ عبدالقادر السندي عن أبي يزيد هذا : " مهما يكن من أمره فإن الرجل كان بعيداً عن السنة".[903]

ثانياً : الحسين بن منصور الحلاج[904] صوفي فيلسوف :

عاش بين الناس محتالاً يظهر مذهب الشيعة عند المتشيعين ، ويظهر مذهب الصوفية للعامة كان يدعي حلول الإله فيه تعالى الله وتقدس عما يقول[905]. ويقول تارة بأنه إله صراحة أو بحلول اللاهوت في الناسوت.[906]

وقد كانت أقواله تدل على مذهبه في الحلول منها قوله :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا

فـإذا أبصـرتني أبصرتـه   وإذا أبصرتــه أبصرتنا

وقوله " أنا الحق" وقوله : بفتوة إبليس وفرعون وهدايتهما .

واستمر الحلاج في نشر فكره الحلولي حتى استفحل أمره فألقى القبض على بعض أصحابه فوجد عندهم كتب تدل على ما قيل عنه وانتشر خبره وتكلم الناس في قتله ، فسلمه الخليفة المقتدر[907] إلى وزيره فأمر أن يناظر

902(4) الفلسفة الصوفية في الاسلام,ص317.

903(5) التصوف في ميزان البحث والتحقيق,ص213,لعبد القادر السندي_مكتبة ابن القيم ,المدينة_1410ه.

904(1) تقدمت الترجمة له.

905(2) سير اعلام النبلاء(4/318).

906(3) سير اعلام النبلاء(14/327)

907(4) المقتدر : هو ابو الفضل جعفر بن المعتضد بالله الخليفة العباسي المشهور بالمقتدر بالله,تولى الخلافة بعد اخيه المكتفي سنة(295هـ),كان جيد العقل صحيح الرأي,لكنه كان مولعاً بالشهوات,قتل سنة(320هـ),انظر"سير اعلام النبلاء",(15/43) و"شذرات الذهب"(2/284).

ويناقش بحضرة القضاة ، وأن يجمع أصحابة معه لهذا الغرض فجرت في ذلك خطوب ، ثم تيقن السلطان أمره ، فأمر بقتله وإحراقه لسبع بقين من ذي القعدة سنة (309هـ).

فضرب بالسياط نحواً من ألف وقطعت يداه ورجلاه وضرب عنقه وأحرق بدنه ونصب رأسه للناس وعلقت يداه ورجلاه إلى جانب رأسه .[908]

هكذا كان الحلاج عاش حلولياً داعياً إلى نحلته بكل ماله من مكر ودهاء ولكن سلطان السنة كان قوياً في نفوس حكام ذلك العصر فقيض الله له من يقيم عليه جزاءً وفاقاً لائقاً بكل من يحاول النيل من مقام الربوبية والألوهية.

وجملة القول في هذا الرجل أنه من أقدم الحلوليين المصرحين بمعتقدهم ، وفي عصره مر التصوف بمرحلة انتقالية من جانبه العملي إلى جانبه النظري الفلسفي فبدأ الصوفية يتحدثون عن ماهية الإله وعن حقيقة العلاقة التي تربط الإنسان بالله ، ويبدو أن الحلاج في إيمانه بحلول اللاهوت في الناسوت كان متأثراً إلى حد بعيد بالمسيحيين السريان الذين استعملوا اللاهوت والناسوت للدلالة على طبيعتي المسيح.[909]

وأنه ضحى بكل ما يملك في سبيل نشر تلك العقيدة الفاسدة حتى راح ضحية لذلك فنقول في أمره كما قال الحافظ الذهني : " والله أعلم بسره ، ولكن مقالته نبرأ إلى الله منها ، فإنها محض الكفر – نسأل الله العفو والعافية – فإنه يعتقد حلول الباري – عز وجل - في بعض الأشراف تعالى الله عن ذلك ".[910]

ثالثاً: ابن عربي[911]:

يعد ابن عربي عند بعض الباحثين المؤسس لفلسفة وحده الوجود الصوفية ومدرستها ، والحق أنه هو الذي

908(5) سير اعلام النبلاء (14/335-336).
909(1) مصرع التصوف,ص29.
910(2) سير اعلام النبلاء(14/351).
911(3) سبقت الترجمة له.

قرر وحدة الوجود وألف كتابة القصوص لتقرير هذه العقيدة وبه منحته الصوفية درجة الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر فصار إمام الطائفة القائلة بالوحدة[912]. نقل السيوطي[913] عن أحد كبار الصوفية[(914)] قوله : " اعلم أن هذا العلم المنسوب لابن عربي ليس بمخترع له ، وإنما هو كان ماهراً فيه ".[(915)]

وقد حكم علماء الإسلام المعتبرين على فكر ابن عربي وصرحوا بأنه يمثل مستنقعاً للضلالات الفلسفية الصوفية التي تزرع الكفر والإلحاد في قلوب من سقط في أو حاله وهو الذي قال بتفضيل الولي على النبي حيث أخذت نظرية ختم الولاية بعد الحكيم الترمذي عند ابن العربي شكلاً فلسفياً يلعب فيه الخيال الصوفي دوراً بارزاً حيث يعتقد ابن عربي أن القطب يدور حوله كل شيء في العالم ولا يدور هو حول شيء وهي الفلك الأقصى.

ثم ينتقل إلى أن الولاية أعلى من النبوة ، فيكون الولي أسمى مقاماً من النبي والرسول ، ولذا يقول ابن عربي :

مـقـام الـنبوة في بــرزخ فـــويق الرسول ، ودون الولي

واستدلوا على إفكهم بأساطير :

أولاً: الولي يعلم الشريعة والحقيقة ، خبير بالظاهر والباطن ، والنبي والرسول لا يعلمان سوي الشريعة أو الظاهر فحسب .

ثانياً: الرسالة والنبوة محددتان بالزمان والمكان . ولذا تنقطعان ، وقد انقطعتا فعلاً ، أما الولاية فلا تحدها مكانية ولا زمانية ، بل هي صنو الديمومة والسرمدية والانطلاق .

912(4) المصادر العامة للتلقي عند الصوفية,ص531.

913(5) السيوطي هو:عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي ,امام,حافظ,مؤرخ,اديب,ولد سنة 849هـ,ونشأ يتيماص,حيث مات والده وعمره خمس سنوات,ولما بلغ(40)سنة تصوف واعتزل الناس,غير انه استغل بالتأليف,فألف نحو (600)مصنف بين الكتاب الكبير والرسالة الصغيرة,توفي سنة(911هـ),انظر"الاعلام"(3/301)

914(6) هو يوسف الصفدي,انظر هامش مصرع التصوف,ص139.

915(7) تنبيه الغبي في تنزيه ابن عربي,ص140.

ثالثاً : الرسول لا يستمد معرفته عن الله مباشرة ،بل بواسطة ملك يبلغه الوحي الإلهي ، أما الولي فيستمد الحقيقة فيضاً مباشراً من باطن الحقيقة المحمدية : أي ذات الله مع التعين الأول .

رابعاً : أفضل أسماء الله هو الولي ، ولك موجود هو اسم إلهي تعين في صورة هذا الموجود ، فيكون الموجود الذي تعين فيه الله باسمه الولي أفضل من الذي تعين فيه باسمه الرسول أو النبي ، ولما كان للنبيين خاتم ، فكذلك للأولياء خاتم ، وهو يستمد فيوضات علم الحقيقة مباشرة عن الروح المحمدي ، وهو أشبه ما يكون بالعقل الأول عند أفلوطين ، أو بالكلمة في المسيحية الفلسفية .[916]

أما الحافظ الذهبي فقد أشار إلى أن طائفة من المفتتنين بابن عربي ذهبوا إلى أن كلامه من المتشابه الذي ظاهره كفر وضلال وباطنه حق وعرفان ، ثم قال : " وقولي أنا فيه : أن يجوز أن يكون من أولياء الله الذين اجتذبهم الحق إلى جنابه عند الموت ، وختم له بالحسنى ، فأما كلامه فمن فهمه وعرفه على قواعد الاتحادية وعلم محط القوم ، وجمع بين أطراف عباراتهم تبين له الحق في خلاف قولهم .... ثم قال: " فو الله لأن يعيش المسلم جاهلاً خلف البقر لا يعرف من العلم شيئاً سوى سور من القرآن يصلي بها الصلوات ويؤمن بالله واليوم الآخر خير له بكثير من هذا العرفان وهذه الحقائق ، ولو قرأ مائة كتاب أو عمل مائة خلوة ".[917]

وقال أيضاً : " ومن أردأ تواليفه كتاب " الفصوص" فإن كان لا كفر فيه ، فما في الدنيا كفر ، نسأل الله العفو والنجاة فواغوثاه بالله ... "

---

[916](1) من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة,ص165-179,للدكتور:محمد السيد الجليند,دار قباء,القاهرة,ط4 (2001هـ),وانظر مصرع التصوف/ص158-159.

[917](1) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تأليف : أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (3/660). ، تحقيق علي البيجاوي ، ويليه فهرس الأحاديث النبوية المسمى فتح الرحمن لأحاديث الميزان ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون رقم وتاريخ.

ثم نقل عن شيخه ابن دقيق العيد[918] أنه سمع الشيخ عز الدين بن عبدالسلام [919] يقول عن ابن عربي :" شيخُ سوءٍ كذاب ، يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجاً".[920]

وأما عن كتبه فقد أحرقت غير مرة ، وقد صنع ذلك كثير من العلماء المعتبرين[921] : الشيخ بهاء الدين السبكي ،و قال العلامة القاضي شرف الدين عيسى بن مسعود الزواوي[922] المالكي شارح صحيح مسلم: " وأما ما تضمنه هذا التصنيف من الهذيان ، والكفر والبهتان، فهو كله تلبيس وضلال ، وتحريف وتبديل ، فمن صدق بذلك أو اعتقد صحته كان كافراً ملحداً ، صاداً عن سبيل الله ، مخالفاً لسنة رسول الله ملحداً في آيات الله ، مبدلاً لكلماته ، فإن أظهر ذلك ، وناظر عليه ، كان كافراً يستتاب ، فإن تاب ، وإلا قتل ، وإن أخفى ذلك ، وأسره كان زنديقاً ، فيقتل متى ظهر عليه ، ولا تقبل توبته إن تاب ؛ لأن توبته لا تعرف ، فقد كان قبل أن يظهر عليه يقول بخلاف ما يبطن ، فعلم بالظهور عليه خبث باطنه ، وهؤلاء قوم يسمون الباطنية ، لم يزالوا من قديم الزمان ضلالاً في الأمة ، معروفين بالخروج من الملة ، يقتلون متى ظهر عليهم ، وينفون من الأرض ، وعادتهم التمصلح والتدين ، وادعاء التحقيق ، وهم أسوأ طريق .

فالحذر كل الحذر منهم فإنهم أعداء الله ، وشر من اليهود والنصارى ، لأنهم قوم لا دين لهم يتبعونه ، ولا رب

918(2) ابن دقيق: ولد سنة 683هـ,وتوفي بالقاهرة سنة 756هـ,ولي قضاء دمشق والخطابة بالجامع الاموي,وكان من خصوم ابن تيمية,غير انه عاد فأثنى عليه مستطاباً,انظر هامش مصرع التصوف,ص140.

919(3) العز بن عبدا لسلام:هو عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي الدمشقي,عزالدين الملقب بسلطان العلماء,ولد بدمشق سنة 577هـ,وتوفي بالقاهرة سنة 660هـ.انظر الاعلام(4/21).

920(4) سير اعلام النبلاء:(23/48-49).

921(5) منهم بهاء الدين السبكي,والحافظ تقي الدين الفاسي.انظر مصرع التصوف142.

922(6) الزواوي : هو القاضي شرف الدين عيسى بن مسعود الزوواوي,ولد سنة 664هت,وتوفي سنة 743هـ,انتهت اليه رياسة الفتوى في المذهب المالكي بمصر والشام,وقد شرح صحيح مسلم في اثني عشر مجلداص,وسماه:"إكمال الإكمال",انظر مصرع التصوف,ص145.

يعبدونه ، وواجب على كل من ظهر على أحد منهم أن ينهي أمره إلى ولاة المسلمين ، ليحكموا فيه بحكم الله – تعالى- ويجب على من ولي الأمر إذا سمع بهذا التصنيف البحث عنه ، وجمع نسخه حيث وجدها وإحراقها ، وأدب من اتهم بهذا المذهب ، أو نُسب إليه ، أو عرف به ، على قدر قوة التهمة عليه حتى يعرفه الناس ويحذروه ".[923]

وقد كتب ابن هشام[924] على نسخة من كتاب الفصوص :

هذا الذي بضلالـه ... ضلت أوائل مع أواخر
من ظن فيه غير ذا ... فلينأ عني ، فـهو كافر[925]

هذا كتاب فصوص الظُّلَم ، ونقِيض الحِكَم ، وضلال الأمم ، كتاب يعجز الذم عن وصفه ، قد اكتنفه الباطل من بين يديه ومن خلفه ، لقد ظل مؤلفه ضلالاً بعيداً ، وخسر خسراناً مبيناً ، لأنه مخالف لما أرسل الله به رسوله ، وأنزل به كتبه ، وفطر عليه خليقته .

قال ابن خلدون[926] بعد أن ذكر طريقة متأخري المتصوفة وذكر منهم ابن عربي وابن سبعين ، وابن برجان وأتباعهم ممن سلك سبيلهم ، ودان بنحلتهم : " ولهم تواليف كثيرة يتداولونها مشحونة بصريح الكفر ومستهجن البدع ، وتأويل الظاهر لذلك على أبعد الوجوه ، وأقبحها مما يستغرب الناظر فيها من نسبتها إلى الملة ،

923(1) مصرع التصوف,ص145.

924(2)ابن هشام: هو جمال الدين عبدالله بن يوسف بن هشام,ولد سنة 708هـ,وتوفي سنة 761هـ,يقول عنه ابن خلدون:"ومازلنا-ونحن بالمغرب-نسمع انه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن "ابن هشام","انحى من سيبويه"صاحب المغني وغيره,انظر هامش مصرع التصوف,ص145.

925(3) مصرع التصوف,ص152.

926(4)ابن خلدون: هو عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون,ولي الدين التونسي,الحضرمي,الاشبيلي,المالكي,عالم,اديب,مؤرخ,إجتماعي,حكيم,ولد بتونس سنة 732هت وبها نشأ وتعلم,طاف بلاداً عدة,ودخل مصر,وتولى قضاء المالكية,فيها توفي سنة 808هت,اه تصانيف من اشهرها كتابه:"العبر وديوان الميتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر",انظر ترجمته في "الاعلام:(3/330),وشذرات الذهب: (7/76-77).

أو عدها في الشريعة ، وليس ثناء أحد على هؤلاء حجة ، ولو بلغ المثنى ما عسى أن يبلغ من الفضل ؛ لأن الكتاب والسنة أبلغ فضلاً ، أو شهادة من كل أحد".

ثم مضى في كلامه فذكر كتبهم من "الفصوص" و "الفتوحات المكية" لابن عربي ، و "البد" لابن سبعين و شعر ابن الفارض وغيرها . قال : " فالحكم في هذه الكتب وأمثالها إذهاب أعيانها متى وجدت بالتحريق بالنار ، والغسل بالماء حتى ينمحي أثر الكتاب ؛ لما في ذلك من المصلحة العامة في الدين بمحو العقائد المختلفة ، فيتعين على ولي الأمر إحراق هذه الكتب دفعاً للمفسدة العامة ، ويتعين على من كانت عنده التمكين منها للإحراق".[927]

وقد ألف الشيخ برهان الدين البقاعي[928] ، كتاباً أسماه " تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي" وذكر فيه أسماء جماعة من الذين صرحوا بكفره أو ذمه ذماً شنيعاً.[929]

927(1) مصرع التصوف,ص153.

928(2) البقاعي :هو برهان الدين ابراهيم بن عمر,ولد(809),اصله من البقاع بسوريا,وارتحل الى القاهرة وصنف بها رسالته"تنبيه الغبي الى تكفير ابن عربي"و"تحذير العباد من اهل العناد ببدعة الاتحاد"سنة 878هـ,وله تصانيف اخرى,وهو ينكر على ابن عربي قوله بالاتحاد والحلول,ويورد نحواً من اربعين اسماً من اسماء الاعلام الذين اعترضوا على فلسفة ابن عربي وابن الفارض ومن تابعهما كابن سبعين وابن مسرة,توفي 885هـ,انظر:الحفني,موسوعة الفلسفة والفلاسفة,"البقاعي الامام",ج1,ص307,وشذرات الذهب(7/339).

929(3) تنبيه الغبي الى تكفير ابن عربي لبرهان الدين البقاعي ,الطبعة الأولى,تحقيق:عبدالرحمن الوكيل,(القاهرة:مطبعة السنة المحمدية, 1372هـ)ص141-163,ومن هؤلاء الشيوخ الذين كفروا ابن عربي:شمس الدين محمد بن يوسف الجزري وحفيده إمام القراء محمد بن محمد الجزري صاحب الجزرية,وعلي بن يعقوب البكري,ومحمد بن عقيل البالسي,وابن هشام,وشمس الدين محمد العزيزي,وشمس الدين الموصلي,وسعدالدين الحارثي الحنبلي,ومنهم محمد بن علي النقاش,قال في وحدة الوجود:"وهو مذهب الملحدين كإبن عربي وابن سبعين وابن الفارض",وحدة الوجود,ص147,ومنهم علاء الدولة السمناني المفسر الصوفي في كتبه "الدرر الكامنة",ج1,ص250,ثم قال البقاعي-رحمه الله-:"وانما سردت هؤلاء نصحاً لدين الله وشفقة على ضعفاء المسلمين وليحذروا,فإنهم شر من الفلاسفة الذين يكذبون الله ورسوله ويقولون بقدم العالم وينكرون البعث,وقد اولع جهلة ممن ينتمي الى التصوف بتعظيم هؤلاء,وادعائهم انهم صفوة الله"تنبيه الغبي,ص143,وانظر كتاب

رابعاً : ابن الفارض[930] :

كان شيخ " الاتحادية" الذين تمسكوا بتعاليم أبي يزيد والحلاج يقول الحافظ الذهبي عن ابن الفارض:

" صاحب الاتحاد الذي ملأ به التائبة ... فإن لم يكن في تلك العقيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده فما في العالم زندقة ولا ضلال ، اللهم ألهمنا التقوى وأعذنا من الهوى ، فيا أئمة الدين ألا تغضبون لله ؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله . . ".[931]

ووصفة في الميزان [932]فقال : " ينعق بالاتحاد الصريح في شعره ، وهذه بلية عظيمة فتدبر نظمه ولا تستعجل ، ولكنك حسن الظن بالصوفية ، وما ثم إلا زي الصوفية وإشارات مجملة ، وتحت الزي والعبارة فلسفة وأفاعي ، فقد نصحتك . والله الموعد".

ونص شيخ الإسلام ابن تيمية على أن ابن الفارض من أهل الإلحاد القائلين بالحلول والاتحاد ووحده الوجود .[933]

و قد نسبه البقاعي إلى أهل وحدة الوجود ، وقال أن ابن الفارض : قد رماه بالزندقة بشهادة الكتب الموثوق بها نحو من أربعين عالماً هم دعائم الدين في عصره إلى عصرنا وقد ذكر تكفير شيوخ المذاهب الأربعة في عصره لابن الفارض .[934]

وقال : لم يوجد لأحد من أهل عصره الخبيرين بحالة ثناء عليه بعدالة ، ولا ولاية ، ولا ظهر عنه علم من العلوم الدينية ، ولا مدح النبي بقصيدة واحدة على كثرة شعره

ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق,ص198-199,جمع وتأليف:عبدالقادر بن حبيب الله السندي,نشر وتوزيع-دار البخاري-ط1,(1411هـ-1991م).

[930](1)ابن الفارض :هو شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي ثم المصري المعروف بإبن الفارض,انظر ترجمته في"سير اعلام النبلاء"(22/368)و"ميزان الاعتدال في نقد الرجال"(3/214)تأليف:محمد بن احمد بن عثمان الذهبي,تحقيق:علي محمد البجاوي,دار المعرفة-بيروت-لبنان-بدون رقم وتاريخ,و"الاعلام"(5/55)و"معجم المؤلفين"(7/301).

[931](2) سير اعلام النبلاء(22/368).

[932](3) ميزان الاعتدال(3/214).

[933](4) تنبيه الغبي,ص162.

[934](5) مصرع التصوف,ص196-197.

، فدل ذلك على سوء طويته ، ونقل القدح فيه نقلاً قطعياً عن محبيه ومبغضيه ، فقد قال شراح تائيته التابعون لطريقته والمنتقدون عليه من أهل السنة : إن أهل زمانه كلهم من أهل الشريعة ، وأرباب الطريقة رموه بالفسق والإباحة والزندقة على الإجمال.[935]

وجملة القول أن ابن الفارض من الغلاة الموغلين في وحدة الوجود وإن كان يطلق عليها في العديد من قصائده لفظ "الإتحاد".[936]

الفصل الثالث
المآخذ العملية

المبحث الأول:
مناقشه مفهومهم للحقيقة والشريعة وموقفهم من العلم:

من أهم العوامل التي أدت إلى انحراف النقشبندية هو تفريقهم بين الحقيقة والشريعة وادعاؤهم بأن الحقيقة غير الشريعة.

---

[935](1) تقديس الاشخاص في الفكر الصوفي(1/523) تأليف:محمد احمد لوح,دار ابن عفان,ط1(1422هـ-2002م).

[936](2) مصرع التصوف,ص195.

وهم يعنون بهذين المصطلحين أن هناك في الإسلام علمين علم يخص أهل الظاهر وهي الشريعة الإسلامية التي جاء بها الرسول بكل ما فيها من عقائد وعبادات وآداب وأخلاق وسلوك كما تقدم[937]والنقشبندية يرون أن العالم بهذا العلم من المحجوبين[938] وهو في درجة العوام الذين لا يعتد بفتواهم والعلم الثاني العلم الذي يطلقون عليه علم الحقيقة وهو علم الأسرار الذي لا ينبغي الحديث عنه لعامة الناس [939]، وهو الذي يعبرون عنه بالعلم اللدني ويعتقدون بأن هذا هو العلم النافع وهو الذي من عرفه يستحق أن يسمى عالماً في زعمهم فليس العالم من يحفظ من كتاب بل من يأخذ العلم من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس[940] وأما الكيفية التي ينال بها هذا العلم اللدني حسب زعمهم فهي المجاهدة

,والحق أن القول بالحقيقة والشريعة يستلزم عدة أمور :

الأول : اتهام القرآن بالعجز عن بيان الحقيقة.

الثاني : اتهام الأكثرية الغالبة من هذه الأمة بأنها لا تعلم الحقيقة من دينها ، ولا يعبدون الله على بصيرة ،بل ينسحب هذا الاتهام على الصحابة رضوان الله عليهم ، إذ ليس هناك دليل بمعرفتهم بهذا العلم.

الثالث : كما أن هذا التقسيم فيه اتهام للرسول بأمرين هما:

الأول : كتمان علم الحقيقة ، إذ لم يرد فيما بلغ إلينا عن الله هذا العلم.

ثانياً: أنه كان لا يعلم الحقيقة ولم يهتدي إلى ما اهتدى إليه النقشبندية وسابقيهم من المتصوفة.

ولكن هذا التقسيم يلزم النقشبندية باتهامه بكتمان[941] علم الحقيقة إلا عن علي – رضي الله عنه - لأنهم يرجعون بسند طريقتهم إلى الرسول من حيث أن جبريل - عليه السلام - نزل بالشريعة أولاً فلما تقررت

[937](1) انظر ص177من الرسالة.

[938](2) انظر ص186من الرسالة.

[939](3) انظر ص184 من الرسالة.

[940](4) انظر ص185من الرسالة.

[941](1) انظر هامش مصرع التصوف,ص177-178,بتصرف.

ظواهر الشريعة واستقرت نزل إليه بالحقيقة المقصودة والحكمة المرجوة ، من أعمال الشريعة فخص الرسول بها علياً - رضي الله عنه - لذا جاءت روحانية علي - رضي الله عنه - فعلمت الفاروقي علم السموات.[942]

الرد على دعواهم بأن علياً - رضي الله عنه - عنده علم السموات :

لقد نفي علي - رضي الله عنه - تخصيص الر سول لهم بعلم خاص فقد روى الإمام البخاري في صحيحة أن أبا جحيفة قال : قلت لعلي : " هل عندكم كتاب ؟ فقال : لا ، إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة . قلت : وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مؤمن بكافر " .[943]

ففي هذا الأثر ينفي علي - رضي الله عنه - أن يكون خص رسول الله أهل بيته بشيء وكتمه عن غيرهم وأنه ليس عندهم علم مكتوب أو غير مكتوب إلا كتاب الله أو فهم أي علم وهو أثر الفهم والاجتهاد وما في الصحيفة فليس عندهم إلا ما عند الناس والله سبحانه يختص بقوه الفهم من يشاء وهذا الأثر يعتبر أقوى دليلا على بطلانٍ مزاعم النقشبندية الذين ادعوا بأن الرسول خص علياً وأهل بيته وبعضاً من الصحابة بعلم خاص لأن علياً - رضي الله عنه - قد نفى هذا الزعم فالقوم ليس لهم أي دليل يستندون عليه لإثبات هذه الدعوي وما دام ليس لهم أي مستند فدعواهم بأن هناك حقيقة تختلف عن الشريعة دعوى باطلة لأنه لا يمكن لإنسان أن يدعي دعوة لا أساس لها فيحاول فرضها على الناس عن طريق الكذب والدجل .

ما يلزمهم من القول بأنهم يتلقون علومهم عن الله ,أن ادعاء تلقي العلوم عن الله - سبحانه وتعالى يلزم منه أموراً كثيرة:

1- أن النبوة لم تختم لأن التلقي للعلوم عن الله لا يكون إلا عن طريق الوحي .

942(2) انظر ص184من الرسالة.

943(3) صحيح البخاري(1/246 فتح).

2- ويلـزم منه أيضـاً القـول بـأن هنـاك طريقـاً آخر غـير الطريق الذي جاء به الرسول ﷺ يغني عما جاء به الرسـول ﷺ وهــذا فيه مخالفة صــريحة للنصــوص فقد أخبرنا الله - سـبحانه وتعـالى - في كتابه بـأن النبـوة قد ختمت فقـال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الأحزاب:40] .

وفي الحديث فقد قال رسول الله ﷺ : "لا نبي بعدي".[944]

وعلى هذا فالنبوة قد ختمت و الوحي قد انقطع فدعواهم بأن هناك علماً يلقه الله على قلوبهم يطلبون الهداية عن طريقه وأنه من الممكن أن يستغنوا به عن علم الشريعة دعوى باطلة وإنكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة فكل المسلمين مجمعون على أن النبوة قد ختمت وأن الوحي قد انقطع وأنه لا توجد علوم يمكن أن تزكي النفس وتطهرها إلا علم الكتاب والسنة اللذين جاء بهما الرسول ﷺ من عند الله .

فكل من يدعي تلقي العلم عن الله – تعالى - إنما هو محادد لله ولرسوله ودعواه دعوى فارغة عارية عن الصحة وإنما هي محض دجل وافتراء فقط لإيهام العوام والتلبيس عليهم.

وبما أن الـدين قد كمل وتم فلا يحتـاج إلى ترقيع عن طريق الكشوفات المزعومة كما قال الله سبحانه وتعـالي في كتابه : ﴿ [illegible] ﴾ [المائدة : 3] وهذه من أكـــبر نعم الله على هـــذه الأمة حيث أكمل لها دينها فلا تحتاج إلى دين غيره فلا حلال إلا ما أحله الله ولا حـرام إلا ما حرمه الله ولا دين إلا ما شرعه الله وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [النجم:3-4].

وقد أخرج الطبري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال :

944(1) صحيح البخاري (1/200فتح).

" أكملت لكم دينكم"وهو الإسلام قال : أخبر نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً وقد أتمه الله _عز ذكره _فلا ينقصه أبداً وقد رضيه الله فلا يسخطه أبداً " [945] قد أخبر ﷺ أنه لم يبقي بعده إلا المبشرات فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " ليس يبقي بعدى من النبوة إلا المبشرات " قالوا : وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : "الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو تري له جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة " [946] وما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كشف رسول الله ﷺ الستار والناس صفوف خلف أبي بكر- رضي الله عنه - فقال : " أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ".[947]

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : " لا يبقى بعدي من النبوة شيء إلا المبشرات " قالوا : يا رسول الله وما المبشرات ؟ قال :
" الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له " رواه البزار[948] .

وعن أبي الطفيل - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : " لا نبوة بعدي إلا المبشرات " قال : " قيل : وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال الرؤيا الحسنه أو قال الرؤيا الصالحة "[949] .

وعن أم كرز الكعبية - رضي الله عنها - قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول :"ذهبت النبوة وبقيت المبشرات " رواه الدارمي[950]

945(1) جامع البيان في تفسير القرآن(6/51),لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري,طبعة دار المعرفة-بيروت-لبنان,بدون تاريخ.
946(2) موطأ مالك مع شرح الزرقاني:(4/353).
947(3) سنن النسائي(2/189).
948(4) مجمع الزوائد(7/172).
949(5) مجمع الزوائد(7/173)وقال رجاله ثقات.
950(6) سنن الدارمي(2/123).

والحميدي[951] .

موقف النقشبندية من القران الكريم:

أما عن موقفهم من القرآن الكريم بناءً على اعتقادهم السابق فقد فسروا القرآن الكريم تفسيرا باطنيا يختلف تماما مع التفسير الذي فسره به السلف وعلماء الأمة الإسلامية عبر التاريخ وبعيدا كل البعد عن المعاني التي تدل عليها الألفاظ عند العرب وذلك من أجل إخضاع الآيات القرآنية لعقائدهم وقد تقدم عرض تفسيرهم لآيات القران .[952]

موقف العلماء من تقسيم الصوفية الدين إلى شريعة وحقيقة :

لقد رفض علماء السلف تقسيم الدين إلى شريعة وحقيقة ، فقد قال الإمام ابن القيم مستنكرا قول الصوفية بأن هناك علماً باطناً وظاهراً قال :

"ومن كيد الشيطان ما ألقاه إلى جهال المتصوفة من الشطح والطامات وأبرز لهم في قالب الكشف من الخيالات فأوقعهم في أنواع الأباطيل والترهات وفتح لهم أبواب الدعاوى الهائلات وأوحى إليهم أن وراء العلم طريقاً إن سلكوه أفضى بهم إلى الكشف العياني وأغناهم عن التقيد بالسنة والقرآن فحسن لهم رياضة النفوس وتهذيبها وتصفية الأخلاق والتجافي عما عليه أهل الدنيا وأهل الرياسة والفقهاء وأرباب العلوم والعمل على تفريغ القلب وخلوه من كل شئ حتى ينقش فيه الحق بلا واسطة تعلُم ، فلما خلا من صورة العلم الذي جاء به الرسول نقش فيه الشيطان بحسب ما هو مستعد له من أنواع الأباطيل وخيله للنفس حتى جعله كالمشاهد كشفاً وعياناً فإذا أنكره عليهم ورثة الرسل قالوا لكم العلم الظاهر ولنا الكشف الباطن ولكم ظاهر الشريعة وعندنا باطن الحقيقة ولكم القشور ولنا اللباب فلما تمكن هذا من قلوبهم سلخها من الكتاب والسنة والآثار كما ينسلخ

---

[951] (1) المسند الحميدي,لأبي بكر عبد الله بن الزبير,تحقيق:حبيب الحمن الأعظمي(1/167)المكتبة السلفية,بالمدينة النبوية,بدون رقم وتاريخ.

[952] (2) انظر ص182من الرسالة.

الليل من النهار ثم أحالهم في سلوكهم على تلك الخيالات وأوهمهم أنها من الآيات البينات وأنها من قبل الله الهامات فلا تعرض على السنة والقرآن ولا تعامل إلا بالقبول والإذعان ، وكلما ازدادوا بعداً وإعراضاً عن القرآن وما جاء به الرسول كان هذا الفتح على قلوبهم أعظم ".[953]

وقال ابن عقيل في معرض نقده للمتصوفة والتحذير منهم :

"فالله الله في الإصغاء إلى هؤلاء الفرغ الخالين من الإثبات وإنما هم زنادقة جمعوا بين مدايح العمال مرقعات وصوف وبين أعمال الخلعاء الملحدة أكل وشرب ورقص وسماع وإهمال لأحكام الشرع ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة فجاءوا بوضع أهل الخلاعة. فأول ما وضعوا أسماء وقالوا حقيقة وشريعة . وهذا قبيح لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق . فما الحقيقة بعدها سوى ما وقع في النفوس من إلقاء الشياطين وكل من رام الحقيقة في غير الشريعة فمغرور مخدوع".[954]

وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله "وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة وهذا جهل من قائله لأن الشريعة كلها حقائق".[955]

ثم قال : " وقد أنكر جماعة من قدمائهم في أعراضهم عن ظواهر الشرع".

وبذلك يتضح بأن ادعاء النقشبندية تقسيم العلم إلى حقيقة وشريعة أو ظاهر وباطن كذب وافتراء لا دليل لهم عليه لا من كتاب ولا سنة إنما هي طريقة انتهجوها كسابقيهم من المتصوفة ليدخلوا في الدين ما ليس منه.

والخلاصة :

---

[953](1) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان(1/119),للإمام أبي عبدالله محمد الشهير بإبن القيم الجوزية,تحقيق:حامد الفقي,دار الفكر.

[954](2) تلبيس إبليس,ص323.

[955](3) تلبيس إبليس ص324.

التي نخرج بها من هذا المبحث أن هذا القول يتضمن عدة انحرافات وقع فيها النقشبندية منها :

1- اتهام الرسول بأنه خص أناساً بعلم خاص وهذا يترتب عليه اتهامه ﷺ بكتمان ما أنزل إليه والواجب تجاه الرسل الاعتقاد بأنهم قد بلغوا ما أمرهم الله به والأصل استواء المكلفين في الأحكام الشرعية .

2- ادعاء التلقي عن الله مباشرة

3- تفسير القران الكريم بأهوائهم وتأويله بحيث يؤيد معتقدهم إلى جانب تحريفهم لمعاني السنة النبوية وتصحيح الأحاديث عن طريق كشفهم المزعوم مما أدى بهم إلى نسبة أحاديث كثيرة كذباً وزوراً إلى الرسول ﷺ.

4- الاستهزاء بعلماء الأمة الإسلامية والتقليل من شأنهم ووصفهم بأنهم عوام وبأنهم محجوبون بظواهر الشريعة عن علوم الحقيقة.

حث الإسلام على طلب العلم و الإعلاء من شأنه :

لقد حث الإسلام على العلم وأعلى من شأنه ومما يدل على ذلك الأدلة الآتية من كتاب الله وسنه رسول الله ﷺ.

فأول سورة نزلت من القرآن جاء الأمر فيها بالقراءة كما نبه فيها على وسيلة التعلم وهي القلم قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾]العلق:1-5[وقد أنزل الله سورة أسماها سورة القلم ذكر في بدايتها وسيلة التعلم وهي القلم يقول تعالى : ﴿ [illegible] ﴾]القلم:1[

وقد أمر الله سبحانه بالعلم فقال : [illegible] ﴿ [illegible] ﴾]التوبة: 122[وأما الأدلة من السنة في الحث على طلب العلم وفضله كثيرة منها :

ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه حيث قال : قال رسول الله ﷺ : " من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل

الله له طريقاً إلى الجنة "[956] , وقال الترمذي عنه : حديث حسن.

وما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله : " من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع ".[957]

الخلاصة :

أن الآيات والأحاديث السابقة التي أوردتها تفيد بأن الإسلام دعا إلى العلم ورفع من شأنه وشأن أهله ووعد على طلبه الأجر العظيم والثواب الجزيل وأن كل دعوة إلى الابتعاد عن العلم والتنفير منه ما هي إلا محادة لله ولرسوله ودعوة إلى أن يصبح الناس جهلة تسهل قيادتهم إلى حيث يشاء أوليائهم ينشرون فيهم الخرافة والوهم الذي لا يستطيع أن يثبت أمام الحق فهم يعلمون يقيناً بأنهم لا وجود لهم ولا لأفكارهم الضالة إذا فهم الناس دينهم كما أنزل على الرسول من عند الله - عز وجل - لذا عملوا على إبعاد مريديهم عن العلم ، وأن ما قالوا من الوهب يتعلق بالفهم الذي يهبه الله لعبادة فقد قال تعالى :   ]الأنبياء:79[.

ومن ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنه قال : " ضمني رسول الله وقال : اللهم علمه الكتاب".[958]

وقوله "من يريد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله".[959]

يعني أن النبي يقسم ما أنزل إليه من العلم بالتسوية بين الجميع دون تميز والله - عزو جل – هو الذي يميز في الفهم بعضهم على بعض .

---

[956](1) جامع الترمذي(7/405),للامام الحافظ أبي عيسى بن سؤرة الترمذي مع شرحه,"تحفة الأحوذي" لمباركفوري-دار الفكر-الطبعة الثالثة-1399هـ/1979م.

[957](2) جامع الترمذي (7/405).

[958](1) صحيح البخاري (1/169فتح).

[959](2)صحيح البخاري (1/164فتح).

المبحث الثاني :

مناقشة الذكر عند النقشبندية وفيه :

المطلب الأول: مناقشة الذكر حال الانفراد وفيه:

- مناقشة الذكر بالاسم المفرد
- مناقشة أدلتهم على الذكر بالاسم المفرد
- مناقشة أدلتهم على الذكر بالقلب (الذكر الخف)
- كيفية الذكر وفيه
- مناقشة الذكر بحبس النفس
- مناقشة الذكر على أساس اللطائف الخمس .
- المقصود من الذكر عند النقشبندية

المطلب الثاني: مناقشه الذكر حال الاجتماع المعروف عندهم بالختم الخوجكاني:

- حكم الاجتماع للذكر
- ترتيب أذكار وأجور لم ترد في الشرع
- حكم الذكر بالحصى
- مناقشة دلليهم على إغلاق الباب
- مناقشة الرابطة

المطلب الثالث : مناقشة الأذكار والأوراد النقشبندية وإلزام المريد بها

المطلب الأول :مناقشة الذكر حال الانفراد وفيه:

تمهيد

يعرف الذكر **في اللغة:** بأنه مصدر ذكر الشيء يذكره ذِكْراً وذُكْراً ، مادة "ذَكَر" وما تصرف منها تطلق في اللغة على معان هي :

1- الشــيء يجــري على اللســان ، أي ينطق به ، يقــال : ذكـرت الشـيء أذكر[960] ومنه قوله تعـالى: [illegible]]مريم:2[.

2- الحفظ واستحضار الشيء في القلب ، ضد النسيان[961]. ومنه قوله تعالى: [illegible]]الكهف:63[.

3- الصيت والثناء والشرف ومنه قوله تعالى: [illegible] أي ذي الشرف[962].

4-التنبيه على الشيء ,فإذا ذكرته فقد تنبهت عليه ، ومن ذكرك شيئاً فقد نبهك علية وليس من لازمه أن يكون بعد نسيان ، وهو حضور المعنى في النفس.[963]

5- القــرآن المجيد [964]، كما في قوله – تعــالى - : [illegible]]الحجر:9[.

من هذه النقول من كتب اللغة يتضح أن المعني اللغوي للذكر "بكسر الذال وسكون الكاف" الثناء على الله – تعالى - مع حضور المعنى في النفس ، كما يطلق على القرآن الكريم.[965]

---

[960](1) لسان العرب (5/48).

[961](2) القاموس المحيط, ص507,ولسان العرب(5/48).

[962](3) القاموس المحيط,ص507.

[963](4) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً,ص137,لسعدي ابو حبيب,دار الفكر,دمشق,الطبعة الثانية,1408هـ-1988م..

[964](5) مفردات ألفاظ القرآن :ص328,للعلامة الراغب الأصفهاني,تحقيق:صفوان عدنان داوودي-دار القلم-دمشق-دارالشامية-بيروت,الطبعة الثانية,1418هـ-1997م.

[965](1) أحكام الذكر في الشريعة الاسلامية ,ص 20- 21 ,اعداد:أمل بنت محمد بن فالح الصغير,دار الفضيلة-الطبعة الاولى-1424هـ/2003م

الذكر في **الاصطلاح:** عرفه ابن القيم قال :"الذكر الظاهر هو : ثناء أو دعاء أو رعاية" ويريد بقوله الظاهر : الجاري على اللسان ، المطابق للقلب ، لا مجرد الذكر اللساني .

ذكر الثناء : نحو "سبحان الله ، الحمد لله ، الله اكبر ، لا إله إلا الله".

وذكر الدعاء : نحو :[illegible]

]الأعراف:23[وذكر الرعاية ، كقول الذاكر : الله معي ، الله ناظر إلي ، والله شاهدي ، ونحو ذلك مما يستعمل لتقوية الحضور مع الله.[966]

عرفه ابن حجر العسقلاني [967]، فقال :"المراد بالذكر الألفاظ التي ورد الترغيب في قوله والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات وما يلتحق بها من الحوقلة البسملة والاستغفار ... ويطلق ذكر الله أيضاً ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه لتلاوة القرآن وقراءة الحديث ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة[968] " وعلى ذلك فالذكر ثلاثة أنواع:

1- تلاوة القرآن مع التدبر.

2- ذكر اللسان بالأذكار الواردة والمأثورة عن رسول الله [illegible] دون زيادة عليها أو تغييرها.

3- الذكر القلبي ويثمره دوام التفكر في الموت وأحوال الآخرة .

وقد ذهب النقشبندية إلى أن الذكر يكون في القلبي أو بلسان القلب لأن الذكر اللساني المركب من الأصوات والحروف لا يتيسر للذاكر في جميع الأوقات لأن البيع

966(2) مدارج السالكين:(2/452).

967(3)ابن حجر, هو: احمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني العسقلاني,الشافعي حافظ الدنيا في عصره,ولد بمصرسنة 773هـ,عرف بابن حجر,نسبة الى آل الحجر,أخذ العلم عن شيوخ كثير منهم:ابن الملقن,والذهبي وغيرهم من مؤلفاته:"الاصابة في تمييز الصحابة",و"فتح الباري شرح صحيح البخاري",و"لسان الميزان"-انظر ترجمته في شذرات الذهب(7/270-271).

968(4) صحيح البخاري (11/209 فتح).

والشراء ونحوهما يلهي الذاكر بخلاف الذكر القلبي ، و لأن القلب محل نظر الله وهو على نوعين:
الأول : بالاسم المفرد ، و **الثاني :** بلفظ النفي والإثبات وله عندهم كيفية عجيبة تم بيانها في الباب الثاني من الرسالة وسيتم مناقشتها فيما سيأتي بإذن الله.

مناقشة الذكر بالاسم المفرد :

ذكرت فيما سبق أن للنقشبندية نوعين من الذكر الخفي القلبي ، وذكرت أن هذين النوعين أولها حال الانفراد ويكون على نوعن أيضاً.

الأول : ذكر اسم الذات المفرد الله ، أو "هو هو " وهذا اجتهاد خاص من رجال هذه الطريقة ، يبدأ المريد بهذا الذكر بلسانه ثم ينتقل إلى الذكر القلبي مع حبس النفس.

وهذا الذكر بهذا اللفظ غير مشروع فلم يفعله رسول الله ولم يرد في سنته الذكر بالاسم المفرد ، بل أغلب الروايات الصحيحة جاءت بصيغة " لا إله إلا الله" فهي كما قال : " أفضل الذكر لا إله إلا الله " رواه الترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، وابن حبان ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي وحسنه الألباني .[969]

و إذا كان الأمر كذلك فليس للاجتهاد في هذا المجال محل ، ولا قيمة له مع وجود النص .

ثم أن هذا الذكر بهذه الصيغة لا يدل على مدح أو تعظيم لأن الإتيان بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب.قال ابن القيم :

" الذكر بالاسم المفرد الله الله غير مشروع أصلاً ولا مفيد شيئاً ولا هو كلام أصلاً ولا يدل على مدح ولا تعظيم ولا يتعلق به إيمان ولا ثواب ولا يدخل به الذاكر عقد الإسلام جملة فلو قال الكافر "الله الله" من أول عمره

---

[969](1) الترمذي:في الدعاء,باب(9)(5/462)حديث رقم 3383,وابن ماجة في الأدب,باب فضل الحامدين(2/1249)حديث رقم 3800,و"الإحسان" (2/104 ح843),"المستدرك"(1/503),"صحيح الجامع"(حديث رقم 1104).

إلى آخره لم يصر بذلك مسلماً فضلاً عن أن يكون من جملة الذكر أو يكون أفضل الأذكار,و بالغ بعضهم في ذلك حتى قال الذكر بالاسم المضمر أفضل من الذكر بقولهم "الله الله" وكل هذا من أنواع الهوس والخيالات الباطلة المفضية بأهلها إلى أنواع من الضلالات فهذا فساد هذا البناء الهائر ".[970]

مناقشة أدلتهم على الذكر بالاسم المفرد :

لقد استدل النقشبندية كما سبق بيانه على الذكر بالاسم المفرد بأدلة من كتاب الله ..

من قوله تعالى : [illegible]]طه :14[.

وقوله تعالى : [illegible]]الأنعام :91[.

ومن السنة : بقوله [illegible] "لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله الله" .[971]

الآيتان من سورة الأنعام وسورة طه ، بالإضافة إلى الحديث النبوي لا تعتبر أدلة مقنعة في جواز الذكر بالاسم المفرد "الله ، الله" فالآية الأولى من سورة الأنعام . نزلت في قريش على أصح الأقوال قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء قال الله – عز وجل - ملقناً نبيه محمداً [illegible] الجواب ، قل يا محمد لهؤلاء المنكرين لإنزال شيء من الكتب من عند الله :

[illegible]]الأنعام: 91[أي من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وهو التـوراة الـتي جعلتموها قـراطيس أي قطعـاً تكتبونها من الكتـاب الأصلي ، الذي بأيديكم وتحرفون منها ما تحرفون وتبدلون وتتأولون وتقولون هـذا من عند الله ، وما هو من عند الله ، ومن أنزل القرآن الذي علمكم الله فيه من خبر ما سبق ونبأ ما يأتي مالم تكونوا تعلمون لا أنتم ولا آباؤكم

970(1) طريق الهجرتين وباب السعادتين:ص338,لابن قيم الجوزية,تحقيق:عمر محمود-دار ابن القيم-الدمام-1409.

971(2) رواه مسلم في الايمان-باب ذهاب الايمان آخر الزمان (1/131).

وقوله تعالى : ﴿ □□□□ □□□□ ﴾ قال علي بن طلحه : عن ابن عباس ، أي قل الله أنزله .[972]

وبهذا يتبين أن كلمة الله في هذه الآية جواب لسؤالين وليس دليلاً على الذكر بالاسم المفرد.

أما الآية الثانية من سورة طه فهي خطاب من الله – عز وجل – لنبيه موسى – عليه السلام – أن استمع إلى ما يوحى : " إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني" أي وحدني ، وهذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له .[973]

وليس في هذه الآية ما يدل على جواز الذكر بالاسم المفرد ,وأما الحديث النبوي الذي اعتبروه أيضاً دليلاً على ذلك . "هو من الأدلة على قيام الساعة ... حيث لا تقوم الساعة . إلا على شرار الخلق فلا يبقى من يقول الله الله " والمعنى لا يبقى من يذكر الله ولا يعبده ولا يراقبه ، ولا يأتمر بأمره ولا ينتهي بنهيه .

الثاني : الذكر بالنفي والإثبات وهي كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"وهي كلمة الإخلاص لا عمل إلا بها كما في الحديث "أفضل الذكر لا إله لا الله" [974] لأنها كلمة النجاة المتكفلة بكل خير ديني ودنيوي ، وهي أصل العبادات القولية والفعلية والأمر المبني عليها غيرها ، وهي القطب الذي يدور عليه رحى الإسلام ، والقاعدة التي بنى عليها أركان الدين وهي أعلى شعب الإيمان[975] وهذا مما لا خلاف فيه ، لكن الخلاف كل الخلاف في كيفية أداء هذا الذكر وغايته عندهم

مناقشة أدلتهم على الذكر بالقلب (الذكر الخفي):

لقد استدل النقشبندية على أفضلية الذكر الخفي بأدلة من كتاب الله – سبحانه- وبما ورد في السنة وما ذكره أئمة التصوف في التراث الصوفي.

972(3) تفسير القرآن العظيم(2/164).
973(1) تفسير القرآن العظيم(3/148).
974(2) سبق تخريجه.
975(3) مجموع الفتاوى (10/661).

أولا مناقشة أدلتهم من كتاب الله:

1- قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾]الأعراف: 55[وفي معنى هذه الآية قال: ابن جريج عن عطاء الخرساني عن ابن عباس في قوله ﴿ [illegible] ﴾ قال السر ، وقال ابن جرير:تضرعاً تذللاً واستكانة لطاعته، وخفية يقول: بخشوع قلوبكم وصحة اليقين بوحدانيته وربوبيته فيما بينكم وبينه لا جهراً مراءاة وقال عبد الله بن المبارك عن المبارك بن فضالة عن الحسن قال في حديثة عن الدعاء: ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم.[976]

2- قوله تعــالى ﴿ [illegible] ﴾]الأعراف:205[.

أي اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة وبالقول لا جهراً ولهذا قال : " ودون الجهر من القول " وهكذا يستحب أن لا يكون الذكر نداءً وجهراً بليغاً بل يكون بين الجهر والإسرار لقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾]الإسراء : 110[.[977]

و على ذلك فإن هاتين الآيتين تدلان دلالة صريحة على أن أفضل الذكر ما كان بين الجهر والإسرار بمعنى أن يكون همساً ، فلا يكون خفي كما فهمه أصحاب الطريقة بأن يكون بالقلب أو بلسان القلب كما قالوا ، لأن القلب ليس محل الذكر بل هو محل الخشوع وصحة اليقين بوحدانية الله ، فتبين أنه لا يتم الذكر إلا بالقول بإخراج الحروف من مخارجها مع صوت أدناه أن يسمع الذاكر نفسه وإلا بطل الحكم بالقول واختفت الحكمة واقتصر الأمر على مجرد التصور والتفكر .وإن كان المطلوب من الذاكر أن يكون حاضر القلب ، وفي هذا يقول النووي :[978] " اعلم أن الأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها واجبة

---

[976](1) تفسير القرآن العظيم (2/231).

[977](2) تفسير القرآن العظيم (2/292).

[978](3)النووي,هو: محي الدين ابو زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الدمشقي,توفي سنة(676هـ),انظر مقدمة كتاب الاذكار للنووي ص17.

كانت أو مستحبة ، لا يحسب شيء منها ولا يعتد به حتى يتلفظ به حيث يسمع نفسه إذا كان صحيح السمع لا عارض له " .[979]

إذاً فالذكر شيء والفكر شيء آخر وفي قوله تعالى فيه توضيح لطريقة الذكر بأن يكون بين الجهر والإسرار ، وليس فيه تعطيل للسان .

مناقشة أدلتهم من السنة :

لقد استدل النقشبندية على الذكر الخفي بلسان القلب بما ورد في السنة من الحديث القدسي " أنا عند ظن عبدي بي ، وأنه معه إذا ذكرني .....الحديث"[980] وهذا الحديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم ولكن ليس فيه دلالة على أن الذكر في النفس هو الذكر الخفي بمفهوم النقشبندية له .

الحديث الثاني :" خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي "[981] وهو حديث ضعيف وهو على ضعفه لا يدل على أن خير الذكر هو الذكر الخفي بمفهوم النقشبندية .

وعموماً فإن الطريقة المثلى للذكر أن الذاكر يسر في الموضع الذي ورد فيه الإسرار ويجهز في الموضع الذي ورد فيه الجهر ، والموضع الذي لم يرد فيه دليل على السر أو الجهر فالذاكر فيه بالخيار ، ولكن لابد للذاكر فيه من ملاحظة قوله تعالى :]الإسراء:110[, لئلا يتجاوز الحدود المضروبة له .[982]

فالخلاصة في هذا الأمر :

أن الذكر باللفظ المفرد كقولهم" الله" أو "هو هو" غير مشروع ولا يدل على مدح أو تعظيم .

الذكر بالنفي والإثبات هو أفضل الذكر وليس هناك خلاف في ذلك بل الخلاف في كيفية أداء هذا الذكر .

الذكر الخفي الذي استدل عليه النقشبندية بأدلة من الكتاب والسنة ليس معناه كما بينوه بل يكون بين الجهر

979(4) الاذكار النووية:ص16.

980(1) سبق تخريجه.

981(2) سبق تخريجه.

982(3) نزل الابرار بالعلم المأثور من الادعية والاذكار,ص8,تأليف:محمد صديق حسن خان,دار لمعرفة,بيروت-بدون تاريخ.

والإسرار بمعنى أن يكون همساً لأن القلب ليس محل الذكر بل هو محل الخشوع وصحة اليقين بالله.

كيفية الذكر وفيه :

1- مناقشة الذكر بحبس النفس:

لقد مضى النقشبندية في وصف الذكر عندهم وصفاً دقيقاً بشكل لم أجد له سند من كتاب ولا سنة ولا حتى من فعل الصحابة أو التابعين أو تابعيهم ، فالذكر عندهم وإن كان يتناول اسم ذات الله تبارك وتعالى مفرده أو كلمه التوحيد إلا أن أسلوب أداء الذكر فيها مأخوذ من

الديانة البوذية[983] والبرهمية[984] على طريقة اليوغا ، والتي أتى بها أوليائهم من الهند .

فحبس النفس يعتبر رياضة ذهنية ونفسية اكتشفها رهبان الديانات الهندية في القرون الماضية من خلال ممارساتهم وتجاربهم عبر فترات طويلة من التقشف والانزواء والتأمل والتركيز ، وذلك على سبيل المحاولة للاتصال بما وراء الطبيعة حتى غدت تلك الممارسات من

---

[983](1) البوذية : نسبة إلى سدهارتا جوتاما ،الملقب بـ(بوذا) (560-480ق.م) . ومعنى بوذا : " العارف ". والبوذية : ديانة التأمل الباطني وإنكار الذات والرحمة كما يعرفها أصحابها.قامت لتناهض الديانة الهندوكية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت.يقوم مذهب بوذا الذي أراد أن ينشره بين الناس على تجريد النفس وقمع الشهوات،وإبطال الرغبات والتحرر من أمور الدنيا .والكتاب المقدس لدى البوذيين هو : (تري بيتاكا) .ويعتبر أهم الكتب البوذية كلها ، لأنه يتضمن النصوص الدينية ، التي جمعتها المجامع البوذية المختلفة عبر قرون طويلة. وهو مقدس عند البوذيين كما يقدس النصارى الأناجيل.وهـذا الكتاب هو المعتمد والمعول عليه عند البوذيين قديماً وحديثاً.وقد انقسم أتباع بوذا بعد وفاته إلى مذهبين : مذهب دعا إلى تأليه بوذا وعبادته ، وقد تأثر هذا المذهب بالهندوكية واقتبس منها بعض تعاليمه ، ومذهب دعا إلى تقديس بوذا على أنه معلم أخلاقي .

وقد اتخذت البوذية بعد بوذا أفكار ومعتقدات عدة ، على خلاف الفلسفة التي دعا إليهـا بوذا . تنتشر البوذية بين عدد كبير من الشعوب الآسيوية ، حيث يدين بهـا أكثر من ستمائة مليون نسمة ، ولهم معبد ضخم في (كاتمندو) بالنيبال. وبعد انتشار الإستعمار الأوربي اصطدمت البوذيـة بالنصرانية . وقد أكد العديد من الباحثين من تلاقح بين الديانتين فيما بعد . انظر البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها,للدكتور:عبدالله مصطفى نومسوك,ص262-265.مكتبة أضواء السلف,ط1-1420هـ-1999م ،ص24-115 ، أديان الهند الكبرى ، د.أحمد شلبي، ط8 ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1986 م، ص141وما بعدها ، بوذا ، حمدي السعداوي ، القاهرة ، المركز العربي للنشر ، الشرق الجديد ، د. محمد حسين هيكل، ط 2 ، القاهرة ، دار المعارف،ص 123.

[984](2) الهندوسية أو الهندوكية ، ويطلق عليها أيضاً البراهمية نسبة إلى براهما ، وهو اسم الإله عندهم .ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند.تعرضت عبر مراحلها التاريخية إلى إصلاحات عديدة،فظهر عنها البوذية والجينية.وليس للهندوسية مؤسس ، وإنما هي عبارة عن مجموعة من العادات والتقاليد القديمة، وأسلوب في الحياة .من أهم معتقدات الهندوكية : الإيمان بتناسخ الأرواح، والكارما . ومعناها في اللغة السنسكريتية :"قانون الجزاء.ومعناه عندهم : أن الإنسان سيجازى على عمله إن خيراً وإن شراً في الحياة الحاضرة أو القادمة، ولذلك قالوا بتناسخ الأرواح ، أي :انتقال الروح من جسد إلى آخر ، ويكون ذلك بحسب

الآداب والأركان في الديانة البرهمية ، واعتقدها مجوس الهند ، وسميت أخيراً بـ "اليوغا".[985]

2- الذكر على أساس اللطائف الخمس: لقد سبق عرض طريقة الذكر عند النقشبندية بحسب اللطائف الخمسة وهي " الروح ، السر ، والخفي ، والأخفى ، والنفس [986] " وقد زعم أولياء النقشبندية أن هذه اللطائف موجودة وموزعه في بنية البشر وحمَّلوها معان لم أجد من خلال

الأعمال التي قامت بها في حياتها الأولى،ومن معتقداتهم أيضاً : وحدو الوجود ، فالحياة من الروح ، وهي أزلية غير مخلوقة، وعندما تجرد الروح من الظواهر المادية تبدأ رحلتها للعودة إلى الروح الأكبر.هكذا اعتقدوا.ومن معتقداتهم كذلك :حرق الأجساد بعد الموت،وذلك عندهم يسمح للروح بالإتجاه إلى أعلى لتصل إلى الملكوت الأعلى ، وفيه تخليص للروح من غلاف الجسم تماماً. وللبقرة احترام وقدسية عند الهنود.تنتشر الهندوكية في الهند وبعض أجزاء باكستان وبنغلاديش وسيرلانكا ونيبال،انظر أديان الهند الكبرى ، ص,43,والموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة(2/724-731)اشراف وتخطيط ومراجعة:د.مانع بن حماد الجهني,دار الندوة العالمية للطباعة والنشر,ط4-1420هـ.

[985](1) يوغا: تعني كلمة يوغا في اللغة السنسكريتية: الاتحاد والاتصال.وقيل: فعل الربط والسيطرة والتحكم.وقيل: "الوحدة"، وهذا الأخير هو تفسير بالمقصود. وقيل: النير، وهو تفسير بالثمرة. والأول أصح من حيث المعنى. وقد اختلفوا في تعريف "يوغا" في الاصطلاح على أقوال: فقيل: هو ربط تقنية الخلاص التي تهدف إلى تحرير النفس من شهوات الجسد عن طريق الممارسات والسلوكات الروحية والجسدية وقيل: فكرة متقدمة للحصول على السلامة الذاتية للإنسان، حسب أساسياته وقواعده بمراقبة النفس للنفس ذهناً وفكراً. وقيل: هي رياضة بدنية وذهنية فريدة... ترمي إلى ترقية التطوير المتكامل للجسم والذهن مبنيةً أصلاً على فكرة قوة روحية إلهية كامنة عند الجزء الأسفل من العمود الفقري، فعندما يتم تنشيط هذه القوة الروحية عن طريق الرياضة فإنها تتسامى إلى الأعلى مارة بجذور العضو التناسلي والسرة والقلب والحنجرة والجبهة وأعلى الرأس وعندما تخترق هذه القوة الروحية هذه المناطق، يصل الإنسان إلى ذروة السعادة وتحقيق الذات... الهدف هو تزكية النفس وتحقيق الذات.

وقيل: هو تكتيك لتحرير العقل من ارتباطه بالحواس، وإذا ما تحرر العقل مرة فإنه لا يتجول على غير هدى في عالمٍ أسمى من الطبيعة،... فإن هدف اليوغا إتمام إدماج أتمان في برهمان.

وقيل: اليوغا في الحقيقة تجربة عملية لتهذيب النفس وتدريب جسماني لتصل الروح إلى السمو والارتفاع بعد التخلص من القيود الجسمانية وأثقالها ومتاعبها.

ولا يعرف تاريخ ميلادها على وجه الدقة، ولكن من الثابت أنها مورست قبل الميلاد بعدة قرون.

البحث عن مصدر لتلك الأقاويل سوى أنهم أتو بها من عند أنفسهم متأثرين بديانات وفلسفات مختلفة ، وأضافوها إلى الإسلام ومزجوها بكلمة التوحيد وهي لا تعدوا ألغازاً لا أصل لها في كتاب الله وسنه نبيه وفعل صحابته الكرام .

وبهذا يتبنين أن هذه الكيفية ليست من الشرع في شيء والأصل في كل عمل تعبدي الإتباع في الشريعة

يقول ول ديورانت: والهند عرفت هؤلاء الناس ـ أي: اليوغيين ـ منذ ألفين وخمسمائة عام، ويجوز أن يرجع عهدهم إلى ما قبل التاريخ، حين كانوا للقبائل الهمجية بمثابة الأولياء، وهذه الطريقة في التأمل الزاهد التي تعرف باسم (يوغا) كانت موجودة أيام الفيدات، ثم إن الأوبانيشادات ومهابهارت كلتاهما اعترفتا بهذه الطريقة التي ازدهرت في عصر بوذا.

ويقول الدكتور محمد إسماعيل الندوي: يرجع ظهور اليوغا إلى عام 800 ق.م. ولعل مقصوده: ظهورها كظاهرة مقبولة لدى الهندوس، وإلا فإن اليوغا كان لها وجود من قبل هذا، والدليل عليه أنه بنفسه ذكر أن مؤلف "مْنُوْ سْمْرِتِيْ" الذي ألف كتابه في القرن الثامن قبل الميلاد جعل في كتابه بابا مستقلاً لليوغا، ولاشك كون "مْنُوْ سْمْرِتِيْ متأخراً عن بعض الأوبانيشادات، وقد ذكر اليوغا في كثير من الأوبانيشادات، وادعى البعض وجودها في الفيدات.

ويدعي البعض: أن اليوغا كانت من أساليب العبادة لدى أهالي حضارات الإندوس (أي حضارة وادي نهر السند) وذلك يعني قبل دخول الآريين.

ولعل الصحيح: أن اليوغا من حيث التاريخ، كانت موضع قبول قبل وضع نصوصها بفترة طويلة، وكانت موجودة في الفيدات دون إشارة إلى اسمها، كما كانت موجودة في الأوبانيشادات ومهابهارت، وفي الأوساط ما قبل البوذية؛ وأما ما قيل بأن اليوغا كانت موجودة قبل الآريين في حضارات الإندوس، والتي تعود ظاهراً إلى الألف الثاني قبل المسيح، استدلالاً بالوضع الجلوسي الذي تظهر فيه إلهة مرسومة على أختام حضارة ما قبل تاريخ الإندوس، والتي تذكر بالجلسة النظامية لليوغا ـ كما يقول علي زيعور ـ فليست هي بالضبط جلسة اليوغا؛ لأنها توجد عادة في الهند وبمعزل عن اليوغا، فقول البعض بأن اليوغا كانت موجودة من قبل دخول الآريين، ثم تطورت، ووجدت لدى الآريين ليس قولاً نهائياً في هذا الباب، بل هو احتمال من الاحتمالات.

تتفق جميع المصادر على أن واضع هذه الفلسفة (مبلوره ومطوره وواضع قوانينه) هو: پاتنجلي، وهو الذي ألف أول كتاب في اليوغا وسماه: اليوغا سوتراس Yoga - Sutras. (أو قواعد اليوغا)، الذي لا يزال يُتخذ مرجعاً في جماعات اليوغيين من بنارس إلى لوس إنجولس ـ كما يقول ول ديورانت ـ ولكن اختلفوا متى كان يعيش هذا الحكيم ومتى وضعت هذه الفلسفة على أقوال:

1) قيل: في غضون القرن الثاني قبل الميلاد.

والإتباع يكون لله ولرسوله الذي بلغ رسالة ربه أتم وأكمل بلاغ فقال – سبحانه- : [illegible]]المائدة : 67[فلم يترك - عليه الصلاة والسلام - شيئا من الأوامر إلا وبلغه وبينه ، ولا شيئا من النواهي إلا وحذرنا منه بقوله - سبحانه - : [illegible]]النحل:44[

---

2) وقيل: حوالي 150 قبل الميلاد.

3) وقيل: ربما كان ذلك بين سنتي 300 و150 ق.م.

4) وقيل: القرن الرابع قبل الميلاد

5) وقيل: القرن الرابع الميلادي.

6) وقيل: القرن الخامس الميلادي، وهذا من أغرب الأقوال، ولعل الذي جعله يقول بهذا القول أن قسماً من هذا الكتاب وُضع في القرن الخامس بعد المسيح.

وقد علق باتنجلي على كتابه، كما ينسب إلى "پياس بن پراشر" وضعَ كتاب آخر عن تعاليم يوغا معروف باسم: يوغا بهاشيا (تعليقات على يوغا)، وهناك أيضاً: مهابهاشيا (التعليق الكبير) ثم هناك التعليق المسمى "بهوجا"/ Bhoja/ وضع في القرن الحادي عشر للميلاد، ثم توسعت في كثير من هذه المبادئ في العصور المتأخرة.

مجمل فلسفة يوغا:

إن يوغا جهد منهجي للوصول إلى الكمال ـ كما يدعون ـ من خلال السيطرة على العناصر المختلفة للطبيعة الإنسانية، إنها توصل إلى التمييز بين الروح أو الفكر والمادة، بين الروح والطبيعة أو المادةمعتمدةً على ما جاء في فلسفة سانكهيا السابق؛ فإن هذه الفلسفة تعتمد في كثير من أفكارها ومبادئها على فلسفة سانكهيا. وعلى حد تعبيرهم يستطيع الإنسان بواسطة ممارسة اليوغا أن يحقق قوى تفوق الطاقة البشرية، والظاهر أنها أعمال سحرية كان يقوم بها أولئك الكهنة، لهذا لما ضعف أمر السحر ولم يتمكن السحرة من إتيان أعمال سحرية قوية تعذر كثير منهم بقولهم: إن الهدوء الروحي والفضيلة الأخلاقية أسمى من القوة السحرية التي هي عرضية بالنسبة للوصول إلى الهدف الحقيقي لحرية الروح, وهم يقولون: إن المادة هي أس الآلام والجهل؛ ومن ثم كانت غاية اليوغا أن تحرر الروح من كل ظواهر الحس وكل ارتباطات الجسد بشهواته؛ فهي محاولة لبلوغ الإنسان التنوير الأعلى والخلاص الأسمى في حياة واحدة ـ على حد تعبيرهم ـ بأن يكفر في وجود واحد عن كل الخطايا التي اقترفها في تجسدات روحه الماضية كلها[?]، عبر فصل العقل عن الجسد، وإزاحة كل العوائق المادية عن الروح، وإذا نجح اليوغي في هذا، فإنه لا يتحد مع البرهمان فقط، بل يصبح هو البرهمان نفسه ـ هكذا زعموا ـ.

وقوله سبحانه: [illegible] ﴿
[illegible] [
﴾النحل : 64[, وقوله- سبحانه - : [illegible] ﴿
[illegible] ﴾
]النحل:89[.

ومهمة الرسول - عليهم السلام - " التبيين" لكل عمل تعبدي من كل جوانبه ، والتبيين يشمل:

- انظر ما ذكره محمد عبد الفتاح فهيم: اليوغا والتنفس ص(19).
- انظر ما ذكره علي زيعور: الفلسفة في الهند ص(360).
- انظر ما ذكره الدكتور فارس علوان: اليوغا في ميزان النقد العلمي ص(15).
- انظر ما ذكره ول ديورانت: قصة الحضارة (3/1/263)، والدكتور كامل سعفان: معتقدات آسيوية ص(240).
- انظر ما ذكره دُرغا داش بَشُو شرشتي: هندو دهارمير شار تته ص(128).
- انظر ما ذكره علي زيعور: فلسفات الهند ص(260)، و ول ديورانت: قصة الحضارة (3/1/263)، والدكتور كامل سعفان: معتقدات آسيوية ص(240).
- انظر مقالة بعنوان: فلسفة اليوغا في مجلة ثقافة الهند، المجلد الأربعون، العدد الأول والثاني، سنة 1989م.
- انظر ما ذكره أ.ف. توملين: فلاسفة الشرق ص(258).
- انظر ما ذكره الدكتور محمد إسماعيل الندوي: الهند القديمة حضاراتها ودياناتها ص(108).
- انظر ما ذكره محمد عبد الفتاح فهيم: اليوغا والتنفس ص(19).
- انظر ما ذكره ول ديورانت في قصة الحضارة (3/1/262).
- انظر ما ذكره الدكتور محمد إسماعيل الندوي: الهند القديمة حضاراتها ودياناتها ص(110).
- انظر المصدر السابق ص(108ـ109).
- انظر ما ذكره علي زيعور: الفلسفة في الهند ص(345).
- انظر ما ذكره جان فيليوزات: فلسفات الهند ص(67)، والدكتور محمد عثمان الخشت: مقارنة الأديان، الڤيدية، البراهمانية، الهندوسية ص(192ـ193).
- انظر الدكتور محمد عثمان الخشت: مقارنة الأديان، الڤيدية، البراهمانية، الهندوسية ص(193)، وانظر: الموسوعة العربية العالمية (26/197).
- انظر ما ذكره ول ديورانت في قصة الحضارة (3/1/262).

" أولاً " الكيفية في فعله . وحكمه الشرعي" فالصلاة مثلا بينها رسول الله ﷺ في كيفية فعلها وأحكامها ، وكذلك الزكاة والصيام والحج وسائر العبادات وحتى الذكر الذي هو رأس العبادات بينه عليه السلام وبين كيفية".

فهذه الأعمال التعبدية ،كما شرعها الله سبحانه وبينها رسوله ﷺ " بما فيها الذكر" – لا يحق لأحد أن يزيد عليها أو ينقص منها . أو يبـدل فيها شـيئاً . وتأمل معي قـول الله - عز وجل - ﴿ [illegible] ﴾ [المائدة:3]

قال العلماء : فمن زاد على هـذه الآية مقـدار شـعرة فكأنما اتهم الرسولﷺ بالخيانة ، والنـبي ﷺ ينبهنا إلى شـيء بـالغ الأهمية بقولـه: "من عمل عملاً ليس علية أمرنا فهو رد" [987] إذاً فالمشــرع هو الله ، والمبلغ عنه هو رســول اللهﷺ ومع ذلك ، لم يزد ولم ينقص في رسالة ربه . قال – سبحانه- : ﴿ [illegible]

- انظر ما ذكره أ.ف. توملين: فلاسفة الشرق ص(258).
- انظر ما ذكره علي زيعور: الفلسفة في الهند ص(361) مع شكه في صحة هذا التحديد.
- انظر ما ذكره الدكتور محمد غلاب: الفلسفة الشرقية (165).
- انظر ما ذكره الأستاذ روني إيلي ألفا: موسوعة أعلام الفلسفة (1/208).
- انظر ما ذكره علي زيعور: الفلسفة في الهند ص(344).
- المصدر السابق.
- انظر ما ذكره كرشنا ومور: الفكر الفلسفي الهندي ص(543)، نقلاً عن الدكتور محمد عثمان الخشت: مقارنة الأديان، الڤيدية، البراهمانية، الهندوسية ص(192).
- المصدر السابق ص(545).
- انظر ما ذكره ول ديورانت: قصة الحضارة (3/1/263).
- المصدر السابق.
- انظر ما ذكره الدكتور أورانج كاي رحمات: التفكير الديني في العالم قبل الإسلام ص(184).

[986] (1) الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها:ص51 - 54

[987] (1) صحيح البخاري (5/301فتح).

[illegible]]الحاقة:44-52[.

وبعد فلا مجال لأحد إطلاقاً للاجتهاد أو الرأي الشخصي ، فمن اتبع هدي النبي – عليه الصلاة و السلام - فقد فاز برضوان الله ، ومن ابتدع شيئاً في العمل التعبدي فقد ضل ضلالاً مبيناً.

المقصود من الذكر عند النقشبندية :

أستطيع بعد ما بينت سابقاً أن أذكر أن المقصود الحقيقي من الذكر بتلك الطريقة المبتدعة ليس توحيد الله أو العبودية له بل مقصودهم هو طلب"المعرفة بالله"ومحاولة الوصول إليه كما هو في الديانة الهندية تعالى ربنا عن ذلك علواً كبيراً ذلك أن المعتنقين لهذا الدين الوثني يعتقدون أن الله يحل في أي صورة يختارها من صور أفراد الإنسان ليكملها ويطهرها"ولهم أوراد وأذكار يرددونها بأعداد كبيرة تقدَّر بالآلاف طلباً لتلك الغاية مع القيام بعمل التركيز على شيء معين.فقد اطلع بعض رجال الدراسة والبحث على هذه الرياضة البوذية البرهمية ، يقول أحدهم "أما عن ترويض نفوسهم والتحكم بقواهم العقلية فهم يمارسون بالإضافة إلى تلك الرياضات طرقاً شتى مثل قطع العلائق والروابط المجتمعي والخلوة الطويلة في مكان مقفر،وحبس الشهيق في الصدر وتحديق النظر في شيء ثابت لا تبارحه العين وترديد كلمة معيّنة على نغم واحدٍ ، وحصر الذهن في موضوع معين لا يتعداه الفكر ...إلى غير ذلك من الممارسات والتجارب التي يتوصلون بها إلى طرد كافة المؤثرات والمشاغل عن الأذهان وإخراج الطاقات البدنية والعقلية عن وظائفها الأساسية وتجميعها لحساب غرض واحد:وهو الخروج عن المظهر العام للناس في كل شيءٍ واختراق القوانين المألوفة للحياة الطبيعة ،والعجيب في أمر هؤلاء السحرة الذين يتبعون تلك الرياضات البدنية الشاقة والإنتحارات الذهنية المتكررة أن أحدهم يصير بعدها وكأنه قد تلاشت فيه حدود الأشياء وتساوت في نظره الأضداد فهو لا يحب ولا يكره ، ولا

يعرف ولا ينكر ، ولا يسر ولا يحزن ، وهو يذهل عن نفسه حتى لا يشعر بما يصدر عنه من انفعالات أو يدخل عليه من مؤثرات ، ولعل بفعل ذلك تتولد عنده القدرة على الإتيان بأعمال السحر أو التخييل أو التنويم فيراه الناس قادراً على أن يهدئ الأسد الغاضب بنظره ، ويلاعب النمر الجائع فلا يأكله ، ويختفي عن أنظار المشاهدين وهو في وسطهم يحادثهم ويسألهم ، ويقرأ الأفكار في الأذهان حتى يتوهم البسطاء أنه يرى البعيد ويعلم الغيب.

لقد اقتبس قدماء النقشبندية هذه الظاهرة من البوذية ، وقمصوها بمصطلح "يادكرد"وحملوا عليها معنى الذكر ، وجعلوها ركناً من أركان طريقتهم لذا يستحيل على الجهلة بطبائع الأديان منهم أن يكتشفوا سر هذا الاقتباس وخاصة الشيوخ المعاصرون من الأتراك الأكراد لهذه الطائفة أغلبهم جهلة لا ثقافة لهم فلا يتأنى لأحدهم أن يقارن بين الأديان والمعتقدات فيكشف ما تسربت من بعضها إلى بعضها ، وما طغت بعضها على بعضها بتأثيرات شتى وأشكال مختلفة عبر القرون. كذلك فهم يجهلون الفرق العظيم بين مفهومي "العبادة لله" وبين"المعرفة بالله"بينما الأول منهما هو مراد الله الذي خلق الإنس والجن لأجله أما الثاني فهو مستحيل بمعنى التوصل إلى المعرفة بذات الله .

إن من الأوراد المعروفة في الديانة الهندية أربع كلمات مقدسة في اعتقاد مجوس الهند وهي om*mani padme *hum* يرددها دراويشهم ورهبانهم بأعداد كبيرة ومحددة تقدر بالآلاف ، بحيث يغيبون عن أنفسهم بتأثير التكرار وأحياناً تظهر منهم أفعال غريبة وأطوار عجيبة وخوارق للعادة يتأثر بها الناظرون ويندهش منها المشاهدون كالمشي . على الجمار وسحق الزجاج بالأسنان وابتلاع مكسراتها وطعن الرماح في أنحاء البدن وما أشبه ...فقد شاعت هذه الأشكال من الشعوذة بين الصوفية أيضاً وبخاصة المنتسبين منهم إلى الطريقة القادرية والرفاعية.

أما حالة الغياب فإنها كذلك تعرض لبسطاء النقشبندية بعد تكرارهم للأوراد التي يكلفهم بها شيوخُهم فيغيبون عن أنفسهم مدةً ويظنون بعد الصحوة أن الله قد حلّ فيهم ويسمون هذه الحالة "الفناء في الله" فتتمثل هذه البدع بكل ما سبق الحديث عنه في الذكر[988] .

المطلب الثاني :

مناقشة الذكر حال الاجتماع المعروف عندهم بالختم النقشبندي ، وهو ما يسمى أيضاً بالختم الخوجكاني وهم يقيمون هذا الذكر من خلال حلقة سرية في صباح يومي الجمعة والثلاثاء ، وكلمة ختم الخوجكاني كلمة فارسية تعني:

ذكر المشايخ وسبب التسمية يرجع إلى أمرين:

الأول : أنهم يقرأون الفاتحة في ختام المجلس كما يتم قرأتهم لها في فاتحته.

الثاني : أن الشيخ عندما يهم بالانصراف حال اجتماعه بمريديه بختم المجلس بهذا الذكر ، وهذا يكون علامة لختام المجلس.[989] وسأناقش في هذا النوع من الذكر عدة أمور:

الأول : حكم الاجتماع للذكر.

لقد اختلف العلماء في حكم الاجتماع للذكر على قولين:

القول الأول : أن الاجتماع للذكر وقراءة القرآن مستحب سواء في مسجد أو مدرسة أو رباط[990] أو غيرها من المواضع إذا لم يقترن ذلك ببدعة كالذكر بصوت واحد ، أو مصاحبة الذكر بحركات مبتدعة كالتمايل والدوران وغيرها أو إفراده بزمان ومكان معين واتخاذ ذلك سنة راتبه .

988(1) الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها:ص57

989(1) انظر ص من الرسالة.

990(2) الرباط:أصله-مصدر رابطت أي لازمت,ورابط الجيش اقام في الثغر,والاصل ان يربط هؤلاء وهؤلاء خيلهم,ثم سمي الاقامة في الثغر مرابطة,والرباط هو المواظبة على الامر,انظر لسان العرب (5/122).

وإلى هذا القول ذهب الجمهور من الحنفية[991] والشافعية[992] والحنابلة[993] وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية فقد قال : " الاجتماع لذكر الله ، واستماع كتابه ، والدعاء عمل صالح وهو من أفضل القربات والعبادات في الأوقات ، لكن ينبغي أن يكون هذا أحياناً في بعض الأوقات والأمكنة فلا يجعل ذلك سنة راتبه يحافظ عليها"[994] ولهم أدلتهم على ذلك.

القول الثاني : أن الاجتماع لقراءة القرآن وذكر الله تعالى مكروه ، وقد نقل هذا القول عن الإمام مالك وقد روى رجوعه عنه .[995]

وعلى ذلك فالاجتماع للذكر وقراءة القرآن مستحب على حسب القول الأول وهو الراجح وقد ورد الترغيب فيه إن لم يقترن ببدعة ، فإذا أردنا تطبيق هذا الإجماع على اجتماع النقشبندية ، نجد أن اجتماع النقشبندية للذكر فيه كثير من البدع كما تم بيانه في وصف الختم[996] وهي :

أولاً : ترتيب أذكار بأعداد وأجور لم ترد في الشرع.

ثانياً : الذكر بالحصى.

ثالثاً: إغلاق الباب.

رابعاً: الرابطة.

وسأناقش كل نقطة على حده فيما سيأتي بإذن الله.

أولاً: ترتيب أذكار وأجور لم ترد في الشرع :

لقد ذهب النقشبندية إلى ترتيب الختم المشهور في طريقتهم حيث يبدأ بالفاتحة بعدد معين – والصلاة على النبي بعدد معين أيضاً وقراءة سورة الانشراح ، والإخلاص ...

---

[991](3) حاشية ابن عابدين(2/377).

[992](4) المجموع شرع المهذب للشيرازي (2/192)للامام يحيى بن شرف النووي,تحقيق:محمد المطيعي-دار إحياء التراث العربي,1995م-1415هـ.

[993](5) الفروع)1/554)للشيخ العلامة شمس الدين محمد بن مفلح,مكتبة المعارف,الرياض,الطبعة الثالثة,1402هـ.

[994](1) مجموع الفتاوى(22/520-521).

[995](2) صحيح مسلم (17/22 نووي).

[996](3) انظر ص132من الرسالة.

ويختلف الختم بترتيبه بحسب الشيخ فلعبد الخالق الغجدوان ختم ولمحمد بهاء نقشبند ختم و للفاروقي أيضاً وهم يرتبونه بحسب رؤية كل واحد منهم .

ولكنهم يتفقون على تفضيل الختم على بقية الأوراد ويعتبرون أن كل متوان عنه متهاون بالطريقة أو بالدين عموماً ، ويعتبرون أن هذا الختم من أكبر نعم الله على عباده وله فائدة عظيمة فهو كما ثمَّ بيانه.

محك لصدأ قلوب المريدين ومظهر لأشعة أنوار الغيوب عند السالكين به تقضى الحوائج وتدفع البلايا ، وبه ترفع الدرجات وتظهر به التجليات .

ولهذا الختم وقت ، ووقته صباح يومي الجمعة والثلاثاء وذلك لأنه أرجى للقبول وأقرب للإجابة[997] على حد قولهم .

وعلى ذلك نقول :

إن اختراع أدعية و أذكار مرتبة لبعض الأزمان من ساعة ، أو يوم ، أو ليلة ، أو أسبوع ، أو شهر ، أو عام ، ولم يقم عليها دليل ، فإنه بدعة في الدين وتعبد بما لم يأذن به الشرع الكريم .

وأما الأزمنة : فالأصل أن ذكر الله تعالى مستحب في كل وقت وفي كل زمن ، وورد الشرع باستحبابه في أزمنة معينة ، كشهر رمضان ، وعشر ذي الحجة ، ويوم عرفة ، ويوم الجمعة ، وفي الغدو و الآصال، وأطراف الليل والنهار ، وعقيب الصلوات المفروضات، لما لهذه الأوقات من فضل .أما اخترع أوقات معينة يخصص فيها الذكر ، فإنها بدعة ما أنزل الله بها من سلطان .[998]

وفي ذلك قال ابن تيمية : " فأما اتخاذ اجتماع يتكرر بتكرر الأسابيع أو الشهور أو الأعوام ، غير الاجتماعات المشروعة ، فإن ذلك يضاهي الاجتماع للصلوات الخمس ، وللجمعة ، وللعيدين ، والحج وذلك هو المبتدع المحدث".[999]

997(1) انظر ص133من الرسالة.

998(2) مجموع الفتاوى(25/307-314).

999(3) إقتضاء الصراط المستقيم (2/634).

قال الشاطبي : عند الكلام عن البدع الإضافية :"ومن ذلك تخصيص الأيامِ الفاضلة بأنواع من العبادات التي لم تشرع لها تخصيصاً ، كتخصيص اليوم الفلاني بكذا وكذا من الركعات ، أو بصدقة كذا كذا ، أو الليلة الفلانية بقيام كذا كذا ركعة ، أو بختم القرآن فيها وما أشبه ذلك .... ولا حجة لمن يقول : أن هذا الزمان ثبت فضله على غيره ، فيحسن فيه إيقاع العبادات ، لأنا نقول : هذا الحسن ، هل ثبت له أصل أم لا ؟ فإن ثبت، فمسألتنا كما ثبت الفضل في قيام ليالي رمضان وصيام ثلاثة أيام عن كل شهر وصيام الاثنين والخميس فإن لم يثبت فما مستندك فيه والعقل لا يحسن ولا يقبح ولا شرع يستند إليه ؟ فلم يبق إلا أنه ابتداع في التخصيص ، كإحداث الخطب ، وتحري ختم القرآن في بعض ليالي رمضان". [1000]

ثانيا:الذكر بالحصى:

اختلف العلماء في حكم عد الذكر بالحصى والنوى ونحوهما على قولين:

القول الأول : أن عد الذكر بالحصى ونحوه جائز لا بأس فيه إذا اتخذ لغير الرياء ونحوه وقال بعض الحنفية[1001] وبعض الشافعية[1002] وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية[1003] استدلوا : بحديث سعد بن أبي وقاص - : أنه دخل مع رسول الله على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به " فقال:أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا أو أفضل؟فقال :سبحان الله عدد ما خلق في السماء وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض وسبحان الله عدد مابين ذلك وسبحان الله عدد ما هو خالق والحمد لله مثل

1000(1) الاعتصام(1/486-487).

1001(2) البيان في شرح الهداية(2/477)لابي محمد العيني,دار الفكر-بيروت-الطبعة الثانية-1411هـ-1990م.

1002(3) العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير(2/85)للامام ابي القاسم عبدالكريم بن محمد الرافعي القزويني,تحقيق:علي محمد معوض,وعادل احمد عبدالموجود-دار الكتب العلمية-بيروت.

1003(4) مجموع الفتاوى(22/506).

ذلك والله اكبر مثل ذلك ولا إله إلا الله مثل ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك ". [1004]

وجه الدلالة:أن النبي لم ينهها عن ذلك و إنما أرشدها إلى ما هو أيسر وأفضل ولو كان مكروهاً لبين ذلك .

القول الثاني : أن عد الذكر بالحصى والنوى ونحوها بدعة وبه قال بعض الحنفية[1005] وبعض أهل العلم المتأخرين .[1006] واستدلوا : بأن ذلك يخالف ما نقل من إقرار المصطفى والبدعة هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله .والراجح : والله اعلم – هو القول الأول بأن التسبيح بالحصى والنوى ونحوها جائز إلا إذا اتخذ للرياء ،أو إذا صاحبها اعتقاد أنها تعاويذ وتمائم ، أو وقاية من الحسد والأخطار فهذا لا شك في كونها بدعة محرمة . والأفضل ما وردت به السنة من العد بالأنامل.

ثالثاً : مناقشة دليلهم في إغلاق الباب أثناء الختم :

لقد ذهب النقشبندية إلى أن اجتماعهم لا بد و أن يكون ضمن حلقة سرية لا يدخلها غريب عن طريقتهم ذلك لأن لهم نظام معين تدار به حلقتهم ودخول الغريب بين صفوفهم يخل بنظامهم لهذه الحلقة أو هذا الختم ، فذهبوا يبحثون من السنة على ما يبرر لهم هذا التصرف فاستدلوا بحديث يروونه ، أن النبي جلس يوماً بين أصحابه ، وذكر الله - عز وجل- ، وهذا الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ، والطبراني في معجمه الكبير[1007] ، ونص الحديث : حدثنا الحكم بن نافع ، قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن راشد بن داود ،عن يعلى بن شداد ، قال : حدثني أبي شداد بن أوس ، وعبادة بن الصامت قال : كنا عند النبي ، فقال : هل فيكم غريب " يعني من أهل الكتاب" ، فقلت : لا ، يا رسول الله ، فأمر

1004(5) أخرجه الترمذي (5/222-223)وقال حديث حسن غريب وابو داوود(2/169-170).

1005(6) البناية شرح الهداية(2/477).

1006(7) كالشيخ بكر ابو زيد في رسالته(المسجة تاريخها وحكمها).

1007(1)مجمع الزوائد (1/164) ، ضعيف الترغيب والترهيب لمحمد ناصر الألباني رقم 429 ، (1/232) مكتبة المعارف الرياض ، بدون رقم وتاريخ

بغلق الباب ، وقال : ارفعوا أيديكم ، وقولوا : لا إله إلا الله ، فرفعنا أيدينا ساعة ، ثم وضع رسول الله يده ، ثم قال : الحمد لله ، اللهم بعثتني بهذه الكلمة ، وأمرتني بها ، ووعدني عليها الجنة ، وإنك لا تخلف الميعاد ، ثم قال : أبشروا ، فإن الله قد غفر لكم .

وعند دراسة سند هذا الحديث وجدت أن إسماعيل بن عياش حذر منه الإمام مسلم في مقدمة الصحيح، روى خبرا قال فيه : حدثنا الدارمي ، أخبرنا زكريا بن عدي ، قال: قال لي أبو إسحاق الفزاري : لا تكتب عن إسماعيل بن عياش ما روى عن المعروفين ، ولا عن غيرهم .[1008]
وقال عنه الحاكم في مستدركه[1009] : حال إسماعيل بن عياش يقرب من الحديث وقد نسب إلى سوء الحفظ .
كما أن راشد بن داود وصفه علماء الجرح والتعديل بأنه صدوق ، له أوهام . وقال عنه البخاري : فيه نظر . وصرح الدار قطني بتضعيفه ، حين قال : ضعيف ، لا يعتبر به [1010]، فالإسناد فيه راويان ، أحدهما : صرح العلماء بعدم الكتابة عنه ، وبالتالي تكون رتبته في علم الجرح والتعديل هي التاسعة ، والثاني : صرح الدار قطني بتضعيفه ، وبالتالي يكون الإسناد متروكا ، وهي أوهى درجات الحديث قبل الموضوع ، وحكمه لا يحتج به مطلقا، ولا ينقل بهذا الإسناد مطلقا . وأما من حيث المتن : ففيه غرائب كثيرة أولها سؤال النبي :هل فيكم غريب؟يوحي بأن هذه الواقعة كانت بعيدة عن أعين الناس،وأنها وقعت في مكة،ويلغي هذا الاحتمال أن شداد بن أوس،وعبادة بن الصامت من الأنصار،وأوس والد شداد بايع في بيعة العقبة،وقتل يوم أحد،ولو كان شداد شاباً فتياً آنذاك لقاتل يوم أحد، ولكنه كان صغيراً ،وبالتالي لا يستطيع أن يحضر لهذا المجلس مع النبي قبل يوم أحد،وبالتالي يكون زمن هذه الرواية بعد زمن أحد،وما كان رسول الله ليسأل عن

1008(2)صحيح مسلم (1/25 نووي).
1009(3) المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري (1/679) دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 ، 1411هـ /1990م ، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا مع تعليقات الذهبي في التلخيص .
1010(1) ميزان الاعتدال(3/55).

الغرباء من أهل الكتاب حتى يستفتح الذكر،ومن غرابة هذا الحديث أيضاً أن يرفع النبي يديه طوال فترة الذكر،ولم يتكرر هذا الأمر مرة ثانية طوال البعثة،ولم يرى النبي يرفع يديه ساعة في أمر اخرمن العبادات حتى يرفعها في الذكر.[1011]

أما عن رواية الطبراني لهذه الواقعة فقد كان نصها:حدثنا أحمد بن المعلى الدمشقي،والحسين بن إسحاق التستري،قالا:ثنا هشام بن عمار،ثنا عبد الملك بن محمد الصناعي، ثنا راشد بن داود الصنعاني،ثنا يعلى بن شداد بن أوس،عن أبيه قال:إني لمع رسول الله في بيت رجل من أصحابه،فقال:انظروا,هل فيكم من غيركم،فقالوا، لا,فقال: احف "أي أغلق" الباب، فأغلق الباب،ثم قال:ارفعوا أيديكم، وقولوا: لا إله إلا الله، فرفع رسول الله ،فرفعنا أيدينا،ثم قال: ضعوا أيديكم،وابشروا فقد غفر لكم،إني بعثت بها،وبها أمرت، وعليها أدخل الجنة.

والتعليق على حالة السند أن طريق الحديث ينتهي إلى راشد بن داود،عن يعلى،عن أبيه،وهو نفس الطريق السابق،وراشد كما ذكرنا صدوق له أوهام،وفيه نظر،وصرح الدار قطني بتضعيفه.كما أن هذه الرواية تلغي أمر رفع اليدين،وأيضا لا تتفق مع الرواية الأولى في تكرار الذكر بـ"لا إله إلا الله"وأقل ما يوصف به هذا الحديث،أنه حديث ضعيف، والحديث الضعيف لا ينقل إلى الناس إلا مع التنبيه على ضعفه، ولا يحتج به، ولا يعمل به،ولو أراد النقشبندية أن يستندوا إلى هذا الحديث لمشروعية غلقهم للباب،نقول لهم:إن أمور هذا الدين التي تدل الناس على الخير العظيم،لا ينقلها إلينا الصحابة والتابعين من خلال طريق معلول،إنما يحدده القرآن الكريم في آياته المحكمات،وتؤكده الأحاديث الصحيحة من سنة المصطفى .[1012]

رابعاً..الرابطة:

1011(2) انظر عقائد الصوفية,ص 432_433. .

1012(1) انظر عقائد الصوفية,ص 433 .

تعد الرابطة من أعظم الأركان في الطريقة النقشبندية ويعدها النقشبندية من أعظم أسباب الوصول.

والحقيقة أن الرابطة ديانة مستقلة بأصولها وآدابها وأركانها وطقوسها ولكنها طليت من خارجها بصبغة من الإسلام وهي كما تم تعريفها عبارة عن :

استمداد المريد من روحانية شيخه الكامل الفاني في الله ليحصل له الفيض ,إن فكرة تركيز الفكر على جسم بعينه أو تخيله من غير اتصال يعد من الأمور التي أخذها النقشبدية من تقاليد الهندوس[1013] وهو شكل من أشكال رياضة اليوغا التي مرّ الحديث عنها في مناقشة كيفية الذكر .

فالرابطة كما تم بيانها تحتوي على أمور خطيرة:

أولها :الاستمداد من أرواح المشايخ باعتبارها الواسطة بين المريد وبين ربه .

ثانيا : أن يكون الشيخ فانياً في الله فعلى المريد أن يفنى في شيخه الفاني كمقدمة للفناء في الله وقد تم تعريف الفناء في الله بحسب مفهومهم له فيفني المريد في شيخه الفاني حتى يحصل له الفناء في الله.

والمتبع للرابطة طريقة وغاية كما بيناها باعتبارها ركنا أساسيا في طريقتهم يجد أنها وسيلة لترويض المريد على تبعية الشيخ،فليس له من أمره شيء إنما هو مسلوب الإرادة مربوط بشيخه لا يكاد ينفعك منه دائم الصلة به فإذا فتر عن شيخه ولو لحظة واحدة انقطعت عنه البركة وسد عليه باب الفيض على حد تعبيرهم ..

إن الرابطة بالشيخ أثناء الذكر مدخل من مداخل إبليس وناقض من نواقض التوحيد الخالص تصرف قلب الذاكر إلى غير الله وتشرك مع غيره في التوحيد فهذا هو حقا الشرك مع الله.

إن الذكر لم يسمى ذكراً إلا لتعلق القلب والفكر بالله وحده دون سواه وهذا هو جوهر الذكر وحقيقته فالفتح

[1013](2) تقدم التعريف بهم.

والمدد والتوفيق يأتي من الله وحده على قدر إخلاص المسلم وصدقة واستقامته مع الله.[1014]

مناقشة أدلتهم في إثبات الرابطة:

لقد استدل النقشبندية في إثبات هذا الركن والذي اعتبروه من أعظم أسباب الوصول بآيتين كريمتين من كتاب الله ، وهي قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [المائدة: 35] وقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [التوبة: 116] واتبعوهما بحديث " المرء مع من أحب".[1015]

وعند مراجعة تفسير الآيتين بالرجوع إلى كتب التفسير المختلفة وجدت أنه قد قام عليهم الدليل بما استدلوا به ، فلم أجد بين طبقات المفسرين من علماء الإسلام أحداً ، إلى الرابطة في تفسير الآيتين ولم يشار لهما في سنة المصطفى ﷺ بكلمة مما يدل على أنها من إضافات النقشبندية .

الدليل الأول :

قوله تعالى ﴿ [illegible] ﴾ [المائدة:35] يقول الله تعالى أمراً عباده بتقواه، وهي إذا قرنت بطاعته كان المراد بها الانفكاك عن المحرمات وترك المنهيات ، وفي قوله بعدها : ﴿ [illegible] ﴾ فقد قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء ، عن ابن عباس : أي القربة وقال قتادة : أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه وهذا المعني لا خلاف بين المفسرين فيه[1016] فعلى ذلك فالوصول إلى الله لا يكون بما يفعله النقشبندية من الرابطة وغيرها ،؟ وإنما يكون بالعمل الصالح كما بينه الكتاب والسنة فقد قال تعالى: ﴿ [illegible]

[1014](1) انظر هامش تنوير القلوب ص562-563.

[1015](2) سبق تخريجه.

[1016](1) انظر تفسير القرآن العظيم(2/57).

[illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [التوبة 20، 22] وقال تعالى:(وعد الله الــذين امنــوا وعلمــوا الصــالحات لهم مغفــرة وأجر عظيم) وقـــــال تعـــــالى [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [لقمان:8-9].

هذا وفي كتاب الله آيات كثيرة تبين المراد من مفهوم "العمل الصالح" وهي أداء الفــرائض من الصـلاة والصـوم والحج والزكاة والجهاد وما يتصل بها من الســنن والنوافل والصدقات ؛ وغيرها من الأعمال الصالحة.

الدليل الثاني :

استدلالهم بقوله تعالى: [illegible] ﴿ [illegible] ﴾ [التوبة:119].

فقد نزلت هذه الآية وما قبلها في غزوة تبوك حيث تضمنت توبة الله علي الثلاثة الذي خلفوا وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية .

بعد أن فرج الله عنهم ما نزل بهم من الضيق والكرب من هجر المسلمين إياهم نحو خمسين ليلة بأيامها ، فصبروا لأمر الله وثبتوا حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله في تخلفهم ، فكان عاقبة صدقهم خيراً لهم وتوبة عليهم .

وقد جاء في تفسير ﴿ [illegible] ﴾ أي أصدقوا وألزموا الصدق تكونوا من أهله ، وتنجوا من المهالك ، ويجعل لكم فرجاً ومخرجاً . وقال الإمام أحمد ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبدالله – هو ابن مسعود – قال رسول الله ﷺ : "عليكم بالصدق . فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحري الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور و إن الفجور يهدي إلى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحري الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً ".[1017]

[1017] (1)صحيح مسلم(4/2012)رقم(2607)ومسند احمد(1/384)والترمذي(4/347).

وجاء في تفسير قوله تعالى وكونوا مع الصادقين محمد وأصحابه.[1018]
وعلى ذلك فقد جاء في تفسير العلماء لهذه الآية على نقيض ما جاء في تأويلات النقشبندية الذين بذلوا جهوداً بالغة ليمدوا الجسر بين رابطتهم المستوحاة ، من البرهمية ، وبين آيات الله بطرق ملتوية يستحيل أن يوافق عليها أهل العلم والبصيرة .[1019]

إن الخلاف بين النقشبندية وبين أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً ، في الحقيقة لم يقتصر على أمور هامشية ، بل تجاوز إلى حدود بعيدة بدءاً من النظر في ذات الله تعالى وانسياقا إلى التعبير عن أسرار الكون والحياة و إلى تأويل آيات القرآن ، كما سبق في تفسير الآيتين المذكورتين . فقد ابتدعوا طريقة خاصة في تفسير القرآن سمي بالتفسير الإشاري ، فاتسعوا بذلك في تأويل الآيات إلى حدود خرجوا بها من إجماع أئمة التفسير, ذلك ليستدلوا بها على صحة ما اختلقوه من معتقدات .

وصدق فيهم قول ابن الجوزي عندما تحدث عن كتاب السنن لأبي عبدالرحمن السلمي[1020]
الذي جمع لهم فيه " حقائق التفسير" قال :
" فذكر فيه العجب في تفسير القرآن ، بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم ، وإنما جعلوه على مذهبهم . والعجب من ورعهم في الطعام ، وانبساطهم في القرآن ".[1021]

1018(2) تفسير القرآن العظيم(2/411).
1019(3) النقشبندية بين ماضيها وحاضرها,ص58.
1020(1) ابو عبد الرحمن السلمي:هومحمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأذدي,السلمي,النيسابوري,ولد سنة 325هـ,وتوفي سنة 412هـ,قال الذهبي:"شيخ الصوفية,وصاحب تاريخهم,وطبقاتهم,وتفسيرهم",قيل كان يضع الاحاديث للصوفية,انظر ترجمته "في ميزان الاعتدال في نقد الرجال"(3/46-47)و"سير اعلام النبلاء"(17/247-255).
1021(2) تلبيس ابليس:ص201-205.

المطلب الثالث : مناقشة الأذكار والأوراد النقشبندية و إلزام المريد بها:

إن من اخطر الآداب الواجبة على المريد – هي الأوراد ، فمشايخهم لم يكتفوا بقطع العلائق وسد الطرق على المريد إلا من طريق شيخه و إحكام السيطرة عليه . فالشرع شرع الشيخ يحلل ويحرم ويأمر وينهى وبالرابطة بشيخه يأتيه الفيض ، بل زادوا على ذلك فحصروا مريديهم في أوراد رتبوها و ألفوها من عند أنفسهم وألزموا بها مريديهم .

بحجة أن المريد مريض والشيخ طبيبة وفي هذا ما يشير إلى علاقتهم بعلم الجفر، وجعلوا الذكر بحسب الوفق بمعنى أن يذكر المريد وفق اسمه من أسماء الله الحسنى عقب كل فريضة بحسب توجيه ابن عربي لهم.

علم الجفر[1022] – هو علم من علوم الحروف يقوم على أن كل حرف عربي يقابله رقماً حسابياً بطريقة أبجد هوز حطي كلمن فالألف يعادلها واحد ، والباء اثنين ، والجيم ثلاثة ... وهكذا . وبالتالي يمكن تحديد رقم حسابي لكل كلمة من الكلمات.

وأن هذا الرقم يرمز إلى دلالات يعرفها من يستطيع تطبيق قواعد هذا العلم . وقد روج الصوفية لهذا العلم ، فنرى كثير من المؤلفات الصوفية تتناول الحروف وأسرارها ، وربط هذه الحروف بمنازل القمر ، وأحكام البروج ، ثم خاضوا في أسرار فواتح السور ، وخواص أوائل القرآن ، مثل " الر " ، " المر " ثم انشغلوا بالاسم الأعظم لإدراك الفتوحات الإلهية ، والعلوم اللدنية .

1022(3) الجفر:كتاب من جاد ثور صغير,والجفر في اللغة هو الضمير,يزعمون ان جعفراص الصادق كتب فيه علم,سيقع لاهل البيت على العموم,ولبعض الاشخاص منهم على الخصوص,وفي هذا المتاب تفسير القرآن وما فيه من المعاني الباطنة الغريبة,وقد ادعوا ان هذا الكتاب قد رواه هارون بن سعيد العجلي-وهو رأس الزيدية-عن جعفر الصادق-ولا شك ان ذلك كذب على جعفر الصادق-لم تتصل روايته ولا عرف عينه.انظر مقدمة ابن خلدون ص334 ومجموع الفتاوى(78/4-79_ 183/35).

بل قال كثير منهم : كل اسم منها اسم عظيم في حق من وافقه وتقرب أو دعابة والنقشبندية لا يخالفون غيرهم من الطرق في ذلك ، فعلى المريد عندهم أن يذكر وفق اسمه من أسماء الله الحسنى عقب كل فريضة ثم يذكر بعد اسم الموافقة يا عزيز "94"مره. فإن لذلك خاصية روحية في الاستمداد من أنوار الاسم الإلهي ، والصدق فيه يحقق الإجابة المرجوة ، يذكر الدكتور جودة المهدي في كتابة النفحات الجودية[1023] . قولاً لابن عربي للدلالة على ما سبق . قوله .كما صرح سيدي يحي الدين بن عربي في " الفتوحات المكية" بأن من أراد الفتوح ، وسعادة الدارين، فليستخرج عدد اسمه بالجمل ، وليأخذ من أسماء الله تعالى ما يوافق هذا العدد وليذكرها جميعاً بعدد اسمه على حساب طاقته".وقد بين ذلك في جدول تضمنه كتابة لكي يتعرف المريد على الاسم الذي يذكر به، حسب القواعد التي سنها ابن عربي.

وهكذا أصبح ذكر الله ، عند أصحاب هذه الطريقة عمليات حسابية ، وضع أساسها اليهود .

فقد استخدم هذا العلم اليهود المعاصرون لظهور الإسلام ، وذلك ليحسبوا مدة ملك الإسلام ، ومتى سيزول.

وهذا ما يؤكده الحديث الذي رواه ابن عباس - رضي الله عنه - عن جابر بن عبدالله ، أنه قال: مر أبو ياسر ابن أخطب من رجال في يهود برسول الله ﷺ وهو يتلو فاتحة سورة البقرة ﴿ [illegible] ﴾]البقرة : 2[فأتى أخاه حبيب بن أخطب في رجال من اليهود فقال : تعلمون والله قد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾

فقال : أنت سمعته

قال : نعم ، قال : فمشى حبيب بن أخطب في أولئك النفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ.

فقالوا : يا محمد يذكر أنك تتلو فيما أنزل الله عليك " الم .. الآية " ,فقال رسول الله ﷺ : بلى فقالوا : جاءك بهذا

[1023](1)النفحات الجوديةص47.

جبريل من عند الله ؟,فقال : نعم ,قالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بينَّ لنبي منهم مدة ملكه وما أجل أمته غيرك,فقام حبيب ابن أخطب و أقبل على من كان معه فقال لهم : الألف واحده واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة أفتدخلون في دين نبي إنما مده ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنه ؟ ثم أقبل على رسول الله فقال : يا محمد هل مع هذا غيره ؟ فقال : نعم ، قال : ما ذاك ؟ قال : " المص", قال : هذا أثقل وأطول ، الألف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد سبعون فهذه إحدى وثلاثون ومائتان سنة. فهل مع هذا غيره يا محمد ؟ قال : نعم ، قال ما ذاك؟ , قال : الر , قال : هذا أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فهذه إحدى وثلاثون ومائة سنة , فهل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : نعم , قال : ماذا قال : "المر" قال : هذه أثقل وأطول الألف واحده ، واللام ثلاثون والميم أربعون والراء مائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتان ، ثم قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد ما ندري أقليلاً أعطيت أم كثيراً ,ثم قال : قوموا عنه ، ثم قال أبو ياسر لأخيه حبيب بن أخطب ولمن معه من الأحبار : ما يدريكم لعله قد جمع لمحمد هذا كله,إحدى وسبعون وإحدى وثلاثون ومائه وإحدى وسبعون ومائتان فذلك وإحدى وثلاثون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع سنين؟فقالوا لقد تشابه علينا أمره .[1024]

وقد ذكر ابن كثير أن هذه الرواية ضعيفة إلا أنها على ضعفها تؤكد عناية اليهود بهذا العلم،ودليل على بطلان مسلك من زعم أن الحروف المقطعة في أوائل السور تدل على المدد وأنه يستخرج منها أوقات الحوادث والفتن والملاحم .

ولقد اقتبس الصوفية علوم الحروف التي أحدثها اليهود ومنها .علم الجفر،وحساب الجمل،والسحر،والتنجيم،وغيـــــرها, والتي استعان بها

[1024](1) تفسير القرآن العظيم(1/41-42).

كهان النصارى وأحبار اليهود وهي لا تخرج عن كونها استعانة بالجن ونوع من الحيل ومهارة السحر .
ويستعمل الصوفية هذه العلوم في فك المربوط ومعالجة الذي مسه الجن ومعرفة الغيبيات وغير ذلك من الأمور التي تؤكد العلاقة الوثيقة بين الصوفية والجن .[1025]

والمتتبع لأوراد الطريقة النقشبندية يجد انه لا يخلو ورد من أورادهم من التوسل والدعاء بالحروف المقطعة في أوائل السور وأسرارها الباطنة المودعة فيها وفوائدها الجمة فهم يلتمسون بركة الحروف استناداً إلى أن الحق تبارك وتعالى ذكرها في أوائل سور القران الكريم وقد اجتهد الصوفية عامة في فك الغاز الحروف والتعرف على أسرارها وصفاتها واستخداماتها.

لذا فقد قاموا بتجميع حروف أوائل السور ووجد أنها أربعة عشر حرفاً وأطلقوا عليها الحروف النورانية وبالتالي أطلقوا على باقي حروف اللغة العربية الحروف الظلمانية[1026]وهذا الأمر ينطبق بشكل كبير على الأوراد النقشبندية وقد رأيت أن اقتصر على ورد محمد بهاء نقشبند مؤسس هذه لطريقة كمثال على هذه الأوراد.

وقد لاحظت على هذا الورد تكرار الحروف المقطعة في أوائل السور بعد الدعاء بعدد معين مثل حم سبع مرات و طسم[1027]، يذكر جودة المهدي في معناها "قال بعضهم هو اسم الله الأعظم ومعناها الحي القيوم"[1028] والذكر بهذه الصيغة فيه مخالفة واضحة حيث لم يرد فيما ورد عن رسول الله مثل هذا .

يلاحظ أيضاً على هذا الورد ، استخدام الألفاظ الغريبة التي تحتاج إلى الرجوع إلى أمهات الكتب في اللغة لمعرفة معانيها مثل"اللهم اجعلني لُـهْمُوماً ظَلَفاً ولا تجعلني ضَنَيِناً وعَمِيناً ونَمِيماً ونَفَّاجاً ودَاحِساً.اللهم إنا نعوذ بك من الهَبْرمة،ومن الْجَأوَةِ ومن العُتُوِ ومن

[1025](1) عقائد الصوفية ص443,وانظرالكشف عن حقيقة الصوفية ص 859-870.

[1026](2) عقائد الصوفية ص444.

[1027](3) الاجابة الربانيه ص8.

[1028](4) النفحات الجودية هامش ص56.

الخَطْرَبة والخَيْلُولَة والفَيْهَجِ والرثَع والعَتْلِ والرَّمَاءِ والفِتَنْةِ الدَّهْمَاءِ".

وفي الصلاة على رسول الله من ورد محمد نقشبند :"نسألك أن تصلى على سيدنا محمد نبراس الأنبياء ونير الأولياء وزبرقان الأصفياء ويُوح الثقلين وضياء الخافقين". (1029)

فهذه العبارات لم ترد في الصلاة التي وردت عن النبي وهي من المبالغات حيث وصفوا رسول الله بأوصاف لم يصفه الله بها سبحانه في كتابة ولا وصف هو نفسه به في سنته، فضلاً عن كونها ألفاظ غريبة غامضة فكيف تكون صيغ ذكر يرددها العامة دون فهم لمعانيها.

غاية الذكر في ورد محمد بهاء نقشبند : "اللهم فهمنا أسراك وألبسنا ملابس أنوارك واغمسنا في راموز اللطائف وأفض علينا من عوارف المعارف يانور الأنوار يالطيف ياستار وأن ترفع وجودنا إلى فلك العرفان وتثبت شهودنا في مقام الإحسان يا الله يانور يا من السماء بأمره مبنية والغبراء بقدرته مدحية". (1030)

ومن الوظائف اليومية على المريد:

1-استغفر الله العظيم (258)مره.

2-اللهم صلى على سيدنا محمد النور وآله(258)مره.

3-لا إله إلا الله (258)مره .

4-يا ذا الجلال والإكرام (258)مره .

5-يا رحيم (258)مره.(1031)

ويلاحظ في هذا الورد التقيد بالعدد باعتباره واجب سلوكي بالإضافة إلى استخراج اسم من أسماء الله وفق اسمه وقدتم بيان ذلك ، و في الصلاة على الرسول ذكروا بأنه النور وقد تم بيان قصدهم من ذلك ومناقشته.(1032)

[1029] (1) الاجابة الربانية ص19.

[1030] (2) الاجابة الربانية ص15.

[1031] (3) النفحات الجودية ص50.

[1032] (1) انظر ص307 من الرسالة.

كما أن من أورادهم التوسل برجال السلسة النقشبندية كما مر للاستفاضة منه...

والخلاصة :

إذا نظرنا في الأذكار والأوراد والأدعية والصلوات التي ألزم بها النقشبندية مريديهم فجعلوهم يتلونها ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً نجد أنها مبتدعة، وليس فيها أي ذكر مشروع لا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله وبالإضافة إلى أنها تشتمل على كل أنواع الضلال والباطل الكفر والشرك كما بينا ومن هنا نقول أن موقف الإسلام من هذه الأذكار والأوراد والأدعية والأحزاب التي ابتدعها النقشبندية هو الرفض لأن النقشبندية ابتدعوا هذه الأدعية والأوراد وجعلوا لها أوقاتاً مخصوصة تتلى فيها وأعداداً محدودة وشروطا معلومة واتخذوا هذه الأذكار شعاراً خاصاً بهم دون سائر المسلمين الذين ليسو على طريقتهم ويعتقد كثير منهم أن هذه الأذكار واجبة أو مندوبة ويرتبون على ذلك ما لا يحصي من الثواب كما بيناه فيما سبق ويستغنون بها عن الأوراد الشرعية الثابتة بالكتاب وهذا يعتبر تشريعاً لم يأذن به الله فهو بمثابة جعل الحلال حراما والحرام حلالا لقول النبي :"من عمل عملا ليس علية أمرنا فهو رد" وهذه الأذكار المبتدعة ليست من أمر النبي فهي مردودة على أصحابها لأنهم يعبدون الله بما لم يشرعه ومن شرط العبادة أن تكون مشروعة وقد نهى النبي في أحاديث كثيرة عن الابتداع في الدين أيا كانت هذه البدعة صغيرة أو كبيرة وتوعد عليها بالعقاب ووصف كل البدع بأنها ضلالة بلا استثناء وأخبر بأن أي أحد يعمل عملا لم يشرعه الله بقصد التقرب به إلى الله بأنه مردود على صاحبة .. فقد قال :"من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد" [1033] ,وهذه الأذكار ليست من الإسلام فهي مردودة على أصحابها وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كان رسول الله إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه

[1033](2) صحيح البخاري (5/301 فتح).

حتى كأنه منذر جيش يقول :"بعثت أنا والساعة كهاتين" ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول :" أما بعد فان أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ".[1034]

المبحث الثالث : مناقشة قواعد السلوك عند النقشبندية:

قواعد السلوك عند النقشبندية:

لقد ظهر بإقرار أئمتهم أن مبادئ طريقتهم كانت في البداية ثمانية ثم أضاف إليها محمد بهاء نقشبند ثلاثة أخرى فصارت أحد عشر مصطلحاً وهي تركيبات فارسية فيها أجزاء عربية للضروة.

أولاً:هُوشْ دَرْدَمْ :فمعناه حفظ النفس عند دخوله وخروجه عن الغفلة كما تم بيانه[1035] و يبدو من ظاهر هذه الكلمة أنها موافقة للحق إذ فيها حث على الحضور مع الله وعدم الغفلة قال تعالى: [الكهف :28]ولكن بعد إمعان الفكر في شكل هذا التركيب وأسلوب تفسيره فإنه لا يخفى أن هذه الصيغة مبناها على رواسب من عقائد برهميه[1036] وبوذية[1037] ، فهي رمز لمرحلة من مراحل الرياضة النفسية والوجدانية على طريقة أصحاب هذه العقائد ، أما ما يقصد من هذه الرياضة التي يقوم بها المريد من خلال تمرينات وجدانية ، فما هي في الحقيقة إلا محاولة لتمهيد السبيل حتى يقر السالك في نفسه عند نهاية المطاف:أن الله قد حلّ فيه أو هو حلَّ في الله-سبحانه عما يصفه الفاسقون-وذلك ليس إلا مقدمة لعقيدة وحدة الوجود ، كما يبرهن على هذه الخطة ، إدماج الباطل في قلب الحق ضمن مزيج من ألفاظ واردة في شرح هذا

1034(1) صحيح مسلم (6/153 نووي).

1035(2) انظر ص93من الرسالة.

1036(3)تقدم التعريف بها.

1037(4) تقدم التعريف بها.

المصطلح بأسلوب ماكر قل من ينتبه إلى خطورة ما تكمن وراءها من فكرة"الفناء في الله" بمعناه الباطل.

والخلاصة : أن من أرهق نفسه بمقارنة آداب النقشبندية مع أمثالها الموجودة في الديانات الهندية وجد المطابقة التامة بينهما "وكفى الله المؤمنين القتال".[1038]

ثانيا:نظر برقدم : فمعناها أن السالك يجب عليه أن لا ينظر في حال مشيه إلا إلى قدميه ولا في حال قعوده إلا بين يديه .[1039]

والحقيقة إن من وراء هذه الألفاظ غايات مشبوهة ودسائس خطيرة لا يتمكن من كشف الستار عنها إلا من أنار الله قلبه بهدي القرآن والسنة ,ذلك أن ما جاء في هذه العبارات من نصيحة المريد المبتدئ لا يتضمن شيئاً مما جاء في قوله تعالى: [illegible]]لقمان : 19[بل لا علاقة بين الأمرين إذ أن القصد في هذه الآية الكريمة " أي امش مشياً مقتصداً ليس بالبطيء ولا بالسريع المفرط بل عدلاً وسطاً بين بين" [1040] وعلى ذلك فالغرض من هذا المصطلح ليس إلا ترويض السالك المبتدئ على الخنوع والذل والمسكنة حتى ينسد عليه أبواب اليقظة والوعي فيتقبل كل مايأمره شيخه دون اعتراض فيصبح في النهاية عبداً مطيعاً لا يخالفه أبداً وإن كلفة باقتحام حرمة أو اقتراف جريمة كما سبق الحديث عنه في باب آداب المريد مع شيخه,وقدرات المشايخ.[1041]

إن تثبت النظر إلى أقرب مكان من الأرض نحو الأمام في حالتي المشي والقعود بصورة متواصلة لهي من أهم الشروط لصلاة اليوغا[1042] في الديانات الهندية وفي ذلك مقاصد منها:

[1038](1) الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها ص101-102.

[1039](2) انظر بشكل مفصل ص من الرسالة.

[1040](3) تفسير القرآن العظيم(3/448).

[1041](4) انظر ص155من الرسالة وما بعدها.

[1042](5) تقدم التعريف بها.

1-ترويض الإنسان على الذلة والمسكنة وهما من الفضائل في الديانة البوذية التي تستمد من حياة بوذا.(1043)

2- الانصراف من هموم الدنيا والآخرة تخلصاً من متاعبها و مشاقها وفقاً لتعاليم"بوذا الراهب الذي صدمته مشكلة آلام البشرية فقرر أن يقطع صلته بالماضي ويبحث عن الحقيقة السامية في التأمل وكان بوذا يعتقد أن الألم ينجم عن الرغبة وان التخلص من الرغبة يأتي بانتهاج "الطريق الثماني النبيل" (1044) الذي يتمثل بالسيرة الحسنة والفعل الحسن وانه من الممكن نتيجة لذلك بلوغ النرفانا(1045) Nirvana.وهي الحال من السعادة القصوى.

[1043](6) تقدم التعريف بها.

[1044](1) طريق الثماني النبيل:هو الطريق العملي لإزالة أسباب الألم والشقاء ولتحقيق نرفانا كما يزعمون وهو الطريق ذو الشعب الثماني والذي يتكون من الأمور الآتية:1- النظرة السليمة إلى الحقائق الأربعة المزعومة وهي: الألم,مصدر الألم,إعدام الألم,الطريق الى إعدام الألم .
2- النية السليمة والمراد البعد عن مقابلة السيء بالسيء.
3- القول السليم والمراد البعد عن الكذب.
4- العمل الطيب والمراد البعد عن القتل والسرقة والزنا.
5- العيش السليم بمقومات الحياة:الطعام واللباس والسكن والدواء.
6- الجهد الطيب,في سبيل إماتة الشهوات والقضاء عليها.
7- الفكر السليم,أي بالتأمل الذاتي في حقيقة الجسد,الحواس,النفس,الكون.
8- التركيز السليم,أي بالرياضة النفسية التي ثمرتها الوصول الى المعرفة ولها ثلاثة مراحل:
- الالتزام بالأخلاق البوذية.
- الرياضة النفسية بالتأمل الذاتي وتتضمن الجهد الطيب والفكر السليم والتركيز السليم عن طريق استعمال الصوت بتلفظ كلمة معينة مثل بوذا مع استحضار الذهن.
- التنور والمعرفة.انظر البوذية تاريخها وعقائدها,ص262-265.

[1045](2) النرفانا:ليست سوى ثمرة من تأملات بوذا الطويلة ومجاهداته الشاقة,قبل حصوله على الإشراقة فقد ادعى بوذا أنه اكتشف نرفانا بعد تأملاته العميقة في حياة الانسان وما يعانيه من أحزان وآلام وشيخوخة وموت فشرع يبحث عن الخلاص في النفس التي لا تفنى ولا تضمحل عن طريق:
1- التخلص من الالم الجسدي وهو الولادة والشيخوخة والمرض والموت.
2- التخلص من الألم النفسي كالحزن والكراهية والطمع.
وقد قسم البوذية النرفانا الى حالتين:
1- الفناء شبه التام وهو فناء القديس خلال حياته لأن جسمه لم يزل حياً.

وأما السعادة القصوى" أي النرفانا " تلك التي طالما يبحث عنها المجتمع البوذي ويسعى وراءها إنما هو "الفناء في الله" بعينه عند الصوفية.

إذا يتضح لنا بصورة جلية أن مصطلح "نظر برقدم" وما يشتمل عليها من المعاني الفلسفية هو مقتبس من البوذية دون شك . وأن الإسلام بريء من هذه الهرطقة ؛ كما يبرهن على ذلك حياة النبي ، وحياة صحابته – رضي الله عليهم - إذ أن رسول الله قد قام بمهام وأعمال عجز العلماء والمؤرخون عن حصرها .فقد قاد الجيوش واحتل منصب أول رئيس للدولة الإسلامية ، وراسل الملوك وهادن العدو وأبرم العقود والمعاهدات وقضى بين الناس بالحق وحكم بالعقوبات ، وأمر بتنفيذها إلى غير ذلك من الأمور التي تستوجب الحركة والانتباه والالتفات إلى حيث يقتضي . كل ذلك يبرهن على أن مقولة "نظر برقدم"بدعةٌ دخيلةٌ نتيجة التقليد للبوذية والبرهمية ."ومن تشبه بقوم فهو منهم".

ثالثاً : " سفر دروطن" ، "ومعناه أنه ينبغي أن يكون سفر السالك من عالم الخلق إلى جناب الحقّ سبحانه وتعالى " .وهذا المعنى ينطوي على عقيدة باطلة ، ما أنزل الله بها من سلطان . لأن قولهم " السفر من عالم الخلق " يعني الخروج والنزوح والتطهّر من الطبيعة المخلوقية ، والتدرّج إلى مقام الخالقية ، والاندماج في الله ! وهذا هو المقصود بعينه من كلمتهم " الفناء في الله " [1046], ولكن جاءت هذه الكلمة في صيغة جديدة كما هو دأبهم .

رابعاً : " خلوت در أنجمن" ، وهي على نوعين :

الأول : الخلوة من حيث الظاهر . وهي اختلاء السالك في بيت خالٍ عن الناس ، وقعوده فيه ، ليحصل له الإطلاع في عالم الملكوت ، والشهود في عالم الجبروت . و أقلها

2- الفناء التام وهو فناء الفناء وهو موت القديس بعد أن نال النرفانا المزعومة.انظر البوذية تاريخها وعقائدها.ص255-266.

[1046](1) انظر ص270من الرسالة حيث بينت مرادهم من الفناء.

ثلاثة أيام بلياليها ، ثم سبعة ثم شهر و أكملها أربعون يوماً .[1047]

والنوع الثاني : الخلوة من حيث الباطن . وهي كون الباطن في مشاهدة أسرار الحقّ ، والظاهر في معاملة الخلق بحيث لا تُشغلُهُ معاملة الظاهر عن مشاهدة الباطن . والله تعالى يقول : ﴿ [illegible] ﴾]الجن : 26-27[. وقد ختمت الرسالة بمحمد .أما الذين أشار الله إليهم في الآية المذكورة فالمراد بالرسول يعم الرسول الملكي والبشري[1048] ، وليس المراد الأولياء الذين تنسب إليهم الصوفية أنواع الكرامات والخوارق .

أما عن الخلوة فهي في اللغة : من فعل خلا المكان خلواً وخلاء ، و أخلى واستخلى ، فرع ، ومكان خلاء ليس فيه أحد .

وخلا : وقع في موضع خال لا يزاحم فيه .[1049]

واصطلاحاً : على طريقة أهل التصوف هو العزلة عن الناس في مكان خال كبيت مظلم أو غرفة بقصد العبادة ، وهذه هي العزلة عن الأغيار وهناك عزلة من النفس ولكن الأولى هي المقصودة هنا.

ودليلهم على فعلهم هذا ، فعل النبي – لما كان يتعبد في غار حراء بعيداً عن الناس قبل البعثة .

ونحن نقول أن هذا ليس دليل على ما ذهبوا إليه فهو :

أولاً : خاص بالنبي - ولو كان يقتضي العموم لحث صحابته على فعله بعد البعثة .

ثانياً : أنه لم يعد مشروعاً حتى في حق النبي بعد البعثة ولو كان كذلك لفعله واستمر عليه .

لكن المشهور الوارد عنه أنه كان يعتكف في العشر الأواخر من رمضان في مسجده وبقيت هذه السنة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام وفعلها صحابته بعده .هذا ما

1047(2) انظر تنوير القلوب ص566.

1048(1) انظر تفسير القرآن العظيم(4/443).

1049(2) القاموس المحيط ص1652.

ورد أما الخلوة لتربية النفس بشرط من الشيخ على المريد فهذا لم يكن من هدى النبي .

وقد بلغ صحابة رسول الله درجات من صفاء النفس وحسن التعبد لله بدون خلوة بهذا المعنى .[1050]

خامساً : يادكرد :

ومعناه : تكرار الذكر على الدوام ، سواء بالاسم المفرد أو النفي و الإثبات

بالطريقة التي تم بيانها عند الحديث عن الذكر ومناقشته .[1051]

سادساً : يازكشت :

ومعناه : رجوع الذاكر إلى المناجاة بعد إطلاق النفس وهو من متممات يادكرد ، فهم يحسبون النفس أثناء الذكر كما تفعله اليوغية في صلاة اليوغا ، ويقول " إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي" . ليجعلوا من هذا الخطاب صلة بين عقيدتهم وبين الإسلام . كي تنسجم مناسكهم مع دعاء المسلمين ومناجاتهم ؛ تعمية لهم .

أما في الحقيقة ، أن جميع المصطلحات بما فيها " بازكشت" ، لا تمت إلى الإسلام بصلة ؛ لا لفظاً ولا معنى . كما يتبين ذلك من الأغراض المقصودة بها من هذه الألفاظ والمعاني الكامنة فيها ؛ خاصة إذا نُزعت منها المفاهيم المقتبسة من قاموس الإسلام.[1052]

سابعاً : نكاهداشت :

فمعناه : الحراسة والحفظ و هو عندهم ، أن يحفظ المريد قلبه من الخواطر ، كما تم بيانه[1053] . والمقصود من ذلك في ظاهر كلامهم الاحتراز من الغفلة . والحقيقة أن كلمة "نكاهداشت" شرط من أهم الشروط التي يتوقف عليها "التركيز" لأداء صلاة اليوغا . إذ لا يمكن

1050(3) الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها:ص107.

1051(1) انظر ص98من الرسالة.

1052(2) الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها:ص110.

1053(3) انظر ص100من الرسالة.

إطلاقاً أن يحقق الإنسان حالة التركيز التام إلا بمراعاة خمسة أمور ، وبالتزامٍ دقيق.

الأول منها : الجلوس على هيئة معينة ، في مقابلة " الجلوس على عكس التورّك في الصلاة " عند النقشبندية .

والثاني : النفس الموزون بإيقاع طبيعي .

والثالث : تثبيت الفكر على شئٍ بعينه.

والرابع : الاسترخاء التام .

والخامس : منع الحواسِّ من التذبذب . وذلك بالابتعاد إلى مكانٍ لا حركة فيه ولا صوت ولا ضوء.

كانت هذه الشروط الأساسية في اليوغا هي التي استوحى منها قداما الطائفة النقشبندية في وضع الأسس لطريقتهم ، ومنها " نكاهداشت" ؛ وهو في مقابلة الشرط الثالث المذكور آنفاً . أي "تثبيت الفكر على شئٍ معّين" حتّى تتحقّق بذلك حالة التركيز ومنها تتطوّر إلى حالة أخرى تسمّى " الغيبوبة الواقعة وراء الخبرة البشرية " وهي " الجذبة" عند النقشبندية .[1054]

ثامناً : يادداشت :

وهو آخر الكلمات الثمانية التي وضعها عبدالخالق الغجدواني وهو التوجه الصرف إلى حقيقة واجب الوجود فمتى تدّرج المريد في هذه المراتب وبلغ إلى منتهى المنازل وتحققت فيه حالة " يادداشت "، أصبح فانياً في الله وتأكد من أن الله قد حلّ فيه ، و أنه جزءٌ منه ، وأنه كلّ شئ . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

أما المباني الثلاثة الأخيرة التي وضعها مؤسس هذه الطريقة محمّد بهاء الدين نقشبند ؛ وهي" الوقوف الزماني، والعددي ، والقلبي " والتي تم بيانها معانيها والخلاصة أنها تدعوا المريد إلى مراقبة نفسه .[1055]

ولا شك من أنّ هذه المراقبة النفسية امتداد للحالات التي يمرّ بها السالك عبر رياضته وسلوكه وفقاً لماسبق من شرح لقواعد السلوك, ويعني هذا أنه لا بد للقائم بهذه

1054(1) الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها:ص111.

1055(2) الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها:ص112.

الرياضة أن يتأكد من نفسه في نهاية كلّ ساعتين أو ثلاث ساعات، هل تحقّق له الفناء في الله والبقاء بالله ، أم لا يزال في ريب من ذلك . فإذا وجد أنّه لم يصل ، وجب عليه أن يواصل رياضته حتّى يقرَّ في نفسه أن الله موجود في كلّ ذرّة من الكائنات ، وبالتالي يكون قد حلّ فيه وأصبح السالك هو الفاني في الله والباقي به بالمعنى الذي قصدوه والذي تم بيانه ومناقشته في الفصل الثاني من هذا الباب.

المبحث الرابع : موقفهم من بعض المسائل الشرعية وفيه.

المطلب الأول :

مناقشة ترك الرخص والأخذ بالعزيمة عند النقشبندية وفيه:

- يسر الإسلام وسماحته
- تحديد معنى الغلو في الشرع
- التشديد على النفس وموقف الإسلام منها
- حكم تحريم الطيبات

المطلب الثاني :

مناقشة التنفير من الزواج عند النقشبندية وفيه:

- الأدلة من الكتاب والسنة على مشروعية النكاح.
- أقوال العلماء في حكم النكاح.
- المفاضلة بين النكاح والتفرغ للعبادة.

المطلب الأول:مناقشة ترك الرخص والأخذ بالعزيمة:

لقد جعل النقشبندية ترك الرخص في العادات والعبادات والمعاملات والأخذ بالعزيمة من خصائص طريقتهم وأوجبوا ذلك على مريديهم كما جعلوا ترك الحلال فرض على العارفين ، كما أن طلب الحلال فرض على المؤمنين ، وفي هذا مخالفة صريحة للدين الذي مبناه على اليسر بل إن اليسر سمه من سماه الإسلام التي اختلف بها عما سواه من الأديان ، إذ كان من حكمة بعث محمد ﷺ رفع الإصر والأغلال الواقعة بالأمم من قبلنا يقول – عز وجل -: [illegible] [الأعراف : 157].

والحرج ليس من مقاصد الشرع ، واليسر من مقاصده تقرر هذا من القرآن والسنة نصوص عديدة أذكر منها فيما يلي:

من القرآن : قال الله – عز وجل - في سياق الامتنان على هذه الأمة :

[illegible] [الحج : 78].

وقال سبحانه في سياق بيان فريضة من فرائض الإسلام وهي الصيام : [illegible] [البقرة : 185].

من السنة :

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما [1056] أن رسول الله ﷺقال : " إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ، ولكن بعثني معلماً ميسراً". [1057]

ومما يدل على يسر هذا الدين ما ثبت من مشروعية الرخص ، وهو أمر مقطوع به ، ومعلوم من الدين بالضرورة ، فإن هذا نمط من التشريع يدل قطعاً على رفع الحرج والمشقة ، ولو كان الشارع قاصداً للمشقة في التكليف ، لما كان ثم ترخيص ولا تخفيف والإجماع على عدم وقوعه في التكليف ، وهو يدل على عدم قصد الشارع له ، وهذا متقرر باستقراء آحاد الأحكام.[1058]

وقد وردت أحاديث فيها حوادث تشديد من بعض الصحابة على أنفسهم بترك المباحات وعالجها رسول الله ﷺ فلا يجوز للمسلم أن يحرم طيبات أحلها الله له قال - تعالى - : [illegible]]المائدة : 87،88[

فترك الطيبات تنسكاً وتعبداً بتعذيب النفس والتشديد عليها ، محل شبهة فُتِن بها كثير من العباد والمتصوفة متبعين في ذلك سنن من قبلهم من رهبان النصارى الذين ابتدعوا رهبانية لم يؤمروا بها . فكل هذه الأمور تصدق الغلو في الدين.[1059]

تحديد معنى الغلو في الشرع :

[1056] (1) هو جابر بن عبدالله بن حرام الانصاري الخزرجي من المكثرين من الرواية عن النبي ﷺ غزا تسع عشرة غزوة له 1540 حديثاً,توفي عام 78هـ,انظر الاصابة ج2 ص45,وسير اعلام النبلاء ص189,والاعلام ص(2/104)

[1057] (2) رواه مسلم(2/1104)كتاب الطلاق(1478)

[1058] (1) الموافقات(2/122)

[1059] (2) الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة لعبد الرحمن معلا اللويحق.ص80.ط5_1419ه,1998م.

عرف ابن حجر الغلو بأنه " المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد "[1060] ,وقد عرفة الإمام الشاطبي[1061] بمثل هذا التعريف .[1062]

وعلى ذلك فالغلو هو تجاوز الحد الشرعي بالزيادة ، و الحدود : هي النهايات لما يجوز من المباح المأمور به ، وغير المأمور به[1063] . ومنه التشديد على النفس .

التشديد على النفس وموقف الإسلام منه:

لقد وضع الشارع الشريعة في الأصل على مقتضى قدرة الإنسان ووسعه ، وجعل للمشقات العارضة رخصاً تخففها رحمة بعباده وتيسيراً عليهم ، كما نهى أن يغلو الإنسان فيشدد على نفسه قال - عز وجل - : ﴿ [illegible] ﴾ [المائدة : 77] .

كما حذر رسوله ﷺ من مشابهة أهل الكتاب ، فقد سأل رجل النبي ﷺ فقال : إن من الطعام طعاماً أتحرج منه فقال : " لا يختلجن في نفسك شيئاً ضارعت فيه النصرانية "[1064] والمعنى " لا يدخل في قلبك ضيق وحرج لأنك على الحنفية السهلة ، فإذا شككت وشددت على نفسك بمثل هذا شابهت فيه الرهبانية".[1065]

كما نهى النبي ﷺ عن التشديد على النفس فقال فيما رواه أنس بن مالك :" لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم ، فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم

[1060] (3) صحيح البخاري (13/278 فتح)

[1061] (4) الشاطبي: هو ابو اسحاق بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي من أهل غرناطة ,اصولي,وفقيه,مجتهد محارب للبدع له مصنف مبتكر هو الموافقات,وله مؤلفات اخرى مثل الاعتصام ,توفي سنة 790هـ-انظر و الأعلام "1/75".

[1062] (5) الاعتصام : 3/304.

[1063] (1) الفتاوى(3/362)

[1064] (2) رواه ابو داوود(3784)كتاب الاطعمة :باب في كراهية التقذر للطعام,واحمد(5/226)

[1065] (3) عون المعبود شرح سنن أبي داود,لمحمد شمس الحق آبادأبو الطيب(3/412),دار الكتب العلمية_بيروت_1415هـ.

،فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات ، رهبانية ابتدعوها ، ما كتبناها عليهم" .[(1066)]

والأحاديث الناهية عن التشديد على النفس ، والتي فيها معالجة لما وقع منه في عهد رسول الله كثيرة يمكن أن يتبين منها المعيار الذي يحكم من خلاله على العمل بأنه تشديد على النفس ،الذي هو كل عمل أدى إلى مشقة وعنت بالإنسان " والتشديد تارة يكون باتخاذ ما ليس بواجب ولا مستحب بمنزله الواجب أو المستحب في العبادات ،وتارة باتخاذ ما ليس بمحرم ولا مكروه بمنزلة المحرم والمكروه في الطيبات" [(1067)] فعن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها- أن النبي دخل عليها وعندها امرأة قال :" من هذه ؟ " قالت : فلانة ، تذكر من صلاتها ،قال " مه، عليكم بما تطيقون فو الله لا يمل الله حتى تملوا" ، وكان أحب الدين إليه ما دام عليه صاحبه.[(1068)]

وعن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي أنه قال:" إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله ، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى" [(1069)]

[1066] (4)أخرجه أبوداود(4904)كتاب الأدب باب الحسد.

[1067] (5) اقتضاء الصراط المستقيم(1/283)

[1068] (1) رواه البخاري(1/17)كتاب الايمان:باب أحب الدين الى الله أدومه و(2/67) كتاب التهجد,باب ما يكره من التشديد في العبادة,ومسلم(1/542)كتاب صلاة المسافرين :باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن او الذكر بأن يرقد أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك.

[1069] (2) رواه البزار(1/74)كتاب الايمان,باب التيسير من حديث جابر مرفوعاً:قاله الحافظ في الفتح(11/297)وصوب ارساله قال الهيثمي (1/62)فيه يحيى بن المتوكل ابو عقيل وهو كذاب قال الحاغظ في الفتح(11/297)وله شاهد في الزهد عند ابن المبارك ا.هـ.وهو برقم(1334)وقد وردت الجملة الاولى في رواية عن انس مرفوعاً عند الامام احمد(3/199)ولكن قال الهيثمي(1/62)رجاله ثقات الا ان خلف بن مهران لم يدرك أنس ويمكن بهذه الشواهد ان يتقوى الحديث وقد حسن الالباني في الجامع الصغير الجملة الاولى منه(2442).

وما ورد في قصة عبد الله بن عمرو [1070]- رضي الله عنهما – من قوله بعدما كبر:" يا ليتني قبلت رخصة النبي " [1071] قال النووي:" ومعناه أنه كبر وعجز عن المحافظة على ما التزمه،ووظفه على نفسه عند رسول الله فشق علية فعله لعجزه ، ولم يعجبه أن يتركه لالتزامه له ، فتمني لو قبل بالرخصة فأخذ بالأخف". [1072]

وليس الغرض من العبادة أن يعذب الإنسان نفسه أو يمنعها عن لوازم الحياة تديناً وتعبداً فإنه من المشقة على النفس عن أنس بن مالك - رضي الله عنه- قال :"جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : أين نحن من النبي قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما فأصلي الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله فقال :إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصوم وأفطر وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني" [1073] .فالنبي استنكر عليهم هذا الفعل ، لأنه تحريم للطيبات المدفوع إليها البشر بالغرائز الطبيعية ، وفي منع الإنسان نفسه عنها إيقاع خلل بنفسه كما قال ابن عباس - رضي الله عنهما -:"بينما كان النبي يخطب إذا هو برجل قائم ، فسأل عنه فقالوا : أبو إسرائيل[1074] نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ولا

[1070] (3) هو:عبدالله بن عمرو بن العاص من قريش,صحابي من النساك من اهل مكة,كان يكتب في الجاهلية,اسلم قبل ابيه,استأذن من النبي في كتابه ما يسمع منه فأذن له,كثير العبادة,عمي في آخر حياته,له 700 حديث,انظر سير اعلام النبلاء ج3 ص79 ,والاعلام ج4 ص111.

[1071] (4) رواه البخاري(3/52)كتاب الصوم,باب حق الجسم والصوم,ومسلم(2/813)كتاب الصوم,باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به او فوت به حقاً,وابو داود(2425)كتاب الصوم,باب في صوم الدهر,والنسائي(4/209-215)كتاب الصيام باب صوم يوم وافطار يوم,والترمذي(770)الصوم,باب ما جاء في سرد الصوم.

[1072] (5)صحيح البخاري (4/220 فتح).

[1073] (1) رواه البخاري(7/2)كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح,ومسلم(2/1020)كتاب النكاح باب إستحباب النكاح لمن تاقت نفسه له.

[1074] (2) ابو اسرائيل: صحابي مشهور بكنيته قال بعض العلماء ليس في الصحابة من يكنى ابو اسرائيل غيره قي اسمه يسير وقيل قشير واختلف

يستظل ولا يتكلم ، ويصوم فقال النبي ﷺ : مروة فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه",[1075] قال الحافظ :" وفيه أن كل شئ يتأذى به الإنسان ولو مآلاً مما لم يرد بمشروعيته كتاب أو سنة كالمشي حافياً والجلوس في الشمس ليس من طاعة الله ، فلا ينعقد به النذر"[1076]
وقال شيخ الإسلام :" أما مجرد تعذيب النفس والبدن من غير منفعة راجحة فليس هذا مشروعاً لنا ، بل أمرنا الله بما ينفعنا ونهانا عما يضرنا".[1077]

وقد قرر العلماء أن الحق واسطة بين التفريط والإفراط ، وهو معنى قول مطرف ابن عبدالله[1078]:"الحسنه بين السيئتين و به يعلم أن من جانب التفريط والإفراط فقد اهتدي".[1079]

حكم تحريم الطيبات :

إن الله - عز وجل - خلق الإنسان واستخلفه في الأرض ورزقه من الطيبات وسخر له ما في السموات والأرض ، ﴿ [illegible] ﴾]الاسراء:70[

ويقول الرسول ﷺ فيما رواه عن أبي الدرداء – رضي الله عنه – : "ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته ، فإن الله لم يكن ينسى شيئاً ، وتلا: ﴿ [illegible]

في نسبه فقيل قرشي وقيل انصاري,انظر الاصابة "8/160",و "11/12".

[1075](3) رواه البخاري(8/178):كتاب الايمان والنذور:باب فيما لا يملك وفي معصية,وابو داود(3300)كتاب الايمان والنذور .باب من رأى عليه كفارة اذا كان في معصية.

[1076](4) صحيح البخاري (11/590 فتح).

[1077](5) مجموع الفتاوى(22/314).

[1078](6) مطرف بن عبدالله بن الشخير الحرشي العامري,ابو عبدالله ,زاهد من كبار التابعين ,ثقة ولد في حياة النبي ﷺ. اقام بالبصرة وتوفي بتا عام 87هـ.انظر سير اعلام النبلاء ج4 ص187,والاعلام ج7 ص250.

[1079](7) أضواء البيان : (1/494).

[illegible]]مريم: 64[.[1080]

فكل مخالفة لأمر الله في أحد هذه الجوانب فهو معصية لله ، والمباح لا يجوز تحريمه ، لأن " التحريم إنما هو لله ولرسوله فلا يحل لأحد أن يحرم شيئاً ، وقد وبخ الله من فعل ذلك فقال : [illegible]]المائدة :87[فجعل ذلك من الاعتداء ، وقال: [illegible]]النحل:116[.

وهذا التحريم للحلال هو أصل من أصول الضلال ، فمعظم الضلال في الأرض إنما نشأ من أصلين:

1- اتخاذ دين لم يشرعه الله .

2- تحريم ما لم يحـرمه الله .

ولذلك كان الأصل الذي بنى عليه الإمام أحمد والأئمة مذاهبهم أن أعمال الخلق تنقسم إلى قسمين عبادات وعادات ، والأصل في العبادات أن لا يشرع منها ما شرعه الله ، والأصل في العادات أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله.[1081]

ولذلك دعا الله رسله إلى الأكل من الطيبات فقال : [illegible]]المؤمنون : 51[.

ونهى المؤمنين عن تحريم الطيبات فقـال : [illegible]]المائدة : 87[.

قال الإمام الطبري في تفسير هـذه الآية : " يقـول - تعالى ذكره - ، يا أيها الذين صـدقوا الله ورسـوله وأقـروا بما جـــاء به نـــبيهم ﷺ أنه حق من عند الله " لا تحرمـــوا طيبـات ما أحل الله لكم"، يعـني بالطيبـات :اللذائذ الـتي

1080 (1) رواه الحاكم(2/375)وقال:صحيح الاسناد ووافقه الذهبي,والحديث اورده الهيثمي في المجمع(7/55)وقال:"رواه البزار ورجاله ثقات)وفي موضع اخر (1/171)قال رواه البزار والطبراني في الكبير واسناده حسن ورجاله موثقون)وقال البزار:اسناده صالح كما نقله عنه الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص242.

1081 (1) اقتضاء الصراط المستقيم(1/329),ومجموع الفتاوى(14/450).

تشتهيها النفوس وتميل إليها القلوب فتمنعوها أياها.كالذي فعله القسيسون والرهبان فحرمـوا على أنفسـهم النسـاء والمطـــاعم الطيبة والمشـــارب اللذيـــذة ، وحبس في الصوامع بعضهم أنفسهم وساح في الأرض بعضهم . يقول - تعالى ذكره- : "فلا تفعلوا أيها المؤمنون كما فعل أولئك ، ولا تعتـدوا حد الله الـذي حد لكم فيما أحل لكم ، وفيما حرم عليكم فتجـاوزوا حـده الـذي حـده ، فتخـالفوا بـذلك طاعته ، فـإن الله لا يحب من اعتـدى حـده الـذي حـده ، فتخالفوا بذلك طاعته ، فإن الله لا يحب من اعتـدى حـده الذي حده لخلقه فيما أحل لهم وحرم عليهم".[1082]

ولقد أنكر الله على من حرم زينته التي جعلها لعبادة يقول - تعالى - : [illegible]

[illegible]]الاعراف:32[.

ففي هذه الآية رد الله على كل من حرم شيئاً من زينته ، وهو بهذا " يبين أنهم حرموا من تلقاء أنفسهم ما لم يحرمه الله " [1083]. ثم بين- تعالى - أن هذه الطيبات التي " هي اسم عامٌ لما طاب كسباً وطعماً [1084] للذين آمنوا في الحياة الدنيا مع غيرهم من الكفار والمشركين ، وأنها يوم القيامة خالصة للمؤمنين " أي يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا ، وليس للمشركين فيها شيء كما كان لهم في الدنيا".[1085]

ثم جاءت الآية التالية مبينه رؤوس المحرمات ، فقـال تعالى : [illegible]

[illegible]]الاعراف:33[.

كما نعى الله - عز وجل - على كفار مكة تحريمهم ما أنـزل الله إليهم من الطيبـات فقـال : [illegible]

1082 (2) جامع البيان "7/8" وانظر ابن تيمية,الفتاوى "14/449".

1083 (1) الجامع لاحكام القرآن (7 /195)

1084 (2) الجامع لاحكام القرآن (7/198).

1085 (3) الجامع لاحكام القرآن(7/199),وانظر جامع البيان(8/162-167).

[illegible]]يونس : 59[.

والاستفهام في الآية إنكاري أي : قل يا محمد الله أذن لكم في التحليل والتحريم . بل أنتم تفترون على الله .[1086]

وهنا يجب التفريق بين ترك فضول المباح ، وهو مالا يحتاج إليه لمصلحة الدين . فهذا يثاب المرء عليه ، وبين ترك المباح بالجملة فهذا ليس من الزهد المستحب بل هو من تحريم ما أحل الله .[1087]

وبهذا يتضح أن تحريم شيء من الطيبات غلو واعتداء لقوله تعالى : [illegible]]البقرة :190["والاعتداء هو مجاوزة الحد" [1088]، فكل من حرم شيئاً مما أحل الله فهو مغال في الدين.

المطلب الثاني:مناقشة التنفير من الزواج عند النقشبندية:

لقد نفر النقشبندية مريديهم من الزواج الشرعي ، حيث نطالع في كتبهم استشهادهم بآراء سابقيهم من المتصوفة حيث اعتبروا البعد عن الزواج أحسن للمريد وأجمع لهمته انطلاقاً من اعتقادهم من أنه رخصة ومن مبادئهم كما مر ترك الرخص مهما أمكن و إن وجدوها نافعة في جميع العادات والعبادات والمعاملات والأخذ بالعزيمة ، مع أن الأدلة من الكتاب والسنة و إجماع الأمة تثبت مشروعية النكاح وقد رغب رسول الله [illegible] فيه وحث عليه .

أولاً : الأدلة من الكتاب على مشروعية النكاح:

1- من الآيات التي تدل على مشروعية النكاح قول الله – تعالى- : [illegible]]النساء:3-4[.

ففي هذه الآية أمر الله - سبحانه وتعالى - بالنكاح ولو لم يكن النكاح أمراً مشروعاً ومحموداً لما أمر الله به

1086(4) الجامع لاحكام القرآن(8/355),وانظر جامع البيان(16/127).

1087(5) مجموع الفتاوى(20/133-134).

1088(1) مجموع الفتاوى (14/449).

لأن الله لا يأمر بالمنكر بل يأمر بالمعروف ويعرف مصالح عباده دنيا و أخرى وعلى هذا يظهر بطلان دعوى النقشبندية في أن النكاح ليس بأكثر من رخصة وقد وصفوه بأنه من العقبات التي تحجب المريد من الوصول إلى ولاية الله حسب زعمهم.

2- ومن الآيات التي تدل على مشروعية النكاح والحث عليه قول الله تعالى :

[illegible]

[illegible]]النور : 32-33[.

ففي هذه الآيات أمر الله - سبحانه وتعالى - بالنكاح وحذر من أن يكون الفقر عائقاً من الإقدام على الزواج وتعهد الله - سبحانه وتعالى - بأن يغني ذوي الحاجة من فضله،و أمر الذين لا يستطيعون موءنة النكاح بالصبر إلى أن يغنيهم الله من فضله .

فالآيات فيها حث على النكاح وترغيب فيه وهذا بخلاف ما ذهب إليه النقشبندية حيث حذروا من الإقدام على الزواج وهو مناقضة واضحة لما جاء في الكتاب، وبما أن النكاح من الأمور التي أحلها الله - سبحانه وتعالى - فهو من الطيبات وقد نهى الله - سبحانه وتعالى - عن تحريم الطيبات في كتابة فقال: [illegible]

[illegible]]المائدة:87[.

قال الإمام الطبري :

" التبتل الذي أراده عثمان بن مظعون تحريم النساء والطيب وكل ما يلتذ به فلهذا نزل في حقه هذه الآية" .

والنكاح من الأمور التي أحلها الله فهو من الطيبات وليس من الأمور التي يجب التعفف عنها والتنفير منها كما فعل النقشبندية.

ثانياً:الأدلة من السنة على مشروعية النكاح والترغيب فيه:

1- من الأحاديث التي تدل على مشروعية النكاح ما رواه علقمة قال : بينا أنا أمشي مع عبدالله - رضي الله عنه- فقال :كنا مع النبي فقال:"من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض البصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء".[1089]

ففي هذين الحديث أمر النبي بالنكاح وحث عليه وهذا يدل على مشروعية النكاح وأنه من الأمور التي أمر الله بها رسوله

قال الأمام الحافظ ابن حجر رحمة الله تحت هذا الحديث :

"خص الشباب بالخطاب لأن الغالب وجود قوة الداعي فيهم إلى النكاح بخلاف الشيوخ وإن كان المعنى معتبراً إذا وجد السبب في الكهول والشيوخ أيضاً ".[1090]

2- ومن الأحاديث التي تدل على مشروعية النكاح والحث عليه ما أخرجه ابن حبان في صحيحة أن النبي قال : " تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة".[1091]

في هذا الحديث أمر النبي بتزوج امرأة ولود حتى تكثر الأمة الإسلامية فيباهي بها الرسول الأمم يوم القيامة ولو عمل الناس بما يقوله النقشبندية بدعوتهم إلى البعد عن الزواج لا يمكن أن يحصل تكاثر الأمة .

3- وللبيهقي من حديث أبي أمامة : " تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى".[1092]

وفي هذا الحديث اعتبر الرسول ترك النكاح والابتعاد عنه رهبانية كرهبانية النصارى .

[1089] (1) صحيح البخاري (9/106 فتح),والبيهقي في السنن الصغرى,3/7.

[1090] (1) فتح الباري)9/108).

[1091] (2) ابن حبان(7/78).

[1092] (3) سنن البيهقي(7/78).

4- ومن الأحاديث التي تدل مشروعية النكاح والتحذير من تركه مع القدرة على لوازم النكاح قول النبي : " من كان موسراً فلم ينكح فليس منا".[1093]
5- ومنها أيضاً ما رواه سعد بن أبي وقاص قال : سمعت رسول الله يقول : " رد رسول الله على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا".[1094]
6- وقد سأل سعيد بن هشام بن عامر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن التبتل فقالت : لا تفعل أما سمعت قول الله تعالى : ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية فلا تبتل .
7- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : " ثلاثة حق على الله إعانتهم مجاهد في سبيل الله والناكح يريد أن يستعفف والمكاتب يريد الأداء".[1095]
8- وعن عمرو بن العاص عن النبي قال : " إن الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة".[1096]
9- وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي قال : " النكاح سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة ومن كان ذا بال فلينكح ومن لم يجد فعلية بالصوم فإن الصوم له وجاء".[1097]

وعلى ذلك فالنقشبندية وقفوا من هذه الآيات والأحاديث موقف الرفض لأنهم نفروا عن الزواج الذي أمر الله به ورسوله وزعموا أن البعد عن الزواج من أهم الطرق الموصلة إلى الله وأن الوقوع فيه من أهم العقبات التي تحجز عن الوصول إلى ولاية الله, والرسول تزوج وأمر بالزواج فكيف تكون مخالفة الرسول موصلة إلى ولاية الله و طاعته مانعة من الوصول إلى ولاية الله ؟! .

أقوال العلماء في حكم النكاح :

1093(4) سنن الدارمي(2/133).
1094(5) صحيح البخاري (9/117 فتح).
1095(1) سنن النسائي(6/61).
1096(2) سنن النسائي(6/69).
1097(3) سنن ابن ماجه(1/592).

لقد ذكرنا فيما سبق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدل على مشروعية النكاح والترغيب فيه .

وسأذكر فيما يلي جملة من أقوال العلماء في حكم النكاح والتي تؤكد بأنه من الأمور المشروعة .

قال الإمام ابن قدامة المقدسي :

" والناس في النكاح على ثلاثة أضرب وهي :

الأول : منهم من يخاف على نفسه الوقوع في المحظور إن ترك النكاح فهذا يجب عليه النكاح في قول عامة الفقهاء لأنه يلزمه إعفاف نفسه وصونها عن الحرام وطريقة النكاح .

الثاني : من يستحب له وهو من له شهوة يأمن معها الوقوع في محظور فهذا الاشتغال به أولى من التخلي لنوافل العبادة وهو قول أصحاب الرأي وهو ظاهر قول الصحابة - رضي الله عنهم- وفعلهم قال عبدالله بن مسعود : لو لم يبق من أجلي إلا عشرة أيام و أعلم أني أموت في آخرها يوماً ولي طول النكاح فيهن لتزوجت مخافة الفتنة .

وقال إبراهيم بن ميسره : قال لي طاووس لتنكحن أو لأقولن لك ما قال عمر لأبي الزوائد: ما يمنعك عن النكاح إلا عجز أو فجور.

الثالث : من لا شهوه له إما لأنه لم يخلق له شهوة كالعنين أو كانت له شهوة فذهبت بكبر أو مرض ونحوه ففيه وجهان.

أحدهما : أنه يستحب له النكاح لعموم الأدلة المتقدمة الآمرة بالزواج.

والثاني : التخلي عن النكاح أفضل لأنه لا يحصل مصالح النكاح ويمنع زوجته من التحصين ويضر بها بحبسها على نفسه ويعرض نفسه لواجبات وحقوق لعله لا يتمكن من القيام بها ويشتغل عن العلم والعبادة بما لا فائدة فيه والأخبار تحمل على من له شهوة لما فيها من القرائن الدالة عليها ".[1098]

[1098](1) المغني,لابن قدامة ابي محمد عبدالله بن احمد بن محمد(6/446-447),ط مؤسسة عبدالحفيظ البساط-بيروت-لبنان-بدون تاريخ.

المفاضلة بين النكاح و التفرغ لعبادة الله :

وقد اختلف العلماء في المفاضلة بين النكاح والتفرغ للعبادة .

فمن ذهب إلى أفضلية التفرغ للعبادة على النكاح الإمام الشافعي فقد قال :" التخلي للعبادة أفضل لأن الله - تعالى - مدح يحيى - عليه السلام -فقال : [illegible]]آل عمران:39[و الحصور الذي لا يأتي النساء فلو كان النكاح أفضل لما مدح بتركه وقال – تعالى - : [illegible]]آل عمران :14[

وهذا في معرض الذم ولأنه عقد معاوضة فكان الاشتغال بالعبادة أفضل منه كالبيع".[1099]

وممن ذهب إلى أن النكاح أفضل من الاشتغال بعبادة الله الحنابلة فقد قال ابن قدامة في معرض كلامه لإثبات أفضلية النكاح على تركه والتفرغ لعبادة الله :

" ولنا مما تقدم من أمر الله تعالى به ورسوله وحثهما عليه .وقال ﷺ :" ولكني أصوم و أفطر و أصلي و أرقد و أتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني".[1100]

وقال سعد لقد رد ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أحله له لا ختصينا ".[1101]

وعن أنس قال كان النبي ﷺ يأمرنا بالباءة وينهى عن التبتل نهياً شديداً ويقول :

"تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة".[1102]

وهذا حث شديد على النكاح يقربه إلى الوجوب ووعيد شديد على تركه يقربه إلى التحريم ، ولو كان التخلي أفضل لا نعكس الأمر .

[1099] (1) المغني لابن قدامة(6/447).

[1100] (2) سبق تخريجه

[1101] (3) سبق تخريجه.

[1102] (4) سبق تخريجه.

ولأن النبي تزوج وبالغ في العدد وفعل ذلك أصحابه ولا يشتغل النبي إلا بالأفضل ولا يجتمع الصحابة على ترك الأفضل والاشتغال بالأدنى ومن العجب أن من يفضل التخلي لم يفعله فكيف اجتمعوا على النكاح في فعله وخالفوه في فضله فما كان فيهم من يتبع الأفضل عنده ويعمل بالأدنى ولأن مصالح النكاح أكثر فإنه يشتمل على تحصين الدين وتحصين المراة وحفظها والقيام بها و إيجاد النسل وتكثير الأمة وتحقيق مباهاة النبي وغير ذلك من المصالح الراجح أحدها على نفل العبادة بمجموعها".[(1103)]

قال الإمام أحمد :

" ويسن مع شهوة النكاح لمن لم يخف الزنا وهو حينئذ أفضل من تفرغ لنفل عبادة".[(1104)]

والراجح في نظري والله أعلم هو ما ذهب إليه الحنابلة من أن النكاح أفضل من التفرغ الكامل لنوافل العبادات ، حيث يفهم من الآيات والأحاديث وأراء الفقهاء أن النكاح ليس مجرد حكم من الأحكام الشرعية بل هو شعيرة إسلامية وسنة نبوية لا يجوز بأي حال من الأحوال الاتفاق على تركه أو الدعوة إلى ذلك والدليل على هذا ما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه- بأنه جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي يسألون عن عبادة النبي فلما أخبروا كأنهم تقالوها و أين نحن من النبي قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي الليل أبداً وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله فقال : " أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم و أفطر وأصلي وأرقد و أتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ".[(1105)]

قال الأمام ابن حجر - رحمة الله- في الفتح : " المراد بالسنة في قوله :" فمن رغب عن سنتي فليس مني" المراد بالسنة هنا الطريقة لا التي تقابل الفرض والرغبة

[1103](5) المغني(6/447).

[1104](6) كاف المبتدى-للامام احمد بن حنبل-ص149.

[1105](1) سبق تخريجه

عن الشيء لا الإعراض عنه إلى غيره . والمراد من ترك طريقتي وأخذ بطريق غيري فليس مني ولمح بذلك إلى الرهبانية فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله - تعالى - وقد عابهم بأنهم ما وفوه بما التزموه وطريقة النبي الحنيفية السمحة فيفطر ليتقوى على الصوم وينام ليتقوي على القيام ويتزوج ليكسر الشهوة و إعفاف النفس وتكثير النسل وقوله :" فليس مني" إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يعذر صاحبه فيه فمعني "فليس مني" أي على طريقتي ولا يلزم أن يخرج من الملة وإن كان إعراضاً وتنطعاً يفضي إلى اعتقاد أرجحية عمله فمعني " فليس مني " ليس على ملتي لأن اعتقاد ذلك نوع من الكفر".

ثم قال :"وفي الحديث دلالة على فضل النكاح والترغيب فيه وفيه تتبع أحوال الأكابر للتأسي بأفعالهم وأنه إذا تعذرت معرفته من الرجال جاز استكشافه من النساء وأن من عزم على عمل واحتاج إلى إظهاره حيث يأمن الرياء لم يكن ذلك ممنوعا".[1106]

وعلى ذلك فليس للنقشبندية فيما ذهبوا إليه من أولويته ترك الزواج أصلاً في الفقه الإسلامي فأراء العلماء تتراوح بين الوجوب والاستحباب حتى الحالة التي رأى البعض فيها ترك الزواج هي حاله خاصة تتعلق فقط بمن فقد أسبابه لعلة أو مرض حفاظاً على الطرف الآخر ، والحق أن كل من حرم حلالاً لا يؤمن عليه من الوقوع في الحرام ولو كان للنقشبندية شيء من العلم بالكتاب والسنة لما ذهبوا إلى ما ذهبوا إليه من التنفير مما شرع الله في الدين ودلت عليه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله .

[1106](2) فتح الباري(9/105).

الفصل الثاني
المآخذ العقدية على الطريقة

المبحث الأول
المآخذ العقدية على عقيدتهم في الله

المطلب الأول : مناقشة علاقتهم بالله

المطلب الثاني : مناقشة أقوالهم في الفناء

المطلب الثالث : مناقشة وحدة الوجود

الفصل الثاني
المآخذ العقدية

المبحث الأول : المآخذ العقدية على عقيدتهم في الله ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : مناقشة علاقتهم بالله وفيه:

تعريف المحبة :

الحب اسم لصفاء مودة القلب ، والعرب تسمي بياض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان .

و الحباب هو ما يعلو الماء عند الغليان الشديد وعلى هذا فالمحبة :

غليان في القلب ، وثوران ناتج عن العطش والاهتياج إلى لقاء المحبوب ، ومن خصائص المحبة الصادقة الثبات واللزوم ، والعرب تقول : أحب البعير بمعني أنه يبرك فلا يقوم ، فكأن المحب لا يبرح بقلبه عن ذكر محبوبه.[(1107)]

والمحبة حالة شعورية لاتحد بحد يقول ابن القيم بعد أن أورد ثلاثين حداً للمحبة :

[1107](1) لسان العرب مادة (حب) والرسالة القشيرية :ص320 .

" لاتحد المحبة بحد أوضح منها . فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء فحدها وجودها ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة ، وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها وعلاماتها و شواهدها وثمراتها و أحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة ".[1108]

وعلى ذلك فالمحبة عمل قلبي يظهر أثره على الجوارح في اتباع أوامر المحبوب وإتيانها واجتنـاب نواهيه ورفضـها ، فتكون المحبة معبرة عن ذلك ، بحيث تتحد رغبة المحب مع رغبة المحبـوب .وهي ضد الكـره ، لقوله - تعـالى - : [illegible] [الحجرات : 7].

وقد اخبرنا الله - سبحانه وتعالى - في كتابه الكريم بأن المؤمنين يحبون الله حباً شديداً فقال – سبحانه: [illegible] [البقرة :165] وهذا يدل على أن حب الله من الإيمان لان قوله : [illegible] إشارة إلى أن الإيمان يحرك على حب الله - جل جلاله - ويدعو إليه .

ثم أن لمحبة الله – تعالى- معاني كثيرة ذكرها الحليمي - رحمه الله - في المنهاج قال : محبة الله اسم لمعانٍ كثيرة:

أحدها : الاعتقاد أنه ، عز اسمه ، محمود من كل وجه ، لاشيء من صفاته إلا وهو مدحة له .

الثاني : الاعتقاد أنه محسن إلى عباده ، منعم متفضل عليهم .

الثالث: الاعتقاد أن الإحسان الواقع منه أكبر وأجل من أن يقضي قول العبد وعمله وإن حَسُنا وكَثُرا شكره .

والرابع : أن لا يستقل العبد قضاياه ، ويستكثر تكاليفه .

والخامس : أن يكون في عامة الأوقات مشفقاً وجلاً من إعراضه عنه ، وسلبه معرفته التي أكرمه بها وتوحيده الذي حلاه وزينه به .

[1108](2) مدارج السالكين : (3/ 9-13).

والسادس : أن تكون آماله منعقدةً به لا يرى في حالٍ من الأحوال أنه غني عنه
السابع : أن يحمله تمكن هذه المعاني في قلبه على أن يديم ذكره بأحسن ما يقدر عليه .
والثامن : أن يحرص على أداء فرائضه والتقرب إليه من نوافل الخير مما يطيقه .
والتاسع : أن يسمع من غيره ثناء عليه ، وعرف منه تقرباً إليه وجهاداً في سبيله سراً أو إعلاناً مالاه ووالاه.
والعاشر : أنه إن سمع من أحدٍ ذكراً له أعانه بما يخل عنه أو عرف منه غياً عن سبيله سراً أو علانية باينه ، وناواه [(1109)].

فإذا استجمعت هذه المعاني في قلب أحدٍ فاستجماعها هو المشار إليه باسم محبة الله - تعالى - جده ، وهي وإن لم تذكر مجتمعة في موضع فقد جاءت متفرقة عن النبي ﷺ فمن دونه .[(1110)]

وعلى ذلك فإن من علامات المحبة :

1- ما أخبرنا الله- سبحانه وتعالى - في كتابه به وهو اتباع الرسول ﷺ وعدم مخالفته
قال – تعالى - : ﴿ [illegible] ﴾ [آل عمران :31]

فهذه الآية تدل دلالة صريحة على أن علامة الحب الصادق هو اتباع الرسول ﷺ لأنه السبيل الوحيد للوصول إلى محبة الله سبحانه .

2- محبة ما يحبه المحبوب وبغض ما يبغضه ، كما روي عن النبي من حديث معاذ - رضي الله عنه- ، وقال ﷺ: " وأسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل يقربني إلى حبك "[(1111)] و عن البراء بن عازب - رضي الله عنهما- قال كان رسول الله ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً وكان رسول الله ﷺ،يحب أن يوجه إلى

[1109](1) انظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (1/495),لأبي عبد الله الحليمي,تحقيق حلمي فوده,دار الفكر ط1_1399ه_1979م.
[1110](1) انظر المنهاج في شعب الإيمان (1/496).
[1111](2) أخرجه أحمد في المسند برقم (21604) وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن برقم (3235) وقال الألباني : صحيح 5/368.

الكعبة، فأنزل الله : [illegible]
[illegible] البقرة :144 [فتوجه نحو الكعبة .[1112]

3- كـثرة ذكر المحبــوب وترديد كلماته ، كقوله تعـالى : [illegible] ص :32[,وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه- قال : جاء رجل إلى رسـول الله ، فقـال :" إني أحب هذه السورة ، قل هو الله أحد ، فقال رسول الله [illegible] : حبك إياها أدخلك الجنة "[1113]

هذا عن المحبة معناها وحدودها وعلاماتها عند أهل السنة والجماعة .

خطأ النقشبندية في مفهوم الحب الإلهي :

لقد ذهب القشبندية في الحب الإلهي[1114] مذهباً فلسفياً كسابقيهم من المتصوفة الذين استشهدوا بأقوالهم ونهجوا نهجهم ، فتركزت مباحثهم على دعوى محبة الله في عبارات رمزية غامضة ، أخرجتهم عن حد المحبة الشرعية والتي تم بيانها إلى القول بالعشق

[1112](3) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان برقم (17) 1/80

[1113](4) حديث حسن صحيح ، أخرجه أحمد في المسند برقم (12024) واللفظ له والترمذي في كتاب فضائل القرآن برقم (2901) وقال الشيخ الألباني : حسن صحيح : 5/169 والدارمي في فضائل القرآن برقم (3435)

[1114](1) الحب الإلهي : لقد ظهرت أول نظريه في الحب الإلهي في المفهوم الصوفي في مدرسه البصرة وكان ظهورها عند جماعة لقبوا بالزنادقة أو زنادقة الزهاد وهو اسم أطلقه عليهم أبو داود السجستاني المتوفى (275هـ (ومن هؤلاء رابعة العدوية توفيت (185هـ(ورياح بن عمرو القيسي المتوفى سنه (188هـ (وجبان أو ابن جبان الحريري وأبو حبيب العجمي وقد أطلق هذا الاسم أيضاً علي عبد الواحد بن زيد المتوفى سنه (177هـ(وكليب وعبدك الصوفي الشيعي وامرأة رباح القيسي وأبي العتاهية الشاعر. ولا شك أن ظهور الكلام في الحب الإلهي في بيئة البصرية في صورة قوية ناضجة له مغزاه وإن كنا لا نعرف الكثير عن الظروف التي أحاطت برجال مدرستها ولكنا نعرف على الأقل أن منهم من كان متأثراً بالفلسفة المانوية (المانوية نسبه إلى رجل فارسي وثني اسمه ماني وهي مزيج من الزرادشتية والنصرانية وعلى كل فهي ديانة وثنيه وقد تأثر بها الصوفية انظر الفلسفة الصوفية في الإسلام ص 82 ، وانظر التصوف بين الحق والخلق لمحمد فهر شقفه ص 57-58 ,الدار السلفية للنشر والتوزيع,ط3.

والفناء والاتحاد و الحلول ، وإلى التصريح بأن الغرض من قيام المكلف بالعبادات ليس الرغبة في الجنة أو الرهبة من النار وإنما العبادة يجب أن تكون لأجل الشوق إلى لقاء المحبوب ورؤيته فنجدهم كثيراً ما يذكرون أقوالاً لرابعة العدوية في الحب الإلهي ، حيث كانت أول من تغني بنغمة الحب الإلهي ، فقد أحبت الله لذاته لا خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته، وكان أقصى أمانيها أن يكشف الله لها عن وجهه الكريم ويرفع عن قلبها الحجب التي تحول دون مشاهدته وفي هذا تقول مخاطبه الذات الإلهية

أحبـك حبين حـب الهوى وحبـاً لأنك أهــل لـذاكا
فأما الذي هـو حب الهوى فكشفك لي الحجب حتى أراكا
وأمــا الذي أنت أهل له فلست أرى الكـون حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكـن الحـمـد في ذا وذاكا

وهم كذلك يحبون محبة لا يرجون فيها جنته ولا يتقون ناره كما تم بيانه [1115] بل يزيدون على ذلك فيعتبرون من عبد الله خوفاً من ناره ورجاءً في جنته مشركاً شركاً خفياً.

إن القول بأن العبادة ينبغي أن لا تكون للرغبة بالجنة والرهبة من النار هو مبني على تصور خاطئ نتج عن تفلسف جاهلي وهو تصورهم أن الجنة اسم لما يتمتع به من المخلوقات ، والنار اسم لما لا عذاب فيه إلا ألم المخلوقات [1116]. وهذا فكر دخيل على الإسلام ، لمناهضته للكتاب والسنة ولأنه مبني على تصور فاسد .

أما الكتاب فقد قـال -تعـالي – في وصف حالة أنبيائه والصفوة من خلقه: ﴿ [illegible] ﴾ [الأنبياء :90] . قـال القرطـبي : " رغبـاً ورهبـاً " منصـوبان على

[1115](1) انظر الباب الثاني من الرسالة,(عقيدتهم في الله).

[1116](2) مجموع الفتاوى : (10/241)

المصــدر ، أي يرغبــون رغبــاً ويرهبــون رهبــاً ، أو على المفعـول من أجله ، أي للـرغب والـرهب"[1117] و المعـنى على كلا القــولين ، أن عبــادتهم كــانت لأجل الرغبة في الجنة والرهبة من النــار ، ونقل ابن كثــير عن الثــوري : " رغباً فيما عندنا ورهباً مما عندنا " .[1118]

قال ابن القيم : " أي رغباً فيما عندنا ورهباً من عذابنا ، والضـمير في قوله " إنهم" عائد على الأنبيــاء المــذكورين في هذه السورة عند عامه المفسرين والرغب والرهب .. رجاء الرحمة والخوف من النار عندهم أجمعين.[1119]

قـال - سـبحانه وتعـالى - : [illegible]]فاطر : 15[ففي هــذه الآية أخبرنا الله - سـبحانه وتعـالي - بــأن جميع الناس فقراء محتاجون إليه فكيف تكــون هــذه نهاية المحبة وهذا تتناقض مع ما جاء في القرآن الكريم .

وقد أمر الله - سبحانه وتعالى - أن يدعوه عباده فقال سبحانه : [illegible]]البقرة : 186[.

وأما السنة فيكفينا أن نذكر حديثاً عن بعض أصحاب النبي ﷺ[1120] قال : قال النبي ﷺ لرجل[1121] : كيف تقول في الصلاة ؟ قال : أتشهد وأقول : اللهم إني أسالك الجنة وأعوذ بك من النار ، أما إني لا أحسن دندنتك ودندنة معاذ ، فقال النبي ﷺ : " حولها ندندن[1122]".[1123]

[1117] (3) مجموع الفتاوى : (11/337)

[1118] (4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير : (3/31),لابن كثير,دار الكتب العلمية_بيروت_لبنان,ط1_1418ه,1997.

[1119] (5) مدارج السالكين : (2/77)

[1120] (1) هذا رواية عن أبي داود وأحمد ، وورد في رواية ابن ماجة أنه أبو هريرة .

[1121] (2) اسمه سليم الأنصاري (تجريد أسماء الصحابة) رقم (2469) (مدارج السالكين) (2/78)

[1122] (3) الدندنة أن تسمع من الرجل نغمة ولا تفهم ما يقول . "مختار الصحاح"

[1123] (4) أبو داود في الصلاة ، باب "126" حديث رقم "992" "1/501" ، وابن ماجة في إقامة الصلاة ، باب "26" حديث رقم "910" "1/295" .

والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جداً بل كل ما في القرآن والسنة من الوعد والوعيد إنما هو حول الترغيب في الجنة والترهيب من النار فاعتماد هذا المذهب لا يتم إلا بتعطيل ذلك كله .

وأما الأصل الفاسد الذي تصوروه كما سبق فهو ظنهم أن الرغبة في الجنة والرهبة من النار إنما هو محبه للمخلوق لا للخالق . وإنما حكم علي هذا التصور بالفساد لأن الجنة ليس كل ما فيها من النعيم مخلوقاً ، وكذلك النار ليس كل عقاب فيها مخلوقاً . بل أعظم نعيم في الجنة النظر إلى وجه الباري - عز وجل- ، كما أن الحرمان من ذلك يعد أكبر عقوبة في النار.

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه : " والتحقيق أن الجنة هي الدار الجامعة لكل نعيم ، وأعلى ما فيها النظر إلى وجه الله ، وهو من النعيم الذي ينالونه في الجنة كما أخبرت به النصوص ، وكذلك أهل النار فإنهم محجوبون عن ربهم " .[1124]

أقسام المحبة عند النقشبندية :

لقد قسم النقشبندية المحبة إلى ثلاثة أقسام:

1- محبة العوام [1125]:وتتولد تلك المحبة من إحسان الله – تعالى - إليهم وشرطها موافقة القلوب لله ، والتزام الموافقة باتباع رسول الله وصفاء الود مع دوام الذكر .

2- محبة الخواص[1126] : وهو حب الصادقين والمتحققين وهي خالصة عن الشوائب ، وتتولد من نظر القلب إلى غناء الله وجلاله وعظمته ، وعلمه وقدرته ، ويكون بمحو الإرادات واحتراق جميع الصفات والحاجات.

[1124](1) مجموع الفتاوى : "10/63"

[1125](2) العوام أو العامة: في الاصطلاح الصوفي ضد الخاصة الذين اقتصر نظرهم على علم الشريعة فقط ويراد بالعامة علماء الرسوم والعبَّاد الذين لم يصلوا إلى مقام المحبة "لطائف الأعلام : 2/102"

[1126](3) الخاصة : ضد العامة وهم الصوفية دون غيرهم "المعجم الصوفي : 2/616"

3- محبة خواص الخواص[1127] : وهو حب الصديقين والعارفين ، ويتولد من نظرهم ومعرفتهم بقديم حب الله – تعالى- ، فكما أحبهم في الأزل بلا علة ، فكذلك أحبوه بلا علة ، وصفة هذه المحبة سقوط المحبة عن القلب والجوارح حتى لا يكون فيها المحبة ، وتكون الأشياء بالله ولله ، بمعني دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب .

وهذا التقسيم للمحبة تقسيم باطل لا أساس له من الصحة وذلك لأنهم لم يذكروا عليه دليل يثبت بأن هذا تقسيم شرعي مما يدل على أنه تقسيم أتوا به من عند أنفسهم .

وعند الحديث عند القسم الثالث من أقسام المحبة وهي خواص الخواص فإنهم لم يكتفوا بادعائهم الحب الإلهي بأساليبهم الغريبة عن ما جاء به الكتاب والسنة بل تعداه إلى مرحلة العشق الذي هو عندهم عبارة عن التعشق الذي ينمحي فيه العاشق عند تجلي نور معشوقه [1128].

وعن العشق الصوفي قال ابن القيم :" واستحدثوا كلمة العشق وهذا لا يوصف به الرب - تبارك وتعالى -ولا العبد في محبته ربه" . [1129]

حتى من الصوفية من رفض استعمال لفظ العشق في موضع المحبة التزاماً منهم بألفاظ القرآن ، ذلك أن لفظ المحبة لفظ قرآني كما سبق ، أما لفظ العشق فهو من الألفاظ التي يصلح للتعامل بها بين البشر ويعلل أبو علي الدقاق ذلك : بأن لفظ العشق يحمل معنى تجاوز الحد في المحبة ،والحق – سبحانه - لا يوصف بأنه يتجاوز الحد لا عاشقاً ولا معشوقاً فلا يصح إطلاق لفظ العشق في حقه.[1130]

[1127](4) خواص الخواص : هم علماء الحقيقة "المعجم الصوفي : 2/618"

[1128](1) انظر الباب الثاني من الرسالة

[1129](2) مدارج السالكين "3/29" من أوائل من تكلم عن العشق والقرب أبو حمزة البغدادي المتوفى سنة 289هـ

[1130](3) الرسالة القشيرية ص145

قال السراج : وبلغني أن أبا الحسين النوري شهد عليه غلام الخليل أنه سمعه يقول : أنا أعشق الله - عز وجل - وهو يعشقني . فقال النوري : سمعت الله يقول "يحبهم ويحبونه
" وليس العشق بأكثر من المحبة " وقد قال الإمام ابن الجوزي في الرد على من قال أنا أعشق الله - عز وجل - وهو يعشقني :
وهذا جهل من ثلاثة أوجه :
أحدها : من حيث الاسم فإن العشق عند أهل اللغة لا يكون إلا لما ينكح .
والثاني : أن صفات الله - عز وجل - منقولة فهو يحب ولا يقال يعشق كما يقال يعلم ولا يقال يعرف .
والثالث : من أين له أن الله - تعالى - يحبه فهذه دعوى بلا دليل . [1131]

وإذا نظرنا إلى المعنى الذي ذكره النفشبندية في معنى العشق نجده موافق للمقصود بالعشق الإلهي في المصطلح الصوفي الذي هو أقصى درجات المحبة ، وسائر مقاماتها كلها مندرجة فيه ،ومعناه اتحاد ذات المحبوب بذات المحب ، اتحاداً يوجب غفلة المحب ، شغلاً بشهود محبوبه في ذاته بذاته ، ولذا قيل إنه أقصى مقامات الذهول والغيبة وأولاها الغرام : وهو الانتشاء من خمر المحبة ، ثم الافتتان : وهو خلع العذار وعدم المبالاة بالخلق ، ثم الوله : وهو مقام الحيرة ، ثم الدهش : وهو الذهول ، ثم الفناء عن رؤية النفس : وهو أن يكون العاشق لا يسمع إلا لمحبوبه ، ولا يبصر إلا به ، ولا يدرك إلا به وله ، ومنه فناء به عن نفسه وعن الأشياء ، فإذا وصل المحب إلى هذا الحد اطلع على أسرار الغيوب وأخبر بها معاينة لا على سبيل الحدس وغلبات الظنون ، بل على الكشف والمشاهدة.

[1131](4) تلبيس إبليس ص171

والعشق هو آخر مراحل الوصول والقرب ، وفيه ينكر العارف معروفه فلا يبقي عارفاً ولا معروفاً، ولا عاشقاً ولا معشوقاً ، ولا اسم ولا نعت ولا وصف .

والعشق في ابتداء ظهوره يفني العاشق حتى لا يبقى له اسم وصف ولا رسم ، فإذا انمحق العاشق وطُمِس أخذ العشق في فناء المعشوق ، فلا يزال يفنى منه الاسم ثم الوصف ثم الذات فلا يبقى عاشق ولا معشوق وحينئذ يظهر العشق بالصورتين ويتصف بالصفتين ، فيسمي بالعاشق ويسمي بالمعشوق ، كما روي عن مجنون ليلى أنها مرّت به ذات يوم فدعته إليها لتحدثه فقال لها : دعيني عنك فاني مشغول عنك بليلى ! [1132]

يقول فريد صلاح الهاشمي[1133] :

" يظهر من خلال كلمات النقشبندية حول العشق أنهم اكتشفوا أخيراً أسلوباً آخر لتفسير ما يعتقدون من وحدة الوجود والحلول والاتحاد ألا وهو "العشق الإلهي" لأنهم يقصدون بذلك الانصهار في ذاته – تعالى عن ذلك علواً كبيرا - ".[1134]

المطلب الثاني : مناقشة أقوالهم في الفناء وفيه:

تعريف الفناء عند الصوفية:

سبق من كلام النقشبندية في المحبة وأقسامها أدى بهم إلى القول بمرحلة تتعدى المحبة إلى العشق الذي هو عندهم كما في الاصطلاح الصوفي عبارة عن التعشق

[1132](1) المعجم الصوفي للحفني ص 175 ، وانظر المعجم الصوفي : " 2/990"

[1133](2) فريد صلاح الهاشمي نقشبندي من أسرة نقشبندية تمتعت بالزعامة لقطاع كبير من هذه الطائفة ثم انقلب عليهم وألف كتاب الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها محللاً وناقداً ، انظر مقدمة الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها .

[1134](3) الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها ص123

الذي ينمحي فيه العاشق عند تجلي نور معشوقة ويفنى فيه العاشق فلا يبقى له اسم ولا وصف أو رسم ، وهذا هو الفناء وهو وليد طبيعي لمفهومهم للمحبة الذي أدى بهم إلى العشق فمن يعشق شيئاً من الأشياء بحيث يستبد هذا الشيء بجميع مشاعره فلا يشعر بشيء سواه ، بل ينسي نفسه ولا يشعر بما يجري في جسده ونفسه بل يكون غافلاً عن هذا غفلة تامةً فهو في هذه الحالة قد فني عن كل شيء إلا عن ذلك الشيء الذي عشقه وانجذب إليه.

ويؤيد هذا ما جاء في قصة يوسف - عليه السلام - مع النسوة

قال - تعالى – : ﴿ [illegible] ﴾]يوسف :31[

نرى في هذه القصة النسوة حين رأين يوسف - عليه السلام - فنين عن كل شيء حتى عن أنفسهن ، وعن الإحساس بما يجري لهن في غمرة اللذة برؤيا يوسف التي أذهلتهن عن كل ما سواه . ولقد وصل الأمر بهن إلى أن قطعن أيديهن ولم يشعرن بأي ألم في هذا .

فإذا كان هذا يحصل في عشق الحوادث بعضها مع بعض ، فما بالك في حب الله وهو لا يقاس بشيء أصلاً.[1135]

ويعرف الصوفية الفناء[1136] بعدة تعريفات منها : الفناء: تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية

[1135] (1) موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية ص157-158

[1136] (2) الفناء : أول من تكلم عن الفناء والبقاء أبو سعيد أحمد ابن عيسى الخراز "المتوفى سنة277هـ" الذي يصفه الصوفية بأنه سيد من تكلم في علم الفناء والبقاء . والفناء الذي يقصده أبو سعيد الخراز : أول مقام لمن وجد علم التوحيد وتحقق به ، فناء ذكر الأشياء عن قلبه، وانفراده بالله وحده . ولما سئل عن علامة الفاني أجاب : من علامة الفاني ذهاب حظه من الدنيا والآخرة إلا من الله – تعالى - ، ثم يبدو له الآيات من قدرة الله – تعالى - ، فيريه ذهاب حظه ، ومن رؤية حظه ، ويبقى عليه ما كان لله – عز وجل - ، ويعرف الخراز أول حال للفناء فيقول في معنى قوله – تعالى - : " وما بكم من نعمة فمن الله" "النحل : 53" ، فيقول : أخلاهم في أفعالهم من أفعالهم ، وهو أول حال الفناء . انظر الطبقات الكبرى للشعراني وحلية الأولياء للاصبهاني "10 / 246".

دون الذات ، فكلما ارتفعت صفة " بشرية" قامت " صفة " إلهية مقامها فيكون الحق سمعه وبصره كما نطق به الحديث . فكأن الفناء الصوفي بهذا التعريف هو نوع من حلول الصفات الإلهية محل صفات العبد البشرية.

الفناء : من استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عيناً ولا أثراً ولا رسماً ولا طللاً.[1137]

الفناء : أن لا ترى شيئاً إلا الله ، ولا تعلم إلا الله ، وتكون ناسياً لنفسك ولكل الأشياء سوى الله، فعند ذلك يتراءى لك أنه الرب ، إذ لا ترى ولا تعلم شيئاً إلا هو ، فتظن أنك هو ، فتقول أنا الحق ، وتقول ليس في الدار إلا الله ، وليس في الوجود إلا الله .[1138]

الفناء : هو الغيبة عن الأشياء كما كان فناء موسى حين تجلى ربه للجبل فجعله دكاً وخر موسى صعقاً.

وعلى ذلك يكون للفناء درجات ذكرها القشيري[1139] في رسالته وهي كما يلي:

الدرجة الأولى : فناؤه عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق وهو ما عبر عنه بعضهم باضمحلال مادون الحق علماً.

الدرجة الثانية : فناؤه عن صفات الحق بشهود الحق ، وهو فناء العيان في المعاين.

الدرجة الثالثة : فناؤه عن شهود فناؤه باستهلاكه في وجود الحق[1140] فلا يحس في فنائه بفنائه لعدم التفاته إلى حاله وما هو فيه من فناء أو شهود ، وهذه هي أرقى درجات الفناء عندهم .

وهذه الدرجات الثلاث تعتمد على مدى تأثير الفناء على صاحبه.

وليس من الغريب أن لا يستدل النقشبندية على أقوالهم بآيات من كتاب الله -عز وجل- وأحاديث من

[1137] (1) نشر المحاسن الغالية المعروف بكفاية المعتقد ونكاية المنتقد لليافعي نقلاً عن عقائد الصوفية ص29.

[1138] (2) معجم مصطلحات الصوفية للحفني ص 196-197.

[1139] (3) سبق الترجمة له

[1140] (4) الرسالة القشيرية ص63

السنة النبوية وإنما دليلهم وحجتهم أقوال البسطامي وأحوال الحلاج كما مرّ من أقوالهم في الفناء .
وقد وضح ابن تيمه أنواع الفناء بأنها ثلاثة أنوع:
النوع الأول: فناء عن إرادة ما سوى الله وعن عبادة ما سواه وتكون إرادته عند إرادة الله للأشياء ، فلا يريد إلا مراد الله وهذا الفناء وليد المحبة التي تتعلق بما يحبه الله ويرضاه ، فيكون هوى النفس تبعاً لما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب ، وهذا النوع هو مقام النبيين والأولياء والصالحين من أتباع الرسول الواقفين عند أوامره ونواهيه المتقربين إلى الله بفرائضه ونوافل رسله وهذا هو الفناء المحمود شرعاً وهذا يسمى فناء التوحيد وهو أكمل أنواع الفناء ..
النوع الثاني: من الفناء الذي تكلم عنه الصوفية ، فهو فناء عن شهود السوى ومعناه أن يفنى المرء عن شهود ما سوى الله ، وقد يكون من أسبابه استغراق القلب في المداومة على الذكر والعبادة ، فلا يشعر حاله استغراقه إلا بالله رغباً أو رهباً ، محبة فيما عند الله ، أو خوفاً من بطش الله وعذابه فإذا اشتد به حاله أصبح غائباً عن نفسه وبمشهوده عن شهوده وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته، حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل ، وفي هذه يصبح عنده لا فرق ولا أغيار ولا كثرة، ويطلق ابن تيميه على هذا النوع أنه فناء القاصدين من الأولياء والصالحين ، وليس دليل كمال في إيمانهم ولكن دليل ضعف في استعدادهم ، ولأن الصحو أفضل من السكر والبقاء أفضل من الفناء.
النوع الثالث : وهو الفناء عن وجود السوى ، فلا يرون في الوجود وجودا لسواه ، لا به ولا بغيره بل الكل عندهم عدم محض ، ولا موجود حقيقة إلا الله .
وقد اعتبر ابن تيمية هذا النوع من الفناء هو قول الملاحدة القائلين بوحدة الوجود ، فالفاني قد فنيت آنيته وتلاشت هويته فجعل الوجود كله شيئاً واحداً ،فجعل آنيته

متحدة بآنية الخالق ،ولم يكن عنده أغيار ولا كثره إنما هو تحقيق للوحدة فلا يقال هو غير الله ولا سواه .[1141]

مراحل الفناء عند النقشبندية :

وعند إمعان النظر في أقوال النقشبندية في الفناء نجد أن الفناء يمر عندهم بمرحلتين :

الأولى : يكون بفناء عن شهود السوى سواء كان آفاقي أو أنفسي كما عبر عنه الفاروقي في مكتوباته[1142] أو فناء عن الوجود الظلماني كما ذكره صاحب البهجة السنية[1143]:فينتفي العالم عيناً وأثراً وهو ما يعبر عنه النقشبندية بالفناء الأول ويكون بواسطة ظهور الحق - تعالى - حتى يذهب الشعور بالسوى .

الثاني : وهو فناء الفناء وهو أن يذهب الشعور بالفناء فلا يبقى للوجود الروحاني شعور وهذا ما قال عنه محمد بهاء نقشبند:"إذا أنسى الله – تعالى - المريد الملك والملكوت فهذا الفناء ، وإذا أنساه فناءه فهو فناء الفناء", وهو ما عبر عنه الفاروقي بعد الجذبة الإلهية وطي منازل السلوك فإنه يجد الله عين الأشياء [1144]، ويؤكد صاحب جامع الأصول في الأولياء بأن الفناء يكون بزوال الرسوم جميعاً بالكلية في عين الذات الأحدية مع ارتفاع الاثنينيه وهو مقام المحبوبية[1145] وهو ما وضحه عبيد الله أحرار بأن العارف إن فنيت ذاته و صفاته في ذات الله وصفاته لم يبقى منه اسم ولا رسم.

ثم مرحلة البقاء وهي بقاء ما لم يزل حقاً بشهود فناء ما لم يكن شيئاً حتى يقلب محقاً فيبقى المشهود بفناء الشاهد ،والمحق الحقيقي هو فناء الكثرة في الوحدة أو فناء وجود العبد في ذات الحق [1146]، وهذا النوع من الفناء هو عين النوع الثالث الذي هو فناء عن وجود

1141(1) انظر مجموع الفتاوى "10/337-343" .

1142(1) المكتوبات "3/69-70".

1143(2) البهجة السنية ص 92.

1144(3) انظر الباب الثاني من الرسالة (عقيدتهم في الله).

1145(4) جامع الأصول في الأولياء ص191.

1146(5) جامع الأصول في الأولياء ص76.

السوى فلا يرون في الوجود وجوداً لسواه والكل عندهم عدم محض وهو ما يعبر عنه بوحدة الوجود.

مناقشة مراحل الفناء عن النقشبندية :

عند النظر إلى المرحلة الأولى من مراحل الفناء عند النقشبندية نجدها لا تخرج عن كونها تعبر عن الفناء عن شهود السوى وهو المسمى بالتوحيد الشهودي أو وحدة الشهود وهو مرادف للسكر.

كأن تغلب علية شدة الوجد والمحبة فيكون بمنزلة السكران و المغمى عليه ويكون الفناء عبارة عن حالة تكون .

أ- :بسبب من عند الفاني بمعنى أنه سعى للوصول إليها فهو مؤاخذ غير معذور ، لأن هذه الحالة قد تستمر معه وقتاً فتؤدي إلى تأخير الصلوات عن وقتها والانصراف عن أداء الواجبات لأنه في هذه الحال لاشعور له فلا تصح منه عبادة.

ب- :وإن كان هذا الفناء بسبب لم يكن من عند نفسه بحيث غلبه داعي المحبة والوجد فسكر لضعف نفسه وقوة الوارد عليه فهو غير مؤاخذ لقوله – تعالى -: ﴿ [illegible] ﴾]البقرة :286[ولقوله ﷺ : "إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"[1147].

ثم إنه إن تكلم في هذه الحال فهو غير مؤاخذ بما يتكلم به بل ما ورد عنه في هذه الحال يطوى ولا يروى ولا يؤدي[1148] فهو بمثابة النائم والمغمى عليه .

قال شيخ الإسلام "وهذا يحصل لكثير من السالكين فإنهم لفرط انجذاب قلوبهم إلى ذكر الله وعبادته ومحبته

[1147](1) رواه ابن ماجه في سننه :659 ورواه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك وقال السيوطي حديث صحيح ، انظر الجامع الصحيح : "1/ 68-69" طبعة الحلبي .

[1148](2) مجموع الفتاوى : "2/ 461" .

وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد وترى غير ما تقصد لا يخطر بقلوبهم غير الله".[1149]

ثم إن أهل السنة والجماعة لا يرون أن حال الفناء حال كمال بل حال البقاء أفضل منها وأكمل ، لأن هذا الفناء لم يكن لنبينا محمد ولا لأحد من الصحابة ، فلو كان

هذا الفناء كمالاً لكانوا أحق به .[1150]

قال ابن القيم : " والذي لا ريب فيه أن البقاء في الذكر أكمل من الفناء فيه والغيبة به . والفناء كاسمه الفناء ، والبقاء بقاء كاسمه .والفناء مطلوب لغيره ، والبقاء مطلوب لنفسه . والفناء وصف العبد والبقاء وصف الرب . والفناء عدم و البقاء وجود . والفناء نفي والبقاء إثبات . والسلوك على درب الفناء مخطر ، وكم به من مفازة ومهلكة ! والسلوك على درب البقاء آمن ، فإنه درب عليه الأعلام والهداة والخفراء ".[1151]

وقد جمع الله - تبارك وتعالى - بين لفظي الفناء والبقاء في الآية الكريمة من سورة الرحمن : [illegible]

[illegible] [الرحمن : 26-27] .

ودلالة الآية محكمة واضحة ، لا يختلف الناس حول معناها ، فالفناء فناء الخلق ، والبقاء بقاء الحق تعالى ، فالله - جل جلاله - قضى من الأزل أن لمخلوقاته ابتداء ، ولآجالها انتهاء ، ولابد من ميلاد لجميع الكائنات حتى الكواكب والأجرام السماوية ، ثم لابد من موت جميع المخلوقات ومنهم الملائكة المقربون حتى ملك الموت الذي وكله الله في قبض الأرواح ، يجري عليه الفناء والله وحده هو الباقي قبل الأزل وقبل دوران الأفلاك والأجرام، وبدء السنين والأيام ، وهو - سبحانه - باق بعد الأبد ، وبعد فناء الأكوان ومن يؤمن بعلو الله - عز وجل - على خلقه ، ويميز بين صفات الخالق وصفات المخلوق يدرك تماما أن البقاء نعت ملازم للربوبية والفناء نعت ملازم لجميع

[1149](3) مجموع الفتاوى : "2/ 313-314-370- 461" .

[1150](1) مدارج السالكين "1/ 155-157".

[1151](2) مدارج السالكين "2/ 437"

المخلوقات ومنهم البشر[1152] , أما المرحلة الثانية في الفناء عند النقشبندية وهي ما يعبر عنها بالتوحيد الوجودي أو وحدة الوجود سيتم مناقشتها في المطلب الثالث بإذن الله .

المطلب الثالث : مناقشة وحدة الوجود وفيه: توضيح المفهوم الصحيح لتوحيد الله الذي أرسل الله به الرسل وأنزل به الكتب

أولاً : تعريف التوحيد في اللغة:

كلمة التوحيد مصدر للفعل الثلاثي المزيد بتضعيف عينه وهي تعني الوحدة والانفراد والتفرد يقال رأيته وحده وجلس وحده أي منفرداً وفلان لا واحد له وواحد دهره أي لا نظير له .

والله الواحد الأحد المنفرد بالذات والصفات في عدم المثل والنظير واحد الله - تعالى - ووحده أي نسبه إلى الوحدة والانفراد فهو سبحانه منفرد في ذاته وصفاته . [1153]

وأما المدلول الشرعي لكلمة التوحيد فهو اعتقاد إنه إله واحد لا شريك له وإفراده - عز وجل - بالعبادة والتوجه إليه وحده بطلب المنافع ودفع المضار ونفي الكفء والمثل عن ذاته – تعالى - وصفاته فهو المتصف بصفات الكمال الذاتية ونفي الشريك له في الربوبية واعتقاد أنه وحده الخالق الرزاق القادر المحيي المميت المعز المذل النافع الضار المتصرف في هذا الكون بمن فيه وما فيه. [1154]

[1152] (3) عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة ص29,لمحمود المراكبي_مطابع التجارية قليوب_مصر,ط3_بدون رقم وتاريخ.

[1153] (1) مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي"2/547" مكتبة لبنان ، بيروت ، تحقيق محمود خاطر ، 1415هـ /1995م .مادة وحد والقاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي "1/ 343".

[1154] (2) رسالة توحيد الألوهية أساس الإسلام : ص2.

فهو يعني إفراد الله – سبحانه وتعالى – في توحيد ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وهو بهذا ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي :

أولاً : توحيد الربوبية :

"الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام يقال ربه ورباه وربيبه وقيل : لأن يربيني رجل من قريش خير من أن يربيني رجل من هوازن يعني لأن يملكني".[1155]

فالرب مصدر مستعار مستعمل للفاعل ولا يقال الرب مطلقاً إلا لله - تعالى- المتكفل بمصلحه الموجودين نحو قوله: □ □□□□ □□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□ □ [سبأ : 15]

وعلى هذا قال : □ □□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □ [آل عمران : 80] أي آلهة وبالإضافة يقال له ولغيره نحو: □ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□ [الفاتحة : 2] , و □□□□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□ □ □□□□ □□□□□□□□□□□□ □ [الشعراء : 26]

ويقال رب الدار ورب الفرس لصاحبهما .

وعلى ذلك قوله – تعـالى - : □ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□ □ [يوسف : 42].

وقوله : □ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□ □ [يوسف :23].

قيل عني به الله وقيل عني به الملك الذي رباه والأول أليق بقوله.[1156]

والحقيقة أن للفظ الرب عدة معان وهذه المعاني كلها مما يصح أن تراد بلفظ الرب إذا أطلق على الله – تعالى- فهو المــربي للأشــياء الــذي ينميها وينقلها في الأطــوار المختلفة حتى يبلغ بها غاية كمالها وهو المالك لها والسـيد عليها المــدبر لمصــالحها والقــائم بحفظها وكلاءتها لهــذا كـــانت شـــئون الربوبية كلها من الخلق والـــرزق والملك

[1155](3) المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني ص184,تحقيق محمد سيد الكيلاني,بيروت_دار المعرفة.

[1156](1) دعوة التوحيد ، لمحمد خليل هراس ص31,مكتبة الصحابة,طنطا,بدون رقم وتاريخ.

والتدبير والتصريف مختصة به سبحانه لا يشاركه فيها أحد من خلقه وهذا أمر مركوز في الفطرة لا يكـاد ينـازع فيه أحد حـتى أن المشـركين الـذين بعث فيهم رسـول الله ﷺ كانوا يقرون بذلك ولا ينكرونه ولا يجعلون أحداً من آلهتهم شـريكاً لله في ربوبيته قـال الله – تعـالى - : [illegible]

[illegible]

]يونس : 31[.

وقال – تعالى-: [illegible]

[illegible]

]المؤمنون : 88- 89[.

ثانيا توحيد الألوهية :

الألوهية نسبة إلى الإله بمعني المعبود : يقال أله يأله إلهة وألوهة ألوهية بمعنى عبد عبادة .

والإله هو : اسم للمعبود مطلقاً بحق أو بغير حق فهو يطلق على الله - عز وجل- كما يطلق على غيره من المعبودات الباطلة وجمعه آلهة. وأما الله فمختص بالمعبود بحق لا يطلق على غيره،[1157] وعلى ذلك فمعني توحيد الألوهية هو إفراد الخالق جل وعلا بالعبادة وإخلاص الدين له وحده.

وهذا التوحيد هو الذي بعث الله الرسل وأنزل الكتب من أجله وهو الذي وقع فيه النزاع والخصام بين الرسل وأممهم وهذا واضح جلي في القرآن الكريم وذلك لأن المشركين من كل أمة كانوا يتخذون من دون الله أنداداً يشركونهم مع الله في العبادة وكانوا يقصدون بذلك التقرب بهم إلى الله – تعالى - وجعلهم شفعاء ووسطاء عند الله وذلك زعماً منهم أنه لا تقضى لهم حاجه ولا يسمع لهم دعاء ولا تفتح لهم أبواب السماء إلا بشفاعة هؤلاء الوسطاء قال شارح الطحاويه متحدثا عن منزلة توحيد الألوهية:

"اعلم أن التوحيد أول دعـوة الرسل وأول منـازل

[1157] (1) دعوة التوحيد:ص37-38.

الطريق وأول مقــام يقــوم فيه الســالك إلى الله . قــال- تعالى - : [illegible]

[illegible]]الأعراف :59[, قال هود– عليه السلام –لقومه" [illegible]

[illegible]]الأعــراف : 65[, وقــال شــعيب-عليه الســلام – لقومه: [illegible]

]النحل :36[.

وقال- تعالى - : [illegible]

[illegible]]الأنبياء: 25 [.

وقال ﷺ :" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"[1158], ولهذا كان الصحيح أن أول واجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا شك كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد الشهادتان .. إلى أن قال : فالتوحيد أول الأمر أعني توحيد الألوهية ".[1159]

فهذا التوحيد هو أول الدين وآخره وباطنه وظاهرة وهو أول دعــوة الرسل وآخرها وهو معــنى قــول لا إله إلا الله فـإن الإله هو المـألوه المعبـود بالمحبة والخشـية والإجلال والتعظيم وجميع أنـواع العبـادة ولأجل هـذا التوحيد خلقت الخليفة وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب و به افترق الناس مؤمـنين وكفـاراً وسـعداء أهل الجنة وأشـقياء أهل النـار قـال- تعـالى- : [illegible]

]البقرة :21[,فهذا أول أمر في القرآن.

1158(1)صحيح مسلم (1/212نووي).

1159(2)انظر شرح العقيدة الطحاوية ،لابن أبي العز الحنفي ص14_حققها وراجعها جماعة من العلماء_المكتب الإسلامي _بيروت.وانظر دعوة التوحيد ص37-38

قال: لمعاذ :" إنك تأتي على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله - عز وجل - " .[1160]

وهذا التوحيد هو أول واجب وآخر واجب وأول ما يدخل به الإسلام وآخر ما يخرج من الدنيا قال صلي الله عليه وسلم :" من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة[1161] " وقال :"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله".[1162]
وهو حقيقة دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه كما قال النبي :" بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت"[1163] فأخبر أن الإسلام مبني على هذه الأركان الخمسة وهي الأعمال فدل على أن الإسلام هو عبادة الله وحده لا شريك له بفعل المأمور وترك المحظور والإخلاص في ذلك لله وقد تضمن ذلك جميع أنواع العبادة فيجب إخلاصها لله – تعالى - فمن أشرك بين الله وبين غيره في شيء فليس بمسلم .[1164]

وحق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً كما في الحديث الذي رواه معاذ عن النبي انه قال : " كنت رديف رسول الله على حمار يقال له عفير قال فقال :" يا معاذ تدرى ماحق الله على العباد وما حق العباد على الله "؟ قال : قلت : الله ورسوله أعلم . قال : " فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله - عز وجل- أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً قال : قلت : يا رسول الله أفلا أبشر الناس . قال : " لا تبشرهم فيتكلوا " .[1165]

[1160](3) صحيح مسلم "1/ 199نووي"
[1161](4) سنن أبي داود "14/79"
[1162](5) صحيح مسلم "1/212نووي"
[1163](1) صحيح البخاري "1/49فتح"،و صحيح مسلم "1/ 177نووي"
[1164](2) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ، للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ص36_39_المكتب الإسلامي _بيروت _ط5_1402ه.
[1165](3) صحيح مسلم "1/ 232نووي"

ثالثاً :توحيد الأسماء والصفات:

تعريفه : هو الإقرار بأن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وأنه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم له المشيئة النافذة والحكمة البالغة وأنه سميع بصير رؤوف رحيم على العرش استوى وعلى الملك احتوى وأنه الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى والصفات العلى.[1166]

ويقوم هذا النوع من التوحيد على أسس ثلاثة وهي :

1- الأساس الأول : أن أسماء الله - عز وجل - وصفاته كلها توقيفية لا يجوز إطلاق شيء منها على الله في الإثبات أو في النفي إلا بإذن من الشرع فلا نثبت لله - سبحانه - من الأسماء والصفات إلا ما أثبته هو لنفسه أو أثبته له رسوله صلي الله عليه وسلم ولا ننفي عنه كذلك من الأسماء والصفات إلا ما نفاه هو عن نفسه أو نفاه عنه رسوله محمد صلي الله عليه وسلم وما لم يصرح الشرع بإثباته ولا بنفيه يجب التوقف فيه حتى يعلم ما يراد به فإن أريد به معنى صحيحاً موافقاً لما جاء به النص قبل وإلا وجب رده .

الأصل في ذلك أن معرفه الله – عز وجل - بأسمائه وصفاته وبما يجب له أو يمتنع أو يجوز عليه فلا سبيل إلى إدراكها بالعقل وحده لأنها من الغيب .

2- الأساس الثاني : أن الله - عز وجل - في كل ما ثبت من الأسماء والصفات لا يماثل شيئاً من خلقه ولا يماثله شيء بل كل ما ثبت له من صفات الكمال التي وردت بها النصوص الصريحة من الكتاب والسنة فهو مختص به لا يشركه فيه أحد من خلقه وليس معنى هذا أن ما يطلق على الرب أو على صفاته من أسماء لا يسمى به غيره

[1166](4) تيسير العزيز الحميد ص34

فقد يكون الاسم مشتركاً بينه وبين غيره أو بين صفته وصفة غيره ولكن هذا الاشتراك في الاسم لا يوجب مماثلة المخلوقين فيما دلت عليه هذه الأسماء .

فتسميته تعالى عالماً وتسمية العبد عالماً لا يوجب مماثلة علم الله لعلم العبد وكذلك تسميته تعالى مريداً أو حياً أو سميعاً أو بصيراً أو متكلماً إلى غير ذلك من الأسماء التي قد تطلق على المخلوقين لا يوجب أن تكون إرادتهم كإرادته ولا حياتهم كحياته .

والأصل في ذلك أن ما يوصف الله – عز وجل - به ويوصف العباد إنما يوصف الله به على ما يليق به ويوصف به العباد على ما يليق بهم فالاشتراك إنما هو في مفهوم الاسم الكلي وذلك إذا أخذ الاسم مطلقاً غير مضاف فإذا أضيف صار مختصاً لا يقبل الشركة فإذا قيل علم الله وقدرة الله وإرادة الله ونحو ذلك كان المراد صفته الخاصة به التي لا يشاركه فيها المخلوق [1167].

وإذا قيل علم العبد وقدرته وإرادته ونحو ذلك كان المراد صفته الخاصة به التي يتنزه عنها الخالق جل شأنه .

3- الأساس الثالث : أن صفاته كلها صفات كمال:

أن صفاته سبحانه صفات كمال كلها فهو موصوف بصفات الكمال التي لا غاية وراءها ، بريء من صفات النقص والاحتياج والحدوث والواجب أن يثبت له أقصى ما يمكن من الأكملية بحيث لا يكون هناك كمال عار عن النقص إلا وهو ثابت له يستحقه بكمال ذاته ويتنزه عن الاتصاف بضده وضابط ذلك أن أي كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق كان الخالق أولى به وكل نقص تنزه عنه المخلوق فالخالق أولى بالتنزه عنه.[1168]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية متحدثاً عن صفات الله - سبحانه وتعالى - وواجب المسلم تجاه هذه الصفات:

[1167](1)دعوة التوحيد ص11

[1168](1)دعوة التوحيد ص12

" ثم القول الشامل في جميع هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفة به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث.

قال الإمام أحمد - رحمه الله- : لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفة به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث.

ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفة به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ونعلم أن ما وصف الله من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في أفعاله فكما نتيقن أن الله – سبحانه - له ذات حقيقة وله أفعال حقيقية فكذلك له صفات حقيقية وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وكل ما أوجب نقصاً أو حدثاً فإن الله متنزه عنه حقيقة فإنه سبحانه مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم عليه واستلزام الحدوث سابقة العدم ولافتقار الحدث إلى محدث والوجوب وجوده بنفسه - سبحانه وتعالى - .

ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذات الله بذات خلقه ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فيعطلوا أسماءه الحسنى وصفاته العليا ويحرفوا الكلم عن مواضعه ويلحدوا في أسماء الله وآياته.

وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل مثلوا أولاً وعطلوا آخراً وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسماء الله وصفاته بالمفهوم من أسماء

خلقه وصفاتهم وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة بالله - سبحانه وتعالى -" .[(1169)]
وقال شيخ الإسلام ابن تيميه أيضاً :
" فما وصف الله من نفسه وسماءه على لسان رسول سميناه كما سماه ولم نتكلف منه صفة ما سواه لا هذا ولا هذا لا نجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة ما لم يصف".[(1170)]

وقال أيضاً :" والراسخون في العلم الواقفون حيث انتهى علمهم الواصفون لربهم بما وصف من نفسه التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفه ما سمى منها جحداً ولا يتكلفون وصفه بما لم يسمه تعمقاً لأن الحق ترك ما ترك وتسميته ما سمى " و من يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً " .[(1171)]

والإيمان بالأسماء الحسنيى له ثلاثة أركان:

الركن الأول : الإيمان بالاسم
الركن الثاني : الإيمان بما دل عليه الاسم
الركن الثالث : الإيمان بما يتعلق به من الآثار
فنؤمن بأن الله رحيم ذو رحمة واسعة وسعت كل شيء ويرحم عباده قدير ذو قدره وتقدير على كل شي غفور ذو مغفرة لعباده .[(1172)]

مفهوم التوحيد عند النقشبندية :

وبعد بيان المفهوم الصحيح للتوحيد بأقسامه الثلاث نجد أن النقشبندية قد وقفوا من هذا المفهوم موقفاً مخالفاً.
قال خاوند طهور[(1173)] وهو أحد مشايخ النقشبندية :
"أن التوحيد تفريد البدن وحفظه عن الشهوات للعبادة ، و تفريد القلب وصونه عن الخطرات للعبودية وإلا فالحق - سبحانه وتعالى - واحد في نفسه وتوحيد الواحد محال كما قيل:

1169(1) مجموع الفتاوى : "5/ 26-27".
1170(2) مجموع الفتاوى : "5/ 44".
1171(3) مجموع الفتاوى : "5/46".
1172(1)شرح أسماء الله الحسنى,لسعيد بن علي بن وهف القحطاني,ص 16الطبعة الاولى_1409ه.
1173(2) لم أقف على ترجمته.

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته عارية أبطلها الواحــد
توحيـده إياه توحيـده ونعت من ينعته لا حــد[1174]

أقسام التوحيد عند النقشبندية:

لقد قسم النقشبندية التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

الأول : توحيد العامة

والثاني : توحيد الخاصة

والثالث: توحيد خاصة الخاصة الذي يجب على الشيخ أن يغلق على مريديه في بداية طريقهم الكلام فيه لأنه إن فتح بابه عليهم يعطلهم وربما تزندقوا فخسروا الدين[1175] وهذا القسم من أقسام التوحيد عندهم هو التوحيد الحقيقي وهو أعلى مراتب التوحيد كما مر من كلامهم وهو سر الأسرار يقول إبراهيم الشاشي:

وحال رجال الله في المهد ظاهر ولكن كتم السر للحر أحزم[1176]

من خلال هذه العبارات التي نقلتها عن أئمتهم يتضح لنا بأنهم أعرضوا عن الأقسام التي قسمها أهل السنة والجماعة للتوحيد عن طريق الاستقراء لنصوص الكتاب والسنة وأتوا بتقسيمات جديد من عند أنفسهم للتوحيد ما أنزل الله بها من سلطان لأن هذه الأقسام للتوحيد لم نجدها لا في كتاب الله ولا في سنة رسول الله محمد ﷺ بل هي تقسيمات أتوا بها من عند أنفسهم متبعين أرائهم ولو رجعوا إلى كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ وفهموا معناها لوصلوا إلى حقيقة التوحيد والتي مرَّ بيانها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية متحدثاً عن تقسيمات المتصوفة عامة للتوحيد وقد تكلم عن كل الأقسام الثلاثة

1174(3) رشحات عين الحياة ص161.

1175(4) البهجة السنية:ص53.

1176(5) رشحات عين الحياة ص165

ونقضها ولكني أريد أن أورد كلامه عن القسم الثالث خشية الإطالة قال - رحمة الله - :

" وأما التوحيد الثالث فهو توحيد اختصه الحق لنفسه واستحقه بقدره ... إلى آخر كلامه . فهؤلاء هم الذين أنكر عليهم أئمة الطريق الجنيد وغيره حيث لم يفرقوا بين القديم والمحدث وحقيقة قول هؤلاء الاتحاد والحلول الخاص من جنس قول النصارى في المسيح وهو أن يكون الموحد هو الموحد ولا يوحد الله إلا الله وكل من جعل غير الله يوحد الله فهو جاحد عندهم كما قال:

ما وحد الواحد " أي من واحد غيره" إذ كان من وحده جاحد .

فإنه على قولهم هو الموحد والموحد ولهذا قال :

توحيد من ينطق عن نعته   عارية أبطلها الواحد

يعني إذا تكلم العبد بالتوحيد وهو يرى أنه المتكلم فإنما ينطق عن نعت نفسه فيستعير ما ليس له فيتكلم به وهذه عارية أبطلها الواحد ولكن إذا فني عن شهود نفسه وكان الحق هو المتكلم على لسانه حيث فني من لم يكن وبقي من لم يزل فيكون الحق هو الناطق بنعت نفسه لا بنعت العبد ويكون هو الموحد وهو الموحد ولهذا قال توحيده إياه توحيده أي توحيد الحق إياه أي نفسه هو توحيده هو لا توحيد المخلوقين له فإنه لا يوحده عندهم مخلوق بمعنى أنه هو الناطق بالتوحيد على لسان خاصة ليس الناطق هو المخلوق كما يقول النصارى في المسيح أن اللاهوت تكلم بلسان الناسوت.

وحقيقة الأمر أن كل من تكلم بالتوحيد أو تصوره وهو يشهد غير الله فليس بموحد عندهم وإذا غاب وفني عن نفسه بالكلية فتم له مقام توحيد الفناء الذي يجذبه إلى توحيد أرباب الجمع صار الحق الناطق المتكلم بالتوحيد وكان هو الموحد لا موحد غيره .

وحقيقة هذا القول لا يكون إلا بأن يصير الرب والعبد شيئاً واحداً وهو الاتحاد فيتحد اللاهوت والناسوت كما يقول

النصارى[1177] إن المتكلم بما كان يسمع من المسيح هو الله وعندهم إن الذين سمعوا منه هم رسل الله وهم عندهم أفضل من إبراهيم وموسى ولهذا فتكلم بلفظ اللاهوت والناسوت طائفة من الشيوخ الذين وقعوا في الاتحاد والحلول مطلقاً ومعيناً فكانوا ينشدون قصيدة ابن الفارض ويتحلون بما فيها من تحقيق الاتحاد العام ويرون كل ما في الوجود هو مجلى ومظهر ظهر فيه عين الحق . [1178]

ثم قال شيخ الإسلام ناقداً لقول المتصوفة في النص السابق في وصفهم للقسم الثالث من أقسام التوحيد:

" وألاح منه لائحاً إلى أسرار طائفة من صفوته وأخرسهم عن نعته وأعجزهم عن بثه قال أفضل صفوته هم الأنبياء وأفضلهم الرسل أولو العزم وأفضل أولو العزم محمد وما ألاحه الله على أسرار هؤلاء فهو أكمل توحيد عرفه العباد وهم قد تكلموا بالتوحيد ونعتوه وبثوه وما يقدر أحد قط أن ينقل عن نبي من الأنبياء ولا وارث نبي أنه يدعي أنه يعلم توحيداً لا يمكنه النطق به بل كل ما علمه القلب أمكن التعبير عنه لكن قد لا يفهمه إلا بعض الناس".

فأما أن يقال : إن محمداً عاجز عن أن يبين ما عرفه الله من توحيده فهذا ليس كذلك ....ثم قال شيخ الإسلام في شرحه لقول المتصوفة في النص السابق وبالتحديد في القسم الثالث من أقسام التوحيد عندهم:

" والذي يشار إليه على ألسن المشيرين أنه إسقاط الحدث وإثبات القدم يقال مرادهم بهذا نفي المحدث أي ليس هنا إلا القديم وهذا على وجهين فإن أريد به نفي

[1177](1) النصارى: هم اصحاب الديانة النصرانية,والذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح ، وكتابهم الإنجيل.
وقد أطلق على أتباع الديانة النصرانية في القرآن الكريم نصارى، وأهل الكتاب، وأهل الأنجيل. انظر مثلاً سورة البقرة آية (62، 111، 113) . انظر سورة آل عمران آية (64) ،النساء آية(171) . سورة المائدة آية (47) .

[1178](2) منهاج السنة "5/370"

المحدث بالكلية وأن العبد هو القديم فهذا شر من قول النصارى فإن اليعقوبية[1179] يقولون : إن اللاهوت والناسوت امتزجا واختلطا فصارا جوهراً وأقنوماً واحداً وطبيعة واحدة ..... فقول القائل :

إسقاط الحدوث إن أراد به أن المحدث عدم فهذا مكابرة وإن أراد به إسقاط المحدث من قلب العبد وأنه لم يبق في قلبه إلا القديم فهذا إن أريد به ذات القديم فهو قول النسطورية[1180] من النصارى وإن أريد به معرفته والإيمان به وتوحيده أو قيل مثله أو المثل العلمي أو نوره أو نحو ذلك فهذا المعنى صحيح فإن قلوب أهل التوحيد مملوءة بهذا لكن ليس في قلوبهم ذات الرب القديم وصفاته القائمة به وأما أهل الاتحاد العام فيقولون: ما في الوجود إلا الوجود القديم وهذا قول الجهمية[1181] ". [1182]

وعلى هذا فالنقشبندية يقفون من التوحيد الذي أمر الله به موقفاً مخالفاً ثم أنهم لم يقفوا عند هذا الحد بل ذهبوا إلى ابتداع عقائد الحادية سموها بالتوحيد الحقيقي

[1179] (1)ليعقوبية:فرقة نصرانية تنسب إلى يعقوب البرادعي ت(578م)أسقف الرها فال:أن المسيح طبيعة واحدة هي الطبيعة الإلهية وأنه قتل وصلب ثم قام بعد ثلاثة أيام ,يتواجد اليعقابة في سوريا والعراق وقليل منهم في تركيا والأردن ولبنان.انظر قاموس المذاهب والأديان د.حسن علي حمدص227_بيروت ,لبنان_دار الجيل ط1_1419.

[1180] (2)النسطورية: هي الطائفة التي وجدت في العراق وفارس من النصارى ,وتنسب إلى نسطور ،الذي كان بطريركا للقسطنطينية سنة 428م. تمثل مذهب نسطور في القول بأن عيسى لم يكن إلهاً في حد ذاته ،بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة ،أو هو ملهم من الله ، وأنه فوق الناس,انظر :محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ،ط2 ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1381 هـ ، ص156 ، 157 .

[1181] (3)الجهمية: ينسبون الى الجهم وكنيته أبو محرز فكان مولى لبني راسب من الأزد وأصله من بلخ ويعرف بالسمرقندى لأنه عاش فترة من حياته في سمرقند فنسب إليها ولا تعرف سنة ولادته . أخذ عن الجعد منه نفي الصفات الإلهية فنسب إليه حتى صارت الجهمية علما على من ينفي الصفات الإلهية وقد خالفوا في القدر وغلوا في الإثبات حتى نفوا أن يكون للعبد قدرة ومشيئة ، وأسندوا ذلك إلى الله.
انظر الملل والنحل (1/90).للشهرستاني,تحقيق محمد سيد الكيلاني_دار المعرفة_بيروت.

[1182] (4)منهاج السنة "5/373 -383"

الذي ينبغي أن يصل إليه الإنسان وهذا ما سنبينه في المبحث الآتي إن شاء الله.

تعريف وحدة الوجود :

على ما سبق تبين أن مفهوم التوحيد عند النقشبندية هو القول بوحدة الوجود,إن وحدة الوجود تعني عند الصوفية عامة وعند النقشبندية كما تم بيانه أنه ليس هناك موجود إلا الله فليس غيره في الكون وما هذه الظواهر التي نراها إلا مظاهر لحقيقة واحدة هي الحقيقة الإلهية - تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً – هذا القول لم يظهر صريحاً قبل ابن عربي في المسلمين وقد تحدث عنه بصورة كاملة حتى قال عنه السرهندي:" أنه دونها تدوين النحو والصرف"[1183] ولم يتورع ابن عربي في أن ينسب ما في الوجود كله من شر وقبائح وسفك دماء إلى الله - عز وجل - بل جعل كل ذلك هو الله - سبحانه وتعالى - .

فقد قال : " لا يوجد أي موجود وجوداً حقيقا وأصيلاً إلا الوجود الإلهي . فهو سبحانه كل الوجود ، وأنه – تعالى - ليس في حاجة إلى إقامة الحجج والبراهين على إثبات وجوده ".[1184]

ثم يؤكد : " فالعلي نفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية حيث لا يمكن أن يفوته نعت فيها وسواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً أو مذمومة عرفاً وعقلاً وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصة ".[1185]

فعلى قول ابن عربي هذا أن القائلين بوحدة الوجود يصفون الله – عز وجل - بكل ما في الكون من أوصاف سواء كانت هذه الأوصاف قبيحة أو حسنة بل يصفونه بكل موجود في هذا الكون من حيوان وإنسان وجن وغيرها من مخلوقات الله وذلك بناء على ما يعتقدون بأنه

[1183](1) المكتوبات "2/117" .

[1184](2) فصوص الحكم ص61.

[1185](3) فصوص الحكم ص79.

لا موجود في هذا الكون إلا الله أما ما عداه فهي مجرد ومجالي ومظاهر لله - سبحانه وتعالى - .

وقد تابعه في مقولته هذه كثير من المتصوفة الكبار الذين ألفوا فيها كتباًكابن سبعين[1186] وعبدالكريم الجيلي[1187]، وابن عجيبة[1188] وأبو سعيد الخراز[1189] وغيرهم .وصارت تحوم حول هذه العقيدة أقوالهم إشارة مرة وتلويحاً مرة وتصريحاً أخرى.وهي مقالة مركبة من قول فلاسفة اليونان القائلين بوحدة الوجود مثل : أكسينوفان[1190] ، وبرمنيدس [1191]،

[1186](1) ابن سبعين هو: عبدالحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الإشبيلي المرسي أبو محمد من القائلين بوحدة الوجود وله كتب كثيرة في التصوف والفلسفة وقد كفره كثير من الناس له مريدون وأتباع يعرفون بالسبعينية.
قال ابن دقيق العيد :جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر وهو يسرد كلاماً ما تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته,وقال الذهبي : أشهد عن ابن سبعين أنه قال : تحجر ابن آمنة واسعاً بقوله : "" لا نبي بعدي"" وكان يعتقد في الله عز وجل أنه حقيقة الموجودات وقصد في مكة فنزل يجرى حتى مات نزفاً وقال محمد بن شاكر الكتبي بعد أن حكى كلمات الكفر عن ابن سبعين قال : فإن ابن سبعين إن قال هذا فقد خرج به من الإسلام مع أن هذا الكلام هو أخف وأهون من قوله في ربه أنه حقيقة الموجودات تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.
انظر ""لسان الميزان"" "3/392" و "الأعلام" "4/51".

[1187](2) الجيلي هو: عبدالكريم بن إبراهيم بن عبدالكريم الجيلي ابن سبط الشيخ عبدالقادر الجيلاني من علماء الصوفية الكبار له كتب كثيرة منها : ""الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر"" و ""المناظر الإلهية"" و "" مراتب الوجود"" ""وقاب قوسين"" وغيرها انظر الأعلام للزركلي "4/175".

[1188](3) ابن عجيبة هو: احمد بن محمد المهدي بن عجيبة صوفي من أهل المغرب وله كتب كثيرة في التصوف منها : ""الفتوحات الإلهية"" ، و "" إيقاظ الهمم في شرح الحكم"" "ت1224هـ" انظر جمهرة الأولياء و أعلام أهل التصوف ، لأبي الفيض المنوفي "1/234" مطبعة المدني ، 1967م..

[1189](4) أبو سعيد الخراز هو :احمد بن عيسى قال عنه الجنيد لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه أبو سعيد الخراز لهلكنا توفي "277هـ" وقيل "286هـ" انظر صفوة الصفوة لابن الجوزي "2/245" تحقيق محمود فاخوري ، د. محمد رواس قلعة جي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط2 ، 1399هـ، 1979م

[1190](5) أكسينوفان القولوفوني. فيلسوف يوناني ،كان نحو 570 - 480.م.انظر :موسوعة الفلسفة والفلاسفة "1/176"

[1191](6) برمنيدس الإلياني .فيلسوف يوناني,له قصيدة في الطبيعة ادعى فيها التوحيد المطلق،وعدم التغير,وأزلية كل شيء.كان نحو 540 – 450

والرواقيين [1192] وغيرهم ، ومن قول المؤلهةكأفلاطون[1193] ،وأرسطو[1194]، وأفلوطين [1195]وغيرهم.

فقد أخذوا عن الأولين قولهم بوحدة الوجود وأن الله - تعالى - عن قولهم منبث في هذا الكون من أصغر ذرة إلى أكبر جرم فيه وأخذوا عن الآخرين قولهم بإثبات الوجود المطلق لله ، والقول بصدور النفس الكلية عنه والتي تماثل وتشابه الأول الذي صدرت عنه، وهذه توازي عند ابن عربي وأتباعه ما يسميه بالحقيقة المحمدية .

ثم عن النفس الكلية صدرت أرواح الكواكب كما هو عند أرسطو وهكذا هو عند ابن عربي حيث زعم أن الله أنشأ من الحقيقة المحمدية محمداً ثم اقتطع العالم كله تفصيلاً على تلك الصورة بالخيال ثم أنشأ من الحقيقة سائر العالم المحسوس .وهذا ما سيتم مناقشته في عقيدتهم في رسول الله .

فمن هذا يتبين أن هذا المعتقد الذي بينه ابن عربي واعتقده النقشبندية هو مذهب مركب من قول الفلاسفة الوثنيين وأضاف عليه ابن عربي بعض المسميات التي جاءت في الإسلام والشرع كاسم محمد والعرش والكرسي ونحو ذلك ، وذكر هذه الأسماء وإقحامها في

ق.م.المنجد ص127

[1192](7) الرواقيون:نسبة إلى الرواق الذي اتخذه زينون مقراً له يجتمع فيه مع أصحابه في أثينا,فسموا رواقيين والرواقية فلسفة خلقية,ومن قولهم القول بوحدة الوجود .انظر:الموسوعة الفلسفية ص214 .

[1193](8) أفلاطون . ولد نحو 427 ، وتوفي نحو 347 ق .م . من مشاهير فلاسفة اليونان ، وهو تلميذ سقراط، ومعلم أرسطو . الموسوعة الفلسفية ص52 ، والمنجد في الأعلام ص54.

[1194](1) أرسطو طاليس . ولد نحو 384 ، وتوفي نحو 322 ق . م . وهو أشهر فلاسفة اليونان ، وأكثرهم تأثيراً فيمن بعدهم ، وهو مربي الإسكندر المقدوني ، وتلميذ أفلاطون . انظر : الموسوعة الفلسفية ص35 ، والمنجد في الأعلام ص34.

[1195](2) أفلوطين . ولد نحو 205 م وتوفي 270م ، وهو فيلسوف مصري ، متأثر بأفلاطون ، وتعزى إليه مع آخرين الأفلاطونية الحديثة ، وكان يسعى في فلسفته للتوفيق بين المعتقدات الدينية النصرانية والفلسفة اليونانية ، وكان له تأثير كبير على النصرانية . الموسوعة الفلسفية ص 57 ، والمنجد في الأعلام ص56.

مقولته لا تصحح انتماءها إلى الإسلام لا من قريب ولا بعيد بل هي مقولة مغرقة في الإلحاد والكفر ، وهو أشد كفراً وبعداً عن الحق من هذا الوجه من مقالة أرسطو وأتباعه ، لأن أولئك اعتقدوا تنزيه الله - عز وجل - عن المحدثات على العموم والذي يعني التعطيل.

وهؤلاء قالوا بتنزيهه أي تعطيله أولاً ، ثم جعلوه هو المحدثات طيبها وخبيثها حسنها وقبيحها ، وهذا متضمن لنفي وجوده مرتين:

الأولى : بتعطيله وإثبات الوجود المطلق الذي هو وجود ذهني .

والثانية : بزعمهم أنه هو الوجود كله والكون كله [1196]، فلم يميز بين الواحد والكثرة أو بين الحق والخلق ، و أن الحق لا ينفصل عن الخلق ، لأن الخلق ليس إلا الحق .

فقد قال : أبو العلا عفيفي في شرحه للفصوص"ليس في الحقيقة أثر للاثنينة في مذهب ابن عربي ، وكل ما يشعر بالاثنينة يجب تفسيره على أنه إثنينة اعتبارية . فليس في الوجود في نظره إلا حقيقة إذا نظرنا إليها من جهة سميناها حقاً وفاعلاً وخالقاً ، وإذا نظرنا إليها من جهة أخرى سميناها خالقاً ومخلوقاً".[1197]

بيان ما ترتب على القول بوحدة الوجود :

بعد أن تمَّ بيان معنى وحدة الوجود تلك العقيدة التي اعتنقها النقشبندية باعتبارها أعلى مراتب التوحيد متبعين في ذلك أسلافهم من الصوفية وقد ذكرت في الباب الثاني ما ترتب على الاعتقاد بهذه العقيدة من أمور بشكل مجمل ، رأيت من الفائدة أن أعيد ذكرها بشيء من التفصيل حتى يتناسب ذلك مع الرد على هذه العقيدة .

ما ترتب على القول بوحدة الوجود عند النقشبندية:

[1196](1) قول الفلاسفة المنتسبين للإسلام في توحيد الربوبية "سلسلة مقالات " ، للدكتور سعود الخلف ص72 ، الدراسة الثانية.

[1197](2)شرح الفصوص ، لابي العلا عفيفي ص53-54.

1- القول بسقوط التكاليف وهذه نتيجة منطقية للإيمان بهذه العقيدة فإذا كان ما في الوجود إلا الله فمن يعبد الناس أيعبدون أنفسهم ! وإلى من يتوجهون في الدعاء ! ومن ذلك تفسيرهم لقوله – تعالى - :

﴿ [illegible] ﴾]النجم:29[,أي اعرض عمن استغرق واستهلك في الله واحتجوا بما قاله ابن عربي :

ألا بـذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب
وترك الذكر أحسن منه حالاً فإن الشمس ليس له غروب[1198]

ومن المعلوم أن تفسير الآية يختلف اختلافاً كبيراً عن هذا التفسير حيث ورد في تفسير

هذه الآية:"أي اعرض عن الذي أعرض عن الحق واهجره".[1199]

ولكنهم حينما قسموا الدين إلى ظاهر وباطن ، وكان هذا التقسيم هو وسيلتهم التي تذرعوا بها للدس في الدين مالم ينزل به سلطانا ، وجعلوا للقرآن ظاهراً هو التنزيل الذي جاء به محمد بن عبدالله [illegible] وأعلنه وأظهره للعموم وباطناً – وهو التأويل الذي تكفل أوليائهم ببيانه حسب العلم اللدني الذي طريقة الكشف الصوفي [1200] كانت لهم إسهامات في الدين تختلف عما بينه رسول الله [illegible] وفهمه صحابة الكرام .

وقد سئل ابن تيمية عن قوم داوموا على الرياضة 000فرأوا أنهم تجوهروا فقالوا:لا نبالي الآن ما عملنا ؛ وإنما الأوامر والنواهي رسوم العوام ,ولو تجوهروا لسقطت عنهم 000وقالوا:المراد منها ضبط العوام ولسنا نحن من العوام فندخل في حجر التكليف فكان بين ما أجاب به " وأما قولهم :المراد منها ضبط العوام ولسنا نحن من العوام0فالكلمة الأولى زندقة ونفاق ،والثانية

[1198] (3)انظر الباب الثاني من الرسالة (عقيدتهم في الله).
[1199] (1)تفسير القرآن العظيم(4/260).
[1200] (2)قديس الأشخاص ص377.

كذب واختلاق؛ فإنه ليس من الشرائع مجرد ضبط العوام , بل المراد منها الصلاح باطناً وظاهراً,للخاصة والعامة في المعاش والمعاد".[1201]

وقال أيضاً :"ومن اعتقد000ان لله رجالاً خواصا لا يحتاجون إلى متابعة محمد بل استغنوا عنه كما استغنى الخضر عن موسى عليهما السلام فمن اعتقد أن هؤلاء أولياء الله فهو كافر مرتد عن الإسلام باتفاق أئمة الإسلام ولو كان في نفسه زاهداً عابداً".[1202]

وجملة القول أن نشر هذا الفكر في الأمة يهدف إلى هدم قواعد الإسلام وفتح باب التحلل من المسؤوليات الدينية,وباب الانحلال الخلقي في المجتمع الاسلامي0وهذا باب لو فتح لكان أصحاب رسول الله أولى به وأحق لكونهم أعلى مقاماً من غيرهم ولكنهم أطهر وأتقى من أن تصدر عنهم مثل هذه الدعاوى العريضة الجوفاء.

2- ومما ترتب على هذه العقيدة القول بتأليه المخلوقين وإن لم يكن قولاً صريحاً إلا أنه يفهم من جملهم واعتقادهم بقدرة أوليائهم على التصرف ، فإذا توجه الشيخ إلى قلب المريد يحصل للمريد الحركة العلمية فيخرج من دائرة الإمكان إلى دائرة الوجوب,وذلك كله بتصرف الشيخ وقدرته وهذا ما سيتم بيان في المآخذ على عقيدتهم في أوليائهم .

3- القول بوحدة الأديان وذلك عندما قرر سيد هذه الطائفة أن التعلق بالسوء أقوى حجاب والتخلص منه فاتحة الوصول فخطر ببال أحد أصحابة أن التعلق بالإيمان والإسلام أيضاً ، فرد عليه بقول الحلاج :

كفرت بدين الله والكفر واجب لدى وعند المسلمين قبيح[1203].

وهذه من أهم المفاسد الخطيرة التي ترتبت على القول بوحدة الوجود فالأديان على ذلك واحدة ، سواء كانت هذه الأديان وثنية باطلة من مجوسية وبوذية وغيرها

[1201] (3)مجموع الفتاوى(11/415-416).

[1202] (4)مجموع الفتاوى(10/434-435).

[1203] (1)انظر الباب الثاني من الرسالة (عقيدتهم في الله).

من الأديان التي ليس لها صلة بالوحي السماوي لا من قريب ولا من بعيد أو الأديان التي لها أساس من الوحي السماوي إلا أنها حرفت وبدلت حتى انقلبت إلى أديان وثنية فقد سوى المتصوفة بين هذه الأديان حتى وصل بهم الأمر إلى أن يساووا الإيمان والتوحيد بالكفر والشرك .

ولا غرابة في هذا مادام الرب هو عين العبد وبناء على هذا المعتقد فقد صوب النقشبندية قول الحلاج "أنا الحق" بأنه أراد حقيقة نفسه , وأضافوا أن فرعون لو أراد بمقولته "أنا ربكم " حقيقة نفسه لكان قوله مقبول .

ويقول جوليد زيهر :

" مهما تظاهر الصوفيون بتقديرهم للإسلام فلغالبيتهم نزعة مشتركة إلي محو الحدود الفاصلة بين العقائد والأديان وعندهم أن هذه العقائد كلها لها نفس القيمة النسبية إزاء الغاية المثلى التي ينبغي الوصول إليها" . (1204)

4- تجويز عبادة كل موجود في هذا الكون فإذا كان بعض سالكي النقشبندية أرباب المكاشفات يرون الله بالتجليات الصورية في كل شيء فعبادة كل شيء جائزة عندهم بل يعتقد الصوفية بأن حصر العبادة على الله - سبحانه - يعتبر نقصاً في التوحيد وهم في ذلك تابعين لابن عربي إمام طريقتهم.

قال : "وما عبد شيء من العالم إلا بعد التلبيس بالرفعة عند العابد والظهور بالدرجة في قلبه وكذلك تسمى الحق لنا برفيع الدرجات ولم يقل رفيع الدرجة فكثر الدرجات في عين واحدة فإنه قضى أن لا يعبد إلا إياه في درجات مختلفة أعطت كل درجة مجلى إلهياً عبد فيها وأعظم مجلى عبد فيه وأعلاه الهوى كما قال :" أفرأيت من اتخذ إلهة هواه "وهو أعظم معبود فإنه لا يعبد شيء إلا به ولا يعبد هو إلا بذاته وفيه أقوال:

[1204](2)العقيدة والشريعة في الاسلام ، لجوليد زيهرص170,ترجمة:د.محمد يوسف موسى وعلي حسن عبدالقادر وعبدالعزيز عبدالحق-نشر دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد-ط2 .

وحق الهوى أن الهوى سبب الهوى   ولولا الهوى في القلب ما عبد الهوى[1205]

ثم قال ابن عربي:

"والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه ولذلك سموه كلهم إلهاً مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك ".[1206]

وهذه كلها عقائد باطلة كل منها كما نرى كاف لإخراج الإنسان من الإسلام وتحويله إلى ملحد كافر ،و سيتضح لنا هذا فيما سيأتي حينما نذكر موقف الإسلام من عقيدة وحدة الوجودوالرد عليها.

الرد على وحدة الوجود:

1- أن الله - عز وجل - قد اثبت لنفسه الصفات والأفعال نحو قوله - عز وجل -: ﴿ ﴾ [الشورى :11] ,وقوله: ﴿ ﴾ [القصص :88], ﴿ ﴾ [ص :75] ,﴿ ﴾ [طه :5] ,﴿ ﴾ [المائدة : 116] , ﴿ ﴾ [الروم :54] ,﴿ ﴾ [الزمر : 62] ,﴿ ﴾ [الأنعام :1] .

فهذه النصوص الدالة على صفات الله – تعالى- وأفعاله وغيرها كثير مما يعتبر أعظم وأكبر موضوع تكرر ذكره في القرآن الكريم بشكل فاق جميع الموضوعات بكثرة الآيات الواردة فيه فإنه لا تكاد تخلو آية من ذكره فإذا كانت هذه الآيات مع كثرتها لا تدل على ذات موصوفة بالصفات وذات للخالق - تبارك وتعالى- تميزه عن سائر مخلوقاته وتجعل لكل من الخالق والمخلوق وجوده الذي يتميز به وصفاته التي يتميز بها فإن نصوص التوحيد والصلاة والحج والإيمان باليوم الآخر والجنة والنار وكذلك النصوص التي تحرم الشرك وتحرم القتل والزنا والربا

[1205] (1) فصوص الحكم ,ص194-195 وانظرالباب الثاني من الرسالة في استشهادهم بأقوال ابن عربي

[1206] (2) فصوص الحكم,ص195.

والظلم والبغي وسائر المحرمات والفواحش لا تــدل على تلك الواجبــات ولا على تحــريم تلك المحرمــات ويكــون الدين بذلك كله باطلا .
2- إن هذه الدعوى متناقضة غاية التناقض حيث يزعم هؤلاء أن الله تبارك وتعالى ليس له صفه ولا نعت ولا حد ولا ماهية ولا وجود إلا الوجود المحض ، ثم يزعمون مع هذا أنه المادة قبل تشكلها وتصورها أو ما يسمونه التعين والظهور ، فهذا تناقض بين لا يستقيم بحال ، إذ كيف يستقيم أن يكون مادة ثم مع ذلك ليس له نعت ولا وصف ولا وجود ولا ماهية؟
3- أن دعواهم تتضمن أن الله لا صفه له ولا رسم ولا نعت ولا ما هيه كل هذه الدعاوى تمنع أن يكون خالقا موجودا كما تمنع أن يكون هو هذا الكون لأن حقيقة المقالة أنه غير موجود وإن كان موجودا فهو عاجز لأنه لا صفه له ولا رسم ولا ماهية يمكن فكيف يمكن أن يوجد ماله صفه ورسم وماهية ووجود ! ففاقد الشيء لا يعطيه.[1207]

4- لو كانت هذه الدعوى صحيحة للزم من ذلك أن القرآن والسنة وجميع ما فيهما من العلوم والأوامر والنواهي كلمات جوفاء لا معنى لها بل هي مجرد رموز لمعان بعيده ظلت خفيه على الرسول وعلى أصحابه المسلمين في العصور الأولى بل استمر خفاؤها على المسلمين ولم يعرف تلك المعاني الخفية إلا الصوفية.
5- لماذا لم يصرح الله تبارك – تعالى - بوحدة الوجود ، ويدع إليها وينبه عليها؟ مع أن ذلك لو حدث لما وجد من يعارض ذلك ويرده لأن فيه أمران خطيران:
الأمر الأول : أن جميع البشر بل جميع الأشياء آلهة بل هم الله تعالي الله عن ذلك علوا كبيرا .
الأمر الثاني : أنه ليس هناك شيء محرم أو لا يجوز أو مكروه ، بل كل شيء محبوب مطلوب سواء كان شركا أو قبيحا مثل الزنا أو الربا ، أو بغيا وظلما مثل القتل والاعتداء فكل ذلك داخل في نطاق المباح الذي ليس فيه

[1207](1) قول الفلاسفة المنتسبين للإسلام ص73-74.

حرمة بوجه من الوجوه ، إذ الكل الله تعالي الله عن قولهم علوا كبيرا .

6- أن الرسول ﷺ لم يرد عنه لا من قريب ولا بعيد شيء يدل على دعوى وحدة الوجود ، فما الذي منعه عليه الصلاة والسلام من الدعوة إلي ذلك والجهر به ؟ مع كمال شجاعته وكمال نصحه وفصاحته وبلاغته عليه الصلاة والسلام ، وهو الذي عرض نفسه للقتل في سبيل الله وفي بيان بطلان معبودات أولئك المشركين ، بل استباح دماءهم وأموالهم بسبب شركهم ، كما استباح المشركون أيضا دمه ﷺ ودم أصحابه بسبب معارضته لمعبوداتهم ودعوته لهم إلى توحيد الله عز وجل . فبناء على هذه الدعوى كان من العبث ، إذ أن الأمر لا يستحق شيئا من ذلك ، لأن المشركين على هذه الدعوى إنما كانوا يعبدون الله – تعالى الله علوا كبيرا – فهل في الأقوال الفاسدة أفسد من هذه الأقوال.[1208]

7- أن الله عز وجل قد لعن من أشـــرك معه في العبـــادة وأوجب له الخلود في النـار وذلك في مثل قوله - تعـالى-: [المائدة :72] ، كما لعن إبليس وذلك في قوله: [ص:78] ، كما لعن الله عز وجل اليهود في قوله: [المائدة:78] , فالله عز وجل في هـذه الآيـات وغيرها كثـير لعن وأثبت غضـبه وعذابه لمن عبد شـــيئا معه أو غـــيره عاما أو خاصا . فلو كـــــان الأمر كما زعم هـــــؤلاء من أنه ما ثم إلا الله وأن الوجود كله مظهر ومجلي لله عز وجل لكـان لازم ذلك أن يكون الله عز وجل لعن نفسه – عياذا بالله تعالى – وحكم على نفسه بالخلود في النار سبحانك هذا بهتان عظيم .

8- إن دعوى وحدة الوجود يلزم منها أن يكون كل إنسان هو الله أو جزء من الإله ، وهذا أمر لا وجود له في قراره

1208(1) قول الفلاسفة المنتسبين للإسلام:ص75-76.

الإنسان ، بل كل إنسان يشعر بنقصه وعجزه وحاجته وفقره ، وأنه مخلوق مربوب ، وهذا واقع كل إنسان وهو مما يشعربه أيضا ، لهذا يسعي الإنسان إلي تكميل نفسه وتسديد حاجة نفسه من غيره ، وإذا انقطعت الأسباب بالنسبة للإنسان على العموم لجأ إلى خالقه وموجده وهو يقر بوجوده وربوبيته ، هذا مما لا يستطيع بشر أن ينفك عنه إلا مكابرة ، وفرعون وهو من أكبر المتكبرين عن عبادة الله لما دهمه الماء وأشرف على الغرق وأدرك أن نجاته وحاجته عند واحد فقط وهو رب العالمين اضطر إلي ندائه والاستغاثة به لعله ينجو.[1209]

وقد ناقش شيخ الإسلام ابن تيمية الاتحادية بالأدلة النظرية فقال – رحمة الله – في بعض ما يظهربه كفرهم وفساد قولهم , وذلك من وجوه :

أحدهما : أن حقيقة قولهم أن الله لم يخلق شـيئاً ولا ابتدعه ولا برأه ولا صوره لأنه اذالم يكن وجـود إلا وجـوده فمن الممتنع أن يكـون خالقـاً لوجـود نفسه أو بارئـاً لذاته فـإن العلم بـذلك من أبين العلـوم وأبـدهها للعقـول إن الشيء لا يخلق نفسه ولهذا قال سبحانه : ﴿ [illegible] ﴾]الطور:35[.

فإنهم يعلمون أنهم لم كونوا مخلوقين من غير خالق ويعلمون أن الشيء لا يخلق نفسه فتعين أن لهم خالقاً وعند هؤلاء الكفار الملاحدة الفرعونية أنه ما ثم شيء يكون الرب قد خلقه وبرأه أو أبدعه إلا نفسه المقدسة ونفسه المقدسة لا تكون مخلوقه مربوبة مصنوعة مبروءة لا متناع ذلك في بدائه العقول من ذلك من أظهر الكفر عند جميع أهل الملل وأما على رأى صاحب الفصوص فما ثم إلا وجوده والذوات الثابتة في العدم الغنية عنه ووجوده لا يكون مخلوقاً والذوات غنية عنه فلم يخلق الله شيئاً .

الثاني : أن عندهم أن الله ليس رب العالمين ولا مالك الملك أو ليس إلا وجوده وهو لا يكون رب نفسه ولا يكون الملك المملوك هو الملك المالك وقد صرحوا بهذا الكفر

[1209](1) قول الفلاسفة المنتسبين للاسلام:ص77.

مع تناقضه وقالوا : أنه هو ملك الملك بناء على وجوده مفتقر إلى ذوات الأشياء وذوات الأشياء مفتقرة إلى وجوده فالأشياء مالكة لوجوده فهي ملك الملك .
الثالث : أن عندهم أن الله لم يرزق أحداً شيئاً ولا أعطى أحداً شيئاً ولا رحم أحداً ولا أحسن إلى أحد ولا هدى أحداً ولا أنعم على أحد نعمة ولا علم أحداً علماً ولا علم أحداً البيان ، وعندهم في الجملة لم يصل منه إلى أحد لا خير ولا شر ولا نفع ولا ضرر ولا عطاء ولا منع ولا هدى ولا ضلال أصلاً وأن هذه الأشياء جميعها عين محض وجوده فليس هناك غير يصل إليه ولا أحد سواه ينتفع بها ولا عبد يكون مرزوقاً أو منصوراً أو مهدياً .
ثم على رأى صاحب " الفصوص" أن هذه الذوات ثابتة في العدم والذوات هي أحسنت وأساءت ونفعت وضرت وهذا عنده سر القدر .
وعلى رأى الباقين ما ثم ذات ثابتة غيره أصلاً بل هو ذات نفسه بنفسه ولا عن نفسه بنفسه وهو المرزوق المضروب المشتوم وهو الناكح والمنكوح والآكل والمأكول وقد صرحوا بذلك تصريحاً بيناً.
الرابع : أن عندهم أن الله هو الذي يركع ويسجد ويخضع ويعبد ويصوم ويجوع ويقوم وينام وتصيبه الأمراض والأسقام وتبتليه الأعداء ويصيبه البلاء وقد صرحوا بذلك وصرحوا بأن كل كرب يصيب النفوس فإنه هو الذي يصيبه وأنه إذا أنفس الكرب فإنما يتنفس عنه ولهذا كره بعض هؤلاء الذين هم من أكفر خلق الله وأعظمهم نفاقاً وإلحاداً وعتواً على الله وعناداً أن يصبر الإنسان على البلاء لأن عندهم هو المصاب المبتلى وقد صرحوا بأنه موصوف بكل نقص وعيب فإنه ما ثم من يتصف بالنقائص والعيوب غيره فكل عيب ونقص وكفر وفسوق في العالم فإنه هو المتصف به لا متصف به غيره كلهم متفقون على هذا الوجود .[1210]

[1210] (1) مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية(2/86)_علق عليها محمد رشيد رضا.لجنة التراث العربي.

وقال أيضاً الدكتور محمود عبدالرؤوف القاسم راداً على القائلين بوحدة الوجود وموضحاً بطلانها:

يقول سبحانه : [illegible]

[illegible]]الصافات:158[,

وحدة الوجود تجعل الجن جزءاً من الله – تعالى – وليس بعد هذا النسب ما هو أقوى منه لأنه نسب بعض الذات إلى الذات لكن الآية الكريمة تستهجن هذه الفكرة نفياً لها ودحضاً وتنزه الله – سبحانه وتعالى – عما يصفه هؤلاء الواصفون والعبارة : [illegible] واضحة الدلالة على أن الجن لو كانوا يتصلون بنسب إلى الله – سبحانه – لما جعلهم من المحضرين وعدم وجود النسب بينه – سبحانه – وبين الجنة ينفي وحدة الوجود نفياً كاملاً , ويقول سبحانه تعالى : [illegible]]مريم : 9[.

ويقول : [illegible]]مريم : 67[.

الآيتان واضحتان كل الوضوح أن الله سبحانه خلق الإنسان من لا شيء من العدم ولو كانت وحدة الوجود واقعة لكان الإنسان شيئاً قبل أن يوجد كما هو الآن شيء بعد وجوده فكون الإنسان خلق من لاشيء من العدم ينفي وحدة الوجود جملة وتفصيلاً لأن الله – تعالى – ليس عدماً إنه الحي القيوم الخالق البارئ المصور ......

ثم قال : " ولو كان الخلق هو الحق كما يفترون وكانت المخلوقات جزءاً من الله – سبحانه – تعينت بهذه الأشكال المختلفة لما بقي أي معنى للأسماء الحسنى "الخالق البارئ الفاطر بديع السموات والأرض" التي تعني كلها الإيجاد من العدم ولو كانت وحدة الوجود صحيحة لكان الإنسان جزء من الله ولكانت الآية : [illegible]]العصر:2[,باطلة وكان الإنسان في ربح سواء آمن أو لم يؤمن وعمل صالحاً أم لم يعمل وتواصى بالحق والصبر أم لم يتواصى لأنه جزء من الله .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تصبح شتماً لله لو صحت عقيدة الصوفية بوحدة الوجود مثل قوله سبحانه : ﴿ [illegible] ﴾]هود:60[لأن عاداً حسب زعمهم وعقيدتهم الباطلة هم جزء من الله – سبحانه – حيث يصبح معنى الآية الكريمة : إن جزءاً من الله – تعالى عما يصفون – أتبع في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ".[1211]

أقوال بعض العلماء فيمن اعتقد بوحدة الوجود :

لقد اتضح لنا فيما سبق أن عقيدة وحدة الوجود هي الاعتقاد بأنه لا موجود في هذا الكون إلا الله وما هذه الأشياء التي نراها بأعيننا إلا مظاهر ومجالي لله – سبحانه وتعالى – وما ترتب على هذه العقيدة من أمور خطيرة.

بقي أن نبين مذهب أهل السنة والجماعة بأن الله – سبحانه وتعالى – بائن من خلقه لا يشبهه شيء من مخلوقاته متصف بصفات الكمال فله الأسماء الحسنى والصفات العلى [illegible] ﴿ [illegible] ﴾]الشورى:11[

فهو المتفرد بالجلال المتصف بصفات الكمال المنزه عن النقائص والعيوب فمن اعتقد أن الله تعالي متحد بمخلوقاته وأن العبد عين الرب ، والرب عين العبد فقد كفر بما أنزل على محمد وخالف الفطر والشرائع وقد كفر الله تعالى النصارى الذين قالوا : إن الله اتحد بعيسي عليه السلام فقال سبحانه : [illegible] ﴿ [illegible] ﴾]المائدة:17[, فكيف بمن يقول إن الله متحد مع جميع مخلوقاته فهو أولى بأن يكون كافرا لأنه يعتقد أن الله متحد بجميع ما في هذا الكون وقد أردت تأيداً لما سبق أن أورد أقوال العلماء فيمن يعتقد بوحدة الوجود , قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى وقد كان أكثر من كتب في الرد على

[1211](1) حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ:ص704-706 باختصار_لمحمود عبد الرؤوف القاسم _دار الصحاية.بيروت_ط1_1408-1987م.

أهل وحدة الوجود وبين حكمهم في نظر الإسلام :
"وهؤلاء ليسوا مسلمين ولا يهودا ولا نصارى بل كثير من المشركين أحسن حالا منهم وهؤلاء أئمة النظار المتفلسفة وصوفيتهم وشيعتهم كان من أسباب تسلطهم وظهورهم هو بدع أهل البدع من الجهمية المعتزلة والرافضة[1212] ومن نحا نحوهم في بعض الأصول الفاسدة فإن هؤلاء اشتركوا هم وأولئك الملاحدة في أصول فاسدة يجعلونها قضايا عقلية صادقة وهي باطلة كاذبة مخالفة للشرع والعقل". [1213]
وقال في أقوالهم:
"فهذه المقالات وأمثالها من أعظم الباطل وقد نبهنا على بعض ما يعرف معناها وأنه باطل والواجب إنكارها فإن إنكار هذا المنكر الساري في كثير من المسلمين أولى من إنكار دين اليهود والنصارى ومن عرف معناها

[1212](1) معنى الرافضة: اختلف العلماء في التعريف بالرافضة ، فعلى سبيل المثال ذكر عن الإمام أحمد رحمه الله عدة أقوال فيهم ، منها : "هم الذين يتبرأون من أصحاب محمد ويسبونهم وينتقصونهم ، ويكفرون الأمة إلا أربعة : علي وعماروالمقداد وسلمان,كما ذكر عنهم في كتابه "العقيدة": أجمع من أدركنا من أهل العلم أنهم قالوا : إن علياً ابن أبي طالب أفضل من أبي بكر الصديق ، وأن إسلام علي كان أقدم من إسلام أبي بكر", وأجاب ابنه عبدالله لما سأله عن الرافضة ،فقال :" الذين يسبون أو يشتمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما . ومثله روي عن قوام السنة الأصبهاني ,ومن خلال هذه الأقوال ،يمكن أن نكون مفهوماً للرافضة عند الإمام أحمد :أن كل من قدم علياً على أبي بكر وعمر فهو رافضي ، فضلاً عمن يشتمهما ، وكذلك من يتبرأ من أصحاب رسول الله فإنه رافضي ولا كرامة,وعن أبي زرعة وأبي حاتم الرازيين ،وجماعة من السلف : الرافضة : "هم من رفض الإسلام" , وعن ابن تيميةرحمه الله : " الرافضة عند الجمهور هم المخالفون للسنة فيقولون: أنت سني أو رافضي" .
ومن خلال النقول السابقة يمكن أن نعرف الرافضة بأنهم : " الذين يغلون في علي ،فيقدمونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويعتقدون أحقيته بالخلافة ويتبرأون من الشيخين ، ويطعنون في أصحاب النبي إلا نفراً قليلاً ".انظر:شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائى ، تحقيق أحمد سعد حمدان الرياض ، دار طيبة ، (1/178),والنبوات، ابن تيمية أحمد بن عبدالحليم ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، 1386 هـ ، ص139 .
[1213](2)الرد على المنطقيين,لشيخ الإسلام ابن تيمية,ص521-523_مطبعة معارف لاهور_1396ه_1976م.

واعتقدها كان من المنافقين الذين أمر الله بجهادهم بقوله - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾]التوبة:73[,والنفاق إذا كان صاحبه شرا من كفار أهل الكتاب وكان في الدرك الأسفل من النار وليس لهذه المقالات وجه سائغ ولو قدر أن بعضها يحتمل في اللغة معني صحيحا فإنما يحمل عليها إذا لم يعرف مقصود صاحبها وهؤلاء قد عرف مقصودهم كما عرف دين اليهود والنصارى والرافضة ولهم في ذلك كتب مصنفة وأشعار مؤلفة وكلام يفسر بعضه بعضا وقد علم مقصودهم بالضرورة فلا ينازع في ذلك إلا جاهل لا يلتفت إليه ويجب بيان معناها وكشف مغزاها لمن أحسن الظن بها أو خيف عليه أن يحسن الظن بها أو أن يضل فإن ضرر هذه على المسلمين أعظم من ضرر السراق والخونة الذين لا يعرفون أنهم سراق وخونه فإن هؤلاء غاية ضررهم موت الإنسان أو ذهاب ماله وهذه مصيبة في دنياه قد تكون سببا لرحمته في الآخرة وأما هؤلاء فيسقون الناس شراب الكفر والإلحاد في آنية أنبياء الله وأوليائه ويلبسون ثياب المجاهدين في سبيل الله وهم في الباطن من المحاربين لله ولرسوله ويظهرون كلام الكفار والمنافقين في قوالب ألفاظ أولياء الله المحققين فيدخل الرجل معهم على أن يصير مؤمنا وليا لله فيصير منافقا عدوا لله[1214] "وقد ذكر شيخ الإسلام جملة من العلماء الذين بتكفير أهل الوحدة والإتحاد فقال " من المشائخ الذين قالوا بتكفير الإتحاديه : هم سعيد بن المسيب والحسن البصري وعمر بن عبد العزيز ومالك بن أنس و الأوزاعي وإبراهيم ابن أدهم وسيفان الثوري والفضيل بن عياض والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم " إلى أن قال : " كل هؤلاء متفقون على تكفير هؤلاء ومن هو أرجح منهم وأن الله سبحانه ليس هو خلقه ولا جزاءاً من خلقه وصفة لخلقه بل هو سبحانه وتعالى مميز بنفسه المقدسة بائن بذاته المعظمة عن مخلوقاته وبذلك جاءت الكتب الأربعة الإلهية من التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وعليه فطر

[1214](1) الرسائل والمسائل (1/130).

الله تعالى عباده وعلى ذلك دلت العقول[1215], وقال في موضع آخر :"والسلف والأئمة كفروا الجهمية[1216] لما قالوا أنه في كل مكان ، وكان مما أنكروه عليهم أنه كيف يكون في البطون والحشوش والأخلية –تعالى عن ذلك – فكيف بمن يجعله نفس وجود البطون والحشوش والأخلية والنجاسات والأقذار"[1217], وقال .. في حكم من قال هذه المقالة :"فهذا كله كفر باطنا وظاهرا بإجماع كل مسلم ، ومن شك في كفر هؤلاء بعد معرفته ومعرفه دين الإسلام فهو كافر كمن يشك في كفر اليهود والنصارى والمشركين[1218] قال الدكتور صابر طعمية بعد ذكره جملة من كلام ابن عربي الدال على اعتقاده بوحدة الوجود:

"فهل بقي أدنى شك أو ذرة أو حاجة إلى دليل لكي يعرف الناس جميعا أن ابن عربي ومن على شاكلته أو على طريق منهجه وعقيدته في وحدة الوجود هم أكثر من كفار وأكفر من الكفار وأبعد ما يكونون عن نقاء الفطر السلمية وضوابط العقول المستنيرة[1219]

وقال في مكان آخر من كتابه أيضاً :

"لما كان الإيمان بواحدة من هاتين العقيدتين وحدة الوجود أو وحدة الشهود يعتبر شركا صريحاً وكفراً بواحاُ لا يحتاج إلى تبرير ولا تأويل فقد كان من البداهة أن تكون المؤثرات في هاتين العقيدتين غير إسلامية ومن ثم أن يكون مردها غير إسلامي ذلك أن وثنية وحدة الوجود استلزمت عند الصوفية الإيمان بوحده الأديان بل وقد ترتب على معتقد الذين اعتقدوا بالفناء وهذا تعطيل مابعده تعطيل ومعتقد الذين آمنوا بأن الله سبحانه هو عين خلقه : أن تساوي عندهم الكفر والشرك والمجوسية

1215(2) الرسائل والمسائل (1/186).

1216(3) سبق التعريف بهم.

1217(1) مجموع الفتاوى(2/126).

1218(2)مجموع الفتاوى(2/368).

1219(3)الصوفية معتقداً ومسلكاً,ص243-245.د.صابر طعيمة_عالم الكتب _الرياض.ط2_1406ه.

واليهودية والمسيحية وكل ضروب الضلال مع الإسلام ..."
ثم قال :"فاي كفر يكون ماعليه القوم إن كفر أبي جهل وأبي لهب يهون بجوار كفر أصحاب الشهود ".[1220]

وقال الأستاذ عبد المنعم خلاف : " لقد غزا مذهب وحدة الوجود عقول الفلاسفة والصوفية الذين آفتهم أن طلبوا أن يدركوا الله وما وراء الطبيعة بالحواس التي يدركون بها الطبيعة وبالعقل البشري المخلوق لإدراك النسب بين الكائنات الطبيعية وحدها أولاً فلما عجزوا عن رؤيته تعالى وإدراكه كما هو المنتظر ذهبوا إلى أنه لا بد أن يكون الله هو هذا الوجود الظاهر وأنه يحل فيه و ليس له وجود منفصل عنه وهكذا تجد الوثنية التي حاربتها الأديان والفلسفات سنداً عظيماً من هذه الفلسفة الإلحادية ".

إلى أن قال : " وقول أصحاب مذهب وحدة الوجود بأن الله والمادة وحدة لا تتجزا هو خروج عن مفهوم الإسلام الحق الذي يقول بأن كل مسبب لا بد من سبب وكل معلوم لابد له من عله والمسبب لا يقوم بنفسه إنما يقوم بالسبب وكذلك المعلول فإنه لا يوجد بذاته وإنما يوجد بوجود العله فإذا زال السبب أو العله زال المسبب وزال المعلول والله – سبحانه وتعالى – هو الأول وهو الآخر والحدوث مستحيل عليه باعتباره من صفات المعلولات والمادة معلولة وحادثة ولها خالق فإذا قيل بقدم المادة شاركت المادة الله في قدمه ."

وقال الدكتور أنور الجندي عن أهل وحدة الوجود وموقف المسلمين منها :

" وقد رد المسلمون قول ابن عربي الذي قال : إن ذاته وذات الله قد أصبحتا ذاتا واحدة أي أن مظاهر العالم المختلفة هي مظاهر لله – تعالى – أي ليس لله وجود إلا الوجد القائم بالمخلوقات والمسلمون يؤمنون بأن الله صاحب كل شيء وخالق كل شيء ومالك كل شيء ولكن الله ليس حالاً أو متحداً بهذه الأشياء كلها ولا بالإنسان ولا

[1220] (4)الصوفية معتقدا ومسلكا,ص243-245.

يقر الإسلام مذهباً حلول الله في جسد الإنسان أو الأشياء الأخرى ".[1221]

وقال الشيخ محمود عبدالرؤوف القاسم عن عقيدة وحدة الوجود :

" وحدة الوجود كفر مبين ومعتقدها كافر حسب الشريعة وكافر حسب الحقيقة الحقة التي هي الشريعة الإسلامية له في الدنيا عقوبة المرتد عن الإسلام وله في الآخرة عذاب أليم إلا أن يتداركه الله – سبحانه – بلطفه وعفوه والصوفي الحق هو الذي يبطن وحدة الوجود ويظهر التمسك بالشريعة وهو منافق حقاً بل هو شر أنواع النفاق وليكن مطمئناً من مقام الطمأنينة إن مقامه الحقيقي هو في الدرك الأسفل من النار إن لم يتداركه الله برحمته ".[1222]

والخلاصة : فإن عقيدة وحدة الوجود عقيدة الحادية بحته ليست من الإسلام في شيء وأن علماء الإسلام وقفوا ضدها بكل حزم وألفوا في الرد على أصحابها كتباً ووصفوا معتنقيها بأنهم ملاحدة كفرة وعلى هذا فكل من يعتقد بهذه العقيدة الإلحادية ليس من الإسلام في شيء .

يقول نيكلسون : " إن الإسلام يفقد كل معناه ويصبح إسماً على غير مسمى لو أن عقيدة التوحيد المعبر عنها – بـ"لا إله إلا الله" أصبح المراد بها : لا موجود على الحقيقة إلا الله.

وواضح أن الإعتراف بوحدة الوجود في صورتها المجردة قضاء تام على كل معالم الدين المنزل ، ومحو لهذه المعالم محواً كاملاً[1223] , حقيقة ، يقررها مسيحي ، ويكفر بها شيوخ كبار يزعمون أنهم أولياء الله .

[1221](1) المؤامرة على الاسلام,لأنوار الجندي,ص53.

[1222](2) حقيقة التصوف لاول مرة في التاريخ,ص710.

[1223](1)في التصوف الاسلامي,للمستشرق نيكلسون,ترجمة:د/ابو العلا عفيفي,نقلاً عن شبهات التصوف,ص66.

المبحث الثاني
المآخذ العقدية على عقيدتهم في رسول الله ﷺ

المطلب الأول : مناقشة اعتقادهم :

أنه أول مخلوق

أنه خلق من نور

أن كل مخلوق في هذا الكون خلق منه

مناقشة بعض صيغ الصلوات على الرسول الواردة عندهم .

المطلب الثاني : اعتقادهم التوسل بذات النبي .

مناقشة بعض أدلتهم في جواز التوسل بذات النبي .

المبحث الثاني :المآخذ العقدية على عقيدتهم في رسول الله

تمـهيـد

بعد تتبع أفكار النقشبندية عند حديثهم عن رسول الله وجدتهم قد تجاوزوا به المنزلة التي أنزله الله فيها وهم في ذلك قد وافقوا سابقيهم من المتصوفة ، كما تم بيانه في الفصل الثاني من الرسالة ويمكن تلخيص معتقدهم في رسول الله في النقاط التالية:

أولا : أن رسول الله عندهم هو التعيين الأول للذات الإلهية حيث كان الله عندهم في العماء – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا – فخلق النفس الكلية أو الروح الكلية

التي هي حضرة الجمع والوجود وسماها الحقيقة المحمدية منها تخلق الموجودات .

ويعتبر النقشبندية أن الرسول هو الإنسان الأكمل فهو عين الوجود الصادر من الله بلا واسطة وكل ما عداه مخلوق منه فالطبيعة ظاهره وهو باطنها.

فهو عندهم المجلى الأعظم للذات الإلهية[1224] وهذه العقيدة هي جزء من عقيدة وحدة الوجود والتي تمَّ بيانها و الرد عليها في المبحث الأول من هذا الباب .

وسأحصر الرد هنا على اعتقاداتهم التالية في رسول الله وسأجعلها في مطلبين :

المطلب الأول :

- أنه أول مخلوق
- أنه خلق من نور
- أن كل مخلوق في هذا الكون خلق منه
- مناقشة بعض صيغ الصلوات على الرسول الواردة عندهم

المطلب الثاني :

- اعتقادهم التوسل بذات النبي

المطلب الأول :

- اعتقادهم أن رسول الله أول مخلوق.

- اعتقادهم بأنه مخلوق من نور.

وقد رأيت قبل مناقشة المعتقد أنه لا بد من مناقشة الشبه التي احتجوا بها لإثبات هذا المعتقد المخالف لما عليه أهل السنة والجماعة تجاه رسول الله , فقد استدلوا بما اعتقدوه حديثاً عن رسول الله " أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر"وهو حديث موضوع قال عنه السيوطي في الحاوي[1225] : " ليس له إسناد يعتمد

[1224](1) انظر الباب الثاني (عقيدتهم في رسول الله).

عليه". وقد صرح في شرح الترمذي أن حديث أولية النور المحمدي لم يثبت .[1226]

وقد ذكر الشيخ عبدالله الغماري محدث المغرب: أن عزو هذا الحديث الموضوع إلى مصنف عبد الرزاق خطأ لأنه لا يوجد في مصنفه ، ولا جامعه ولا تفسيره .[1227]

كما أن الشيخ أحمد بن الصديق الغماري حكم عليه بالوضع محتجا بأن هذا الحديث ركيك ومعانية منكرة.

وهناك علة أخرى وهي الاضطراب في ألفاظه ، لأن بعض الذين أوردوه في مؤلفاتهم رووه يشكل وآخرون رووه بشكل آخر[1228] ، وعلى هذا فإن الحديث الذي استدل به النقشبندية لإثبات قدم ذات النبي محمد وأنه أول مخلوق حديث موضوع لا يصلح لكي يكون دليلاً لإثبات أمر مستحب أو مندوب فضلاً عن أن يكون دليل يعتمد عليه لإثبات أمر عقدي .

فالرسول محمد ليس أول مخلوق ولا هو مخلوق من نور كما يزعم النقشبندية بل الرسول مخلوق بشري .

بشرية الرسول في القرآن والسنة :

صرح القرآن ببشرية الرسول في آيات كثيرة نذكر منها :

عندما قال كفار مكة لخاتم النبيين . وسيد المرسلين: [illegible]

[الأنبياء :3] .

فأجابهم الله تعالى بقوله: [illegible]

[الأنبياء : 17] .

وأمر الله - جل جلاله - نبيه أن يقـول : [illegible]

1225(1) الحاوي للفتاوي "1/325" .لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي_تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد_مطبعةالسعادة بمصر_ط 3_1378ه,1967م.

1226(2) قوت المغتذي على جامع الترمذى للحافظ جلال الدين السيوطي الطبعة المصرية.

1227(3) مرشدالحائر لبيان وضع حديث جابر ص43 لعبد الله محمدبن صديق الغماري دار الكتب العلمية .بيروت1413ه_

1228(4) المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغيرلأحمد الصديق الغماري ص4.طبع بمصر بدون رقم وتاريخ

[illegible]] الكهف : 110[,وغير ذلك من الآيات كثير وكثير .

بل إن السنة النبوية بينت بشرية الرسول ﷺ فقد أخبرتنا أن الرسول ﷺ قال عن نفسه: " إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني"وقالت أم المؤمنين عن رسول الله ﷺ " ما كان إلا بشرا من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ، ويخدم نفسه".[1229]

ومعلوم بالتواتر القطعي أن الرسول ﷺ ولد من أبوين قرشيين معروفين في القرن السادس الميلادي ولذا أقول إن اعتقاد النقشبندية بأن الرسول ﷺ أول مخلوق وأنه مخلوق من نور اعتقاد باطل يصطدم مع النصوص الثابتة من الكتاب والسنة والتي تثبت بشرية الرسول محمد ﷺ فضلا عن أنه لا دليل عندهم على ذلك إلا حديث موضوع ثبت وضعه كما سبق وقضايا الدين لا يجوز أن تؤخذ بدون بينه أو دليل بل لابد من الحجة والبرهان القطعي.

ومع ذلك فنحن لا ننكر نورانية النبي ﷺ لأنه هو الذي جاء بالقرآن ، بل تمثل القرآن تماماً فهو المظهر الأكمل للقرآن ببيانه له وتخلقه به كما قالت السيدة عائشة- رضي الله عنها - "كان خلقه القرآن"[1230] .

وقد وصفه الله في سورة الأحزاب: [illegible]]الاحــزاب:46[ولكنها النورانية المعنوية الــتي لا تتضــاد ولا تتنافى مع البشرية الـواردة في القـرآن الكـريم ، فـالزعم بأنه من نـــور الله ، زعم باطل ، لأنه يـــورث تشـــبيهاً وتجسيداً للذات الإلهية.

ورفع للنبي ﷺ من درجته النبوية البشرية إلى درجه الألوهيه أو البنوة – كما زعمت النصارى في عيسى ابن مريم عليه السلام – أو الاتحاد والحلول – كما زعم فلاسفة المتصوفة – وهذا كفر ، وغلو منهي عنه كما قال

[1229](1) البخاري(1/156)باب ما جاء في القبلة.ومسلم(1/400)باب السهو في الصلاة .2_صحيح ابن حبان(12/489).مسند أحمد(6/256).

[1230](1)مسند أحمد(6/91).

□ :" لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله".[1231]

وكذلك الزعم بالنورانية الحسية فهي مرفوضة كذلك ، لأننا نتسأل : أهي نورانية الملائكة ؟ , والإجابة : لا ، لأن النبي □ بشر وليس بملك ، قال – تعالى :

□ [illegible] □ [illegible]]المؤمنون:12-13[.

ومحمد □ إنسان ، وإلا فليأتوا له بصفة أخرى ، والرسول نفسه □ يقول : "خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم".[1232]

ولقد تحدث الرسول عن النور ، وعمن خلق منه ، فلم يذكر عن نفسه أنه خلق من نور ، كما ذكر عن الملائكة ، وتحدث عن آدم – الأب الأول للبشرية – وعن خلقه ، وأنه خلق مما ذكر الله في القرآن – يعني من طين لازب مع أطواره – ومحمد □ ابن آدم

وليس واحداً من الملائكة ، ولوكان كذلك لكان بشراً في صورة رجل كما قال تعالى - :[illegible] □ [illegible]

[illegible] □ [illegible]

]الانعام:8-9[.

ولماذا نقول بنورانية كنورانية الملائكة ، مع أن النبي محمد □ أفضل من الملائكة ، بل أفضل من إمام الملائكة "جبريل عليه السلام"– على الراجح- مع أنه من طين ، وهم مخلوقون من نور .[1233]

وبعد إبطال دعوى النقشبندية بأن محمداً أول مخلوق وأنه خلق من نور والرد على شبههم التي اعتمدوا عليها رأيت أن أتبع ذلك بذكر المخلوقات التي خلقها الله أولاً إكمالاً الفائدة.

1231(2) البخاري (3/1271).

1232(3) مسلم(4/2294).

1233(1) شبهات التصوف ص86-67

لقد اختلف العلماء في تحديد أول شيء خلقه الله سبحانه وتعالى وذلك لاختلاف النصوص الواردة في تحديد أول مخلوق على ثلاثة أقوال:

القول الأول : إن أول ما خلق الله العرش.

القول الثاني : إن أول ما خلق الله القلم.

القول الثالث : إن أول ما خلق الله الماء, ولكل واحد من هؤلاء نصوصه التي يعتمد عليها.

وهذه الأقوال على اختلافها في تحديد أول ما خلق الله - سبحانه وتعالى – تثبت لنا بأن أول مخلوق العرش أو القلم أو الماء وليس أول مخلوق محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام ولا نوره لأنه ليس مخلوقاً من نور وقد ثبتت بشريته بلفظ القرآن الكريم ، وعلى هذا تصبح دعوى النقشبندية هذه دعوى عارية عن الصحة وليس لها أي دليل تستند عليه لا عقلي ولا نقلي بل هي دعوى بدون دليل.

**اعتقادهم أن كل مخلوق في هذا الكون خلق من نوره : **

إن اعتقاد النقشبندية بأن جميع ما في الكون من أرض وسماء حتى العرش والكرسي والملائكة والجنة وأرواح الرسل والأنبياء من نور النبي واضح جلي ويظهر هذا المعتقد فيما أوردته من نصوص عند عرض عقيدتهم في رسول الله واستدلالهم بالحديث السابق الذي استدلوا به على أنه أول مخلوق و أن جميع المخلوقات خلقت منه , وقد مرَّ الرد على هذا الحديث والحكم عليه بأنه موضوع وتمَّ إثبات بشريته بما ورد في كتاب الله وسنة نبيه .

وعلى ذلك فهذه كلها معتقدات باطلة وفاسدة مخالفة تماماً للمعتقد الذي جاءنا به رسول الله من عند ربه. ففي كتاب الله وسنة رسوله ما هو إلا بشر وأنه ليس مخلوقاً من نور ولا العالم مخلوق من نوره وليس للنقشبندية أي دليل يعتمدون عليه لا من كتاب الله ولا

من سنة رسول الله لإثبات هذا المعتقد الباطل وإنما جاءوا بهذا المعتقد من عقائد وثنية قديمة كالعقائد البوذية والهندوسية والمسيحية واليهودية المحرفة .

وقد أوضح الشيخ محمود عبدالرؤوف القاسم مقصود الصوفية بالحقيقة المحمدية فقال:

"وملخص أقوالهم أن الله سبحانه وتعالى عما يصفون عندما أراد أن يجعل قسماً من ذاته متعيناً بشكل مخلوقات كان أول شيء فعله هو أنه قبض قبضة من نور وجهه وقال لها كوني محمداً فكان محمد هو أول التعينات وهذه القبضة من النور هي التي يطلقون عليها اسم الذات المحمدية من هذه الذات المحمدية انبثقت السماوات والأرض والدنيا والآخرة التي يسمونها فيما يسمونها "تعينات" فهي كلها تصدر عن الذات المحمدية ثم تعود إليها وهذا هو ما يسمونه الحقيقة المحمدية ولننتبه إلى الشبه التام بينهم وبين الهنادكة الذين يقولون إن الخلائق صدروا من وجه براهما ومن يديه ومن فخذيه ثم من قدمية "حسب الطبقات الهندوكية".[(1234)]

ويقول الدكتور زكي مبارك :

" إن الحقيقة المحمدية ترجع في أصولها إلى العقائد النصرانية وعلى ذلك تكون نظرية الحقيقة المحمدية عند غلاة الصوفية مأخوذة من أصول نصرانية فعيسى هو ابن الله ومعنى ذلك فيما افترض أنه الصلة بين الله وبين الوجود ومحمد هو أول التعينات وليس فوقه إلا الذات الأحدية كما لم يكن فوق عيسى إلا الأب والنصارى يتمثلون إليه حين يخاطبون عيسى فلولا عيسى لا نعدم الوجود والصوفية يتمثلون الله حين يخاطبون محمداً فلولا محمد لانعدم الوجود وعيسى هو ابن الله ولكنه يتمثل في صورة بشرية أو هو الموجد في صورة بشرية فعيسى

[1234](1) حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ص280.وسيأتي التعريف بالهندوكية فيما سيأتي.

لولاه لمتنعت الصلة بين الله وبين الوجود فانعدم الوجود ومحمد حسب زعم المتصوفة :

لولاه ما كان أرض ولا أفق   ولا زمان ولا خلق ولا جيل

وعيسى هو الكلمة وأتباعه من الرسل الذين بلغوا دعوته كلمات ومحمد عند الصوفية هو الكلمة وجميع الأنبياء كلمات لهم خصوصية وبعض أتباع محمد لهم خصوصية".

ثم قال الدكتور زكي مبارك:

" والواقع أن الحقيقة المحمدية أسطورة من الأساطير وهي في رأينا مأخوذة من النظرية النصرانية كما أن النظرية النصرانية مأخوذة من الفلسفة اليونانية إلى تقسيم القوى إلى عقول وهذا في رأينا أيضاً صحيح خصوصاً إذا علمنا أن ابن عربي وهو من القائلين بهذه النظرية يقول أنه هضم ما درس من الفلسفة اليونانية ومن أصول الديانة اليهودية والديانة النصرانية والديانة الإسلامية ثم أحال ذلك كله إلى مزيج من الفكر الفلسفي الدقيق يعز على من رامه ويطول" .[(1235)]

فهذه المقارنة التي عقدها الدكتور زكي مبارك بين النظرية النصرانية تجاه عيسى عليه السلام والنظرية الصوفية تجاه محمد أراها مقارنة في محلها فقد استطاع أن يثبت بأن المتصوفة أخذوا هذا المعتقد الباطل من المسيحية المحرفة والتي أخذته هي بدورها من الفلسفة اليونانية ومن الديانات الوثنية القديمة .

وعلى هذا فقول النقشبندية بالحقيقة المحمدية وأنه أول مخلوق وأنه مخلوق من النور وأن جميع الكون خلق من نوره عقائد وثنية بحته أتبع النقشبندية فيها ابن عربي الذي أتى بها من الديانات المحرفة كالمسيحية والوثنيات القديمة كاليونانية والبوذية الهندية ولهذا نقول إن الإسلام بريء من هذا المعتقد الوثني وأهله .

مناقشة بعض صيغ الصلاة على الرسول عند النقشبندية:

[1235](1) التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، للدكتور زكي مبارك" 1/201- 210-277-279"_دار الجيل_بدون رقم الطبع وتاريجه.

الصيغة الأولى:

عند تتبع الصيغة الأولى من صيغ الصلاة على الرسول والتي تم عرضها في الباب الثاني عند الحديث عن معتقدهم في رسول الله نجد أن هذه الصلاة تتضمن تصريح بأن رسول الله هو نور الله السابق لجميع ما في هذا الكون ، وهذا وصف بأنه خلق من نور وأنه أول مخلوق . وقد تمَّ الرد على هذين المعتقدين.

قوله في هذه الصيغة صلاة دائمة على آله وأسرته فلفظ أسرته إضافة لم ترد في الصلاة المأثورة .

وقد اعتبر علماء السلف أي زيادة في الصلاة على الرسول بدعة لا أصل لها في الشرع ، وذلك لأن النبي علم صحابته الكرام حينما سألوه بعد أن أمرهم بالصلاة عليه قال : " قولوا : اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد " (1236). فالزيادة على ذلك استقصاء لقوله واستدراك عليه .(1237)

الصيغة الثانية:

نرى في هذه الصيغة أنهم جعلوا الصلاة على الرسول من الذكر ونحن مأمورون بالصلاة على الرسول والتي تعني طلب الرحمة له وليس الذكر ، فالذكر يكون لله سبحانه وتعالى ولا يشاركه في ذلك أحد .

الصيغة الثالثة :

في هذه الصيغة تم تحديد عدد الصلوات على الرسول وتحديد أوقات معينة وهذا لم يرد في الشرع .لأن الصلاة على الرسول تكون في أي وقت وقد ورد الأمر بالإكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وعند ذكر اسمه .(1238)

1236(1) مسلم في الصلاة باب "17" "1/305" عن أبي مسعود الأنصاري.

1237(2) الأذكار النووية للإمام أبي ذكريا يحي بن شرف النووي ص 251_تحقيق عامر بن علي ياسين_دار ابن خزيمة _ط1_1422ه.2001

1238(1) الأذكار ص247-248.

المطلب الثاني : اعتقادهم التوسل بذات النبي ﷺ

لقد ذهب النقشبندية إلى جواز التوسل بالنبي ﷺ وبالصالحين ، وعللوا ذلك بأن مناط التوسل بذوات الأنبياء والصالحين إنما هو التسبب فقط في النفع أو الضر بمقتضى ما منحه الله – تعالى – للوسيلة من جاه مقبول ودعاء متقبل من ذات النبي أو المؤمن التقي الذي تحققت له الولاية والقرب من الله– تبارك وتعالى-.[1239]

فإذا أمعنا النظر في سبب التوسل عندهم نجد أن العلة التي وقع النقشبندية بسببها في التوسل هي نفس العلة التي وقع بسببها دعاة غير الله عبر التاريخ ألا وهي علة الواسطة .

قال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الزمر: 3], وقال

[1239] (1) النفحات الجودية ص226

: ﴿ [illegible]
[illegible] ﴾ [يونس : 18] .

وقد قال ابن تيمية رداً على الذين يزعمون بأن الأنبياء والأولياء والصالحين وسائط بين الله وبين خلقه في دفع المضار وجلب المنافع مبيناً حكم الشرع فيهم :

"وإن أراد بالواسطة أنه لابد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون إليه فيه فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار" , ثم قال : "والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك بل هذا دين المشركين عباد الأوثان كانوا يقولون إنها تماثيل الأنبياء والصالحين وإنها وسائل يتقربون بها إلى الله وهو

من الشرك الذي أنكره الله على النصارى حيث قال : ﴿ [illegible] ﴾ [التوبة : 31] .[1240]

وقد نفى الله الوسائط بينه وبين خلقه قـال – تعـالى - : ﴿ [illegible] ﴾ [ق : 16] ,فلاحاجة إلى الوسائط بين الله وبين عبـاده ولـذا فقد أمر سـبحانه عبـاده المؤمـنين أن يـدعوه ويطلبـوا منه ما يريدونه بلا وسائط فقال – تعـالى - : ﴿ [illegible] ﴾ [غافر : 60].

وقال – تعالى - : ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة : 186] .

[1240] (1) القاعدة الواسطية ضمن مجموعة التوحيد,ص113,لأحمد بن تيمية الحراني ومحمد بن عبدالوهاب النجدي ,داراليقيني,ط2/1414هـ-1993م.

وعلى هذا فحجة النقشبندية بأن يجعلوا الأنبياء والأولياء وسطاء بينهم وبين الله هي حجة باطلة أتوا بها من عند أنفسهم وليس لهم أي دليل يستندون عليه لا من الكتاب ولا السنة .

وعلى ذلك فهذه بدعة لم تعهد من سلف هذه الأمة ، فالتوسل بذات المخلوق أو بجاهه هو إقسام على الله بأحد خلقه وهو مبتدع محدث ، وهو بالتالي وسيلة إلى الشرك بتلك الواسطة كما فعل المشركون الأول ، ففي البداية يسألون الله بحقهم وجاههم ثم ينتهي بهم الأمر إلى أنهم يتقربون إليهم بأنواع العبادة فيطلبون منهم الرزق والشفاعة .

بيان المراد بالوسيلة :

الوسيلة في لغة العرب :

كل ما يتوصل به إلى الشيء ، ويتقرب به وجمعها وسائل.[(1241)]

قال ابن كثير :

الوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود [(1242)]

ولم ترد في القرآن إلا مرتين

"المائدة : 35" "الإسراء : 57".

ومعناها العلم والعمل والطاعة وترك المخالفة لأوامر الله .[(1243)]

والتوسل – من حيث حكمه – ينقسم إلى نوعين :

الأول : التوسل المشروع.

الثاني : التوسل غير المشروع . وإليك البيان :

[1241](1) النهاية في غريب الحديث مادة "وسل" للمبارك بن محمد بن الأثير ، دار الفكر –بيروت .

[1242](2) تفسير القرآن العظيم "2/82".

[1243](3) تفسير القرآن العظيم "2/84" وانظر جامع البيان في تأويل أي القرآن "6/146"لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري_دار المعرفة – بيروت,لبنان-بدون رقم وتاريخ.

أولاً : التوسل المشروع : بتتبع ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله يتبين أن هناك ثلاثة أنواع للتوسل شرعها اله – تعالى - ، أذكرها فيما يلي مع أدلتها :

التوسل إلى الله – تعالى – بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ، فيذكر الأسماء والصفات الملائمة لدعائه متوسلاً بها ، ولهذا النوع من التوسل أدلة تدل على مشروعيته وأدلة مشروعية هذا النوع من التوسل من الكتاب والسنة .

قول – تعالى - : □□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□]الأعراف : 180[أي : ادعوه متوسلين إليه بأسمائه الحسني ، حسب الرغبة اللائقة بكل اسم .

قال القرطبي – في تفسير قوله تعالى : □□□□□□□□□□□□ □□□□□ : " أي اطلبوا منه بأسمائه ، فيطلب بكل اسم ما يليق به ، تقول : يا رحيم ارحمني ، يا حكيم احكم لي ، يا رزاق ارزقني ، يا هادي اهدئي ، يا فتاح افتح لي ، يا تواب تب علي ، هكذا ".[1244]

ومن أدلة هذا النوع في السنة قوله : "من كثر همه فليقل : اللهم إني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به أو علمته أحداً من خلقك ، أو أنزلته في كتابك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ...".[1245]

فقد توسل – عليه الصلاة السلام – بكل أسماء الله – تعالى - ، وتوسله بأسماء الله وصفاته يعد امتثالاً وتطبيقاً عمليا لما أمر الله به عباده في قوله : □□□□□□□□□□□□ □□□□□ .[1246]

ثانياً : التوسل إلى الله تعالى بعمل صالح من أعمال الداعي :

1244(1) الجامع لأحكام القرآن "7/327".

1245(2) رواه أحمد في المسند "1/391-452" ، والحاكم في المستدرك " 1/ 509" ، والألباني في الصحيحة رقم "199".

1246(3) انظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري(1/152)_لعبد الله الغنيمان-مكتبة الدار. المدينة _1405ه

يجوز للمسلم أن يتوسل إلى الله بكل عمل صالح قام به ،سواء كان ذلك العمل الصالح من أعمال القلب، أو كان من أعمال الجوارح ، كتوسله بإخلاص التوحيد بالله ، ومحبته لله ولرسوله ، و اتباعه سنته، إلى نظائر ذلك كالتوسل بالخوف من الله ، ورجاء رحمته ، وإيثار رضاه - سبحانه وتعالى – على رضا غيره . وطاعته في كل ما أمر ، والانتهاء عن كل ما نهى عنه.

وهذا النوع من التوسل يستند إلى أدلة من القرآن والسنة ، أذكر منها ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [آل عمــران : 16] ,وقوله : ﴿ [illegible] ﴾ [آل عمــران : 53] فهـؤلاء المؤمنـون يتوجهـون إلى ربهم طـالبين المغفـرة والوقاية من عـذاب النـار,فلم يجـدوا وسـيلة إلى ذلك أقـرب من إيمانهم وإتباعهم الرسول ،فتوسلوا بهما.

ومن أدلة هذا النوع مضمون قصة أصحاب الغار :عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : "سمعت رسول الله ﷺ يقول : انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم . فقال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً ، فنأى بي في طلب شيء يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً ، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج . قال النبي ﷺ : وقال الآخر : اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي ، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني ، حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار

على أن تخلي بيني وبين نفسها ، ففعلت ، حتى إذا قدرت عليها قالت : لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها ، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي ، وتركت الذهب الذي أعطيتها . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها . قال النبي ﷺ : وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم ، غير رجل واحد ترك الذي له وذهب ، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال : ياعبد الله أد إلي أجري . فقلت له : كل ما ترى من أجلك – من الإبل والبقر والغنم ، والرقيق. فقال : يا عبد الله لا تستهزيء بي . فقلت : إني لا أستهزيء بك ، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً . اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه . فانفرجت الصخرة ، فخرجوا يمشون "متفق عليه.[1247]

اتضح من هذا الحديث أن هؤلاء الرجال الثلاثة حينما اشتد بهم الكرب ، واستغلقت أمامهم المنافذ ، وانسدت الأبواب ، وانقطع رجاؤهم فيئسوا من أن يأتيهم الفرج من أي طريق إلا من طريق الله – تبارك وتعالى – وحده ، لجأوا إليه ، ودعوه بإخلاص متوسلين بما عملوه من أعمال صالحات ، فتوسل الأول ببره والديه ، وعطفه عليهما ورأفته الشديدة بهما . وتوسل الثاني بعفته من الزنا ، وتوسل الثالث بحفاظه على حق أجيره.[1248]

وهذا دليل أكيد على مشروعية التوسل إلى الله بكل الأعمال الصالحة التي تصدر من العبد ، سواء كان بفعل المأمور أم بترك المحظور .

ثالثاً : التوسل إلى الله – تعالى – بدعاء الرجل الصالح :

[1247](1) البخاري : في الإجارة ، باب "12" "2/134" حديث رقم "2272" وانظر أيضاً حديث رقم "3465" ومسلم في الذكر والدعاء ، باب "27" " 4/ 2099-2101" .

[1248](1) انظر التوسل أنواعه وأحكامه. للألباني ص35-36 ,تنسيق محمد عيد عباسي_بيروت .المكتب الإسلامي_1397ه.

إذا وقع المسلم في ضيق شديد ، أو حلت به مصيبة أو كرب ، ويعلم من جيرانه المسلمين من يعتقد فيه الفضل والصلاح والتقوى ، والعلم بالكتاب والسنة ومتابعة ما جاء به النبي ، فطلب منه أن يدعو له ربه ليفرج عنه كربه ويزيل عنه همه ، فذلك مشروع دلت عليه الشريعة المطهرة وأرشدت إليه .

ومن أدلة هذا النوع ما رواه أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : "أصابت الناس سنة على عهد النبي ، فبينا النبي يخطب في يوم جمعة قام أعرابي فقال : يا رسول الله ، هلك المال ، وجاع العيال ، فادع الله لنا ، فرفع يديه – وما نرى في السماء قزعة فو الذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته . متفق عليه .[1249]

ومن أدلته أيضاً ما رواه أنس : أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا . قال: فيسقون " رواه البخاري[1250] .[1251]

وقد استدل النقشبندية على هذا المعتقد بأدلة   منها الصحيح ومنها الضعيف وسأناقش بعض هذه الأدلة ومن خلال مناقشة أدلتهم سأبين حكم التوجه إلى الرسول بالتوسل والدعاء وسأخلص إلى التفريق بين التوسل بذاته و والتوسل بدعائه .

مناقشة بعض أدلتهم في جواز التوسل بالنبي :

لقد استدل النقشبندية على هذا المعتقد بأدلة منها الصحيح ومنها الضعيف وسأناقش فيما يلي بعض هذه الأدلة:

[1249](2) البخاري في الجمعة باب "35" "1/295" حديث رقم "933" ، ومسلم في صلاة الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء "1/612-614".

[1250](3) البخاري مع الفتح "2/494".

[1251](4) انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ص17-82,تحقيق ربيع المدخلي.دمنهور .مكتبة لينه_1409ه.

أولاً: الحديث الذي أخرجه الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن مسلم الفهري عن إسماعيل بن مسلمة عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله : " لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب بحق محمد لم غفرت لي ؟ قال : وكيف عرفت محمداً ؟ قال : لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً "لا إله إلا الله محمد رسول الله" فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، قال : صدقت يا آدم ولولا محمد ما خلقتك ".[1252]

ووجه الاستشهاد بهذه الرواية عند النقشبندية هو التوسل بذات بالنبي .[1253]

أولاً : أقوال العلماء في هذا الحديث:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

"ورواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه فإنه نفسه قد قال في كتابة " المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم ": عبدالرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا تخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه .

قلت : و عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيراً ضعفه أحمد بن حنبل وأبو زرعه وأبو حاتم والنسائي والدار قطني وغيرهم .

وقال أبو حاتم بن حبان : كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك من روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك.

وأما تصحيح الحاكم لمثل هذا الحديث وأمثاله فهو مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث وقالوا : إن الحاكم يصحح أحاديث وهي موضوعة مكذوبة عند أهل المعرفة بالحديث ... ولهذا كان أهل العلم بالحديث لا يعتمدون على مجرد تصحيح الحاكم وإن كان غالب ما يصححه فهو صحيح لكن

[1252](1) مستدرك الحاكم على الصحيحين : "2/615" وكذلك معجم الطبراني الصغير "2/82-83" والبيهقي في دلائل النبوة "5/489".

[1253](2) النفحات الجودية,ص228.

هو في الصحيحين بمنزلة الثقة الذي يكثر غلطه وإن الصواب أغلب عليه وليس فيمن يصحح الحديث أضعف من تصحيحه ... "

ثم قال شيخ الإسلام :

" وهذا الحديث المذكور في آدم يذكره طائفة المصنفين بغير إسناد وما هو من جنسه مع زيادات أخر كما ذكر القاضي عياض قال : وحكى أبو محمد المكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهم أن آدم عند معصيته قال : اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي . قال : ويروى : تقبل توبتي . فقال الله له: من أين عرفت محمداً؟ قال : رأيت في كل موضع من الجنة مكتوب : " لا إله إلا الله محمد رسول الله"قال : ويروى : "محمد عبدي ورسولي" فعلمت أنه أكرم خلقك عليك . فتاب عليه وغفر له ".

قال شيخ الإسلام :

" ومثل هذا لا يجوز أن تبنى عليه الشريعة ولا أن يحتج به في الدين باتفاق المسلمين فإن هذا من جنس الإسرائيليات ونحوها التي لا يعلم صحتها إلا بنقل ثابت عن النبي وهذه لو نقلها مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وأمثالهما ممن ينقل أخبار المبتدأ وقصص المتقدمين عند أهل الكتاب لم يجز أن يحتج بها في دين المسلمين باتفاق المسلمين فكيف إذا نقلها من لا ينقها لاعن أهل الكتاب ولا عن ثقات علماء المسلمين بل إنما ينقلها عمن هو عند المسلمين مجروح ضعيف لا يحتج بحديثه واضطرب عليه اضطرابا يعرف به انه لم يحفظ ذلك ولا ينقل ذلك ولا ما يشبه احد من ثقات علماء المسلمين الذين يعتمد على نقلهم وإنما هي من جنس ما ينقله إسحاق بن بشر وأمثاله في كتب المبتدأ وهذه لو كانت ثابتة عن الأنبياء لكانت شرعا لهم وحينئذ فكان الاحتجاج بها مبنيا على أن شرع من قبلنا هل هو شرع لنا أم لا؟ والنزاع في ذلك مشهور ، لكن الذي عليه الأئمة وأكثر العلماء انه شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه وهذا إنما هو فيما ثبت أنه شرع لمن قبلنا من نقل ثابت عن نبينا محمد

أو بما تواتر عنهم لا بما يروى على هذا الوجه فإن هذا لا يجوز أن يحتج به في شرع احد من المسلمين ".(1254)

قال الحافظ ابن عبد الهادي في رده على السبكي في الصارم المنكي متعجبا في تقليد السبكي للحاكم في تصحيح هذا الحديث(1255) " واني لا أتعجب منه كيف قلد الحاكم في تصحيحه مع انه حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث ضعيف الإسناد جداً وقد حكم عليه بعض الأئمة بالوضع وليس إسناده من الحاكم إلى عبد الرحمن بن زيد بصحيح بل مفتعل على عبد الرحمن كما سنبينه ولو كان صحيحا إلى عبد الرحمن لكان غير محتج به لأن عبد الرحمن في طريقه وقد أخطأ الحاكم وتناقض تناقضاً فاحشاً كما عرف له ذلك في مواضع فإنه قال في كتاب " الضعفاء " بعد أن ذكر عبد الرحمن منهم : فهؤلاء الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندي جرحهم لمن طالبني بهم فإن الجرح لا استحله تقليدا والذي اختاره لطالب هذا الشأن أن لا يكتب حديث واحد من هؤلاء الذين سميتهم فالراوي لحديثهم داخل في قوله ﷺ : " من حدث عني حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين " .(1256)

وقال الشيخ محمد خليل هراس معلقاً على هذا الحديث:

" هذا الحديث باطل والله لم يخلق آدم ولا غـيره من أجل أحد وإنما خلق الكل لعبادته كما قـال تعـالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:56]

كما لا يجوز أن يسأل الله بحق أحد من خلقه فلا حق لأحد على الله ".(1257)

وقد تعقب الذهبي الحاكم في تصحيحه لهذا الحديث فقال :

1254(1) التوسل والوسيلة ص85-87.

1255(2) الصارم المنكي في الرد على السبكي لمحمد بن عبد الهادي ص 26.دارالكتب العلمية _بيروت_1405ه.

1256(3) سنن الترمذي مع التحفة لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي "7/422" .تحقيق أحمد محمد شاكر وغيره.مطبعة الحلبي .القاهرة_ 1382ه.

1257(4) هامش الخصائص الكبرى للسيوطي "1/17".

" قلت : بل موضوع وعبد الرحمن واه".[1258], وقال في الميزان في ترجمة عبد الله بن مسلم الفهري : " روى خبرا باطلا فيه " يا آدم لولا محمد ما خلقتك ".[1259]

وقد حكم ابن حجر أيضاً ببطلان هذا الحديث في " لسان الميزان".[1260]

ثانيا : من الأدلة التي يستدل بها النقشبندية في جواز التوسل بذوات الأنبياء والصالحين:

ما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال : " اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال : فيسقون "[1261] ولقد فهم النقشبندية من هذا الأثر بأن توسل عمر - رضي الله عنه - إنما كان بجاه العباس - رضي الله عنه - ومكانته عند الله - سبحانه وتعالى - وأن توسله كان مجرد ذكر للعباس في دعائه وطلبا منه لله أن يسقيهم من أجله وأما سبب عدول عمر - رضي الله عنه - عن التوسل بالرسول بزعمهم وتوسله بدلا منه بالعباس - رضي الله عنه- فإنما كان لبيان جواز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل ليس غير .[1262]

مناقشة الحديث: إن فهم النقشبندية لهذا الأثر فهم خاطئ وتفسيرهم للحديث بهذا التفسير السابق مردود عليهم من وجود كثيرة:

أولاً : من القواعد المهمة في الشريعة الإسلامية أن النصوص الشرعية يفسر بعضها بعضا ولا يفهم شيء منها في موضوع ما بمعزل عن بقية النصوص الواردة فيه وبناءاً على ذلك فحديث توسل عمر السابق إنما يفهم

1258(1) تلخيص المستدرك للحافظ الذهبي"2/615".دار المعرفة ,بيروت .بهامش المستدرك.

1259(2) الميزان "2/504".

1260(3) لسان الميزان "3/359-360".

1261(4) سبق تخريجه .

1262(5) رسالة مما ألفه بعض علماء النقشبندية في الرد على الوهابية ص 30 ملحق بالحديقة الندية، وانظر النفحات الجودية ص243

على ضوء ما ثبت من الروايات والأحاديث الواردة في التوسل والجميع متفق على أن في كلام عمر : " كنا نتوسل إليك بنبينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا " شيئاً محذوفاً لابد له من تقدير وهذا التقدير إما أن يكون كنا نتوسل بجاه نبينا وإنا نتوسل بجاه عم نبينا على رأى المخالفين أو أن يكون كنا نتوسل إليك بدعاء نبينا وإنا نتوسل إليك بدعاء عم نبينا على رأينا نحن ولا بد من الأخذ بواحد من هذين التقديرين ليفهم الكلام بوضوح وجلاء وإذا أردنا أن نعرف أي التقديرين أصح لابد من الرجوع إلى السنة لتبين لنا طريق توسل الصحابة الكرام بالنبي محمد فإذا نظرنا إلى الصحابة الكرام هل كانوا إذا أجدبت بلادهم يقبع كل واحد منهم في بلده أو كانوا يجتمعون في بلده أو كانوا يجتمعون دون أن يكون معهم رسول الله وهو في الحياة فيدعون متوسلين بجاه محمد وذاته قائلين : " اللهم بنبيك محمد وحرمته عندك ومكانته لديك اسقنا الغيث" مثلا أم كانوا يأتون النبي ذاته فعلا ويطلبون منه الدعاء فيحقق طلبهم ويدعو لهم ويسقون.

أما **الأمر الأول :** وهو التوسل بذات الرسول وحرمته عند الله ومكانته دون الإتيان إلى الرسول وطلب الدعاء منه فلا وجود له في السنة النبوية الصحيحة ألبته ولا عمله الصحابة الكرام وما ورد في ذلك من آثار فهي كلها موضوعة وضعها المغرضون لإيقاع الناس في الشرك في الدعاء.

وأما **الأمر الثاني :** وهو التوسل إلى الله بطلب الدعاء من الرسول فقد ورد كثير منه في السنة النبوية وقد كان الصحابة الكرام يفعلونه حيث أتى كثير من الصحابة يطلب الدعاء من الرسول حينما أجدبت بلادهم واليك حديث واحد يدل على أن الصحابة الكرام كانوا يتوسلون بدعاء النبي لا بذاته و جاهه وحرمته ومكانته عند الله.

فقد روى انس بن مالك رضي الله عنه حديثا عن رسول الله فقال :"بينما رسول الله يخطب يوم الجمعة إذ جاءه رجل فقال : يا رسول الله قحط المطر

فادع الله أن يسقينا . فدعا فمطرنا فما كدنا أن نصل إلى منازلنا فما زلنا نمطر إلى الجمعة المقبلة قال رسول الله : اللهم حوالينا ولا علينا " قال : فلقد رأيت السحاب يتقطع يمينا وشمالا يمطرون ولا يمطر أهل المدينة "[1263].

ووجه الاستدلال بهذا الحديث أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم كانوا يتوسلون إلى الله بدعاء النبي لأنهم كانوا يأتون إليه ويطلبون منه الدعاء ولو كانوا يتوسلون بذاته وجاهه ومكانته عند الله لما احتاجوا إلى الإتيان إلى المدينة وطلب الدعاء منه بل كانوا يتوسلون إلى الله وهم في أهليهم فيقولون : " اللهم بنبيك محمد ومكانته وجاهه وحرمته عندك اسقنا الغيث فيسقون " ولكن هذا لم يفعله الصحابة الكرام لأنهم يعلمون بأنه توسل غير مشروع ولذا نقول أن المحذوف في توسل عمر بالعباس هو " إنا كنا نتوسل إليك بدعاء نبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بدعاء عم نبينا فاسقنا ".

وعلى هذا فتقدير المجيزين للتوسل الممنوع وهو قولهم أن المحذوف في توسل عمر بالعباس هو كلمه الجاه في الموضعين غير صحيح لأنهم ليس لهم دليل يستندون إليه.[1264]

وإلى جانب ذلك هناك قرائن كثيرة تدل على أن التوسل من عمر رضي الله عنه كان بدعاء العباس لا بذاته ولا بجاهه ولا بمكانته وهذه القرائن هي:

1- عدول عمر عن التوسل بالرسول وهو اشرف خلق الله وان التوسل به أولى من التوسل بغيره وذلك لأن الرسول قد مات ولا يمكن طلب الدعاء منه بعد موته ولذلك عدل عمر عن التوسل به إلى التوسل بالعباس بن عبد المطلب لأنه عم الرسول فطلب منه الدعاء ولو كان عمر توجه بجاه العباس إلى الله لتوسل بجاه النبي

[1263](1) البخاري "2/508 فتح".

[1264](1) مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيىءعلى الأمةالإسلاميةلإدريس محمدإدريس,ص459-_مكتبة الرشد_ط1_1419ه. 1998م.,وانظر تقديس الاشخاص في الفكر الصوفي(2/242-247).

لأنه اكبر جاها عند الله من العباس بن عبد المطلب ولكن لما كان التوسل المشروع هو التوسل بدعاء الرسول عدل عن التوسل بالنبي لأنه لا يمكن طلب الدعاء منه بعد موته فتوسل بدعاء العباس بن عبد المطلب لطلب السقيا وعلى هذا نقول أن استدلال المجيزين للتوسل بذات الشخص وجاهه ومكانته عند الله بهذا الحديث استدلال باطل لأن الحديث ليس دليلا لهم بل عليهم ولكن أوقعهم في الاستدلال به إما سوء فهمهم وإما سوء مقصدهم والله أعلم.

يقول الشيخ محمود شكري الألوسي راداً على المتصوفة الذين يستدلون بتوسل عمر بالعباس على جواز التوسل بالذوات مبينا بأن هذا الحديث دليل على عدم جواز التوسل بالذوات وأن التوسل المشروع هو التوسل بطلب الدعاء من الرجل الصالح إن وجد قال : "بل هو أقوى الأدلة وأرجحها وأعلاها وأوثقها وأصحها وأصدقها لما ندعيه فإن قول عمر : " اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا .. الخ " يدل دلاله ظاهره علي انقطاع ذلك الذي هو الدعاء بدليل قوله : " إنا كنا " ولما كان العباس حياً طلبوه منه فلما مات فات فقصرهم له على الموجودين ولو كانوا مفضولين دليل ساطع وبرهان لامع على هذا المراد ولو كان المقصود الذوات كما يقولون لبقيت هذه التوسلات على حالها لم تتغير ولم تتبدل إلى المفضولين بعد وجود الفاضلين لا سيما الأنبياء والمرسلين فتأمل في هذا فإنه أحسن ما في الأوراق ، حقيق بأن يضرب عليه رواق الاتفاق والله يهديك السبيل فهو نعم المولى ونعم الوكيل ".[1265]

ويقول شيخ الإسلام ابن تيميه راداً على الذين يقولون بجواز التوسل بذات النبي وذات غيره من الأولياء ومؤكدا بأن هذا لم يفعله الصحابة ولا التابعون بل هو من البدع المحدثة التي ابتدعها أهل الأهواء :

[1265](1) غاية الأماني في الرد على النبهاني لأبي المعالي محمود شكري الألوسي ص288 .مكتبة العلم .جدة_بدون رقم وتاريخ.

" فأما التوسل بذاته في حضوره أو مغيبه أو بعد موته مثل الإقسام بذاته أو بغيره من الأنبياء أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم فليس هذا مشهوراً عن الصحابة والتابعين بل عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان ومن بحضرتهما من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان لما اجدبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان حيا كالعباس ويزيد بن الأسود ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا ولم يستسقوا في هذه الحال بالنبي لا عند قبره ولا غير قبره بل عدلوا الى البدل كالعباس وكيزيد بل كانوا يصلون عليه في دعائهم وقد قال عمر : " اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقينا".

فجعلوا هذا بدلا عن ذاك لما تعذر أن يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه وقد كان من الممكن أن يأتوا إلى قبره ويتوسلوا هناك ويقولوا في دعائهم بالجاه ونحو ذلك من الألفاظ التي تتضمن القسم بمخلوق على الله عز وجل أو السؤال به فيقولون : نسأله أو عليك بنبيك ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس ..".

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيميه :

" وكذلك علم الصحابة أن التوسل به إنما هو التوسل بالإيمان به و طاعته ومحبته وموالاته والتوسل بدعائه وشفاعته فلهذا لم يكونوا يتوسلون بذاته مجردة عن هذا وهذا فلما يفعل الصحابه رضوان الله عليهم شيئاً من ذلك ولا دعوا بمثل هذه الأدعية وهم أعلم منا وأعلم بما يحب الله ورسوله وأعلم بما أمر الله به ورسوله من الأدعية وما هو أقرب إلى الإجابة منا بل توسلوا بالعباس وغيره ممن ليس مثل النبي فدل عدولهم عن التوسل بالأفضل إلى التوسل بالمفضول أن التوسل المشروع بالأفضل لم يكن ممكنا ".[1266]

وقال ابن الألوسي مرجحاً بأن توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما دليل على جواز التوسل بدعاء الرجل الصالح وعلى منع التوسل بالذوات " وأما ماذكروه من

[1266](1) التوسل والوسيلة ص129-131

الاستدلال بتوسل عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنهما فالمراد بذلك أن يدعو لهم ، يدل عليه ثبوت دعائه لهم بطلب السقيا كما جاءت به بقيه الروايات ومثله استسقاء معاوية في الشام بيزيد بن الأسود فانه قال : يايزيد ارفع يديك . فرفع يديه ودعا ودعا الناس حتى سقوا . وهذا المعني هو الذي عناه الفقهاء في باب الاستسقاء ومرادهم التوجه إلى الله تعالى بدعاء الصالحين فان دعاءهم أرجى للإجابة ولو كان التوسل بالذوات هو المطلوب والمدلول الذي أقاموا عليه الدليل وهو بمقتضي دليلهم لا يخصون الأحياء بهذا التوسل ويستحبون التوسل بالذوات الشريفة ولو بندائهم ودعائهم وانه على معنى أن الشفعاء يدعون لهم وقالوا : لا مانع من ذلك عقلا وشرعا فإنهم أحياء في قبورهم لكان التوسل بالنبي في ذلك الأمر المهم وهم عنده بالمدينة أولى" .

ثم أورد توسل عمر بالعباس وقال:

" بل هذا الدليل الذي تمسكوا به من أقوى الأدلة وأرجحها وأظهرها على ما ندعيه من عدم الجواز فهو عليهم لا لهم عند من له أدنى فهم وإنصاف ". [1267]

والخلاصة: أن توسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه دليل قاطع على أن التوسل المشروع بالنبي إلى الله تعالى هو التوسل بمحبته وطاعته والإيمان به لأن هذه الأمور من الأعمال الصالحة والأعمال الصالحة من أهم الأشياء التي يتقرب بها الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى ولأنه هو التوسل الباقي بعد موت الرسول حيث أن الصحابة كانوا يأتون إلى النبي في حياته ويطلبون منه الدعاء فكان يدعو لهم ولكن لما علم الصحابة رضوان الله عليهم أن التوسل بدعاء النبي غير ممكن بعد موته توسلوا إلى الله بدعاء العباس بن عبد المطلب حيث طلب منه عمر أن يدعو فدعا ولم يكن التوسل بالعباس بن عبد المطلب بجاهه كما يزعم

[1267](1) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لنعمان للألوسي البغدادي ص 456دار الكتب العلمية ,بيروت لبنان.

النقشبندية وغيرهم وإنما كان التوسل بدعائه ولو كان التوسل بالذوات والجاه جائزا لما عدل عمر رضي الله عنه عن التوسل بجاه النبي صلي الله عليه وسلم وذاته ومكانته عند الله

ثالثاً : حديث الضرير : عن عثمان بن حنيف – رضي الله عنه – أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ، فقال : ادع الله أن يعافيني . فقال : إن شئت دعوت لك وإن شئت أخرت ذلك فهو أفضل لآخرتك . قال : فادعه ، قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي . في حاجتي هذه ، فتقضي لي ، اللهم شفعه في ، وشفعني فيه . قال : ففعل الرجل فبرأ " . رواه الترمذي ، وقال : " حسن صحيح غريب " وابن ماجه ، وأحمد ، والنسائي ، والطبراني في الصغير ، والحاكم ، فقال : " صحيح على شرط الشيخين" ووافقه الذهبي ، وأقره ابن تيمية والبيهقي وقال : " رويناه في كتاب الدعوات بإسناد صحيح " ، وصححه أيضاً الألباني .[(1268)]

وقد ذهب النقشبندية إلى أن هذا الحديث يدل على جواز التوسل بذات النبي و غيره من الصالحين ، وبحقه حياً وميتاً .[(1269)]

والحديث بعيد عن هذا المعنى ، بل هو يرجع إلى النوع الثالث من التوسل الجائز . أعني التوسل بدعاء الرجل صالح . والدليل على ذلك من أوجه أكثرها من الحديث نفسه :

الأول : أن الأعمى إنما جاء أساساً إلى النبي ليدعو له ، ويؤيد هذا أمران :

[1268](2) جامع الترمذي : في الدعوات ، باب "119" "5/569" حديث رقم "3578" ، وسنن ابن ماجة في إقامة الصلاة ، باب "189" "1/441" حديث رقم "1385" ، المسند "4/138" ، عمل اليوم والليلة ص 417-418 ، المعجم الصغير "1/183-184" المستدرك "1/313" ، صحيح الجامع حديث رقم "1279" .

[1269](1) انظر النفحات الجودية ص231-232

أنه لو قصد هذا الصحابي الضرير التوسل بذات النبي أو بجاهه أو بحقه ، لما كان ثمت داع إلى المجيء ، بل كان يكفيه أن يقعد في بيته ، ويدعو ربه بقوله : اللهم إني أسألك بجاه نبيك وبحقه ومنزلته عندك أن تشفيني ، ولكنه – رضي الله عنه – لم يفعل هذا ، لأنه كان يعلم أن التوسل بالرجل الصالح معناه طلب دعائه .

قوله : " ادع الله أن يعافيني" فهذه العبارة صريحة في أن هذا التوسل إنما هو طلب للدعاء من الوسيلة لا غير.[1270]

الثاني : أن النبي وعدة بالدعاء مع توجيه النصح له بما هو أفضل له في الآخرة ، وذلك في قوله: " إن شئت دعوت لك ، وإن شئت أخرت ذلك" . ولما كان النبي خير من وفى بوعده – وقد وعده بالدعاء – مع إصرار هذا الصحابي على طلب الدعاء بقوله : "فادعه" علمنا أن النبي دعا له .

غير أنه – – وهو يدعو له وجهه إلى النوع الثاني من التوسل المشروع وهو التوسل بالعمل الصالح ليجمع الخير من أطرافه ، فأمره أن يحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين[1271] ، ثم يدعو لنفسه ، وهذه كلها أعمال صالحة أرشده إليها النبي بدافع رحمته وحرصه على أن يستجيب الله – تعالى – دعاءه ، ولم يكتف بالدعاء له .

وعلى هذا يعلم أن القصة كلها تدور حول الدعاء ، وليس فيها دليل لما يزعمون من التوسل بالذات والجاه .

الثالث : أن في الدعاء الذي علمه رسول الله إياه أن يقول : " اللهم فشفعة في" قال الألباني : " وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته أو جاهه أو حقه ، إذ المعنى : اللهم اقبل شفاعته في ، أي اقبل دعاءه في أن ترد على بصري ، والشفاعة لغة الدعاء " .

وكذلك قوله في آخر الحديث : " وشفعني فيه" قال الألباني : " أي اقبل شفاعتي ، أي دعائي في أن تقبل

[1270](2) انظر مجموع الفتاوى "1/324"

[1271](3) كما في رواية ابن ماجة وأحمد والحاكم والبيهقي

شفاعته ، أي دعاءه في أن ترد على بصري ، هذا الذي لا يمكن أن يفهم من هذه الجملة سواه " .[1272]

وقال أيضاً – مشيراً إلى هذه الجملة - : " وهي من الأدلة الكثيرة على أن التوسل والتوجه المذكور في الحديث إنما هو بدعائه ، لأن معناها : اقبل شفاعتي ، أي في دعائه . وكذلك قوله : " فشفعه في " أي اقبل شفاعته أي دعاءه في . وهذه الزيادة من الكنوز ، من عرفها استطاع أن يطيح بشبهات المخالفين".[1273]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " والفرق ثابت شرعاً وقدراً بين من دعا له النبي وبين لم يدع له ، ولا يجوز أن يجعل أحدهما كالآخر . وهذا الأعمى شفع له النبي فلهذا قال في دعائه : "اللهم فشفعه في" فعلم أنه شفيع فيه ... فهو طلب من النبي أن يدعو له ، فأمره النبي أن يصلي ويدعو هو أيضاً لنفسه ويقول في دعائه : "اللهم فشفعه في" فدل ذلك على أن معنى قوله : " أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد" أي بدعائه وشفاعته".[1274]

الرابع : أن هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ودعائه المستجاب ، وما أظهره الله ببركة دعائه من الخوارق ، فإنه بدعائه – عليه الصلاة والسلام – لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره، لا بتوسل الأعمى بذاته وجاهه كما يزعم المغرضون ، ولذلك أخرج المصنفون هذا الحديث في "دلائل النبوة " كالبيهقي وغيره ، وهذا دليل على أن السر في شفاء الأعمى إنما هو دعاء النبي .

ويؤيده أنه لو كان السر في دعاء الأعمى وحده وتوسله بذات النبي وجاهه دون دعائه لكان كل من دعا به من العميان مخلصاً يعافي من وقته أو بعد حين ، ولو كان الأمر كذلك لا بد أن تكون عادة عميان الصحابة وغيرهم من التابعين جارية على هذا النوع من التوسل .

1272(1) التوسل أنواعه وأحكامه ، ص 72-73-74

1273(2) صحيح الجامع : التعليق على الحديث رقم "1279" .

1274(3) انظر مجموع الفتاوى "1/325".

يقول ابن تيمية – رحمه الله - : " وكذلك لو كان كل أعمى توسل به ولم يدع له الرسول بمنزلة ذلك الأعمى ، لكان عميان الصحابة أو بعضهم يفعلون مثل ما فعل الأعمى ، فعدولهم عن هذا إلى هذا – مع أنهم السابقون الأولون المهاجرون والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، فإنهم أعلم منا بالله ورسوله ، وبحقوق الله ورسوله ، وما يشرع من الدعاء وينفع ، وما لم يشرع ولا ينفع ، وما يكون أنفع من غيره ، وهم في وقت ضرورة ومخمصة وجدب يطلبون تفريج الكربات ، وتيسير العسير ، وإنزال الغيث بكل طريق ممكن دليل على أن المشروع ما سلكوه دون ما تركوه".[1275]

رابعاً : استدلالهم بقوله تعالى : [illegible]]المائدة : 35[,حيث رأوا أن المقصود بالوسيلة هنا ذوات الصالحين من الأنبياء وغيرهم ، وجاههم وحقوقهم عند الله . فيقصدون بالدعاء والاستغاثة والاستعانة سواء كانوا أحياء أم أمواتاً حاضرين أم غائبين .[1276]

والجواب : هو ما بيناه سابقاً أن معنى الوسيلة في القرآن والسنة وفهم السلف إنما هو العمل الصالح، وأن ذلك يتفق مع ما فسر به الآية أئمة التفسير[1277] . ولم ينقل عن أحد من المفسرين المعتمدين أنه فسر هذه الآية أو غيرها بما حملها عليه النقشبندية وغيرهم من التوسل بذوات الأنبياء والصالحين ، بل وقصدهم بالدعاء والاستغاثة والاستعانة .

فإذا تبين أن النبي هو المكلف ببيان كل ما أنزل عليه ، وعلم أنه قام بكل ما كلف به خير قيام، وأنه لم ينقل عنه شيء مما له صلة بإقرار توسلات هؤلاء ، ولا عرف أصحابة التوسل بهذا المعنى ولا غيرهم من خيار السلف ، أهل القرون الفاضلة ، وأن أحداً من المحققين من أهل

[1275] (1) انظر مجموع الفتاوى "1/326" ، وانظر قاعدة جليلة ص260

[1276] (2) انظر نفحات الجودية ص221

[1277] (3) تفسير القرآن العظيم "2/57"

اللغة والتفسير لم يفهم من هذه الآية مثل هذه التوسلات المبتدعة ، إذا تبين هذا ظهر فساد قولهم وبطلان ما ذهبوا إليه باستدلالاتهم.

الخلاصة : وبهذا نخلص إلى أن الأحاديث الصحيحة التي استدل بها النقشبندية على جواز التوسل بالرسول ليس لهم أي دليل فيها وإنما كان استدلالهم بها يرجع إلى عدم تفريقهم بين التوسل بذات النبي وبين التوسل بدعائه حيث أننا إذا نظرنا في كتبهم نرى أنهم دائما يوردون الأحاديث الواردة في التوسل المشروع ليحتجوا بها على التوسل غير المشروع مع أننا إذا نظرنا في الأحاديث التي تتكلم عن توسل الصحابة بالنبي فإننا نراها لا تخرج عن شيء واحد ألا وهو التوسل بدعاء النبي حيث أن الصحابة كانوا يأتون إلى النبي ويطلبون منه الدعاء فيدعو لهم الرسول ولكن هذا غير ممكن الآن والرسول قد مات ثم إن الاستدلال بأحاديث التوسل المشروع على جواز التوسل الممنوع وهو التوسل بذات النبي يعتبر استدلالا بنص ليس نصا في محل النزاع بل هو خارج عنه ، ثم إن التوسل بالنبي منه ما هو مشروع ومنه ما هو مبتدع فالتوسل المشروع هو التوسل بالإيمان بالنبي وبطاعته ومحبته وكذلك التوسل بدعائه كما كان الصحابة يأتون إليه ويطلبون منه الدعاء يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله :

"وهذا التوسل بالإيمان به وطاعته فرض على كل أحد في كل حال باطنا وظاهرا في حياه رسول الله وبعد موته في مشهده ومغيبه لا يسقط بالإيمان به وبطاعته عن أحد من الخلق في حال من الأحوال بعد قيام الحجة عليه إلا بعذر من الأعذار ولا طريق إلى كرامة الله ورحمته والنجاة من هوانه وعذابه إلا التوسل بالإيمان به وبطاعته وهو شفيع الخلائق صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون فهو أعظم الشفعاء قدرا وأعلاهم جاها عند الله".[(1278)]

[1278](1) التوسل والوسيلة ص5 .

المبحث الثالث

المبحث الثالث

المآخذ العقدية على عقيدتهم في أوليائهم

المطلب الأول :خطأهم في مفهوم الولاية من

حيث المعنى والقدرة وحدود الولي

المطلب الثاني : خطأهم في مفهومهم للكرامة

المطلب الثالث : التربية التي يتلقاها المريد عند

سلوكه طريق القوم

المبحث الثالث: المآخذ العقدية على عقيدتهم في أوليائهم

تمهيد :

لقد انحرف النقشبندية في باب الولاية انحرافات خطيرة أوقعتهم في أنواع من الشرك يرجع سببها فيما ترجح عندي إلى عدة أمور .

الأمر الأول : خطأهم في مفهوم الولاية من حيث المعنى والقدرة وحدود الولي فقد زعم النقشبندية :

أولاً: بأن أوليائهم يتلقون علومهم عن الله بلا واسطة ومن هذا ما تقدم من الهواتف والإلهامات وأقوالهم حولها ، وأنهم يعرجون إلى السماوات العلى وقد سبق في الإسراءات و المعاريج التي تعد مصدر من مصادر التلقي عندهم قول السرهندي بأنه كثيراً ما يعرج به فوق العرش ، وأن العروج يقع له كلما أراد ذلك ، وأن علومهم وكلمات أوليائهم مقتبسة من مشكاة الحقيقة المحمدية لذا فإن تعظيم هذه الكلمات لازم وواجب كتعظيم القرآن والحديث ، فعلومهم عن الحق بلا واسطة لذا أشتهر عنهم قولهم " أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت ".[1279]

ثانياً : إدعاء النقشبندية أن أوليائهم لديهم القدرة الكاملة على التصرف في هذا الكون لأن أرواحهم متصرفة وذلك تبعاً لتقسيمهم للأرواح التي هي عندهم على ثلاثة أنواع كما سبق ولديهم القدرة على التجسد والتمثيل للمريد في حال اليقظة حين اشتغاله بالرابطة وفي المنام وأن هذا التصرف باقٍ إلى يوم القيامة لأنهم أهل الحلَّ والعقد، فمنهم الأبدال والأنجاب والأوتاد والأقطاب والأغواث ،فهم يعلمون الغيب وما في الصدور ، ويقولون للشيء كن فيكون ، وقدرتهم فائقة فهم قادرون على الخلق ، وتوجيه الهمة ونقل الأمراض ووهب الثواب وإنزال العقاب والتصرف في قلوب الناس.[1280]

الأمر الثاني : اهتمامهم بالكرامات ، وخطائهم في مفهومهم لها ، واعتقادهم بأن كل من ظهر على يديه كرامة فهو ولي يجب إتباعه.

الأمر الثالث : التربية التي يتلقاها المريد عند سلوكه طريق القوم وتتمثل بـ " علاقة الشيخ بالمريد" والتي ينتج عنها الخوف من الشيخ ، النداء الاستعانة والاستغاثة

[1279](1) انظر الباب الثاني من الرسالة "مصادر التلقي" .

[1280](2) انظر الباب الثاني من الرسالة "عقيدتهم في الله" .

وطلب المدد والتبرك والتوسل بالسلسة والرابطة كل ذلك حال الحياة وبعد الممات .

لذا رأيت أن أقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : خطأهم في مفهوم الولاية من حيث المعني والقدرة وحدود الولي .

الولاية بالمفهوم الصحيح:

معنى الولاية في اللغة : مصدر ولى الشيء يليه ، ولياً وولاية ، إذا دنا منه وقرب أو قام به ، وملك أمره ، أو نصره وأحبه ، ويصاغ من فعل ولي المفاعلة ، فيقال : والاه يواليه مولاة ، إذا صادقه وناصره فهو موال له ، ضد معاد له ، كما يصاغ من التولية فيقال : تولاه تولية إذا صار له وليا ، ومنه اشتق لفظ الولي الذي هو ضد العدو .[1281]

وفي الاصطلاح:أن معنى الولاية في الاصطلاح لا يختلف كثيرا عنه في اللغة إذ كلا المعنيين يدور على القرب والنصرة والقيام بالأمر لصالح الولي ، وضد الولاية العداوة وهي تدور على البغض والبعد وإرادة الشر والهلاك للشخص المعادى .

يقول الشوكاني في تعريف الولاية :

" والولاية ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والتقرب كما ذكره أهل اللغة وأصل العداوة البغض والبعد".[1282]

تعريف الولي :

الولي في اللغة : القرب والدنو والمطر بعد المطر .والولي الاسم منه المحب والصديق والنصير[1283] وجمعه " أولياء" يكون اسم فاعل بمعنى المتولي غيره المولي له.ويكون اسم مفعول بمعني الذي يواليه غيره ويتولاه ، فالله - تبارك وتعالى - هو الولي الحميد ، ولى عبده

1281(1) لسان العرب مادة "ولي" .

1282(2) قطر الولي في شرح حديث الولي ، لمحمد بن علي الشوكاني ص 70.تحقيق د.إبراهيم هلال.دار الكتب الحديثة.القاهرة.1389ه.

1283(3) المعجم الوسيط "2/1058" قام بإخراجه إبراهيم مصطفى_أحمد حسن الزيات_حامد عبد القادر_محمد علي النجار_مطابع دار المعارف . 1400ه.1980م.

المؤمن بمعني أنه هداه للإيمان ، ووفقه للطاعة وأدنا منه ، وقربه إليه ،أحبة ، ونصره ، فهو مولاه ووليه.

قال – تعالى - : [illegible]

]الأعراف : 196[,والمؤمن ولي الله – تعالى - بمعني أن الله – تعالى - هداه وتولاه ، وبمعني أن المؤمن والى الله – تعالى- فآمن به واتقاه وأحبه وأطاعه ، ووافقه في محابه ومساخطه ، فوالى من يوالي ،وعادى من يعادي ، وأحب ما أحب ومن أحب ، وكره ما كره ومن كره ، فكان بذلك عبده ووليه ، قال – تعالى - في إثبات هذه الولاية وذكر كرامتها : [illegible]

]يونس 62- 64[.

قال ابن تيميه :

" وقد قيل إن الولي سمي وليا من موالاته للطاعات أي متابعته لها ويقابل الولي العدو على أساس من القرب والبعد".[1284]

وقال الشوكاني في تفسيره :" والمراد بأولياء الله خلقه المؤمنين أنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته وقد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله : [illegible]]يونس : 63[أي يؤمنون بما يجب الإيمان به ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله – سبحانه - ".[1285]

فأصل الولاية : الإيمان والتقوى .

وشرطها : الموافقة التامة في الحب والبغض ، والموالاة والمعاداة ، ومتابعة الرسول [illegible] في كل ما جاء به ، ودعا إليه من أصول العقائد ، والعبادات ، والآداب ، والأخلاق ،متابعة يتجرد فيها العبد لله ، ويخلص فيها ، إذ لا تتم محبة الله للعبد إلا بشرط المتابعة للرسول [illegible] ،

[1284](1) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لإبن تيمية : ص 6.المكتب الإسلامي بيروت_دمشق.بدون بيانات أخرى.

[1285](2) فتح القدير لمحمد بن علي الشوكابي : "2/457".مكتبة البابي الحلبي.ط2_1283ه_1924م.

وذلك لقوله - تعالى - : [illegible]
[illegible]
[illegible]]آل عمران :31[وهذا لأن المتابعة هي سبيل طهارة الروح ، وزكاة النفس ، ومن طهرت روحه وزكت نفسه بالإيمان والعمل الصالح ، مع البعد عن الشرك والمعاصي كان أهلاً لحب الله – تعالى - ، وموالاته - عز وجل - .[1286]

قال الحسن البصري رحمه الله :

"ادعي قوم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية محنة لهم وقد بين الله فيها أنه من اتبع الرسول فإن الله يحبه ومن ادعي محبه الله ولم يتبع الرسول [illegible] فليس من أولياء الله وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم أو غيرهم أنهم من أولياء الله ولا يكونون من أولياء الله .فاليهود والنصارى يدعون أنهم أولياء الله وأنه لا يدخل الجنة إلا من كان معهم بل يدعون أنهم أبناؤه وأحباؤه .

وكان مشركوا العرب يدعون أنهم أهل الله لسكناهم مكة ومجاورتهم البيت وكانوا يستكبرون على غيرهم"[1287] , وعلى ذلك يكون ولي الله من عباده هو مؤمن أكرمه الله - تعالى - بهدايته ، فأمن به واتقاه، وتقرب إليه بالصالحات، ووافقه فيما يحب وما يكره من الذوات والصفات ووالى من يوالي ،وعادي من يعادي فوالاه الله - تعالى - لذلك ، وتولاه ، وأكرمه بكرامات ، فكان إذا دعاءه استجاب له ، وإن استعاذة أعاذه وإن سأله أعطاه.[1288]

الفرق بين ولاية الله - تعالى - لعبده وبين ولاية العبد لله - عز وجل -:

إن هنـاك فرقـاً بين ولاية الله - تعـالى - للعبد ، وبين ولاية العبد لله - عز وجل - ، تجب ملاحظته وهو أن الله – تعـالى - لا يـوالي عن افتقـار للعبد ، واحتيـاج إليه ، وإنما

[1286](1) عقيدة المؤمن ، لأبي بكر الجزائري ص169-171,دار الكتب السلفية, القاهرة ,1405هـ,1985م.
[1287](2) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان : ص9
[1288](3) عقيدة المؤمن ص174

يوالي إكراماً للعبد ، وإنعامـاً عليه ،لغنـاه - تعـالى- عن ما سـواه ، وافتقــار كل ماعــداه إليه – تعــالى- ، وهــذا من معاني اسمه " الصـمد" وقد نفي الله – تعـالى - في كتابه العزيز – أن يكـون له ولي من الـذل : فقـال – تعـالى- : [illegible]

[الإســـراء : 111] ,وأما العبد فإنه يـــوالي – إن وفقه الله - تعالى – لفقــره وحاجته إلى ربه إذ هو دائما في حاجة إلى نصرة ربه ومعونته، ومحبته ورضاه ، وإدنائه منه ، وتقريبه إليه ، إذ لا يسعد العبد إلا في جوار مـولاه ، ولا ينعم إلا إذا تغمده ربه برحمته وخلع عليه فضـلاً منه رضـوانه . فالمنة إذاً لله – تعالى - على موالاته لعبده وقبوله له وليـاً ، وأما العبد فلا منه له بحـــال ، وليس له أن يـــدل على الله – تعالى - . ولو أذاب نفسه في طاعة الله وأوقف كل حياته عليه ، وحتى لم يبق له هم ولا هوى سـوى الله - عز وجل –.[1289]

مراتب الأولياء :

للأولياء أربع مراتب : عليا وعاليه ، ودنيا ووسطى .

فالعليا : هي مرتبة الأنبياء والمرسلين ، وكراماتهم يصرفونها لله تعالي الذي من بها عليهم ، فتكون معجزات تقوم بها الحجة لله تعالي على الناس .

والعالية : وهي مرتبه السابقين المقربين من أتباع الرسل عليهم السلام ، وهم متفاوتون فيها تفاوت الرسل فيما بينهم ، في تسامي الدرجات ، وعلو المنازل .

والوسطي : وأهلها هم أهل الإيمان والتقوى من أصحاب اليمين المقتصدين

ودينا : وهي مرتبة أهل الضعف في الإيمان والتقوى ، وهم الظالمون لأنفسهم المذكورون في قول الله – تعالى - : [illegible]

[1289] (1) عقيدة المؤمن ص173

[illegible]

[illegible] [فاطر :32-35] ,والشاهد في هذه الآية الكريمة أن الله تعالي ذكر ثلاثة أصناف من الناس ، وهم الظالمون لأنفسهم ، والمقتصدون والسابقون بالخيرات ، وحكم على جميعهم بأنهم يدخلون الجنة يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ، فدل ذلك على أن أهل الضعف في الإيمان والتقوى هم كذلك أولياء لله تعالي ، وإن ظلموا أنفسهم بترك بعض الواجبات ، أو فعل بعض المحرمات ، غير أن درجتهم دون درجة السابقين ولم تصل إلى درجة المقتصدين ، فهم في منزلة دون ذلك ، وذلك لضعف إيمانهم وتقواهم .[1290]

يلاحظ هنا أن أهل هذه المراتب على اختلافها ، متفاوتون في العدد قلة وكثيرة ،فأهل المرتبة العليا أقل عددا من أهل المرتبة العالية ، وأهل المرتبة العالية ، أقل عددا من أهل المرتبة الوسطي وأهل الوسطي أقل عددا من أهل المرتبة الدنيا ، وهذا أمر ظاهر لا يحتاج إلى أكثر من تنبيه إليه .

ويلاحظ أن الأولياء من غير الأنبياء والمرسلين لا عصمة لهم ، فقد يخطئون،ويغلطون غير أن الغالب في أحوالهم الحفظ مما يدنس شرف الولاية ، ويخل بمقامها ،وإن وقع أن أحدثوا ذنبا لعدم عصمتهم أحدثوا له توبة ، على الفور ، فيقبلها الله تعالي منهم بعد أن وفقهم لها ، فسلم بذلك مقامهم من التداعي والسقوط ، ومنزلتهم من النزول والهبوط.[1291]

يقول ابن تيمية : .. ولكن الولاية قسمان : ولاية عامة تشمل جميع المؤمنين وهي مأخوذة من قوله تعالى : [illegible] [المائدة:55]

, ولاية خاصة أعظم قدرا من الأولى

وهي مأ خوذة من الآية الكريمة: [illegible] [يونس 62:-63]

[1290] (1) عقيدة المؤمن ص177-178

[1291] (2) عقيدة المؤمن ص179

وهي الواردة في الحديث القدسي " من عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب – الحديث " ، فهذه أي الولاية الخاصة – تزيد عن التي قبلها بمسألة التقوى ، وهذه الولاية الخاصة لا تحصل إلا لمن كان من أهل الولاية العامة ، ثم زاده الله من طاعته ومحبته له حتى بلغ درجة المحبة التي ذكرها الله - عز وجل - في الحديث القدسي.[1292]

طرق الوصول إلى الولاية :

إذا كانت ولاية الله ومحبته هما الغاية التي يسعي إليها كل مؤمن ، فإن الوصول إلى هذه الغاية لا يتأتى إلا بأحد طريقين لا ثالث لها

الطريق الأول :

طريق الاجتباء وهى المذكورة في الآية الكريمة:

[الشورى: 13] .

الطريق الثاني :

طريق الإنابة وهي المذكورة في كمال الآية السابقة :

 [الشورى :13] .

معـنى الاجتبـاء : لاشك أن الله - سـبحانه تعـالى- هو الملك المتصرف في الكون ، وأن له أن يختـار من عبـاده من يشـاء ويصـطفيه ويفضـله على غـيره من الخلق وقد اصطفى ادم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ، كما جـاء في الآية الكريمة :

[آل عمران: 23].

فمن آل إبراهيم من كان نبيناً ورسولا ، ومنهم من كان وليـاً لله ولم يصل إلى درجة النبـوة وهم بقية الصـالحين من آل إبـراهيم ومن آل عمـران مـريم بنت عمـران الـتي ثبتت لها الولاية لله عز وجل ، ولم تثبت لها نبـــــــوة ولا رسالة ومضمون هذا الطريق : أن الله - سبحانه تعـالى - له أن يختار من عبـاده من يلهمه الصـلاح والتقـوى والعلم وما إلى ذلك من خصـائص أوليائه فيبـادره بـذلك قبل أن

[1292](1) موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية ص195 بتصرف.

يصل إلى مرحلة التكليف والاختيــار الــتي قــال الله - عز وجل- فيها : [illegible]

]الإنسان -3[

وأما بالنسبة لمعنى الإنابة : فمن المعلـوم أن الهداية درجات ، وأن جميع درجات الهداية إنما هي نعم من الله- عز وجل- على العباد ، فمن نعمه - عز وجل - على عبـاده أن يوفقهم للإيمان ، قال - تعالى - : [illegible]]الحجرات :17[.

والمؤمنــون بعد أن يشــتركوا جميعا في الإيمــان ينقســمون إلى ثلاثة أقســام ، وضـحتها آية ســورة فـاطر وســورة الواقعة ، وهم الســابقون بــالخيرات في الــدنيا ، السابقون إلى الجنة في الآخرة ، والمقتصدون في الــدنيا ، أصحاب اليمين في الآخــرة ، والظــالمون لأ نفســهم في الدينا بتقصيرهم أو قصورهم أقل الدرجات ولاية في الدنيا ، ومنزلة في الآخرة ،ولعل قـائلا يقـول : إلا يسـتحق أهل الظلم لأنفســهم العــذاب عقوبة ظلمهم ؟ فنقــول : إن الظــالم قد يعــذب إن لم يغفر الله عز وجل له ولكنه بعد تطهـيره من ذنوبه بالعـذاب مصـيره الجنة ، وبهـذا حكمت الآية بعد ذكرهم: [illegible]]فاطر :33[

والسابقون الذين سلكوا الطريق إلى الله – بعد الإيمان – بأداء الفرائض واجتاب النواهي ، ثم يكثرون من النوافل ، والبعد عن المتشابهات ، والالتزام بالورع ، هم أعلى درجات الولاية بعد الأنبياء وسلوك هذا الطريق لابد فيه أن يبتدئ بالتعليم وقراءة القران ، وحفظ الحديث الشريف ، ومعرفة الحلال والحرام ونحو ذلك من العلوم الضرورية. (1293)

الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان :

لقد بين الله - سبحانه وتعالى - في كتابه وسنه رسوله [illegible] أن لله أوليــاء من النــاس وللشــيطان أوليـاء ففـرق بين

[1293] (1)انظر شبهات التصوف ص112-115

أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فقد قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [يونس 62ـ 64] , وقال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة : 257]

وقال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾

[المائده : 51].

وذكر اوليـاء الشـيطان فقـال تعـالى: ﴿ [illegible] ﴾

[النحل : 98-100].

وقـال تعـالى: ﴿ [illegible] ﴾

[النساء : 76].

وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [آل عمران: 175] .

وعلى هذا فالتقسيم الصحيح للناس في هذه الحياة الدنيا هو أنهم ينقسمون إلى قسمين لا ثالث لهما وهو أن أي أحد من الإنس أو الجن في هذه الحياة إما أن يكون ولياً لله وإما أن يكون عدوا لله وليست الولاية محصورة في أشخاص معينين كما يزعم الصوفية عامة والنقشبندية منهم ذلك بل ما نعتقده هو أن أي مسلم يؤمن بالله وبرسوله وينفذ أوامر الله ويجتنب نواهيه فهو ولي من أولياء الله - سبحانه وتعالى - .[1294]

[1294] (1) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص9

مفهوم الولي و مراتب الأولياء ووظائفهم عند النقشبدية :

لقد كان من الطبيعي أن يبتدع النقشبندية ألقاب لأوليائهم ومراتب ووظائف لم ترد في كتاب الله وسنة نبيه إذ أن الولي عندهم في تعريفة ومضمونة يختلف اختلافاً كبيراً بين الولي الذي ذكره الله في كتابه وبينه نبيه في سنته .

فالولي عندهم : هو من تولى الحق أمره وحفظه من العصيان ولم يخله ونفسه بالخذلان حتى يبلغه من الكمال مبلغ الرجال ، قال الله - تعالى –:

   [الأعراف : 196] .

فالولاية : هي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه ، وذلك بتولي الحق إياه حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكين[1295] فهم يعتقدون أن أوليائهم لديهم القدرة على الخلق والإحياء والإماتة والرزق والحرمان والتعذيب والغفران فهم وكلاء عن الله في أرضه وخلفائه و القائمين بالتصرف لذا كانت لأوليائهم من المراتب والوظائف ما يتمشى مع هذا المعتقد.

من هذه المراتب والوظائف التي ذكرها النقشبندية والتي لم ترد في الكتاب ولا في السنة إنما كانوا مقتدين فيها بسابقيهم من الصوفية ، الأقطاب والأوتاد والغوث والأمناء و النقباء والنجباء والأبدال ولهم أعداد معينة عندهم وهم يندرجون تحت مسمى الأولياء المتصرفين .

يقول أحمد ضياء الكمشخاتلي : "وأما أنواع الأولياء المتصرفين : فمنهم قطب الأقطاب وقطب الإرشاد وقطب البلاد وقطب المتصرفين . وهم الكلمات الجامعة الإلهية . وقدرتهم القدرة الذاتية ... وهم أقطاب العالم وهؤلاء الأوتاد نوابهم : لا موت ولا عارض ولا صعق ولا تغير لهم ".

[1295](2) معجم الكلمات الصوفية: ص96

فهكذا صرح بأنهم لا يموتون ولا يتغيرون ولا تؤثر عليهم عوارض الدنيا .
ويقول : "و منهم الإثنا عشر نقيباً : وهم مطلعون على تأثيرات الكواكب التي تنزل على البروج.
ومنهم النجباء : وهم ثمانية عدد السموات مع الكرسي : وهم واقفون على أحوال النجوم ومطلعون على أسرار النجوم والكرسي والعرش .
ومنهم : ثلاثمائة رجل من الأولياء على قلب آدم ، ومنهم أربعون على قلب نوح.
ومنهم سبعة غير الأبدال السبعة على قلب إبراهيم.
ومنهم خمسة على قلب جبريل.
ومنهم ثلاثة على قلب ميكائيل .
ومنهم واحد على قلب إسرافيل . وعلمه علم إسرافيل جامع للقبض والبسط .
ومنهم ثمانية عشر قائمون بحقوق الله و ظاهرون بأمره ويحكمون بما أراد الله .
ومنهم خمسة عشر رجلا وهم المسمون رجال الحنان والعطف الإلهي.
ومنهم أربعة يسمون رجال الهيبة والجلال وهم يمدون بالأوتاد الأربعة .
قالبهم روحاني وقلبهم سماوي معروفون في السماء مجهولون في الأرض علمهم مما لا يتناهى [1296].
ومنهم رجال الاشتياق وهم خمسه
ومنهم رجل الأيام الست ... وهذه الأيام مقالة الصفات السبع : الأحد
موجود من صفه السمع . والاثنين من صفه الحياة والثلاثاء من صفة البصر
والأربعاء من صفه الإرادة ، والخميس من صفه القدرة . والجمعة من العلم
والسبت من الكلام . وكل واحد نال من مظهرية صاحبه : فافهم"[1297]

[1296] (1) [illegible] 130
[1297] (1) [illegible] 131

هذه هي المراتب التي ذكر النقشبندية في كتبهم لأولياء الله سبحانه وتعالي وهذه المراتب والألقاب التي ذكرها إذا عرضناها على كتاب الله وسنه رسوله محمد صلي الله عليه وسلم نجد أنها لم ترد فيها وأنها محض فتوحات شيطانية.

معاني هذه الألفاظ ووظيفة أصحاب كل مرتبه عند النقشبندية :

لقد وضح النقشبندية معاني هذه الألفاظ ووظيفة صاحب كل مرتبة توضيحا شافيا لا غموض فيه موافقون في ذلك لسابقيهم من المتصوفة .

أولاً : الغوث وهو:

القطب حتى يلقي إليه ، وفي غير ذلك يسمى الوقت غوثا وغيب الهوية الغيب المطلق هو ذات الحق باعتبار اللايقين .[1298]

والقطب : هو الواحد الذي هو موضوع نظر الله من العالم في كل زمان وهو على قلب إسرافيل وهم موافقون لابن عربي حيث قال :

"الأقطاب جمع قطب وهو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في العالم ويقال الغوث وهو على قلب إسرافيل" .[1299]

وقد وضح ابن عربي مهمة القطب بقوله :

"واعلم أن لكل بلد أو قرية أو إقليم قطبا غير الغوث به يحفظ الله تعالى تلك الجهة سواء أكان أهلها مؤمنين أو كفارا وكذلك القول في الزهاد والعباد والمتوكلين وغيرهم لابد لكل صنف منهم من قطب يكون مدارهم عليه" .[1300]

وهناك مرتبيه أعلى وهي القطبية الكبرى:

[1298] (2) [illegible] 60

[1299] (3) [illegible] "3/244"

[1300] (4) [illegible] "2/83 [illegible] 1352 [illegible]

والقطبية الكبرى: هي مرتبة قطب الأقطاب وهو باطن محمد عليه السلام فلا يكون إلا لورثته واختصاصه ، وبالأكملية فلا يكون خاتم الولاية قطب الأقطاب الاعلى باطن خاتم النبوة .[(1301)]

وقد تحدث التيجاني عن حقيقة القطبانية أو القطبية الكبرى في المفهوم الصوفي فقال :

"إن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمي عن الحق مطلقا في جميع الوجود جمله وتفصيلا حيثما كان الرب إلهاً كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من له عليه الألوهية لله – تعالى - فلا يصل إلى الخلق شيء كائنا ما كان من الحق إلا بحكم القطب ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود فترى الكون أشباحاً لا حركه وإنما هو الروح القائم فيها جمله وتفصيلا ثم تصرفه في مراتب الأولياء فلا تكون مرتبه في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه فهو المتصرف في جميعها والممد لأربابها, به يرحم الوجود, وبه يبقي الوجود, في بقاء الوجود رحمة لكل العباد وجود في الوجود . حياة لروحه الكلية وتنفس نفسه يمد الله به العلوية والسفلية ذاته مرآة مجرد يشهد فيها كل قاصد مقصده"[(1302)]

وبذلك نجد أن النقشبندية يعتبرون القطب هو المتصرف الوحيد في هذا الكون لأنه نائب عن الله كل هذا الكون وتصريفه بيد القطب وكأنه الوزير النائب عن الله فلا يكون شيء في هذا الكون إلا عن طريق القطب الصوفي المزعوم والذي لا وجود له في الحقيقة وإنما وجود في خيال المتصوفة فقط وليس له أصل لا في الكتاب ولا في السنة.[(1303)]

المرتبة الثانية : البدل أو البدلاء

[1301](1) جامع الأصول في الأولياء ص67

[1302](2) جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التيجاني,لعلي حرازم الفاسي "2/ 80",دار الجبل بيروت ,1408ه_1988م.

[1303](3) جامع الأصول في الأولياء : ص18

وهم سبعه رجال يسافر أحدهم عن موضع ويترك جسدا على صورته فيه بحيث لا يعرف أحد أنه فقد ، وذلك معنى البدل لا غيره وهم على قلب إبراهيم عليه السلام .

وهم موافقون في ذلك أيضاً لابن عربي يقول :

"أما الأبدال فهم سبعه رجال من سافر منهم من موضع ترك على صورته جسداً أي شبحاً يحيا بحياته ويظهر بأعمال أصله " وقال أيضاً عن أعمالهم : "اعلم أن ثم رجالا سبعة يقال لهم الأبدال يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة لكل بدل إقليم وإليهم تنظر روحانيات السماوات السبع ولكل شخص منهم قوة منبعثة من روحانيات الأنبياء الكائنين في هذه السماوات وهم إبراهيم الخليل يليه موسى يليه هارون يتلوه إدريس يتلوه يوسف يتلوه عيسى يتلوه آدم سلام الله عليهم أجمعين ".

وقال ابن عربي أيضاً متحدثا عن الأبدال :

"وهذه الجملة أي السبعة هم الأبدال وقالوا سموا إبدالاً لكونهم إذا مات واحد منهم كان الأخر بدله وقيل سموا بذلك لأنهم أعطوا من المقدرة والقوة أن يتركوا بدلهم حيث يريدون لأخر يقوم في نفوسهم على علم منهم فإن لم يكن على علم منهم فليس من أصحاب هذا المقام فقد يكون من صلحاء الأمة وقد يكون من الأفراد ".[1304]

وقال صاحب كتاب معجم مصطلحات الصوفية في وصف الأبدال :

"هم سبعة رجال فمن سافر منهم عن موضعه وترك جسداً على صورته حياً بحياته ظاهرا بأعمال أصله بحيث لا يعرف أحد أنه فقد فذلك هو البدل لا غير وهو في تلبسه بالأجساد والصور على صورته على قلب إبراهيم عليه السلام".[1305]

المرتبة الثالثة : مرتبة الوتد أو الأوتاد :

[1304](1) الفتوحات المكية(2/400).

[1305](2) معجم مصطلحات الصوفية ص92

وهم الرجال الأربعة الذين على منازل الجهات الأربع من العالم أي الشرق والغرب والشمال والجنوب بهم يحفظ الله تلك الجهات لكونهم محل نظره – تعالى - .[(1306)]
قال صاحب معجم مصطلحات الصوفية عن الأوتاد :
"الأوتاد هم أربعة رجال منازلهم على منازل الجهات الأربع من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة ويحفظ الله بهم تلك الجهات لكونهم
مجال نظرة تعالي والولى يتنور بصورهم فيكلم الناس في الباطن والظاهر ويخبرهم ".[(1307)]

المرتبة الرابعة : مرتبة الأفراد :

وهم أصحاب العلم الباطن .[(1308)]

المرتبة الخامسة : مرتبة النقباء :

وهم الذين تحققوا باسم الباطن فأشرفوا على بواطن الناس واستخرجوا خفايا الضمائر لانكشاف الستائر لهم عن وجوده السرائر وهم ثلاثماثة , فالنقباء هم الذين يعرفون ما في الضمائر ومعني ذلك هم الذين يعلمون الغيب .

المرتبة السادسة : مرتبة النجباء :

وهم الأربعون القائمون بإصلاح أمور الناس وحمل أثقالهم المتصرفون في حقوق الخلق.[(1309)]

المرتبة السابعة : مرتبة الأئمة :

وهم إمامان يعرفهم النقشبندية : أنهما الشخصان اللذان أحدهم عن يمين الغوث أي القطب في الملكوت ، والآخر عن يساره ونظره في الملك أعلى من صاحبه وهو الذي يخلف القطب[(1310)]. وقد تحدث محيي الدين بن عربي عن هذا "أما الأئمة فهما إمامان احدهم عن يمين القطب ونظره في عالم الملكوت واسمه عبد الرب

[1306](3) جامع الأصول في الأولياء ص90
[1307](1) معجم مصطلحات الصوفية ص92
[1308](2) الفتوحات المكية (3/244).
[1309](3) جامع الأصول في الأولياء ص88
[1310](4) جامع الأصول في الأولياء ص14

والأخر عن يساره ونظره في عالم الملك واسمه عبد الملك وهو الذي يخلف القطب إذا درج ".[1311]

لقد بينت فيما سبق مراتب الأولياء ووظائفهم عند النقشبندية وأثبت بأنهم يعتقدون أن هذا الكون تسيره مجموعه من البشر أطلق عليهم الألقاب التي ذكرتها وأنه لا يقع في هذا الكون أي أمر إلا عن طريق هؤلاء الأولياء المزعومين والآن أريد أن أبين أين يجتمع أولياء النقشبندية .

ديوان التصريف :

هناك اجتماعات روحية ، وجسدية يومية لكل أصناف الأولياء وطبقاتهم في ديوان يديرون من خلاله الكون ، وينظر في أموره ، وأحواله يعرف بالديوان أو المملكة الباطنية أو ديوان التصريف ولما كان الدباغ أكثر من تحدث عن الديوان : لذا سأعرض ما جاء في إبريزه بصورة مختصرة .

1-**ما الديوان ؟**

عبارة عن اجتماع يومي يتم بين الأولياء الأموات منهم والأحياء ، من مشارق الأرض ومغاربها ، ويروى الشعراني في طبقاته [1312]، عن عبد الله التستري ، انه قال : " ما من ولي لله صحت ولايته إلا ويحضر إلى مكة في كل ليله جمعه لا يتأخر عن ذلك" .

2. **مكان الديوان :** غار حراء بمكة المكرمة.

3. **نشأة الديوان :**يزعمون أن : الديوان كان معموراً بالملائكة ، ولما بعث الله النبي جعل الديوان يعمر بأولياء هذه الأمة ، فظهر أن أولئك الملائكة كانوا نائبين عن أولياء هذه الأمة المشرفة ،حيث رأينا الولي إذا خرج إلى الدنيا ، وفتح عليه ،وصار من أهل الديوان ، فانه يجئ إلى موضع مخصوص ، فيجلس فيه، ويصعد الملك الذي كان فيه فإذا ظهر ولي آخر جاء إلى موضع ويصعد الملك الذي

[1311] (5) الفتوحات المكية "3/244"

[1312] (1) الطبقات الكبرى للشعراني "1/67"

في ذلك الموضع وهكذا كانت بداية عمارة الديوان حتى كمل وأما الملائكة الذين هم باقون فيه فهم ملائكة ذات النبي الذين كانوا حفاظا لها في الدنيا ولما كان نور ذاته مفرقا في أهل الديوان بقيت ملائكة الذات الشريفة من ذلك النور الشريف.

4. **وصف الديوان :**يتكون الديوان من سبع دوائر متحدة المركز ويطلق الدباغ في كتابة اسماً لكل دائرة صفاً ، فأصغر الدوائر قطراً تسمى الصف الأول ،ووصفها كالتالي : يجلس لقطب الغوث في صدر الصف الأول، وأربعة أقطاب عن يمينه ، وهؤلاء الخمسة مالكية المذهب وعن يساره ثلاثة أقطاب ، واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة ، والوكيل في مواجهة الغوث ، وهو مالكي أيضاً ولا يتكلم الغوث إلا مع الوكيل ، ولذلك سمي وكيلا ؛ لأنه ينوب في الكلام عن جميع من في الديوان ، والتصرف للأقطاب السبعة عن أمر الغوث ، وكل واحد من الأقطاب السبع تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته .

اجتماعات الديوان

1- موعد الاجتماع :

يومياً في الثلث الأخير من الليل ، وهي ساعة استجابة الدعاء وساعة ميلاد رسول الله .

2- لغة الاجتماع :

السريانية : لاختصارها وجمعها المعاني الكثيرة : لان الديوان يحضره الأرواح والملائكة،والسريانية هي لغتهم ولا يتكلمون بالعربية إلا إذا حضر النبي أدباً معه.

3- الغرض من الاجتماع :

إذا اجتمعوا اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت إلى مثله من الغد فهم يتكلمون في قضاء الله –تعالى - في اليوم المستقبل ، والليلة التي تليه ، ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية ، وحتى في الحجب السبعين ، وحتى ما فوق الحجب السبعين ، فهم يتصرفون فيه – حسب زعمهم – وفي أهله ، وفي

خواطرهم ، وما تهجس به ضمائرهم ، فلا يهجس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصريف.

4-كيف يجتمعون ؟

ينزل الأموات من البرزخ بطيران الروح فإن قربوا موضع الديوان بنحو مسافة نزلوا إلى الأرض، ومشوا على أرجلهم إلى أن يصيروا إلى الديوان والميت يحضر بذات روحه، لا بذاته الفانية الترابية .

5-الاجتماع السنوي :

يحضره الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ، مثل : إبراهيم ، وموسى ، وغيرهما من الرسل.

6-موعد الاجتماع السنوي :

في ليلة القدر ، ويحضره الملأ الأعلى من الملائكة المقربين ، وأزواج النبي ، وأكابر صحابته - رضوان الله عليهم - .

7- من يحضر الديوان؟

يفصل الدباغ أمور الديوان ، وننقل عنه ما يتعلق بالحضور ، ومتى يحضر النبي اجتماعات الديوان ؟ وما حال الحضور حينئذ ؟ ومن يخلف القطب إذا اعتذر عن الاجتماع وشغله أمر أهم من تدبير شئون الكون ؟ وما إلى ذلك من أمور ، فنراه يقول

1- الحاضرون هم :

الأولياء ، الأحياء الأموات ، والملائكة وهم من وراء الصفوف ، والجن الكمل ، وهم الروحانيون ، وهم من وراء الجميع ، وهم يبلغون صفاً كاملاً، وليس كل من يحضر الديوان من الأولياء يقدر على النظر في اللوح المحفوظ.

2-كيف نميز الأحياء من الأموات ؟

يمكن تمييز الحاضرين الأحياء من الأموات بثلاثة أمور ، هي :

- إن زي الأموات لا يتبدل ، وهيئته ثابتة ، بينما الأحياء ثيابهم تتغير وهيئاتهم كذلك فمره ترى الواحد منهم حليق الشعر ، ومرة بدون شارب وهكذا .
- إن ذات الميت لا ظلٍ لها ، فإذا وقف الميت بينك وبين الشمس لا ترى له ظلاً.
- الأموات لا تقع معهم مشاورة في أمور الأحياء : لأنهم لا تصرف لهم فيها ، وقد انتقلوا إلى عالم آخر في غاية المباينة لعالم الأحياء ، وإنما تقع معهم المشاورة في أمور عالم الأموات .

3-هل يحضر النبي ؟

نعم ، وإذا حضر النبي إلى الديوان جلس في موضع الغوث ، وجلس الغوث في موضع الوكيل ، وتأخر الوكيل للصف ، وإذا جاء النبي جاءت معه الأنوار التي لا تطاق ، وإنما هي أنوار محرقه قاتلة لحينها ، وهي أنوار المهابة والجلال ، وكلامه مع الغوث ، فالأمر الذي ينزل من عند الله لا تطيقه ذات إلا ذات النبي وإذا خرج من عنده لا تطيقه ذات إلا ذات الغوث ، ومن ذات الغوث يتفرق على الأقطاب السبعة ، ومنهم يتفرق على أهل الديوان . وإذا حضر النبي في الديوان وجاءت معه الأنوار التي لا تطاق ، بادرت الملائكة من أهل الديوان ، ودخلوا في نوره فما دام النبي في الديوان لا يظهر منهم ملك فإذا خرج من الديوان رجع الملائكة إلى مراكزهم .

4- غياب الغوث وديكتاتورية الأغلبية

قد يغيب الغوث عن الديوان فلا يحضره ، فيحصل بين أولياء الله - تعالى - ما يوجب اختلافهم ، فيقع فيهم التصرف الموجب لان يقتل بعضهم بعضا ، فان كان غالبهم اختار أمراً ، وخالف الأقل من ذلك ، فإن الأقل يحصل فيهم التصرف السابق ، فيموتون جميعا .

5- سبب غياب الغوث

إما لاستغراقه في مشاهدة الحق - سبحانه - ، وإما لكونه في بداية توليته بعد موت الغوث السابق ، لذا فانه قد لا يحضر في بداية الأمر حتى تتأنس ذاته شيئاً فشيئاً .

6- حضور النبي في غياب الغوث

يحصل لأهل الديوان من الخوف و الجزع ، من حيث يجهلون العاقبة من حضور النبي ما يخرجهم عن حواسهم ، حتى أنه لو طال ذلك أياماً كثيرة لا نهدمت العوالم .
7-لم يحضر الجن والملائكة ؟
إن الأولياء يتصرفون في أمور تطيق ذواتهم الوصول إليها ، وفي أمور أخرى لا تطيق ذواتهم الوصول إليها ، فيستعينون بالملائكة والجن فيها .
8- هل يحضر نساء في الديوان ؟
نعم ، يحضره النساء ، وعددهن قليل ، وصفوفهن ثلاثة ، وذلك من جهة الأقطاب الثلاثة التي علي اليسار خلف الصف الأول .
9- سبب قيام الساعة "عندهم"
لا دخل للمجاذيب في الديوان ، ولا بأيديهم تصرف وإذا بلغ إليهم التصرف هلك الناس فإذا كان كبير الديوان " أي الغوث" منهم وليس معه عقل تمييز فيقع الخلل في التصرف ، ويكون ذلك سببا في خروج الدجال .[1313]
لاشك إن حجم الضلال والبهتان في موضوع الديوان ، والمملكة الباطنية اكبر مما يظن أتباع الصوفية فما أيسر ادعاء الناس الباطل دون دليل أو برهان ، فلا حاجز يمنع اللسان من أن يصول ، ويجول ، وما أيسر أن يغلف الشيطان هذه الأقوال بثياب الفتوح ، والإلهام ، وتلبيس التوحيد لله - عز وجل - وحقيقة الأمر أنها غياهب الضلال ، والهامات الشياطين .

موقف أهل السنة والجماعة من مراتب الأولياء وممن يدعي التصرف لغير الله

لقد تم في التمهيد حصر شبهات النقشبندية في باب الولاية في شبهتين :

[1313](1) الإبريز للدباغ نقلاً عن عقائد الصوفية ص 356-361، وانظر الطبقات الكبرى للشعراني "2/ 129"

الأولى : في أنهم يتلقون علومهم عن الحق بلا واسطة وما اشتهر من أقوالهم حول ذلك[1314]،وقد مرَّ الرد على هذه الشبهة في مناقشة مصادر التلقي عندهم[1315]، بقي الرد على اعتقادهم بأن أوليائهم لهم ألقاب وأعداد ووظائف خاصة بهم وأنهم ما خلعوا هذه الألقاب والوظائف على أوليائهم إلا للتعبير عن قدرتهم وقوة تصرفهم في الكون ، حيث أن تصرف هؤلاء الأولياء درجات كل على حسب قدرته فتصرف الغوث يختلف عن القطب يفوق صاحب القطبية الكبرى فهي أعلى الدرجات وهو قطب الأقطاب وحقيقة الخلافة العظمى عن الحق وأن الغوث هو قطب حتى يلقى الله إليه مروراً بالبدلاء والأنجاب وغيرهم .وأن اجتماعاتهم تعقد في ديوان أطلقوا عليه ديوان التصريف.والآن أريد أن أبين موقف الإسلام من هذه المراتب التي ابتدعها النقشبندية وممن يدعي التصرف لغير الله في هذا الكون.

عند عرض هذه المراتب للأولياء على كتاب الله وسنة نبيه نجد أنها لا وجود لها لا في كتاب الله ولا في سنة نبيه وأن اعتقاد أنهم هم الذين يسيرون الكون ، اعتقاد فاسد وباطل وشرك بالله - عز وجل - في التصرف لأن الشرك أنواع وهذا من شرك التصريف .

إن أبرز من ناقش الصوفية في هذه المراتب والوظائف شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابة " مجموع الفتاوى " في عدة أماكن من هذا الكتاب حيث أجاب على سؤال وجه إليه عن مراتب الصوفية هذه والوظائف التي نسبوها إلى الأولياء.

فقال :" أما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذي بمكة والأوتاد الأربعة والأقطاب السبعة والأبدال الأربعين والنجباء الثلاثمائة فهذه أسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى ولا هي أيضاً مأثورة عن النبي بإسناد صحيح ولا ضعيف يحمل

[1314](1) انظر الباب الثاني من الرسالة "مصادر التلقي"

[1315](2) انظر الباب الثالث من الرسالة "مناقشة مصادر التلقي"

عليه إلا ألفاظ الأبدال فقد روي فيهم حديث شامي منقطع الإسناد عن علي بن أبي طالب عنه مرفوعاً إلى النبي أنه قال : "إن منهم – يعني أهل الشام – الأبدال الأربعين رجلاً كلما مات رجل أبدل الله تعالى مكانه رجلاً".

ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب والمعاني عن المشايخ المقبولين عند الأئمة قبولاً عاماً وإنما توجد على هذه الصورة عند بعض المتوسطين من المشايخ وقد قالها إما آثراً لها عن غيره أو ذاكراً....".

ثم قال :

" فالكتب المنزلة من السماء والإشارة من العلم المأثورة عن خاتم الأنبياء يميز الله بها الحق من الباطل ويحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وبذلك يتبين أن هذه الأسماء على هذا العدد والترتيب والطبقات ليست في كل زمان بل يجب القطع بأن هذا على عمومه وإطلاقه باطل فإن المؤمنين يقلون تارة ويكثرون أخرى وينتقلون في الأمكنة وليس من شرط أولياء الله أهل الإيمان والتقوى ومن يدخل فيهم من السابقين المقربين تعيين العدد,

وقد بعث الله رسوله بالحق وآمن معه بمكة نفر قليل كانوا أقل من سبعة ثم أقل من أربعين ثم أقل من سبعين ثم أقل من ثلاثمائة فيعلم أنه لم يكن فيهم هذه الأعداد ومن الممتنع أن يكون ذلك في الكفار ثم هاجر هو وأصحابه إلى المدينة وكانت هي دار الهجرة والسنة والنصرة ومستقر النبوة وموضع خلافة النبوة وبها انعقدت بيعة الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي- رضوان الله تعالى عليهم أجمعين- وإن كان قد خرج منها بعد أن بويع فيها ومن الممتنع أنه قد كان بمكة في زمنهم من يكون أفضل منهم, نعم إن الإسلام انتشر في مشارق الأرض ومغاربها وكان في المؤمنين في كل وقت من أولياء الله المتقين بل من الصديقين السابقين المقربين عدد لا يحصى عدده إلا رب العالمين لا يحصرون بثلاثمائة

ولا بثلاثة آلاف ولما انقضت القرون الثلاثة الفاضلة كان في القرون الخالية من أولياء الله المتقين بل من السابقين المقربين من لا يعرف عدده وليسوا بمحصورين بعدد ولا محدودين بأمد وكل من جعل لهم عددا محصورا فهو من المبطلين عمداً أو خطأً فنسأله من كان القطب والثلاثة إلى سبعمائة في زمن آدم ونوح وإبراهيم وقبل محمد - عليهم الصلاة والسلام - في الفترة حين كان عامة الناس كفرة ".

قال الله – تعالى - :

[النحل :120] , أي كان مؤمناً موحداً وكان الناس كفاراً جميعاً وفي صحيح البخاري أنه قال لسارة :" ليس على الأرض اليوم مؤمن غيري وغيرك" .[1316]

وقال الله - تعالى - :

[الجمعة :2] ,وإن زعموا أنهم كانوا بعد رسولنا - عليه السلام - نسألهم في أي زمان كانوا ومن أول هؤلاء وبأية آية وبأي حديث مشهور في الكتب الستة وبأي إجماع متواتر من القرون الثلاثة تثبت وجود هؤلاء بهذه الأعداد حتى نعتقده لأن العقائد لا تعتقد إلا من هذه الأدلة الثلاثة ومن البرهان العقلي:

[النمل :64] فإن لم يأتوا بهذه الأدلة الأربعة الشرعية فهم الكذابون بلا ريب فلا نعتقد أكاذيبهم ... ثم قال رداً على وظائفهم: " فأما لفظ الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله فهو غياث المستغيثين فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب ولا نبي مرسل ومن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ونزول الرحمة إلى الثلاثمائة والثلاثمائة إلي السبعين والسبعون إلى الأربعين والأربعون إلى السبعة والسبعة إلى الأربعة والأربعة إلى الغوث فهو كاذب ضال مشرك فقد كان المشركون كما اخبر الله – تعالى- عنهم

[1316](1) صحيح البخاري "6/388 فتح"

بقوله: ﴿ [illegible] ﴾

]الإسراء :67[

وقال سبحانه : ﴿ [illegible] ﴾]النمل :62 [

فكيف المؤمنــون يرفعــون إليه حــوائجهم بوســائط من الحجاب وهو القائل -تعالى- :

﴿ [illegible] ﴾]البقرة : 186[

وقال إبراهيم - عليه السلام - داعياً لأهل مكة : ﴿ [illegible] ﴾]إبراهيم : 37-39 [.

وقال النبي ﷺ لأصحابه لما رفعوا أصواتهم بالذكر :" أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً وإنما تدعون سميعاً قريباً إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته"[1317].

وقد علم المسلمون كلهم أنه لم يكن عامة المسلمين ولا مشايخهم المعروفون يرفعون إلى الله حوائجهم لا ظاهراً ولا باطناً بهذه الوسائط والحجاب - فتعالى الله - عن تشبيهه بالمخلوقين من الملوك فسائر ما يقوله الظالمين علواً كبيراً وهذا من جنس دعوى الرافضة أنه لابد في كل زمان من إمام معصوم يكون حجة الله على المكلفين لا يتم الإيمان إلا به ثم مع هذا يقولون أنه كان صبياً دخل السرداب مع أكثر من أربعمائة وأربعين سنة ولا يعرف له عين ولا أثر ولا يدرك له حس ولا خبر وهؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم مضاهاة للرافضة من بعض الوجوه بل هذا الترتيب والأعداد يشبه من بعض الوجوه

[1317](1) صحيح البخاري "11/500 فتح".

ترتيب الإسماعيلية [1318]

والنصيرية[1319] ونحوهم في السابق والتالي والناطق والأساس والجسد وغير ذلك من الترتيب الذي ما أنزل الله به من السلطان " [1320].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً :

"وكذلك من فسر الأربعين الأبدال بأن الناس إنما ينصرون ويرزقون بهم فذلك باطل بل النصر والرزق يحصل بأسباب من آكدها دعاء المؤمنين وصلاتهم وإخلاصهم ولا يتقيد ذلك لا بأربعين ولا بأقل ولا بأكثر كما جاء في الحديث المعروف أن سعد بن أبي وقاص قال :

[1318](1) الإسماعيلية : نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق لزعمهم الانتساب إليه .فهذا كان سبب تفرق الامامية والاسماعيلية ،فبينما هي عند الشيعة الاثني عشرية في جعفر الصادق ثم في موسى الكاظم أفهي عند الاسماعيلية في جعفر الصادق ثم في ابنه إسماعيل ثم في محمد بن إسماعيل.ومن الإسماعيلية انبثق القرامطة والحشاشون والفاطميون والدروز وغيرهم.وللإسماعيلية فرق متعددة وألقاب متعددة تختلف باختلاف البلدان. قامت عقائدهم على مجموعة أفكار ملفقة من مذاهب شتى ،ترجع إلى إنكار وجود الله ،وجحد أسمائه ،وتحريف الشرائع تحت ستار التشيع لآل البيت.إلى غير ذلك من العقائد مثل :إبطال النبوة والعبادات ، وإنكار البعث ، ولكنهم لا يظهرون هـذا في أول أمرهـم.انظر في التعريف بهم : تلبيس إبليس ،ص99، الفرق بين الفرق .عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (-429) . بيروت . تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد بيروت . دار المعرفة . د . ت. ،ص294،621،الملل والنحل (1/167،191)، الحركات الباطنية في العالم الاسلامي . محمد أحمد الخطيب . ط1. جمعية عمال المطابع التعاونية_ 1404هـ.،ص67.

[1319](2)النصيرية : نسبة إلى محمد بن نصير النميري .ادعى النبوة والبابية بعد وفاة الحسن العسكري.هلك عام 260هـ ثم تولى المذهب بعده أبو محمد عبدالله بن محمد الحنان الجنبلاني الذي عاش في القرن الثالث الهجري في جنبلا بإيران، وبعد وفاة الجنبلاني سنة 287 هـأصبح الحسين بن حمدان الخصيبي 260-346هـ المرجع الأعلى للمذهب النصيري ، وقد اتخذ مقره في بغداد ثم استقر به المقام في مدينة حلب بسوريا .وبعد وفاة الخصيبي أصبح للنصيرية مركزان الأول والأعظم في حلب، ويرأسه محمد بن علي الجلي الذي خلف الخصيبي ، والثاني في بغداد ويرأسه علي بن الجسري .ثم انتقل مركز ثقلهم إلى جهات اللاذقية والجبال المسماه الآن باسمهم , ومن أهم معتقداتهم القول بحلول الله تعالى في الأشخاص , وموطنهم الآن في سوريا ولبنان ،ويبدو أنهم جاءوا إلى هذه المنطقة في فترات سابقة على شكل هجرات جماعية من العراق و الملل والنحل 1/188-189 ، مجموع الفتاوى 35/145-160.

[1320](3) مجموع الفتاوى "11/433-439" .

يا رسول الله الرجل يكون حامية القوم أيسهم له مثل ما يسهم لا ضعفهم فقال : " يا سعد وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم "[1321] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً :

" وليس في أولياء الله المتقين ولا عباد الله المخلصين الصالحين ولا أنبيائه المرسلين من كان غائب الجسد دائماً عن أنظار الناس بل هذا من جنس القائلين أن علياً في السحاب ومحمد بن الحنفية في جبال رضوى وأن محمد بن الحسن بسرداب سامري وأن الحاكم بجبل مصر وأن الأبدال الأربعين رجال الغيب بجبل لبنان فكل هذا ونحوه من قول أهل الإفك والبهتان".[1322]

قال محمد رشيد رضا في تفسير قوله- تعالى - : ﴿ [illegible] ﴾ [الأعراف :54] .

" ألا أداة يفتتح بها القول الذي يهتم بشأنه لأجل تنبيه المخاطب لمضمونه وحمله على تأمله والخلق في أصل اللغة التقدير وإنما يكون في شيء يقع فيه واستعمل بمعنى الإيجاد بقدر أي ألا إن لله الخلق فهو الخالق المالك لذوات المخلوقات وله فيها الأمر وهو التشريع والتكوين والتصرف والتدبير فهو المالك والملك لا شريك له في ملكه ".[1323] وقال أيضاً تحت قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الانعام:50] .

" بدأ بنفي القدرة على التصرف فيما ليس من شأن البشر التصرف فيه لعدم تسخير الله – تعالى- إياه لهم بأقدارهم على أسبابه وثني بنفي علم الغيب الخاص بالله – تعالى - فقال : ﴿ [illegible] ﴾ أي لا أقوال لكم إني أعلم الغيب وهو ما حجب الله علمه عن الناس بعدم

[1321](1) مجموع الفتاوى "11/442" وهذا الحديث أخرجه البخاري بنحوه " 6/88" وأحمد في المسند "5/ 198".

[1322](2) مجموع الفتاوى "11/443"

[1323](3) تفسير القرآن الحكيم ,الشهيربتفسير المنار ، لمحمد رشيد رضا " 8/ 454" ,دار المعرفة ,بيروت ,لبنان,ط2_بدون تاريخ.

تمكينهم من أسباب العلم به ككونه مما لا تدركه مشاعرهم الظاهرة والباطنة لأنها لم تخلق مستعدة لإدراكه ولا لطرق الاستدلال عليه أو لأنها مستعدة له بالقوة غير متمكنة من أسبابه بالفعل كعالم الآخرة فالغيب من جنس المعلومات كخزائن الله من جنس المقدورات يراد بهما ما اختص بالله – تعالى - فلم يمكن عبادة من علمه والتصرف فيه أي لم يعطهم القوى ولم يسخر لهم الأسباب الموصلة إلى ذلك ... " .

ثم قال بعد أن تحدث طويلا :

"فعلم مما قررناه أن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - لم يعطوا علم الغيب بحيث يكون إدراكه من علومهم الكسبية كما أنهم لم يعطوا قوة التصرف في خزائن ملك الله وهي ما لم يمكن البشر من أسبابه فيكون من أعمالهم الكسبية ولا أعطاهم إياه أيضاً على سبيل الخصوصية كما أظهرهم على بعض الغيب الذي هو موضع الرسالة ونفي ادعاء الرسول لكل من الأمرين يتضمن التبرؤ من ادعاء الإلهية أو ادعاء شيء من صفات الإله وهو أولى ويستلزم الأول لأن كلاً منهما خاص بالإله الذي هو على كل شيء قدير وبكل شيء عليم وقدرته وعلمه صفتان ذاتيتان له ويتضمن بيان جهل المشركين بحقيقة الإلهية وحقيقة الرسالة إذا كانوا يقترحون على الرسول من الأعمال ما لا يقدر عليه إلا من له التصرف فيما وراء الأسباب ومن الإخبار بما يكون في مستقبل الزمان ما لا يعلمه إلا من كان علم الغيب صفة له كسائر الصفات ...

وإذا كان الله تعالى لم يؤت غيرهم من أسباب التصرف في المخلوقات ومن علم الغيب وكان كل من التصرف بالقدرة الذاتية وعلم الغيب خاص به عز وجل يستحيل أن يشاركه فيه غيره فمن أين جاءت دعوى التصرف في الكون وعلم الغيب لمن هم دون الرسل منزلة وكرامة عند الله تعالى من المشائخ المعروفين وغير المعروفين حتى صاروا يدعون من دون الله تعالى ما عز نيله بالأسباب والسنن الإلهية .

وقد قال المفسرون أن نفي النبي لهذين عن نفسه هو عبارة عن نفي ادعاء الألهية وبيان لكون ما اقترحوه عليه مما لا يقدر عليه غير الله تعالى فضلال المشركين في فهم الرسالة وجعلهم إياها شعبة من الربوبية لا يزال منتشراً في أذهان الناس حتى بعض المؤمنين باسم القرآن المتبركين بجلد مصحفة وورقة وبالتغني به في المآتم وغيرها الجاهلين بما أنزل لبيانه من توحيد الله – تعالى - وشئون ربوبيته وألوهيته ومن حقيقة الرسالة ووظيفة الرسل ومن معنى الجزاء على العقائد والأعمال دع مادون هذه الأصول الثلاثة من أمور الدين إذ نرى بعض هؤلاء المعدودين في عرفهم وعرف الناس من أتباع القرآن يدعون التصرف في خزائن الله وعلم الغيب لمن دون الرسل ".[(1324)]

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري تحت عنوان " شرك الربوبية ومظاهره في الأمة الإسلامية"..

"وهنا بيان مقتضب لتك المظاهر الشركية في بعض أفراد الأمة الإسلامية نذكرها تحذيراً منها وتعليماً بأن عقيدة المؤمنين الحقة خلو من كل مظاهر الشرك وآثاره لابتنائها على هدي الكتاب والسنة كتاب الله وسنة رسوله ".

1- اعتقاد كثير من عوام المسلمين وأشباههم أن هناك في الكون أقطاباً وأبدالاً من الأولياء والصالحين لهم قدر من تصرف معين في حياة الناس فهم يولون ويعزلون ويعطون ويمنعون ويضرون وينفعون كما شاع بين عوام المسلمين أن لهؤلاء الأقطاب والأبدال ديواناً يطلق عليه ديوان الصالحين منه تصدر القرارات والمراسيم بربح فلان وبحاجة وخيبة فلان وخسرانه ومن هنا تعلقت قلوب كثير من الناس بالصالحين وهتفت بهم الألسنة واستغيث بهم ودعوا عند الشدائد ونودوا للخلاص من المحن وهو مظهر واضح للشرك في الربوبية لما فيه من

[1324](1) تفسير المنار : "7/ 422-425"

اعتقاد التصرف والتدبير في الكون لغير الله تعالى أو له ولغيره معه- سبحانه تعالى-.
2- اعتقاد كثير من المنتسبين إلى العلم أن لأرواح الأولياء والصالحين تصرفاً بعد موتهم وشاع هذا الاعتقاد الكاذب الباطل ورسخ في نفوس كثير من المسلمين حتى أصبحت الأضرحة والمشاهد والقبور ملاذاً لكل خائف ومستشفى لكل مريض فمن أصابه كرب أو نزل به ضيم أو حلت به نكبة فزع إلى تلك الأضرحة والمشاهد والقبور و أناخ بساحتها وتعلق بأهداب أصحابها راجياً منها تفريج كربه وقضاء حاجته ... وهذا من خصائص الربوبية إذ هو من التدبير للخلق الذي اختص به الرب تبارك وتعالى ....
3- تقديس المشايخ من رجال التصوف والطرقيين والمشعوذين وطاعتهم في غير طاعة الله وطاعة رسوله بل فيما هو مكروه لله ورسوله وقبول ما يشرعون لهم من البدع وما يسنون لهم من سنن الباطل واتباعهم في ترك الهدى ومعاداتها ومعاداة أهلها والداعين إليها والاستجابة المطلقة لهم بحيث يمكنونهم من نفوسهم فيتسلطون عليها ومن أرواحهم فيهيمنون عليها فاعتقدوا فيهم أنهم يعلمون سرهم ونجواهم وأنهم يكاشفونهم في كل أحوالهم ويطلعون منهم على كل مخبآت نفوسهم فذلوا لهم وهانوا وضعفوا أمامهم واستكانوا لهم حتى مكنوهم من أنفسهم و أموالهم وأعراضهم فهمل هذا الخضوع والذل والطاعة المطلقة والتسليم التام لهم لا يعد شركاً في ربوبية الله – تعالى - وهل أولئك الرجال الذين استعبدوهم لا يعدون أرباباً وآلهة لهم ".[1325]

وقال الشيخ السيد محمد صديق حسن وهو يتحدث عن الأمور التي يختص الله بها - سبحانه وتعالى - دون غيره وأن أحداً إذا صرفها لغيره يصبح قد وقع في الشرك قال :
"" الشيء الثاني أن التصرف في العالم بمحض الإرادة أي من دون أسباب عادية كتصرفه تعالى بلفظ كن والقضاء بكل شيء والإحياء والإماتة وتوسعة الرزق

1325(1) عقيدة المؤمن : ص75

وتقتيره والصحة والمرض والفتح والهزيمة والإقبال والإدبار وإنجاح المرام وقضاء الحوائج ودفع البليات والإعانة في المشكلات والإغاثة عند حلول الآفات وفي أوقات المكروهات كل ذلك شأن الله- تعالى - ليس هذا الشأن لأحد من الأولياء والأنبياء والمشايخ والشهداء والجن والشياطين والملائكة .

فمن أثبت مثل هذا التصرف لأحد غير الله ويطلب منه المرادات وينذر على هذا التوقع ويوجب على نفسه النذور لهم ويدعوهم عند المصائب والمصاعب فهو مشرك بالله الذي لا إله إلا هو ولا حكم إلا له وحده لا شريك له .

ويقال لهذا الإشراك في التصرف أي إثبات التصرف لغير الله كإثباته لله تعالى سواءً اعتقد أن قدرة هذا التصرف حصلت له بنفسه أو أعطاه الله إياها فالشرك ثابت على كل حال".[1326]

وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في كتابة الذي ألفه في الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفاً في الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامة :

"هذا وإنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات ويستغاث بهم في الشدائد و البليات وبهم تكشف المهمات فيأتوا قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين على أن ذلك منهم كرامات وقالوا : منهم أبدال و نقباء وأوتاد ونجباء وسبعون وسبعة وأربعون وأربعة والقطب هو الغوث للناس وعلية المدار بلا التباس وجوزوا لهم الذبائح والنذر وأثبتوا لهم فيها الأجور قال : وهذا الكلام فيه تفريط وإفراط بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ومخالفة لعقائد الأئمة وما اجتمعت علية الأمة.

وفي التنزيل: [illegible]
[illegible]

[1326](1) الدين الخالص ، لمحمد صديق حسن "305-1/304".مطبعة المدني _القاهرة.

□ □□□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□ □ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□]النساء :115[.

إلى أن قال : الفصل الأول فيما انتحلوه من الإفك الوخيم والشرك العظيم ... إلى أن قال:فأما قولهم أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات فيرده قوله- تعالى - :

□ [□□□□ □□□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□ □النمل :61[,وقوله : □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□ □

□ □□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□ □□□□□□□□□ □ □□□□□□□□□□ □ □□□□□□□□□]الأعراف :54[,

وقوله : □ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□ □

]المائدة : 120[,ونحوه من الآيات الدالة على أنه المتفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير ولا شيء لغيره في شيء ما بوجه من الوجوه فالكل تحت ملكه وقهره تصرفاً وملكاً وأحياءاً وإماتة وخلقاً وتمدح الرب سبحانه بانفراده في ملكة بآيات من كتابة كقوله : □□□□□□□ □□□□ □□□□ □

□ □□□□ □□□□□□]فاطر : 3[, وقوله : □□□□□□□ □□□ □□□□□□□□ □□□ □□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □

□ □□□□ □□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□ □□□ □□□□□□□□□□□ □□□]فاطر :13[.

ثم قال : فقوله في الآيات كلها " من دونه" أي من غيره فإنه عام يدخل فيه من اعتقدته من ولي وشيطان تستمده فإن من لم يقدر على نصرة نفسه كيف يمد غيره إلى أن قال : فكيف يتصور لغيره من ممكن أن يتصرف إن هذا من السفاهة لقول وخيم وشرك عظيم .

إلى أن قال :" وأما القول بالتصرف بعد الممات فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة ثم ذكر الآيات التي تدل على أن كل بني آدم وغيرهم من المخلوقات ميتون وذكر الحديث الذي يدل على أن ابن آدم إذا مات انقطع عمله إلا من إحدى ثلاث المستثنية في الحديث وهي الصدقة الجارية والولد الصالح الذي يدعو لوالديه والعلم النافع".

ثم قال :" فجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت وأن أرواحهم ممسكة وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان فدل ذلك أن ليس للميت تصرفا في ذاته فضلا عن غيره بحركة وأن روحه محبوسة مرهونة بعملها من خير وشر فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره فالله- سبحانه- يخبر

أن الأرواح عنده وهؤلاء الملحدون يقولون أن الأرواح مطلقة متصرفة قل أأنتم أعلم أم الله ".

ثم قال : " وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من المغالطة لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم بها أولياءه لا قصد لهم فيها ولا تحدي ولا قدرة ولا علم كما في قصة مريم بنت عمران وأسيد بن حضير وأبي مسلم الخولاني" .

ثم قال :" وأما قولهم : فيستغاث بهم في الشدائد . فهذا أقبح مما قبله وأبدع لمصادمته قوله جل ذكره: ﴿ [illegible] ﴾]النمل : 62[.

وقوله : ﴿ [illegible] ﴾]الانعام:63[,وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال : فإنه جل ذكره قرر أنه الكاشف للضر لا غيره وأنه المتعين لكشف الشدائد والكرب وأنه المتفرد بإجابة المضطرين وأنه المستغاث لذلك كله وأنه القادر على دفع الضر والقادر على إيصال الخير فهو المنفرد بذلك فإذا تعين هو - جل ذكره - خرج غيره من ملك ونبي وولي".[1327]

فتوى شرعية :

عن أن من ظن أن الميت يتصرف في الأمور :

ورد في كتاب مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية فتوى أصدرها فضليه الشيخ عبد المجيد سليم ، عن حكم النذر للأولياء ، فقال : وأما النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد .. فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه ، منها : أنه نذر لمخلوق ، والنذر للمخلوق لا يجوز لأنه عبادة ، والعبادة لا تكون للمخلوق . ومنها أن المنذور له ميت ، والميت لا يملك ، ومنها أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى ، واعتقاد ذلك كفر ..

والظاهر لنا أن هؤلاء العوام ، و إن قالوا بألسنتهم : إني نذرت لله ، أو تصدقت لله ، فمقصدهم في الواقع ونفس الأمر ، إنما هو التقرب إلى الأولياء والصالحين ، وليس مقصدهم التقرب لله تعالى وحده ، ولم يبتغوا بذلك وجهه

[1327](1) تيسير العزيز الحميد ص232

،.. وما أشبه ما يقدمون من قربان ، وما ينذرون من نذور ، وما يعتقدون في الأضرحة وساكنيها بما كان يصنع المشركون في الجاهلية ، وما يغني عنهم نفي الشرك عنهم بألسنتهم ، وأفعالهم تنبني عما يعتقدون من أن هؤلاء الأولياء لهم نافعون ولأعدائهم ضارون ... .

وقد جاء " سبل السلام شرح بلوغ المرام" ما نصه : " وأما النذور المعروفة في هذه الأزمنة على القبور والمشاهد والأموات ، فلا كلام في تحريمها ، لأن الناذر يعتقد في صاحب القبر أنه ينفع ، ويضر ، ويجلب الخير ، ويدفع الشر ، ويعاقب الأليم ، ويشفى السقيم ، وهذا هو الذي كان يفعله عباد الأوثان بعينه ، فيحرم كما يحرم النذر على الوثن ، ويحرم قبضه لأنه تقرير على الشرك ، ويجب النهي عنه ، وإبانه أنه من أعظم المحرمات ، وأنه الذي كان يفعله عباد الأصنام ، لكن طال الأمد حتى صار المعروف منكرا، والمنكر معروفا "[(1328)].

والخلاصة :

التي نخرج بها من هذا المطلب بعد أن ذكرت نبذه من أقوال العلماء قديماً وحديثا يتبين:

- أن موقف الإسلام من المراتب للأولياء والوظائف التي ادعوها ما هي إلا بدعة ابتدعوها من عند أنفسهم بفتح شيطاني ، وأنها ليست من الإسلام في شيء.
- أنه لا يختلف أحد من العلماء في أن من زعم أن أحداً من الأولياء يتصرف في ملك الله فقد أشرك مع الله – تعالى - لأنه هو المتصرف في ملكه لا يشركه فيه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن أن يشركه فيه المتصوفة بأوليائهم وأغواثهم وأبدالهم من نقشبندية وغيرهم.

المطلب الثاني : خطأهم في مفهوم الكرامة

وللوقوف على مدى الخطأ الذي وقع فيه النقشبندية في مفهومهم للكرامة كان لا بد أن أعرض التعريف الصحيح للكرامة .

[1328](1) مختصر فتاوى دار الافتاء المصرية ، جمع وترتيب الشيخ صفوت الشوادفي ص47، نقلاً عن عقائد الصوفية ص419 – 420 .

الكرامة هي : أمر خارق للعادة يجريها الله على يد ولي من أوليائه قاصر عن النبوة في الرتبة ، معونة له على أمر ديني أو دنيوي.[1329]

ضوابط الكرامة عند أهل السنة والجماعة :

يذهب أهل السنة والجماعة إلى إثبات الكرامة فهم يعلمون أن الله الذي وضع الأسباب وخلق المسببات قادر على خرق هذه السنن المألوفة لعبد من عبادة ، لهذا كان من أصولهم التصديق بكرامات الأولياء ، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات .[1330]

ويؤمنون بأن الكرامات وقعت للنبي وهي كثيرة تبلغ نحو ألف معجزة[1331] . وأعظمها معجزة القرآن بلا نزاع . ووقعت الكرامات لعدد من الصحابة ، وردت في روايات صحيحة لا سبيل إلى إنكار مثلها كما وقعت للتابعين وغيرهم من الصالحين.[1332]

غير أن أهل السنة والجماعة علموا بالاستقراء وبإرجاع كل فرع إلى أصله أنه ليس كل خارق للعادة كرامة،وليس كل من جاء بأمر خارق ولياً لله – تعالى -، فإثبات الكرامات يجب تقييده بقيود مميزة،وضبطه بضوابط معينة توضح حقيقة هذا الأمر وتمنع من التباسه وهذه الضوابط إذا تأملناها نجد أنها عامة وخاصة أجملها جميعاً فيما يلي.

الضابط الأول : أن الخوارق ليست من صنع الرسول ، ولا من صنع غيره من أولياء الله ، ولا هي شأنهم ، أنما هي من أمر الله – سبحانه وتعالى - وفق تقديره وتدبيره وحكمته ، وليس من شأن أحد منهم أن يطلبها إذا لم يعطه الله إياها ، ولذلك كانت الكرامات تقع للصحابة دون تكلف منهم أو تطلب لها برياضات روحيه وخلوات في الأماكن المظلمة بل كان هديهم على التقوى والعمل

[1329](2) شرح العقيدة الواسطية لمحمد بن صالح العثيمين ص168 - مكتبة الهدى الإسلامي_ط1_1406ه_1986م.

[1330] (3) شرح العقيدة الواسطية ص167 ، و مجموع الفتاوى "3/156"

[1331](1) الفرقان بين الأولياء ص124-125

[1332](2) الفرقان بين الأولياء ص125-132، و مجموع الفتاوى "11/276-283"

الصالح فإذا ظهرت لهم كرامات أخفوها ولم يذيعوها ولم يفرطوا في التفاؤل مخافة أن تكون مكراً بهم من قبل الشيطان الرجيم.

يقول الشوكاني :"ولا يجوز للولي أن يعتقد في كل ما يقع له من الواقعات والمكاشفات ، أن ذلك كرامة من الله - سبحانه - . فقد يكون من تلبيس الشيطان ومكره .بل الواجب عليه أن يعرض أقواله وأفعاله على الكتاب والسنة فإن كانت موافقة لهما فهي صدق وكرامه من الله – سبحانه- وإن كانت مخالفه لشيء من ذلك فليعلم أنه مخدوع ممكور به قد طمع منه الشيطان فلبس عليه". (1333)

الضابط الثاني : أن الكرامة إنما تكون في نصرة الدين وإعلاء كلمة الله ، فلو حصلت على يد الإنسان خوارق تشبه الكرامات ولم تكن الغاية من حصولها أمراً يحبه الله ويرضاه لم تكن كرامة ، بل تنقلب عقوبة ونقمة عليه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " وخيار أولياء الله كراماتهم لحجة في الدين أو لحاجة بالمسلمين، كما كانت معجزات نبيهم كذلك" . (1334)

وقال : " وجميع ما يؤتيه الله لعبده من هذه الأمور- يعني الخوارق – إن استعان به على ما يحبه الله ويرضاه ويقربه إليه ويرفع درجته ويأمره الله به ورسوله ازداد بذلك رفعة وقرباً إلى الله ورسوله ، وعلت درجته ، وإن استعان به على ما نهى الله عنه ورسوله كالشرك والظلم والفواحش استحق بذلك الذم والعقاب" . (1335)

وهذا الضابط مهم ، فإن كثيراً من أصحاب الخوارق إنما يستخدم خوارقه فيما لا يرضي ربه ، فيستعملها مطية للدهاء والمكر وكسب تقديس الناس له ورفعه فوق منزلته ، وإن كان ذلك الخرق مجرد خرق للعادة دون أن تتعلق به فائدة أصلاً.

[1333](3) قطر الولي ص234

[1334](1) مجموع الفتاوى "11/ 274"

[1335](2) مجموع الفتاوى "11/ 299" وانظر "11/319"

قال ابن تيمية : " إن الكشف والتأثير إما أن يكون فيه فائدة أو لا يكون ، فإن لم يكن فيه فائدة كالاطلاع على سيئات العباد ، وركوب السباع لغير حاجة ، والاجتماع بالجن لغير فائدة ، والمشي على الماء مع إمكان العبور على الجسر ، فهذا لا منفعة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وهو بمنزلة العبث واللعب ".[(1336)]

الضابط الثالث:أنه ليس من منهج الإسلام ولا من تعاليمه الاعتماد الكلي على الخوارق والكرامات،إذا فقدت فقد معها الإيمان وإذا وجدت وجد الإيمان ولهذا كان معجزة هذا الدين العظمى وآيته الكبرى هي القران الكريم الذي أنزله الله- تعالى - على نبيه محمد ولم تكن دعوته معتمدة على خرق العادات بقدر ما هي معتمدة على الحجة والبرهان .[(1337)]

الضابط الرابع : أن الاستقامة على طريق الهدى ، طريق أهل السنة والجماعة بحد ذاتها هي عين الكرامة فإنها سبب الفوز بالسعادة في الحال والمآل والنجاة من الشقاوة عاجلاً وأجلاً وهي سبب لتكريم الله – تعالى - عبده بأنواع الكرامات بما فيها خرق العادات إذا دعت إليها حاجة واقتضته ضرورة وبها فقط يعرف ولي الله من ولي الشيطان . وأما الخوارق وحدها فلا تدل على ولاية الله ولهذا يقول العلماء : " كن طالبا للاستقامة لا طالباً للكرامة فإن نفسك منجبلة على طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة[(1338)]" وقالوا :" من ظهر على يديه خارق فإنه يوزن بميزان الشرع فإن كان على الاستقامة كان ما ظهر على يديه كرامة ومن لم يكن على الاستقامة كان ذلك فتنة كما يظهر على يدي الدجال من إحياء الميت وما ظهر من جنته وناره فإن الله يضل من لا خلاق له بما يظهر على يدي هؤلاء وأما من تمسك بالشرع الشريف فإنه لو رأي من هؤلاء من يطير في

[1336](3) مجموع الفتاوى "11/ 328"

[1337](4) مجموع الفتاوى "11/ 333"

[1338](1) مجموع الفتاوى "11/ 320" ومجموعة الرسائل والمسائل عن أبي علي الجوزجاني

الهواء أو يمشي على الماء فإنه يعلم أن ذلك فتنة للعباد". [(1339)]

ويقول الشاطبي :"ومن هنا يعلم أن كل خارقة حدثت أو تحدث إلى يوم القيامة فلا ردها ولا قبولها إلا بعد عرضها على أحكام الشريعة فإن ساغت هناك فهي صحيحة مقبولة في موضعها، وإلا لم تقبل " [(1340)].

الضابط الخامس : أن صاحب الكرامة لا بد أن يكون بعيداً عن الدعاوى ، والكذب ، والتكلف ، وحب الشهرة ؛ لأن ذلك كله يقدح في النية والمقصد ، فقد تتحول عباداته ومجاهداته إلى مجرد طلب الكرامة ، وذلك من موجبات الخلل في الإخلاص .

الضابط السادس : أن الكرامة نفسها لا تكون معصية لله ولا مخالفة للشرع . ، فإن الكرامة إذا كانت لنصرة الدين وإعلاء كلمة الحق ، كان من المستحيل أن تكون هي ذاتها مخالفة للشريعة الإسلامية .[(1341)]

وبهذا البيان لهذه الضوابط الشرعية للكرامة سوف نرى مدى خطأ النقشبندية في فهمهم للكرامة .

فقد اعتمد النقشبندية على الخوارق ، واهتموا في مناهجهم على المبالغة في نشر خوارق أوليائهم وركزوا على اختلاق قصص خيالية ، وأساطير كثيرة ليرفعوا بها ما للشيوخ والأولياء من مكانة ومنزلة في نفوس أتباعهم ليحملوهم على الإذعان لهم وتقديسهم وتعظيمهم لدرجة العبادة .

وقد دونوا هذه القصص بعنوان الكرامات ضمن مناقب أوليائهم وهي موجودة في طيات كتبهم يدللون بها على عظمة أوليائهم ومكانتهم عند الله ومن كتبهم التي حشروا بين طياتها أنواع الأساطير باسم الكرامات"الحدائق الوردية في حقائق الإجلاء النقشبندية"

[1339](2) نقض المنطق لإبن تيميةص15 عن أبي محمد العز بن عبدالسلام,تحقيق محمد عبد الرازق حمزه ووسليمان الصنيع_تصحيح_ محمد حامد الفقي_طبعة السنة المحمدية_1370ه.

[1340](3) الموافقات في اصول الشريعة للشاطبي "2/ 278" دار المعرفة.بيروت.

[1341](4) تلبيس إبليس ص371.

"المواهب السرمدية في مناقب السادات النقشبندية " " الأنوار القدسية في مناقب النقشبندية".

وعلى ذلك فالفرق واضح بين منهجهم في ذلك ومنهج أهل السنة والجماعة ، نرى في منهج أهل السنة والجماعة .

- عدم الحرص وعدم التعويل على الخوارق مخافة المكر والغرور، و نرى النقشبندية لتؤكد وتحث على الاهتمام بأمر الخوارق واعتبارها معياراً لمعرفة الولي ، أي أن صاحب الخوارق عند النقشبند لابد أن يكون له من الولاية نصيب.

- أنه لا تلازم بين الولاية والخوارق عند أهل السنة والجماعة ، فقد يكون الشخص من أولياء الله المقربين ، وليس له من الخوارق شيء .

قال ابن تيمية : فاعلم أن عدم الخوارق علماً وقدرة لا تضر المسلم في دينه ، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات ، ولم يسخر له شيء من الكونيات ، لا ينقصه ذلك في مرتبته عند الله ، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له في دينه".[1342]

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله : "ذكر تعالى أن أولياءه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، هم المؤمنون المتقون ، ولم يشترط أن يجري على أيديهم شيء من خوارق العادة ، فدل أن الشخص قد يكون ولياً لله وإن لم يجر على يديه شيء من الخوارق إذا كان مؤمناً تقياً"[1343].

- أن أهل السنة والجماعة المعروفين بعدم الحرص على طلب الخوارق ، وأنه لم يكن من مذهبهم العجلة في تفسير كل أمر مستغرب بأنه كرامة . وذلك لعلمهم بالدور الذي يمكن أن يلعبه شياطين الجن والإنس في ذلك فليس كل خارق للعادة كرامة.

يقول ابن تيمية : "والشياطين يوالون من يفعل ما يحبونه من الشرك والفسوق والعصيان ، فتارة يخبرونه ببعض

[1342](1) مجموع الفتاوى "11/ 323"

[1343](2) تيسير العزيز الحميد ص395.

الأمور الغائبة ، ليكاشف بها ، وتارة يؤذون من يريد أذاه بقتل أو تمريض ونحو ذلك ، وتارة يجلبون له من يريده من الإنس ، وتارة يسرقون له ما يسرقونه من أموال الناس من نقد وطعام وثياب وغير ذلك ، فيعتقد أنه من كرامات الأولياء وإنما يكون مسروقاً".[1344]

- أن أهل السنة الذين لا يرون أن هناك تلازماً بين الولاية وبين الكرامات ، فلم يحتاجوا إلى الإكثار من رواية كرامات الأولياء فضلاً عن أن يؤدي بهم الأمر إلى المبالغة التي تؤدي بهم الكذب في ذلك .

وعلى ذلك فإن هناك فروق بين الكرامة والأحوال الشيطانية.

وأما **الفرق بين الكرامة والأحوال الشيطانية** كالسحر والشعوذة ونحوهما ، فيتبين في أمور :

الأول : النظر في مدى متابعة صاحب الخوارق للرسول ، فإنه قد اتفق أهل العلم على أن الرجل لو طار في الهواء ، ومشى على الماء لم يتغير به حتى ينظر متابعته لرسول الله وموافقته لأمره ونهيه ، لأن مثل هذه الخوارق قد يكون صاحبها ولياً لله ، وقد يكون عدواً له ، فإنها قد تكون لكثير من الكفار والمشركين واليهود والنصارى والمنافقين وأهل البدع .

فمتى وجدنا الشخص مخالفاً للشرع متلبساً بالبدع علمنا أن ما يجري على يديه من هذه الأمور ليست بكرامة ، بل هي إما استدراج و إما من أعمال الشياطين التي يكون سببها ارتكاب ما نهى الله عنه ورسوله ، فإن المعاصي لا تكون سبباً لكرامة الله ، ولا يستعان بالكرامات عليها [1345] ، فصاحب الأحوال الشيطانية لما أعرض عن ذكر الله ومتابعة رسول الله وافقته الشياطين فصاروا من حزبه ، قال تعالى: [illegible]

[الزخرف :36] .

(1)[1344] مجموع الفتاوى "1/ 173-174"

(2)[1345] تيسير العزيز الحميد ص396-397.

وهؤلاء القرنـاء هم الـذين يفعلـون لهم تلك الأفاعيل[1346].
ويوحــون إليهم تلك الأقاويل ، كما قــال تعــالى : [illegible]
[illegible]]الأنعام : 121[.

فكلما كان الإنسان أبعد عن الكتاب والسنة ، وكان أكثر تلبســاً بالشــرك والبــدع والفــواحش ، كــانت الخــوارق الشـيطانية له أقـوى وأكـثر ، حيث أن الشـياطين الـذين يقــترنون بهم يقومــون لهم بكل ما يشــتهون بســبب ما يربطهم بهم من الكفر والفسوق والعصيان .

والمقصود أن ما يأتي به هؤلاء من الخوارق لا تسمى كرامات بل هي استدراج أو أحوال شيطانية .[1347]

يقول ابن حجر العسقلاني :" إن الذي استقر عند العامة أن خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى ، وهو غلط ممن يقوله ، فإن الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب ، فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق ، وأولى ما ذكروه أن يختبر حال من وقع له ذلك ، فإن كان متمسكاً بالأوامر الشرعية ، والنواهي كان ذلك علامة ولايته ومن لا فلا ".[1348]

فأهل القبلة متفقون على أن الكرامات لا تظهر على الفسقة الفجرة ، وإنما تظهر على المتمسكين بطاعة الله- عز وجل -" .[1349]

الأمر الثاني : أن الكرامات لا تجدي فيها التعلم والتعليم ، ولا تكون بمزاولة أعمال

مخصوصة يتقنها صاحبها [1350]، بخلاف الشعوذة والكهانة والخوارق الشيطانية ، فإن المشتغلين بهذه الأمور يكتسبونها بالتعلم والرياضة بالخلوات الطويلة مع الجوع وذكر أسماء الجن والشياطين . وترك كثير من أوامر

[1346](1) مجموع الفتاوى "1/ 82-85".
[1347](2) تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ص282-283
[1348](3) صحيح البخاري "7/443 فتح" عند شرح حديث رقم "4086" .
[1349](4) طبقات الشافعية "2/320"
[1350](1) الدين الخالص "3/ 580"

الشرع كالطهارة والصلاة مع الجماعة ، مع التلبس بالنجاسات والفواحش [1351].

الأمر الثالث : من السمات التي يعرف بها الخوارق الشيطانية ما يحصل بين هذه الخوارق من معارضه بعضها لبعض ، ذلك لأنها ليست خاضعة لتوجيه شرعي ولم تستعمل لتحقيق هدف موحد سليم فصارت تحت تصرف الأهواء والتوجيهات الشيطانية ، فتجد بعضهم يعارض البعض لغرض إبراز المهارات في المكر والخديعة ، وهذا يخالف حال أولياء الله تعالى ، فإنه لا يمكن أن يقوم ولي لله بمعارضة أولياء الله تعالى و إبطال ما أكرمهم الله به من الكرامات .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "وهؤلاء العباد والزهاد الذين ليسوا من أولياء الله المتقين المتبعين للكتاب والسنة تقترن بهم الشياطين فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حاله ، لكن خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضاً". [1352]

الأمر الرابع : أن أصحاب الخوارق الشيطانية والأحوال الإبليسية يمتازون بكثرة الكذب والدجل وكثرة الدعاوي للكرامات ، لأن قصدهم استمالة البسطاء ، بخلاف أصحاب الكرامات ، فإن إيمانهم وتقواهم الذي نالوا به درجه الولاية لله تمنعهم من التلبس بالكذب واختلاق الأساطير والمكر والدهاء . قال ابن تيمية عن أصحاب الأحوال الشيطانية "ولابد أن يكون في أحدهم من الكذب جهلاً أو عمداً،ومن الإثم ما يناسب حال الشياطين المقترنة بهم ليفرق الله بذلك بين أوليائه المتقين،وبين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين.قال الله تعالى: [illegible] [الشعراء :221-222] ,والأفاك:الكذاب ،الأثيم :الفاجر".

الأمر الخامس: أن أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم،وتبطل أعمالهم وشعوذتهم إذا ذكر

[1351](2) الفهرست لمحمد بن اسحاق النديم ص443-444_دار المعرفة_بيروت.بدون رقم وتاريخ

[1352](3) مجموع الفتاوى "11/ 295"

عندهم ما يطردها، مثل آية الكرسي،لحديث أبي هريرة "وكلني رسول الله بحفظ زكاة رمضان،فأتاني آت فجعل يحث من الطعام فأخذته،فقلت:لأرفعنك إلى رسول الله فذكر الحديث[1353] فقال : "إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي،لن يزال عليك من الله حافظ،ولا يقربك شيطان حتى تصبح.فقال النبي :صدقك وهو كذوب.ذاك شيطان"رواه البخاري وغيره [1354]

قال شيخ الإسلام :"ولهذا إذا قرأها –يعني آية الكرسي- الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلها"[1355] .

وذلك بخلاف كرامات أولياء الله،فإن القران لايبطلها بل يزيدها قوة على قوة ونوراً على نور.

المطلب الثالث:

التربية التي يتلقاها المريد عند سلوكه طريق القوم وسأحصر الحديث في أهمها وهي : "علاقة المريد بشيخه" .

[1353](1) ورد مطولاً عند البخاري برقم "2311"

[1354](2) البخاري في بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده "2/ 438 فتح " حديث رقم "3275"

[1355](3) الفرقان بين الأولياء ص135، وانظر مجموع الفتاوى "11/ 286-293"

يعتبر الشيخ عند النقشبندية كما تم بيانها في الباب الثاني من الرسالة أهم ركن من أركان الطريقة والتي وصفوها بأنها طرق الوصول إلى الله ، حيث أن المريد عندهم ببركه شيخه يقطع المقامات ويرقى الدرجات ،وسلاح الشيخ في هذه المكانة الذوق والتجربة ، فمن لم يتخذ له شيخ عندهم فهو عاص لله ولرسوله ، ولو حفظ ألف كتاب من العلم ، ليس فقط هذا بل حتى ولو عبد الله بعبادة الثقلين ، فالأسباب كلها معلقة على الشيخ فلا علم ولا عبادة ، وقالوا كسابقيهم "من لا شيخ له فشيخه الشيطان ولكنهم أضافوا عليهم انه يكون في الكفر حتى يتخذ له شيخاً" .

فالمريد عندهم كافر حتى يلقى هذا الشيخ فإذا لقيه كان هو مصدر العلم،وطرق الشيخ في العلم الذوق والتجربة لا الكتاب والسنة فإذا لقي هذا الشيخ فعلية من الآداب التي لم يطلبها الرسول من أصحابه الكثير وأول أدب مع الشيخ هو أن يكتفي بشيخه .

وهنا يتم إحكام السيطرة على المريد ، فصحبة الشيخ أولاً أفضل من تحصيل العلم لأن العلم عندهم للعامة الذين هم في نظرهم أهل الرسوم[(1356)] ، والعالم عندهم يحجب بعلمه ، والعلم الحقيقي هو علم الباطن الذي لا يمكن أن يناله المريد إلا بعد التسليم المطلق للشيخ فلا يبقى للمريد إرادة فالإرادة إرادة الشيخ والأمر أمره فهو كالميت بين يدي الغاسل .

وعلى ذلك فالمطلوب من المريد أن تستمر صلته بشيخه فلا ينقطع عنه وقد عبر النقشبندية عن هذه الصلة بالرابطة الحسيه وتكون بالحضور لتنوير الباطن بنور الله ، والمعنوية بحفظ صورة شيخه في الخيال.[(1357)]

ومن أهم الآداب الواجبة على المريد أن يرى كمال شيخه فهو المتصرف عندهم بقوة الولاية فالطريق إلى الله

[1356](1) تم بيان معناها ص178 من الرسالة

[1357](2) انظر ص 185-186 من الرسالة

ينحصر في الشيخ فبواسطته يأتي الإمداد الإلهي و لا يحصل له المقصود إلا بتوسط الشيخ أو بواسطته .
والخطورة هنا في أمرين :
اعتقاداً أن الشيخ متصرف بقوة الولاية فمدد الشيخ في الدنيا لمريده حال حياته وبعد مماته وهذا الاعتقاد منشأه من خطأهم في مفهوم الكرامة والولاية وهنا خلعوا على مشايخهم كثير من صفات الألوهية.
ومما يجب على المريد أيضاً تجاه شيخه المحبة الصادقة له وتكون بأن يحبه أكثر من نفسه وماله وولده وأن لا يعترض على شيخه ولا يعصي له أمرا حتى وإن كان هذا الأمر مخالف للشرع فمن اعترض انطرد وحكاياهم في ذلك كثيرة.
وهم يذكرونها تحت مفهومهم للكرامة ، التي يتمكن من خلالها الشيخ بإنزال أشد العقوبة على من اعترض ، والعقوبة تكون بالطرد من الصحبة ويعني ذلك لزاماً الرجوع إلى الكفر ، فلا إمداد ولا فيض ، ولا درجات تصعد ولا مقامات تقطع ، لذا فالتحذير من الاعتراض في مقدمة الآداب وقد نظمت حولها القصائد ، وعدم الاعتراض من علامات صدق المريد.
وعلى ذلك فإن المريد إذا أذعن لشيخه وسلم له قياده ، وتأدب بآدابهم التي وضعوها وصاغوا قوالبها بمعرفتهم ، وأصبح بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل ، لا إرادة له ولا حراك تراه وقد تعطل عقله ، وتحجر فهمه ، فنجده ينهل من الأحاديث الموضوعة ، ويستغرب صحيح السنة المطهرة ، ويئولها ليخرج مضمونها عن مراده ، ويقبل تفسير القرآن كما يتفق مع اعتقاداتهم .

دليلهم عليها :

وقد استدل النقشبندية في هذه العلاقة بين المريد وشيخه على علاقة موسى - عليه السلام -بالخضر فملاقاة المريد للشيخ كملاقاة موسى للخضر[1358] .

[1358](1) انظر ص158 من الرسالة

وسأعرض فيما يلي رأي أهل السنة والجماعة في وجوب اتخاذ شيخ وحدود الطاعة المشروعة له ومدى صحة الاستدلال بقصة موسى -عليه السلام - مع الخضر .

- **حاجة المريد إلى الشيخ عند أهل السنة والجماعة** لا شك أن كل طالب علم مبتدئ محتاج إلى من سبقه في مجال العلم الذي يطلبه ليتلقى عنه ذلك العلم ، وهذا يحصل بالتلقي المباشر عن المعلم أو قراءة الكتب المختصة بذلك العلم على يد معلم أو أكثر .

فإن كان طالب ذلك العلم ممن يملك القدرة على القراءة والفهم والتمييز بين الصحيح والسقيم ونحو ذلك وكانت مصادر ذلك العلم متوفرة ، فلا شك أن حاجته للمعلم تقل عن حاجة من لم يسبق له التعلم مطلقاً . وإن كان الجميع محتاجين في بدايتهم إلى المعلم [1359].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " وأما انتساب الطائفة إلى شيخ معين : فلا ريب أن الناس يحتاجون من يتلقون عنه الإيمان والقرآن ، كما تلقى الصحابة ذلك عن النبي وتلقاه عنهم التابعون ، وبذلك يحصل إتباع السابقين ، الأولين بإحسان ، فكما أن المريد يحتاج إلى من يعلمه القرآن ونحوه فكذلك يحتاج إلى من يعلمه الدين الباطن والظاهر ، ولا يتعين ذلك في شخص معين ولا يحتاج الإنسان في ذلك أن ينتسب إلى شيخ معين[1360]".

إذا فالحاجة إلى المعلم مرتبطة بدرجة العلم والفهم لدى المتعلم أكثر من ارتباطها بمسألة "البركة و الإمداد" التي يؤكد عليها النقشبندية[1361] .

وقطع المقامات ورقي الدرجات يمكن تلقيها من كتاب الله وسنة رسوله ,وقد وضح شيخ الإسلام سبب ظهور الحاجة لدى بعض العباد والزهاد إلى تقليد شيخ معين في السلوك ، بأن سبب ذلك :" هو ما حصل لهم من إعراض عن طلب العلم النبوي الصافي ، الذي يعرف به طريق

[1359](1) موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية ص215

[1360](2) مجموع الفتاوى "11/512"

[1361](3) انظر ص155من الرسالة

الله ورسوله[1362] ,أي أنهم حين أعرضوا عن قراءة الكتاب والسنة احتاجوا إلى تقليد الشيوخ في بداياتهم ، ثم في أذكارهم وشكل عبادتهم وعددها وأوقاتها . وهذا كله موجود في القرآن الكريم والحديث الشريف باستفاضة بل إن مسائل السلوك من جنس مسائل العقائد كلها منصوصة في الكتاب والسنة ، وأن كل ما تنازع فيه الشيوخ من مسائل السلوك يوجد في الكتاب والسنة من النصوص الدالة على الصواب فيه ما يفهمه غالب السالكين ، وإنما يعوز هؤلاء الإقبال على الطريق المشروع وتجنب طريق البدع حتى لا يقع فيهم الخلاف ". [1363]

حدود الطاعة المشروعة للشيخ من المريد:

إن المسلمين قاطبة لهم مرجع يرجعون إليه ، لا يخالفونه قيد أنمله ، وذلك المرجع هو الكتاب والسنة.

فإن كان الشيخ – مهما علا أمره وارتفع شأنه – يملى على مريديه ما يوافق الكتاب والسنة فنعمت الطريقة ونعم المسلك ، وإن كان ما يمليه عليهم مخالفاً للكتاب والسنة . فالواجب رفضه ، فإنه " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق" وليس أحداً معصوماً إلا رسول الله ﷺ وهذا في الشيخ الذي ثبتت معرفته بالدين وعمله به وأما إن كان مبتدعاً بدعة ظاهرة ، أو فاجراً فجوراً ظاهراً فهذا يجب الإنكار عليه في بدعته وفجوره لا أن يطاع فيما يأمر به .

محبة الشيخ المستوجبة لطاعته في كل أمر :

هذه مسألة قد أظهر الحق فيها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال : "وأما من أحب شخصاً لهواه أو أن يحبه لدنيا يصيبها منه أو لحاجة يقوم له بها ، أو المال يتأكله به ، أو لعصبية فيها ، ونحو ذلك من الأشياء ، فهذه ليست محبة لله ، بل هذه محبة لهوى النفس ، وهذه

[1362](4) مجموع الفتاوى(19/273)
[1363](1) مجموع الفتاوى(19/274)

المحبة هي التي توقع أصحابها في الكفر والفسوق والعصيان[1364] ".

ثم يقول الشيخ: "وما أكثر من يدعي حب مشائخه لله ، ولو كان يحبهم لأطاع الله الذي أحبهم لأجله فإن المحبوب لأجل غيره تكون محبته تابعة لمحبة ذلك الغير[1365]".

مدى صحة الاستدلال بقصة موسى - عليه السلام - مع الخضر

إن هذا القياس باطل من وجوه :

أولاً : القياس الذي جاء في كلامهم بين ما يجب للشيخ منهم ، وما جاء في قصة الخضر قياس مع الفاروق ، فإن الشيخ الذي أوجبوا على المريد طاعته شخص عادي مكلف بما جاء به النبي أما الخضر عليه السلام فهو شخص منحه الله تعالى من عنده رحمة ، وعلمه من لدنه علما "كما جاء في النص الكريم "فأين شيخ النقشبندية من الخضر الذي ميزه الله تعالى وأوحى إليه وأمره بذلك ، وأنزل فيه آية في كتابه الكريم ، وأخبر أنه غير مأمور بشريعة موسى ، بل علمه من الله مباشرة .

ثانياً: بعد هذا الفرق العظيم بين الخضر عليه السلام وبين غيره من المشايخ فإن موسى عليه السلام لم يكن مطيعاً طاعة عمياء ، كما هو مطلوب من المريد النقشبندي ، بل كان يعارضه ويناقشه فيما جاء ليتعلمه منه . كما جاء في الآيات وبعد هذا ، فلم يترك موسى الخضر حتى نبأه بالحكمة فيما أتاه من أعمال ، فهل كان موسى في هذه القصة مطيعاً للخضر الطاعة العمياء التي يطلبها الصوفية من المريد ؟ فأين الحجة في طلب الطاعة العمياء من المريد للشيخ في هذه القصة ؟

إلا إذا قلنا إن موسى عليه السلام كان مخطئاً في كل ما فعله مع الخضر عليه السلام ، وهذا ما لم يقله القــرآن ، وحاشا أن يتكرر الخطأ من النبي بهذه الصورة – إن كان ذلك خطأ فعلا – والــدليل من القــرآن الكــريم أن الخضر

[1364](2) مجموع الفتاوى "11/517"

[1365](3) مجموع الفتاوى "11/520-521"

عليه السلام قال لموسى عليه السلام في أول صحبتهما ﴿ [illegible] ﴾ [1366] [الكهف : 67]

أي أنه كان يعرف أن موسى عليه السلام لتمسكه بالشرع الذي أنزل الله إليه سيندفع إلى إنكار ما يراه منكراً ، ولو صدر من الخضر نفسه ، لأن هذا هو الوضع السليم للمؤمن الحق .

ولكن حين يعرف سر العمل الذي أنكـره ويعلم أنه صـادر من الله تعالى ، لا من عبد مثله لا يملك ضـراً ولا رشـداً ، هنا يرتفع الإنكار ويحل محله الاستسـلام والطاعة ، لـذلك قال الخضر لموسى عليه السلام في نهاية صحبتهما ﴿ [illegible] ﴾ [الكهف : 82].

وبعد هذا يتضح لنا أن القصة فيها حجة على النقشبندية ، لا لهم ، وكلامهم يؤدي إلى التسليم بأن الشيخ والولي يجوز أن يأتي بما ينكره الشرع ، ويجب على المريد حينئذ أن يتبعه في ذلك بدون إنكار عليه ، وهذا غاية الفساد والضلال والعياذ بالله .

[1366] (1) موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية ص220-221

المطلب الرابع : أنواع الشرك الذي وقع فيه النقشبندية :

لم يقتصر الشرك عند من اعتقد أن للأولياء قدرة علي التصـرف في الكـون من النقشـبندية على شـرك الربوبية فقد جعلوا من قدرات أوليائهم المزعومة صــواعق مرعبة ورعـــودا مرهبة ؛ لتخويف مريـــديهم وصـــدهم عن الحق مســتخدمين أســلوب القصص والحكايــات الــتي ينتج من النظر فيها انبعاث مشاعر الخـوف والرهبة في النفـوس ، وصـدق الله الـذي قـال فيهم: [illegible]]الزمر: 36[.

حتى وقع السالكون إلى الله بسلوكهم هذه الطريقة إلى صرف كثير من أنواع العبادات ، والتي تدخل تحت شرك الألوهية وهذا الشرك ينقسم إلى قسمين قسم يتعلق بأعمال القلوب وقسم يتعلق بأعمال الجوارح ، وسأناقش تحت:

القسم الأول: المتعلق بأعمال القلوب

1- خوف السر

وهو أن يخاف من شيخه أن يصيبه بما يشاء متى يشاء من مــرض أو فقر أو مــوت ، ونحو ذلك بقدرته ومشــيئته فهذا النوع من الخوف لا يجوز صرفة لغير الله - تعالى - . إذ ليس هناك من يصـيب من يشـاء بما يشـاء مـتى يشـاء بقدرته ومشـــيئته غـــير الله - تعـــالى - ، فمن اعتقد أن مقدسه الحي أو الميت يملك البطش به مـتى أراد بقدرته فقد خصه بأعظم لوازم الألوهية ؛ ذلك لأن هـذا النـوع من الخوف قد أمر الله - تعالى - عباده أن يخافوه به ، بل أن يختصوه به ويخلصوه له ، وأن يتعبدوه به ، وما كان عبادة لله فلا يجوز صـرفها لغـير الله قـال تعـالي في الأمر بهـذا الخوف : [illegible]

﴿ [illegible] ﴾ [آل عمــران: 175] ,وقال: ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة :40] , وقال : ﴿ [illegible] ﴾ [المائدة: 44]

وقال: ﴿ [illegible] ﴾ [النحل : 51] .[1367]

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية :" يخبر تعالى أنه لا إله إلا هو وأنه لا ينبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له فإنه مالك كل شيء وخالقة وربه".[1368]

ومعنى ذلك أن من اتخذ مع الله نداً يخافه هذا الخوف فهو مشرك[1369]" وفيه :"وهذا الخوف لا يكون العبد مسلما إلا بإخلاصه لله - تعالى - وإفراده بذلك دون من سواه" ففي ذلك كله ما يدل على أن السلف فهموا أن هذا الخوف عبادة لا يجوز صرفها لغير الله - تعالى – وقد أثنى الله على عباده المخلصين الذين حققوا هذا النوع من أنواع العبادة خيراً. قال - تعالى - في ثنائه على عبادة الصالحين من الأنبياء والملائكة والمؤمنين لتحقيقهم هذا الخوف لله وحده : ﴿ [illegible] ﴾ [النحل :50], وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الأنبياء :28] , وقال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [المؤمنون: 57] , وقال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الأحزاب: 39]

,ومن تأمل هذه الآيات علم أن هذا النوع من الخوف من أخص خصائص الألوهية .

2- محبة التوجه والقصد المتضمنة للذل والخضوع والرغبة :

وهذه المحبة هي أصل الإيمان والتوحيد ، وهي المحبة الخالصة التي لا تصلح إلا الله - تعالى - ، ومتى أحب العبد

1367(1) تيسير العزيز الحميد ص484

1368(2) تفسير القرآن العظيم "2/887"

1369(3) تيسير العزيز الحميد ص485

بها غيره كان شركا لا يغفره الله وهي التي سوى المشركون بين الله وبين آلهتهم فيها .[1370]

فمن أحب أحداً من الصالحين حباً يرقى به إلى حد إعطائه ما لا يستحقه إلا الله ، تقديساً له وغلواً فيه ، أو أحب شيئا مما يكرهه الله - عز وجل - متبعاً هواه وما تسوله له نفسه وشيطانه فقد وقع في الحب مع الله ، وسوى بين المخلوق والخالق في عبادته وذلك شرك.[1371]

قال – تعالى - : ﴿ [illegible] ﴾]البقرة : 165[.

يذكر - تعالى - حال المشركين به في الدنيا ومالهم في الآخرة حيث جعلوا له أنداداً أي أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه ، وهو الله لا إله إلا هو ، ولا ضد له ولا ند له ولا شريك معه ، وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم "عند الله" ؟ قال : "أن تجعل لله نداً وهو خلقك".[1372]

وقوله : ﴿ [illegible] ﴾ ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له ، لا يشركون به شيئاً بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه ويلجأون في جميع أمورهم إليه.[1373]

فإذا نظرنا إلى ما يفعله النقشبندية تجاه أوليائهم نجد فيه تصوير الولي في صورة المتوجه إليه بالعبادة ويبرز ذلك أكثر ما يبرز في الشيخ وحدود علاقة المريد به السابق بيانها ، حيث تتدرج الآداب بالمريد تدرجاً متتالياً فتهوي به في حبائل الشرك ، فيسلم المريد له وينقاد فلا يرى البركة إلا من شيخه ، فبواسطته يأتي الفيض

[1370](4) تيسير العزيز الحميد ص467-468

[1371](1) مجموع الفتاوى "10/306"

[1372](2) البخاري في التفسير السورة "2" ، باب "3" "3/191" حديث رقم "4477" . ومسلم في الإيمان ، باب "37" "1/90"

[1373](3) تفسير القرآن العظيم "1/302"

والإمداد ويظهر ذلك في الرابطة وما فيها من آداب وواجبات والتي سيتم مناقشتها في الفصل الثالث من هذا الباب .

القسم الثاني:المتعلق بأعمال الجوارح.

1- التبرك بكل ماله علاقة بالوالي

البركة هي النماء والزيادة والتبريك الدعاء بالبركة والتبريك التيمن[1374] وهو طلب البركة ورجاؤها واعتقادها.[1375]

والتبرك في الشرع هو:طلب البركة من الزيادة في الخير والأجر وكل ما يحتاجه العبد في دينه ودنياه بسبب ذات مباركة أو زمان مباركٍ على أن تكون هذه البركة قد ثبتت لذلك السبب ثبوتاً شرعياً وثبتت الكيفية التي تنال بها هذه البركة عن [1376] فالرزق والنصر والعافية والأولاد والتوفيق للإيمان والتثبيت عند المسألة والشفاعة كلها من الله فهو مالكها وواهبها وإذا كانت من الله كان طلبها من غيره - سبحانه وتعالى - شركا بالله .

و أن الذي يدل على حصول البركة من عدمها بسبب الشيء إنما هو الدليل الشرعي ، لأن الأمور الدينية مبناها على النقل بخلاف الأمور الأخرى التي يمكن أن تكتشف بالعقل والتجربة ، ولأن موضوع التبرك قد ابتدع فيه أهل الغلو كالتبرك بالموتى وبكل ماله علاقة بهم فقد كان لابد من إلقاء الضوء على القواعد الأساسية في التبرك المشروع. 1- أن ما يتبرك به من الأعيان والأقوال والأفعال التي جاء الشرع بها إنما هو سبب للبركة وليس هو واهب البركة كما أن ما يتداوي به من الأدوية والرقى الشرعية إنما هو سبب للشفاء وليس هو واهب الشفاء فالشافي هو الله - عز وجل - .

[1374](1) المختار مادة "ب ر ك "

[1375](2) تيسير العزيز الحميد ص184

[1376](3) التبرك المشروع والتبرك الممنوع, د.علي بن نفيع العلياني ص21-22,دار الوطن,الرياض,1411هـ.

2- أن طريقة التبرك بالمتبرك به الذي ثبتت له البركة شرعاً ليس سبيل معرفتها الاجتهاد وحسن الظن بل لابد في ذلك من الإتباع .

3- أن التبرك لا يفيد غير المؤمن بالله الثـابت على إيمانه ومما يـدل على ذلك ما رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - قـال"لما تـوفي عبدالله بن أبي ابن سـلول جـاء ابنه عبدالله بن عبدالله إلى رسـول الله فسـأله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقـام رسـول الله ليصـلي عليه فقـام عمر فأخذ بثـوب رسول الله فقال:يا رسـول الله أتصـلي عليـه،وقد نهـاك الله أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله :"إنما خيرني الله فقال: [التوبة :80] ,وسأزيد على سـبعين قـال:إنه منـافق.فصـلى عليه رسـول الله وأنزل الله - عز وجل : [التوبة :84] متفق عليه . وهذا لفظ مسـلم[1377] فلم يفد عبد الله بن أبي بركة قميص النبي إذ كان منافقاً.

وإذا ما قسنا ذلك كله على ما يعتقده النقشبندية في موضوع التبرك ،وفعلهم في التبرك بأوليائهم على النحو الذي ذكروه نجد أن هناك بوناً شاسعاً.

فلا دليل شرعي عندهم على التبرك بأوليائهم وأما استدلالهم بالتبرك بشعر الرسول وعضادته وسوطه فهذا قياس مع الفاروق وذلك لعدة أمور:

1-لأن ذلك كله خاص برسول الله فقد ثبت التبرك بذاته وآثاره إذ لاشك في أن ذات رسول الله ذات مباركه

[1377](1) مسلم في فضائل الصحابة ، باب فضائل عمر "4/ 1865 نووي".البخاري في الجنائز ، باب "22" حديث رقم " 1869 فتح ".

جعل الله فيها بركة خاصة به وكان أصحابه يعرفون ذلك والأدلة على تبرك الصحابة بذاته وآثاره كثيرة منها :
- جاء في حديث المسور بن مخرمة ومروان الطويل في قصة صلح الحديبية أن عروة بن مسعود جعل يرمق أصحاب النبي بعينيه قال:
"فو الله ما تنخم رسول الله نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه..." [(1378)]الحديث رواه البخاري.
- حديث أنس بن مالك أن النبي لما حلق رأسه في حجة الوداع اخذ الصحابة يقتسمون شعره بينهم"رواه مسلم". [(1379)]
2- أنه لم يؤثر عن أحد من صحابة رسول الله أنه تبرك بأحد بعد رسول الله مع أن فيهم أفضل الأمة بعد رسول الله ومن شهد لهم رسول الله بالجنة .
3- أنه لم يؤثر عن صحابته - رضوان الله عليهم - أن تبرك أحد منهم برسول الله بعد انتقاله للرفيق الأعلى أو بقبره والشاهد على ذلك أنهم لما أرادوا أن يتوسلوا توسلوا إلى الله بدعاء العباس عم رسول الله وقبر الرسول بينهم.
ويقول الشيخ احمد النجمي:"لم يؤثر عن أحد منهم أنه تبرك بأحد بعد رسول الله فمن يأتي بعده أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ...؟بل من يأتي بعد هؤلاء أفضل من باقي العشرة المشهود لهم بالجنة؟بل من يأتي بعد العشرة أفضل من أهل بدر؟ بل من يأتي بعد أهل بدر أفضل من أهل الشجرة؟بل من يأتي بعد أصحاب الشجرة أفضل من بقية أصحابه؟
ومع هذا فلم يؤثر عن مفضول منهم أنه تبرك بفاضل ، ولاعن تابعي أنه تبرك بصحابي ، وذلك إجماع منهم على اختصاص الرسول بذلك في حياته ولم يصح عن أحد

[1378](1) البخاري في الشروط ، باب "15" "2/279" حديث رقم "2731-2732"
[1379](2) مسلم ، الحج باب "56" "2/947-948"

منهم أنه تبرك به أو بقبره بعد موته وكل ما ورد في ذلك فهو موضوع مفترى". [1380]

وقد استدل النقشبندية[1381] في جواز التبرك بالذوات بما روي عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه قال:لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي - رضي الله عنها - .

دخل عليها رسول الله وجلس عند رأسها فقال :

"رحمك الله يا أمي كنت أمي بعد أمي تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسيني وتمنعين نفسك طيباً وتطعميني تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة" .

ثم أمر أن تغسل ثلاثاً فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله بيده ثم خلع رسول الله قميصه فالبسها إياه وكفنها ببرد فوقه ثم دعا رسول الله أسامه بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً الأسود يحفرون فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله بيده واخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله فاضطجع فيه فقال :

"الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ولقنها حجتها ، ووسع عليها مدخلها ، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي ، فإنك ارحم الراحمين ".

وكبر عليها أربعاً ، وأدخلوها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق - رضي الله عنهم-.

وهذا الحديث ضعيف تفرد به روح بن صلاح ، رواه الطبراني قال : تفرد به روح بن صلاح.[1382]

ورواه أبو نعيم قال : لم نكتبه إلا من حديث روح بن صلاح تفرد به [1383].

[1380](3) أوضح الإشارة ص 121

[1381](4) النفحات الجودية ص232

[1382](1) المعجم الأوسط "189-1-68"

[1383](2) حليةالأولياء "3-121"

وذكره ابن الجوزي وحكم بضعف الحديث ، وبجهالة روح بن صلاح[1384] .

وقال الحافظ ابن حجر عن روح بن صلاح : ذكره ابن يونس في تاريخ الغرباء فقال:رويت عنه مناكير ، وقال الدار قطني :ضعيف في الحديث ، وقال ابن ماكولا : ضعفوه[1385] .

وأورده ابن عدي وقال : ولروح بن صلاح أحاديث ليست بالكثيرة وفي بعض حديثه نكرة.[1386]

رواه الهيثمي وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه روح بن صلاح ، وثقه ابن حبان والحاكم ، وفيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح .[1387]

وعلى ذلك فلا تصح تقويه هذا الحديث اعتماداً على توثيق ابن حبان والحاكم لروح بن صلاح،لما عرف عنه من التساهل في التوثيق ، كذلك فإن الجرح مقدم على التعديل باتفاق العلماء ، خاصة إذا كان الجرح مبيناً كما هنا في الراوي روح بن صلاح .

2- الدعاء والاستغاثة..

والدعاء في اللغة : هو النداء في اللغة يقال دعا فلان فلاناً إذا صاح به [1388]والدعاء عبادة نص على ذلك القران الكريم والسنة قال تعالى:

[غافر:60] هذه الآية الكريمة فسرها النبي بما لا يدع مجالاً للشك في أن المراد

1384(3) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية,لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي ,تحقيق: خليل الميس "1/433",دارالكتب العلمية,بيروت,ط1_ 1403.

1385(4) لسان الميزان "2/ 1876-465"

1386(1) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي "146-3-667"دار الفكر_بيروت_1404ه.

1387(2) مجمع الزوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي رقم " 15399" " 9/256"**بتحرير العراقي وابن حجر_دار الكتاب العربي_ط3_ 1402ه_1982م.**

1388(3) المختار مادة "د ع "

بالدعاء هنا العبادة فعن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ :"الدعاء هو العبادة"[1389] ثم قرأ: .

وهو على أنواع :

النوع الأول: دعاء عبادة كقوله تعالى: [الشعراء : 213] .

النوع الثاني: دعاء مسألة وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو كشف ضر ومن أدلته قوله تعـــالى: [الأنعام : 40-41] , وقوله تعـالى: [الرعد : 14] , ومنه قول إبـراهيم عليه السـلام : [إبراهيم : 39]

وقوله : [إبراهيم : 40] .

فمتى كان الدعاء مقروناً بالطلب مذكوراً في صياغة الاستجابة فهو دعاء المسألة: و إلا فهو دعاء العبادة .

وهذان النوعان متلازمان ، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة ، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة ، وبهذا يظهر أنهما جميعاً لا يخرجان عن إطار العبادة ، أما دعاء العبادة فالأمر.

واضح ، و أما دعاء المسألة فإن المدعو لا بد أن يكون – في عقيدة الداعي على الأقل – مالكاً للنفع والضر ، ولذا فالداعي عابد لا محالة فإذا كان المدعو هو الله

[1389] (4) أبو داود في الصلاة ، باب الدعاء "2/161" حديث رقم "1479" ، والترمذي في التفسير "5/ 211-374-456" ، حديث رقم "2969-3247-3372" ، وابن ماجة : في الدعاء ، باب فضل الدعاء "2/1258" حديث رقم "3828" ، والمسند "4/ 267" ، والإحسان "2/124" حديث رقم "887" ، والمستدرك "1/ 490-491" ، والحلية "8/120" . وشرح السنة "5/ 184" وصحيح الجامع وحديث رقم "3407"

الخالق الرازق المحيي المميت فذلك غاية الغايات ونهاية مقاصد الموحدين ، و إذا كان غيره فذلك هو الشرك الذي لا يغفره الله بغير توبة نصوح.

قال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾]المؤمنون : 117[.

وقال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾]يـونس : 106[,والظلم الشـرك . وقـال تعـالى : ﴿ [illegible] ﴾

]الأحقاف : 5-6[.

يخبر الله – تعالى – أن من دعا مع الله إلهاً آخر ولو لحظة فقد كفر و إن من مات على ذلك فلا فلاح له أبداً ، ولو فعل ذلك لكان من الظالمين وأنه لا كاشف للضرر غيره ولا جالب للخير سواه ، و أنه لا أضل ممن يدعو من دونه سواه ، وأن من عبد من دون الله يكون عدواً لعابده يوم القيامة وكافراً بعبادته إياه من دون الله – تعالى - ، و أنهم كلهم عباد مثل عابديهم مخلوقون مربوبون مملوكون تحت تصرف الله وقهره لا يستجيبون لمن دعاهم ولا يقدرون على خلق ذباب فما فوقه ولو اجتمعوا بأسرهم على ذلك ، ولا يقدرون على استنقاذ ما استلبه الذباب ، فكيف يقدرون على قضاء شيء من حوائج عابديهم ؟

بل قد أخبرنا – عز وجل – أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم ، ولوا سمعوا دعاءه ما استجابوا له ، و أخبرنا أن من عبدوهم من الصالحين كالملائكة وعيسى وعزير وغيرهم أنهم لا يملكون كشف ضر من دعاهم ولا تحويله من حال إلى حال ، بل هم يبتغون الوسيلة إلى ربهم والقرب، ويرجون رحمته ويخافون عذابه فينبغي للعباد الاقتداء بهم في ذلك الابتغاء والرجاء والخوف من الله –

عز وجل - ، لا دعاؤهم دونه ، تعالى الله عما يشركون " [(1390)] .

فتلخص من كفر من يتوجه إلى غير الله وسخفه.[(1391)]

الاستغاثة طلب الغوث ، والاستعانة طلب العون :

والإغاثة والإعانة معناهما واحد إلا أن لفظ الاستغاثة مخصوص بطلب العون في حالة الشدة بخلاف الاستعانة ومن المعلوم أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب ، كما قال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [القصص : 15] والدعاء أعم من الاستغاثة لأنه يكون من المكروب ومن غيره .

فالاستغاثة دعاء لكنه دعاء خاص ، فلو لم تكن دعاء لكانت مقابلتها بالإجابة غير وجيه ، وقد قال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الأنفال : 9] .[(1392)]

أنواع الاستغاثة وبيان ما يجوز منها وما لا يجوز :

بعد أن عرفنا معنى الاستغاثة ، والنسبة بينهما وبين الدعاء سأعرض بعون الله أنواعها وحكم كل نوع .

تجمع المصادر على أن الاستغاثة نوعان :

الأول : طلب إزالة الشدة من المخلوق في الأسباب الظاهرة والأمور الحسية العادية ، على أن يكون المستغاث به حيا حاضراً ، كالاستنصار بالحاضر القوي على قتال أو دفع عدو صائل أو سبع مفترس ونحو ذلك من كل ما يقدر المخلوق على الغوث فيه ، وهذا النوع لا خلاف في جوازه[(1393)] .

[1390](1) معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الأصول في التوحيد للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي"1/ 485-486"المطبعة السلفية ومكتبتها_مصر, بدون رقم وتاريخ.

[1391](2) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لإبن تيمية ص 307-308-311_تحقيق وتعليق د.ناصر بن عبد الكريم العقل,بدون بيانات اخرى، والدين الخالص "4/ 97"

[1392](1) النهاية مادة "غوث" وتيسير العزيز الحميد ص 214-216

[1393](2) انظر مجموع الفتاوى "1/ 112" وتيسير العزيز الحميد ص234

والأصل في جوازه قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام : ﴿ [illegible] ﴾.

وقوله تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [الأنفال :72] وقوله : ﴿ [illegible] ﴾ [المائدة : 2].

مع ملاحظة أنه لا بد من توفر الشرطين المذكورين معاً :
1-شرط في المستغاث لأجله ، بأن يكون مما يقدر المخلوق على الإغاثة في مثله .
2-وشرط في المستغاث به بان يكون حاضرا فلو تخلف شرط منهما خرجت الاستغاثة عن حيز الجواز إلى حيز الشرك أو الابتداع.

الثاني:طلب الغوث فيما لا يقدر عليه إلا الله وكهداية القلوب وغيرها كما تم بيانه من غاية استغاثة النقشبندية بأوليائهم الأحياء منهم والأموات وهذا النوع لاشك في عدم جوازه فمن اعتقد أن مقدسه المخلوق يقدر على محو ذنوبه أو هداية قلبه أو علي إنزال المطر أو تيسير رزقه بمجرد المشيئة أو اعتقد أن ذلك المقدس يسمع استغاثاته وهو راقد في قبره أو غائب عنه فهو مشرك بعقيدته هذه قبل أن يتوجه إلى المقدس بالاستغاثة.

وعلى هذا نص جميع العلماء المحققين ولما تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا النوع من الاستغاثة بين حكمه فقال:"ومن اثبت لغير الله مالا يكون إلا لله فهو –أيضاً-كافر إذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها".[(1394)]

وفي معرض بيان حكم هذا النوع نقل صاحب"التيسير"كلمات ضافية عن مجموعة كبيرة من العلماء المحققين من بينها كلمة طويلة عن الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في كتاب ألفه في الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفا في الحياة وبعد الممات جاء فيه:"إنه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات

[1394](1) مجموع الفتاوى "1/ 112" وانظر : "1/ 110-332".

يدعون أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهممهم تكشف المهمات فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات...وهذا الكلام فيه تفريط وإفراط بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السر مدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ومخالفة لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الأمة...

إلى أن قال:وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله فلا يطلب فيها غيره...وأما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية والجهال وينادونهم ويستنجدون بهم فهذا من المنكرات...

إلى أن قال:فمن اعتقد أن لغير الله من نبي أو ولي أو روح أو غير ذلك في كشف كربة أو قضاء حاجته تأثيراً فقد وقع في وادي جهل خطير فهو على شفا حفرة من السعير". [1395]

قال الشوكاني:"وأما مالا يقدر عليه إلا الله فلا يستغاث فيه إلا به كغفران الذنوب والهداية وإنزال المطر والرزق ونحو ذلك ,كما قال تعالى: [illegible]]آل عمران:135[و,قال: [illegible]]القصص:56[, وقال: [illegible]]فاطر:3[. [1396]

قال الالوسي:"وأما إذا كان المطلوب منه- يعني المستغاث به – ميتاً أو غائباً فلا يستريب عالم أنه غير جائزة و أنه من البدع التي لم يفعلها أحدا من السلف" . [1397]

[1395] (1) انظر تيسير العزيز الحميد ص232-234

[1396] (2) الدر النضيد في الرسائل السلفية لمحمد بن علي الشوكاني ص 3_تحقيق خالد عبد اللطيف السبع العلمي _دار الكتاب العربي_بيروت_ 1411خ,1991م ، وانظر : الدين الخالص "2/ 177"

[1397] (3) روح المعاني "6/ 125"

يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي : " أمر الله بالاستعاذة به وحدة من الشرور كلها ، والاستغاثة به في كل شدة فهذه إخلاصها لله إيمان وتوحيد وصرفها لغير الله شرك وتنديد".[1398]

ومما ينبغي أن يعلم أن الاستغاثة بغير الله ودعاءه بالإضافة إلى وقوع مرتكبهما في الشرك الأكبر فهما سخف أيضاً ، ذلك لأن الله تعالى بين أن من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً فهو كافر[1399]، وهؤلاء صلاحهم محقق معروف عند الجميع بخلاف غيرهم ممن لم يرد نص في الثناء عليهم ولم يمكن الاطلاع على خفايا أمورهم ، فإذا كانت عبادة أولئك كفراً فعبادة غيرهم أخرى وأولى أن يكون كفراً .

قـال تعـالى : [illegible] [آل عمران : 80] هذا شيء.

والشيء الآخر الذي يدل على سخافة من يقصد غير الله بالدعاء والاستغاثة أن الله تعالى أمر نبيه وخير خلقه أن يقول: [illegible] [الأعراف : 188] .

وقال [illegible] فيما رواه أبو هريرة وغيره : " يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك من الله شيئاً " رواه مسلم[1400].

وهكذا قال لقرابته وعترته : "لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم".[1401]

فإذا كان سيد البشر وصفوة الله من خلقه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، وقال هذا القول في أخص قرابته به وأحبهم إليه فما ظنك بسائر الأحياء والأموات الذين لم يكونوا أنبياء معصومين ولا رسلاً مرسلين بل غاية ما عند أحدهم أن يكون فرداً من أفراد هذه الأمة الإسلامية ، فهو

[1398](4) القول السديد في مقاصد التوحيد ص58.لعبد الرحمن بن سعدي,مؤسسة النور _الرياض1390ه

[1399](5) انظر مجموع الفتاوى "1/331"

[1400](1) مسلم في الإيمان ، باب "89" "1/ 192"

[1401](2) مسلم في الإيمان ، باب "89" "1/ 192"

أعجز و أعجز من أن ينفع أو يدفع ضراً ، وكيف لا يعجز عن شيء عجز عنه رسول الله ؟.[1402]

وهذه البدعة الكفرية إنما حدثت في العصور المتأخرة لما شاعت الخرافات وانتشر الجهل وعمت الأقاليم الإسلامية مغالطات المتصوفة وأباطيلهم ، وإلا فلم يكن من حال السلف أن يستغيثوا بغير الله أبداً [1403].

ولنلخص ما يتعلق بالدعاء والاستغاثة يقول الشيخ سليمان بن عبدالله : "وقد تبين بما ذكر في هذا الباب وشرحه من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء :

أن دعاء الميت والغائب والحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله ، والاستغاثة بغير الله في كشف الضر أو تحويله ، هو الشرك الأكبر بل أكبر أنواع الشرك ، لأن الدعاء مخ العبادة، ولأن من خصائص الألوهية إفراد الله بسؤال ذلك ، إذ معنى الإله هو الذي يعبد لأجل هذه الأمور ، ولأن الداعي إنما يدعو إلهه عند انقطاع أمله مما سواه ، وذلك هو خلاصة التوحيد ، وهو انقطاع الأمل مما سوى الله ، فمن صرف شيئاً من ذلك لغير الله فقد ساوى بينه وبين الله ، وذلك هو الشرك ، ولهذا يقول المشركون لآلهتهم – وهم في الجحيم - : [illegible]

[illegible]]الشعراء :97-98[".[1404]

3- زيارة قبور الصالحين لحصول الفيض

يظهر ذلك في رابطة القبر والتي تم بيانها[1405] وفي قصد قبور الأنبياء والأولياء للدعاء نهي عندهم ادعى للقبول[1406] ولحصول الفيض أو الحال [1407].

أما عن صفة زيارة القبور فقد وجه النقشبندية مريديهم الى السلام أولا على صاحب القبر ، ثم يقف في

1402(3) انظر شرح الصدور للشوكاني في تحريم رفع القبور لمحمد بن علي الشوكاني ص9.ضمن الرسائل السلفية_دار الكتب العلمية _بيروت 1348هـ بدون رقم الطبعة ، وتفسير القرطبي "16/94"

1403(4) انظر : اقتضاء الصراط ص 307-311-312 ، والدين الخالص "4/ 21"

1404(1) تيسير العزيز الحميد ص243

1405(2) انظر ص119 من الرسالة

1406(3) انظر ص155 من الرسالة

1407(4) سبق التعريف بها

طرفه الأيمن قريبا من رجليه واضعاً يده اليمنى على اليسرى ويطرق رأسه ويقرأ الفاتحة مرة والإخلاص أحد عشر مرة وآية الكرسي مرة ويهب ثوابها إليه .

إن قصد القبور للدعاء عندها ورجاء الإجابة بالدعاء هناك أمر لم يشرعه الله ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أئمة المسلمين ولا ذكره أحد من العلماء والصالحين المتقدمين وأصحاب رسول الله قد أجدبوا مرات ودهمتهم نوائب غير ذلك فلم يأتوا عند قبر النبي بل خرج عمر بن العباس - رضي الله عنه - ولم يستسقي عند قبر النبي وقد كان من قبور أصحاب رسول الله بالأمصار عدد كثير وعندهم التابعون ومن بعدهم من الأئمة وما قصدوا الدعاء عند قبر صحابي قط ومثل ذلك مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله بل على نقل ما هو دونه لو وقع .[1408]

أما عن صفة الزيارة على هذا النحو فلم يرد في الشرع الزيارة على هذا النحو ولم يفعله أحد من الصحابة و أن تخصيص ذكر محدد وترتيبه على نحو معنى والالتزام به في أماكن معينة ما هو إلا بدعة لم ترد في الشرع وكل بدعة مردودة على صاحبها .

الفهارس

[1408] (1) اقتضاء الصراط المستقيم ص315.

أولاً : فهــرس الآيــات

سـورة البقـرة

الآية	الصفحة
البقرة (165)	
[illegible] سورة البقرة (185)	455
[illegible] سورة البقرة (186)	274-325-366
[illegible] سورة البقرة (190)	462
[illegible] سورة البقرة (231)	206
[illegible] سورة البقرة (256)	153
[illegible] سورة البقرة (257)	352
[illegible] سورة البقرة (286)	282
سـورة آل عمـران	
[illegible] سورة آل عمران (14)	467
[illegible] سورة آل عمران (16)	327
[illegible] سورة آل عمران (23)	350
[illegible] سورة آل عمران (31)	271-247
[illegible] سورة آل عمران (39)	467
[illegible] سورة آل عمران (53)	327
[illegible] سورة آل عمران (78)	215
[illegible] سورة آل عمران (80)	88-285-403
[illegible] سورة آل عمران (81)	248
[illegible] سورة آل عمران (104)	ج
[illegible] سورة آل عمران (135)	402
[illegible] سورة آل عمران (138)	204
[illegible] سورة آل عمران (175)	353-390
سـورة النســاء	

463	[illegible] **سورة النساء (3)**
463	[illegible] **سورة النساء (4)**
207	[illegible] سورة النساء (59)
352	[illegible] **سورة النساء (76)**
207	[illegible] **سورة النساء (80)**
245	[illegible] **سورة النساء (113)**
209-372	[illegible] **سورة النساء (115)**
سـورة المائـــدة	
400	[illegible] **سورة المائدة (2)**
409-428	[illegible] **سورة المائدة (3)**
	[illegible] **سورة المائدة (7)**
228-308	[illegible] سورة المائدة (17)
438-341-127	[illegible] سورة المائدة (35)
390	[illegible] **سورة المائدة (44)**
352	[illegible] **سورة المائدة (51)**
148-150	[illegible] سورة المائدة (54)
349	[illegible] سورة المائدة (55)
427	[illegible] **سورة المائدة (67)**
304	[illegible] سورة المائدة (72)
457	[illegible] **سورة المائدة (77)**
304	[illegible] **سورة المائدة (78)**
456-460-464	[illegible] **سورة المائدة (87)**
456	[illegible]

سورة المائدة (88)	
﴿ [illegible] ﴾ سورة المائدة (116)	302
﴿ [illegible] ﴾ سورة المائدة (120)	372
سـورة الأنعــام	
﴿ [illegible] ﴾ سورة الأنعام (1)	302
﴿ [illegible] ﴾ سورة الأنعام (8)	319
﴿ [illegible] ﴾ سورة الأنعام (9)	319-157
﴿ [illegible] ﴾ سورة الأنعام (19)	203
﴿ [illegible] ﴾ سورة الأنعام (30)	220
﴿ [illegible] ﴾ سورة الأنعام (40)	398
﴿ [illegible] ﴾ سورة الأنعام (41)	398
﴿ [illegible] ﴾ سورة الأنعام (50)	368
﴿ [illegible] ﴾ سورة الأنعام (63)	374
﴿ [illegible] ﴾ سورة الأنعام (73)	150
﴿ [illegible] ﴾ سورة الأنعام (91)	419-129
﴿ [illegible] ﴾ سورة الأنعام (103)	149
﴿ [illegible] ﴾ سورة الأنعام (114)	204
﴿ [illegible] ﴾ سورة الأنعام (121)	381
﴿ [illegible] ﴾ سورة الأنعام (122)	204
سـورة الأعــراف	
﴿ [illegible] ﴾ سورة الأعراف (23)	
﴿ [illegible] ﴾ سورة الأعراف (32)	461
﴿ [illegible] ﴾ سورة الأعراف (33)	462-417
﴿ [illegible] ﴾ سورة الأعراف (54)	368-372

[illegible] **سورة الأعراف (55)**	62-127-420
[illegible] **سورة الأعراف (59)**	286
[illegible] **سورة الأعراف (65)**	286
[illegible] **سورة الأعراف (143)**	118
[illegible] **سورة الأعراف (147)**	455
[illegible] **سورة الأعراف (157)**	455
[illegible] **سورة الأعراف (180)**	326
[illegible] **سورة الأعراف (188)**	403
[illegible] **سورة الأعراف (196)**	346-353
[illegible] **سورة الأعراف (205)**	421-127
سـورة الأنفـــال	
[illegible] **سورة الأنفال (9)**	400
[illegible] **سورة الأنفال (17)**	130
[illegible] **سورة الأنفال (35)**	225
[illegible] **سورة الأنفال (50)**	225
[illegible] **سورة الأنفال (72)**	400
سـورة التوبـــة	
[illegible] **سورة التوبة (9)**	190
[illegible] **سورة التوبة (20)**	439
[illegible] **سورة التوبة (21)**	439
[illegible] **سورة التوبة (22)**	439
[illegible] **سورة التوبة (31)**	325
[illegible] **سورة التوبة (73)**	309

[illegible] سورة التوبة (80)	394
[illegible] سورة التوبة (84)	394
[illegible] سورة التوبة (101)	240
[illegible] سورة التوبة (116)	438
[illegible] سورة التوبة (119)	126
[illegible] سورة التوبة (122)	413
سـورة يــونس	
[illegible] سورة يونس (18)	324
[illegible] سورة يونس (31)	285
[illegible] سورة يونس (59)	462
[illegible] سورة يونس (62)	346
[illegible] سورة يونس (63)	346-350
[illegible] سورة يونس (64)	346
[illegible] سورة يونس (106)	399
سـورة هــود	
[illegible] سورة هود (7)	180
[illegible] سورة هود (60)	307
سـورة يـوسف	
[illegible] سورة يوسف (23)	285
[illegible] سورة يوسف (24)	228
[illegible] سورة يوسف (31)	278
[illegible] سورة يوسف (42)	285
[illegible]	245

[illegible] سورة يوسف (68)	
سـورة الرعــد	
[illegible] سورة الرعد (14)	398
سـورة إبراهيـم	
[illegible] سورة إبراهيم (1)	204
[illegible] سورة إبراهيم (4)	204
[illegible] سورة إبراهيم (37)	366
[illegible] سورة إبراهيم (38)	366
[illegible] سورة إبراهيم (39)	366-398
[illegible] سورة إبراهيم (40)	398
سـورة النــحل	
[illegible] سورة النحل(36)	286
[illegible] سورة النحل(44)	204-424
[illegible] سورة النحل(50)	391
[illegible] سورة النحل(51)	391
[illegible] سورة النحل(64)	428
[illegible] سورة النحل(89)	228
[illegible] سورة النحل(98)	352
[illegible] سورة النحل(99)	352
[illegible] سورة النحل(100)	352
[illegible] سورة النحل(112)	219-225
[illegible] سورة النحل(116)	460
[illegible] سورة النحل(120)	365
سـورة الإســراء	
[illegible] سورة الإسراء (11)	422

[illegible] سورة الاسراء (57)	228
[illegible] سورة الاسراء (67)	366
[illegible] سورة الاسراء (70)	460
[illegible] سورة الاسراء (110)	421
[illegible] سورة الاسراء (111)	348
سـورة الكهــف	
[illegible] سورة الكهف (28)	447
[illegible] سورة الكهف (63)	416
[illegible] سورة الكهف (65)	245
[illegible] سورة الكهف (67)	388
[illegible] سورة الكهف (78)	252
[illegible] سورة الكهف (79)	246
[illegible] سورة الكهف (81)	246
[illegible] سورة الكهف (82)	246-389
[illegible] سورة الكهف (110)	317
سـورة مريــم	
[illegible] سورة مريم (2)	416
[illegible] سورة مريم (9)	307
[illegible] سورة مريم (64)	460
[illegible] سورة مريم (67)	307
سـورة طـــه	

[illegible] **سورة طه (5)**	302
[illegible] **سورة طه (7)**	131
[illegible] **سورة طه (14)**	419
سـورة الأنبيــاء	
[illegible] **سورة الأنبياء (17)**	317
[illegible] **سورة الأنبياء (25)**	287
[illegible] **سورة الأنبياء (28)**	391
[illegible] **سورة الأنبياء (30)**	317
[illegible] **سورة الأنبياء (34)**	248
[illegible] **سورة الأنبياء (79)**	454
[illegible] **سورة الأنبياء (87)**	118
[illegible] **سورة الأنبياء (90)**	273
سـورة الحـــج	
[illegible] **سورة الحج (78)**	455
سـورة المؤمنــون	
[illegible] **سورة المؤمنون (12)**	318
[illegible] **سورة المؤمنون (13)**	318
[illegible] **سورة المؤمنون (51)**	460
[illegible] **سورة المؤمنون (57)**	391
[illegible] **سورة المؤمنون (88)**	286
[illegible] **سورة المؤمنون (89)**	286
[illegible] **سورة المؤمنون (117)**	398
سـورة النور	
[illegible] **سورة النور (33)**	463-464

سـورة الــروم	
[illegible] سورة الروم (30)	210
[illegible] سورة الروم (54)	302
سـورة لقمــان	
[illegible] سورة لقمان (8)	439
[illegible] سورة لقمان (9)	439
[illegible] سورة لقمان (19)	448
سـورة الأحــزاب	
[illegible] سورة الأحزاب (34)	206
[illegible] سورة الأحزاب (39)	391
[illegible] سورة الأحزاب (40)	409
[illegible] سورة الأحزاب (46)	318
سـورة سبــأ	
[illegible] سورة سبأ (15)	284
سـورة فاطــر	
[illegible] سورة فاطر (3)	373-402
[illegible] سورة فاطر (13)	273
[illegible] سورة فاطر (15)	373
[illegible] سورة فاطر (32)	191-348-349
[illegible] سورة فاطر (33)	348-349-351
[illegible] سورة فاطر (34)	348-349

سـورة فصــلت	
[illegible] **سورة فصلت(3)**	204
سـورة الشــورى	
[illegible] **سورة الشورى(10)**	204
[illegible] **سورة الشورى(11)**	302-308
[illegible] **سورة الشورى(13)**	**350**
سـورة الـزخــرف	
[illegible] **سورة الزخرف(36)**	**381**
[illegible] **سورة الزخرف(131)**	**245**
[illegible] **سورة الزخرف(132)**	**245**
سـورة الـدخــان	
[illegible] **سورة الدخان(10)**	**145**
[illegible] **سورة الدخان(11)**	**145**
[illegible] **سورة الدخان(58)**	**204**
سـورة الأحـقـاف	
[illegible] **سورة الأحقاف(5)**	**399**
[illegible] **سورة الأحقاف(6)**	**399**
سـورة الـفـتـح	
[illegible] **سورة الفتح(10)**	**118**
سـورة الـحجــرات	
[illegible] **سورة الحجرات (7)**	**269**

[illegible] سورة الحجرات (9)	**416**
[illegible] سورة الحجرات (17)	**351**
سـورة ق~	
[illegible] سورة ق~ (15)	**179**
[illegible] سورة ق~ (16)	**147-149-325**
[illegible] سورة ق~ (33)	**228**
سـورة الذاريــات	
[illegible] سورة الذاريات(56)	332
سـورة الـطــور	
[illegible] سورة الطور (35)	305
سـورة النجــــم	
[illegible] سورة النجم(3)	206-410
[illegible] سورة النجم(4)	206-410
[illegible] سورة النجم(29)	214-190-299
[illegible] سورة النجم(53)	161
سـورة الرحمــن	
[illegible] سورة الرحمن (26)	383
[illegible] سورة الرحمن (27)	383
سـورة الجمعــة	
[illegible] سورة الجمعة (2)	365

[illegible] **سورة البروج (16)**	150
سـورة العــلـق	
[illegible] **سورة العلق (1)**	413
[illegible] **سورة العلق (2)**	413
[illegible] **سورة العلق (3)**	413
[illegible] **سورة العلق (4)**	413
[illegible] **سورة العلق (5)**	413
سـورة العــصـــر	
[illegible] **سورة العصر (2)**	307
سـورة الــكــوثر	
[illegible] **سورة الكوثر (1)**	159-190
سـورة الإخـــلاص	
[illegible] **سورة الإخلاص (4)**	192

ثانيـاً : فهــرس الأحـاديث النبويـة

ثالثاً : فهــرس الأعــلام

رابعاً : فهــرس الفــرق

خامساً: فهــرس الأمـاكن والمـدن

سادساً : فهــرس المصطلحات

اسم المصطلح	الصفحة

الزوايا	31
السر	131
السكر	97
السلوك	125
السير	104
الشهود	66-103
الشوق	99
الصحو	38
الطريق الثمانين النبيل	448
العارف	132
العالم	133
عالم الأمر	133
عالم الخلق وعالم الملك والشهادة	134
العبدوية	103
العدم	35
العدم والفناء	136
العلم اللدني	111
علماء الرسوم	89
العوام	275
الغيبة	39-124
الفتح العظيم	63
الفرق	130
الفناء	278
القدم	131-136
القرب	66
لطيفة	131
المجاهدات	141
المحو	61
المراد	156
المرقعة	12
المرتبة الصديقية	60
المشاهدة	107
المعرفة	99
المقام	88-130

مقام الجمع	**130**
مقام جمع الجمع	**130**
المكاشفات	**160**
النرفان	**449**
الهمة	**165**
الوارد	**133**
الواصل	**124**
الوجد	**174**
الولاية	**147**
الياسا	**20**
اليوغا	**424**

قائمة المراجع

(أ)

1- أعلام النساء . لعمر رضا كحالة المطبعة الهاشمية ط2، 1379هـ .

2- **الأعلام .** تأليف خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت، الطبعة السابعة ، 1986م
3- الإسلام والحضارة العربية . لمحمد كرد علي ، الطبعة الثانية، 1950م بدون بيانات أخرى
4-اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري . محمد مصطفى هدارة . ط 2 . القاهرة . دار المعارف . د . ت .
5- الإصابة في تمييز الصحابة . لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق علي محمد البجاوي دار الجيل بيروت ط 1 ، 1412هـ .
6- الأنوار القدسية في مناقب السادة النقشبندية,تأليف:يس السنهوتي النقشبندي ,مطبعة السعادة,بدون تاريخ
7- الابانه في اصول الديانة لابي الحسن الأشعري,تقديم وتحقيق:د.فوقية حسين محمود,دار الانصار,بدون بيانات أخرى
42- معجم المؤلفين تأليف:عمر رضا كحالة ، مطبعة الترقي بدمشق,1378هـ,1995م,بدون رقم الطبعة.
8- الأنساب للسمعاني,الأجزاء الاولى,تحقيق:عبدالرحمن المعلم والباقي تحقيق آخرين,الناشر محمد أمين دمج,بيروت – ط الثانية-1400هـ/1980م
9- إمام اهل السنة والجماعة أبو منصور الماتريدي وآراؤه الكلامية ,ص181-182,لعلي عبدالفتاح المغربي,مكتبة وهبة,القاهرة,ط1/1405هـ-1985م
10- إرغام المريد لعبده محمد زاهد,مطبعة بكر افندي بدار الجلافة العلمية1328هـ.
11- الإجابة الربانيه لشرح ومنافع الورد النقشبندي,للشيخ الاكبر السيد محمد بهاء الدين نقشبند, ,لمحمد أمين الكردي الإربلي,ويليه الفتوحات السنية في التوسل بالسادة النقشبندية,مطبعة السعادة,بدون رقم وتاريخ
12- الإمام خالد النقشبندي ومنهجه الصوفي وجهوده في التصوف /رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية الدكتوراه في العقيدة والفلسفة،إعداد:أحمد علي محمد عجيزه،جامعة الأزهر،كلية أصول الدين والدعوة بطنطا،قسم العقيدة والفلسفة،1412هـ-1992م.
13- الإحكام في أصول الأحكام، تأليف : سيف الدين أبي الحسن علي بن علي بن محمد الآمدي – دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1400 هـ - 1980 م ، بدون رقم الطبع **14-** إرشاد الفحول لتحقيق الحق من علم الأصول ، تأليف : محمد ابن علي الشوكاني ، وبهامشة : شرح الشيخ أحمد بن قاسم العبادي على

شرح جلال الدين المحلي على الورقات في الأصول لإمام الحرمين – دار المعرفة ، بيروت ، 1399هـ - 1979م، بدون رقم الطبع.
15- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، تأليف : مصطفى السباعي – المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1396هـ - 1976م**.**
16- إعلام الموقعين عن رب العالمين ،لإبن قيم الجوزية, بتحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد – دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى 374هـ - 1955م.
17-الإبهاج شرح المنهاج على منهاج الوصول إلى علم الأصول ، تأليف : علي بن عبدالكافي السبكي ، وولده تاج الدين عبدالوهاب ابن علي السبكي ، تحقيق : د . شعبان محمد اسماعيل – مكتبة الكليات الأزهرية ، مصر ، 1401هـ - 1981م بدون رقم الطبع.
18- أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن,تأليف:محمد الأمين الشنقيطي : بيروت عالم الكتب.
19- إحياء علوم الدين ،لأبي حامد الغزالي,مطبعة مصطفى البابي الحلبي_1358هـ_1939م.
20- الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية ،لعبد الوهاب الشعراني,تحقيق وتقديم طه عبد الباقي سرور,الطبعة الاولى.
21-أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب لمحمد درويش الحوت _طبعة قطر،شرح المواهب اللدنية
22- الاعتصام لابي اسحاق ابراهيم بن موسى الشاطبي تحقيق:سليم بن عيد الهلالي-دار ابن عفان-الخبر-المملكة العربية السعودية-الطبعة الاولى(1412هـ-1992م).
23- ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق, ,جمع وتأليف:عبدالقادر بن حبيب الله السندي,نشر وتوزيع-دار البخاري-ط1,(1411هـ-1991م).
24- الأذكار النووية للإمام أبي ذكريا يحي بن شرف النووي _تحقيق عامر بن علي ياسين_دار ابن خزيمة _ط1_1422ه. 2001
25- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لإبن تيمية _تحقيق وتعليق د.ناصر بن عبد الكريم العقل,بدون بيانات اخرى
26- أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة لأحمد بن يحيي النجمي ، الرياض الإدارة العامة

للطبع بالرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية 1405هـ .
27- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان,لأبي عبدالله محمد الشهير بإبن القيم الجوزية,تحقيق:حامد الفقي,دار الفكر.
28- أحكام الذكر في الشريعة الاسلامية ,اعداد:أمل بنت محمد بن فالح الصغير,دار الفضيلة-الطبعة الاولى-1424هـ/2003م.
29- أديان الهند الكبرى ، د.أحمد شلبي، ط8 ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1986 م.
(ب)
30- **بغية المستفيد شرح منية المريد** لمحمد العربي السائح ص 72 ، مطبعة الباب الحلبي القاهرة 1959م
31- **البداية والنهاية** ، لابن كثير ، مكتبة المعارف ، بيروت ، بدون رقم وتاريخ .
31- **بلدان الخلافة الشرقية** ، تأليف : كي لسترنج ، مؤسسة الرسالة بدون رقم وتاريخ.
32- **البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية،** تأليف محمد بن عبدالله بن مصطفى الخاني ، ضبطه أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1424هـ / 2003م
33- **بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية** ، لأحمد عبدالحليم بن تيمية ، مكتبة العلوم والحكم ، تحقيق د. موسى سليمان الدرويش ط 1 ، 1408هـ
34- **بريقة محمودية** في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية ، تأليف : أبي سعيد الخادمي وبهامشيه كتاب : الوسيلة الأحمدية والذريعة السرمدية في شرح الطريقة المحمدية تأليف : رجب بن أحمد . مطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر- (1348هـ) بدون رقم الطبع .
35- **البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها**,للدكتور:عبدالله مصطفى نومسوك, مكتبة أضواء السلف,ط1-1420هـ-1999م

36- **بوذا** ، حمدي السعداوي ، القاهرة ، المركز العربي للنشر,بدون بيانات اخرى.
37- **البيان في شرح الهداية**لابي محمد العيني,دار الفكر-بيروت-الطبعة الثانية-1411هـ-1990م.
38- **البناية شرح الهداية**
(ت)
39- **تلبيس إبليس** لعبدالرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي . تحقيق د.السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي بيروت ط1 ، 1405هـ / 1985م.
40- **التصوف الإسلامي** وتاريخه لرينولد ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر .
41- **التجانية** دراسة لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنة لعلي بن محمد دخيل الله . دار مصر للطباعة ، بدون رقم وتاريخ
42- **تاريخ الشعوب الإسلامية** لكارل بروكلمان ،دار العلم للملايين – الطبعة الأولى،1948م
43- **تاريخ بغداد المكتبة السلفية** ,بدون رقم وتاريخ
44- **تهذيب الأنساب**,لعز الدين بن الأثير الجزري,طبعة دار صادر,بيروت-1400هـ-1980م
45- **تقريب التهذيب**:لابن حجر العسقلاني ,تحقيق:عبدالوهاب عبداللطيف,المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.
46- **التوحيد لأبي منصور الماتريدي** ، د.فتح الله خليف,دار الجامعات المصرية _ اللإسكندرية,بدون رقم وتاريخ
47- **تأويلات أهل السنة لأبي منصور الماتريدي** ,تحقيق د.محمد مستفيض الرحمن_مطبعة الإرشاد,بغداد 1404هـ
48- **التعديل والجرح** لمن خرج له البخاري في الجامع الصغير لسليمان بن خلف الباجي ، تحقيق أبو لبابه حسين، دار اللواء للنشر ، الرياض ، ط 1 ، 1406هـ
49- **تاريخ الإسلام**

50- **تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي** ، لمحمد أحمد لوح_دار ابن عفان_القاهرة,ط1_1422هـ, 2002م
51- **تنوير الحلك في جواز رؤية النبي والملك للسيوطي** بدار جوامع الكلم –مصر – بدون رقم الطبع وتاريخه ، وضمن مجموع فتاوية المسمى بـ((الحاوي للفتاوي)) ، دار الكتاب العربي – بيروت – بدون رقم الطبع وتاريخه.
52- **تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب** ،تأليف:محمد أمين الكردي الإربلي،علق عليه:محمد رياض،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان-الطبعة الأولى -1416هـ/1995م
53- **توجيه النظر إلى أصول الأثر**، تأليف : طاهر بن صالح الجزائري-دار المعرفة ، بيروت ، بدون أي بيانات أخرى .
54- **التعرف لمذهب أهل التصوف**,لأبي بكر محمد الكلاباذي,تحقيق محمود أمين النواوي,مكتبة الكليات الأزهرية,بدون رقم وتاريخ.
55- **تفسير البحر المحيط** . تأليف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان . دار الفكر – بيروت – الطبعة الثانية : 1403هـ - 1983م.
56- **التصوف في ميزان البحث والتحقيق**,ص 213,لعبد القادر السندي_مكتبة ابن القيم ,المدينة_ 1410هـ
57- **تنبيه الغبي بتبرئة** ابن عربي لجلال الدين السيوطي ، مخطوط ضمن المجموعة (722/5) بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
58- **تنبيه الغبي الى تكفير ابن عربي لبرهان الدين البقاعي** ,الطبعة الأولى,تحقيق:عبدالرحمن الوكيل,(القاهرة:مطبعة السنة المحمدية,1372هـ) .
59**- تقديس الاشخاص في الفكر الصوفي** تأليف:محمد احمد لوح,دار ابن عفان,ط1(1422هـ-2002م).

60- **التصوف بين الحق والخلق** لمحمد فهر شقفه ,الدار السلفية للنشر والتوزيع,ط3.
61- **تفسير القرآن العظيم** لابن كثير ,دار الكتب العلمية_بيروت_لبنان,ط1_1418هـ,1997.
62- **تيسير العزيز الحميد** شرح كتاب التوحيد ، للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب _المكتب الإسلامي _بيروت _ط5_1402هـ
63- **التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق** ، للدكتور زكي مبارك"_دار الجيل_بدون رقم الطبع وتاريجه.
64**- التوسل**.أنواعه وأحكامه. للألباني ,تنسيق محمدعيد عباسي_بيروت .المكتب الإسلامي_1397ه
65- **تلخيص المستدرك للحافظ الذهبي** .دار المعرفة ,بيروت .بهامش المستدرك
66- **تفسير القرآن الحكيم** ,الشهيربتفسير المنار ، لمحمد رشيد رضا "8/ 454" ,دار المعرفة ,بيروت ,لبنان,ط2_بدون تاريخ
67- **التبرك المشروع والتبرك الممنوع**, د.علي بن نفيع العلياني , دار الوطن , الرياض ,1411 هـ
(ج)
68- جامع كرامات الأولياء,تأليف: القاضي يوسف بن إسماعيل النبهاني-المكتبة التوفيقية,بدون رقم وتاريخ.
69- الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي,تحقيق:عبدالفتاح الحلو,عيسى البابي,ط 1398هـ-1978م
70- جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم وأصنافهم وأصول كل طريق ومهمات المريد وشروط الشيخ,لأحمد ضياء الكمشخاتلي .طبع بالمطبعة الجماليةبمصر1328هـ
71- الجرح والتعديل لعبدالرحمن بن أبي حاتم محمد بن ادريس الرازي التميمي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ، ط 1 ، 1271هـ / 1952م.
72-الجامع لأحكام القرآن . تأليف : أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي . تحقيق أبو إسحاق إبراهيم

أطفيش. دار الكتاب العربي – بيروت ، بدون رقم الطبع وتاريخه .
73- جامع البيان في تأويل أي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري_دار المعرفة –بيروت,لبنان-بدون رقم وتاريخ.
74- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، لنعمان خير الدين الألوسي البغدادي ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان .
75- جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التيجاني,لعلي حرازم الفاسي,دار الجبل بيروت ,1408ه_1988م.
76- جامع الترمذي,للامام الحافظ أبي عيسى بن سؤرة الترمذي مع شرحه,"تحفة الأحوذي" لمباركفوري-دار الفكر-الطبعة الثالثة-1399هـ/1979م.
77- جمهرة الأولياء و أعلام أهل التصوف ، لأبي الفيض المنوفي مطبعة المدني ، 1967م..

(ح)
78- الحدائق الورديه في حقائق أجلاء النقشبنديه, تأليف:عبد المجيد بن محمد الخاني ، تاريخ 1306هـ .
79- الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية والبهجة الخالدية قدس الله اسرارهم العلية,ص21,تأليف:محمد بن سليمان البغدادي الحنفي النقشبندي,قد اعتنى بطبعة طبعة جديدة بالأوفست بطلب من مكتبة الحقيقة,استانبول –تركيا,1992م ، وملحق بها رسالة مما ألفه بعض علماء النقشبندية في الرد على الوهابية .
80- الرحمة الهابطه في ذكر اسم الذات وتحقيق الرابطة لحسين الدواسري يلي المكتوبات الشريفة , للفاروقي السرهندي وبهامشه رسالة المبدأ والمعاد ,طبعة تركيا,بدون رقم وتاريخ
81- الحديقة الندية:تأليف:عبه محمد زاهد,مطبعة بكر أفندي,بدار الخلافة العلمية,1328هـ

82- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، دار الكتاب العربي بيروت .ط4 ، 1405
83- حقائق خطيرة عن الطريقة النقشبندية,تأليف:عبدالرحمن محمد سعيد دمشقيه,دار المسلم-الرياض,الطبعة الاولى/1419هـ-1998م
84- حاشية المحلي على جمع الجوامع، مطبوع بهامشه تقرير الشيخ عبدالرحمن الشربيني – مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ، الطبعة الثانية ، 1356هـ - 1937م.
85- حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ: باختصار_لمحمود عبد الرؤوف القاسم _دار الصحابة.بيروت_ط1_1408-1987م.
86- الحاوي للفتاوي .لجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي_تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد_مطبعةالسعادة بمصر_ط3_1378هـ,1967م.
87- الحركات الباطنية في العالم الاسلامي . محمد أحمد الخطيب . ط1. جمعية عمال المطابع التعاونية_ 1404هـ.
88- حاشية در المختار محمد أمين أفندي الشهير بابن عابدين بدون بيانات أخرى .
(خ)
89- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر’لمحمد أمين بن فضل الله المحبي,دار صادر , بيروت ,بدون رقم وتاريخ.
90- خواطر دينيه. تأليف : عبدالله بن محمد بن الصديق الغماري . مكتبة القاهرة – مصر – الطبعة الأولى 1388هـ - 1986م
91- الخصائص الكبرى للسيوطي .

(د)
92- درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية – تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، 1401هـ -1981م.

93- دعوة التوحيد ، لمحمد خليل هراس , مكتبة الصحابة,طنطا,بدون رقم وتاريخ
94- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر البيهقي ، تحقيق عبدالمعطي قلعجي دار الكتب العلمية بيروت، ط1 ، 1405هـ / 1985م .
95- الدين الخالص ، لمحمد صديق حسن.مطبعة المدني _القاهرة
96- الدر النضيد في الرسائل السلفية لمحمد بن علي الشوكاني _تحقيق خالد عبد اللطيف السبع العلمي _دار الكتاب العربي_بيروت_1411هـ,1991م .

(ذ)
97- الذكرى الرابعة عشر لرحيل العلامة العارف بالله الشيخ عز الدين الخزنوي,بدون أي بيانات أخرى.
(ر)
98- الرسالة القشيرية ، لأبي القاسم عبدالكريم بن هوزان ، تحقيق عبدالحليم محمود، محمود الشريف ، دار الكتب الحديثة بمصر ،بدون رقم وتاريخ .
99- رشحات عين الحياة: ,ديار بكر-تركيا-بدون بيانات أخرى.
100- الروضة البهيةفيمابين الأشاعرة والماتريدية,تأليف:الحسن بن عبدالمحسن المشهور بأبي عذبة,دار المعارف العثمانية-الهند-ط1/1322هـ
101- الرحمة الهابطه في ذكر اسم الذات وتحقيق الرابطة لحسين الدواسري يلي المكتوبات الشريفة , للفاروقي السرهندي وبهامشه رسالة المبدأ والمعاد ,طبعة تركيا,بدون رقم وتاريخ
102- رسالة في علم الباطن والظاهر ضمن المجموعة المنيرية لجمهور من العلماء المحققين دار إحياء التراث العربي ، عن إدارة الطباعة المنيرية 1343هـ
103- الرسالة التدمرية لأحمد بن عبدالحليم ابن تيمية تحقيق محمد عوده السعودي ، ط 1 ، 1405هـ
104- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني.للعلامة محمود الألوسي البغدادي,دار إحياء

التراث العربي,بيروت لبنان الطبعة الثانية,بدون رقم وتاريخ.
105- توحيد الألوهية أساس الإسلام لحامد بن عبدالقادر الأحمدي ، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية.
106- الرد على المنطقيين,لشيخ الإسلام ابن تيمية, _مطبعة معارف لاهور_1396هـ_1976م
(ز)
107- زاد المعاد في هدي خيرالعباد,لابن قيم الجوزية,تحقيق شعيب وعبدالقدر الأرناؤط,مؤسسة الرسالة _بيروت,ط8 ,1405هـ_1985م.
108- الزهر النضر في نبأ الخضر :.للحافظ ابن حجر,تحقيق مجدي إبراهيم,مكتبة القرآن القاهرة 1407هـ.
(س)
109- سير أعلام النبلاءلمحمد بن احمد بن عثمان الذهبي,ط6,مؤسسة الرسالة,بيروت,1409هـ,19799م .
200- السعادة الأبدية في جاء بة النقشبندية,لعبد المجيد بن محمد الخاني الخالدي, ,مكتبة الحقيقة,استانبول-تركيا-بدون رقم وتاريخ وطبعة
201- السلسة الصحيحة لمحمد ناصر الألباني ، مكتبة المعارف الرياض ، بدون رقم وتاريخ
202- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، تأليف : مصطفى السباعي – المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1396هـ - 1976م.
203- السنن الكبرى للبيهقي ، وبذيله : الجوهر النقي لابن التركماني دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر آباد الدكن ، الهند، الطبعة الأولى ، 1355هـ
204- سنن الترمذي مع التحفة لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي .تحقيق أحمد محمد شاكر وغيره.مطبعة الحلبي .القاهرة_1382هـ
(ش)

205- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن العماد الحنبلي ,بيروت ,ط2,دار المسيرة,1399هـ 1979م.
206- شرح العقبدة الطحاوية.لعلي بن أبي العز الحنفي ,تخريج الألباني,المكتب الإسلامي_بيروت_ط5_1399هـ.
207- شبهات التصوف,د.عمر بن عبد العزيز القرشي,دار الهدى,بدون بيانات اخرى
208- الشيخ احمد الفاروقي السرهندي وآراؤه الكلامية والصوفية, رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية الدكتوراه في العقيدة والفلسفة,اعداد احمد محمد عبدالوهاب,جامعة الازهر,كلية اصول الدين بالقاهرة,قسم العقيدة والفلسفة
209- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل -لإبن قيم الجوزية,دار المعرفة ، بيروت ، 1398هـ - 1978م ، بدون رقم الطبع
210- الشفا بتعريف حقوق المصطفى. تأليف القاضي عياض بن موسى ، اليحصبي – طبع المطبعة العثمانية بتركيا ، سنة 1312هـ . بدون رقم الطبع .
211- شرح المواهب اللدنية.لمحمد بن عبد الباقي الزرقاوى,المطبعة الأزهرية_الطبعة الاولى1325هـ.
212- شرح أسماء الله الحسنى,لسعيد بن علي بن وهف القحطاني, الطبعة الاولى_1409هـ
213- فصوص الحكم لمحي الدين ابن عربي بتعليقات أبو العلا عفيفي دار الكتاب العربي لبنان ، ط2 1400هـ / 1980م
214- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائى ، تحقيق أحمد سعد حمدان الرياض ، دار طيبة.
215 - مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر لإبي الفضل عبدالله محمد بن الصديق الغماري ص43 دار الكتب العلمية بيروت ، 1413هـ .
216- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري_لعبد الله الغنيمان-مكتبة الدار. المدينة _1405هـ .
217- شرح العقيدة الواسطية لمحمد بن صالح العثيمين - مكتبة الهدى الإسلامي_ط1_1406هـ _1986م

218- شرح الصدور للشوكاني في تحريم رفع القبور لمحمد بن علي الشوكاني.ضمن الرسائل السلفية_دار الكتب العلمية _بيروت 1348هـ بدون رقم الطبعة
219- الشرق الجديد د. محمد حسين هيكل، ط 2 ، القاهرة، دار المعارف بدون تاريخ.

(ص)
220- الصراع العراقي الفارسي ، دار الحرية للطباعة 1404هـ - 1983م .
221- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلالة والزندقة لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيثمي ، تحقيق كامل الخراط وعبدالله التركي ، مؤسسة الرسالة بيروت ط 1 ، 1997م
222- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي – دار الفكر ، بيروت ، 1981م ، بدون رقم الطبع.
223- صحيح الجامع الصغير وزيادته : الفتح الكبير تأليف : محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1399هـ - 1979م.
224- الصفدية لإبن تيمية,تحقيق محمدرشاد سالم,الرياض ,مطابع حنيفة,1396ه_1976م
225- الصارم المنكي في الرد على السبكي لمحمد بن عبد الهادي.دارالكتب العلمية _بيروت_1405ه.
226- صفوة الصفوة لابن الجوزي ، تحقيق محمود فاخوري ، د. محمد رواس قلعة جي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط2 ، 1399هـ، 1979م

(ض)
227- ضعيف الترغيب والترهيب لمحمد ناصر الألباني مكتبة المعارف الرياض ، بدون رقم وتاريخ

(ط)

228- طبقات الصوفية لأبي عبدالرحمن السلمي ، تحقيق نور الدين شريبه ، دار الكتاب العربي بمصر، ط1 ، 1372هـ / 1953م
229- الطريقه النقشبنديه وأعلامها، تأليف:د.محمد أحمد درنيقة-جروس برس ,بدون تاريخ
230- الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها،لمحمدفريدالهاشمي،العبر،اسطنبول،الطبعةالثانية2001
231- طبقات الشافعية لعبد الوهاب السبكي تحقيق محمود الطناحي وغيره ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ، بدون رقم وتاريخ
232- الطبقات الكبرى للشعراني المطبعة العامرة الشرقية بمصر 1315هـ
233- الطرق الصوفية في مصر : د / عامر النجار,دار المعارف,الطبعة السادسه,بدون رقم وتاريخ.
234- طريق الهجرتين وباب السعادتين,لابن قيم الجوزية,تحقيق:عمر محمود-دار ابن القيم-الدمام-1409

(ظ)
235- ظهر الإسلام : لأحمد أمين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط5 ، بدون رقم وتاريخ

(ع)
236- عجائب الآثار لعبد الرحمن الجبرتي دار الجيل بيروت
237- عقائد الصوفيه في ضوء الكتاب والسنة / د محمودالمراكبي ص 391 ، 392,مطابع الاهرام ط 3/1996م.
238- علم أصول الفقه ، تأليف : عبد الوهاب خلاف ، مكتبة الصفحات الذهبية ، الرياض، الطبعة السابعة عشر، 1406 هـ - 1985م.
239- العدة في أصول الفقه، تأليف : القاضي أبي يعلي محمد بن الحسين الفراء – تحقيق : د. أحمد بن علي سير المباركي – مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1400هـ - 1980م.

240- عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة ص 29,لمحمود المراكبي_مطابع التجارية قليوب_مصر,ط 3_بدون رقم وتاريخ.
241- العقيدة الطحاوية ،لابن أبي العز الحنفي _حققها وراجعها جماعة من العلماء_المكتب الإسلامي _بيروت.وانظر دعوة التوحيد.
242- العقيدة والشريعة في الاسلام ، لجولد زيهر ,ترجمة:د.محمد يوسف موسى وعلي حسن عبدالقادر وعبدالعزيز عبدالحق-نشر دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد-ط2 .
243- عقيدة المؤمن ، لأبي بكر الجزائري,دار الكتب السلفية, القاهرة ,1405هـ,1985م
244- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية,لعبد الرحمن بن علي بن الجوزي ,تحقيق: خليل الميس **دار الكتب العلمية,بيروت,ط1_1403.**
245- العزيز شرح الوجيز المعروف بالشرح الكبير للامام ابي القاسم عبدالكريم بن محمد الرافعي القزويني,تحقيق:علي محمد معوض,وعادل احمد عبدالموجود-دار الكتب العلمية-بيروت.
246- عون المعبود شرح سنن أبي داود,لمحمد شمس الحق آبادأبو الطيب,دار الكتب العلمية_بيروت_1415هـ.

(غ)
247- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة لعبد الرحمن معلا اللويحق , ط5_1419هـ,1998م.

(ف)
248- الفوائد البهية في تراجم الحنفية,تأليف:عبدالحي الكنوي الهندي,صححه/محمدبدرالدين أبو فراس النعسماني,دار المعرفة ,بيروت
249- الفتوحات المكية,لمحي الدين بن عربي ,دار صادر-بيروت/1424هـ/2004م

250- فصوص الحكم ,لمحي الدين ابن عربي _ط2_دار الكتاب العربي_1400هـ
251- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني ، بترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، إخراج وتصحيح وإشراف : محب الدين الخطيب – دار المعرفة بيروت ، بدون رقم الطبع وتاريخه
252- الفراسة ، تأليف : فخر الدين الرازي ، تحقيق : مصطفى عاشور ، مكتبة الساعي – الرياض ، بدون رقم وتاريخ.
253- فتاوي أئمة المسلمين بقطع لسان المبتدعين. تأليف : محمود محمد خطاب السبكي . ومعه : فتح الملك المبين بإيضاح وتتميم فتاوي أئمة المسلمين . تأليف: أمين محمود خطاب . المطبعة العربية الحديثة بالقاهرة . الطبعة الخامسة ، بدون تاريخ الطبع.
254- الفلسفة الصوفية في الاسلام ومصادرها ونظرياتها ومكانها في الدين والحياة، د.عبد القادر محمود_دار الفكر العربي ,القاهرة_ط2_1966م.
255- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لإبن تيمية .المكتب الإسلامي بيروت_دمشق.بدون بيانات أخرى.
256- الفرق بين الفرق .عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي . بيروت . تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد بيروت . دار المعرفة بدون رقم وتاريخ .
257- الفهرست لمحمد بن اسحاق النديم _دار المعرفة_بيروت.بدون رقم وتاريخ .
258- الفروع للشيخ العلامة شمس الدين محمد بن مفلح,مكتبة المعارف,الرياض,الطبعة الثالثة,1402هـ

(ق)
259- قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة,للدكتور:محمد السيد الجليند,دار قباء,القاهرة,ط4 (2001هـ)

260- القاعدة الواسطية,لابن تيمية ضمن مجموعة التوحيد,لأحمد بن تيمية الحراني ومحمد بن عبدالوهاب النجدي ,دار اليقيني,ط1414/2هـ-1993م.
261- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية ,تحقيق ربيع المدخلي.دمنهور .مكتبة لينه_1409هـ.
262- قطر الولي في شرح حديث الولي ، لمحمد بن علي الشوكاني.تحقيق دزإبراهيم هلال.دار الكتب الحديثة.القاهرة.1389هـ.
263- القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً,لسعدي ابو حبيب,دار الفكر,دمشق,الطبعة الثانية,1408هـ-1988م.
264- قوت المغتذي على جامع الترمذي للحافظ جلال الدين السيوطي الطبعة المصرية ، بدون رقم وتاريخ.
264- القدير لمحمد بن علي الشوكابي .مكتبة البابي الحلبي.ط2_1283ه_1924م.

(ك)
265- كشف المحجوب ، لعلي بن عثمان بن أبي علي الهجويري ، ترجمت د.إسعاد عبدالهادي قنديل ، مراجعة أمين عبدالمجيد بدوي ، الناشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مصر 1394هـ /1974م.
266- كشف الظنون عن أساس الكتب والفنون,تأليف:مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خلبفه-صححه محمد شرف الدين بالتقايا-بدون رقم وتاريخ.
267- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما أشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس لإسماعيل بن محمد العجلوني.مؤسسة الرسالةبيروت,ط4_1405
268- كتاب المعراج ، ص24-25- تأليف:أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري – تحقيق : د.علي حسن عبدالقادر . نشر : دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، طبع : مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الأولى 1384هـ - 1964م.
269- كاف المبتدى-للامام احمد بن حنبل.

(ل)
270- اللمع لأبي نصر السراج الطوسي ، تحقيق عبدالحليم محمود ، طه عبدالباقي سرور ، مطبعة السعادة دار الكتب الحديثة بمصر ، 1380هـ / 1960م
271- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع ,لأبي الحسن االأشعري,صححه وقدم له د.حمودة غرابة,طبع شركة مساهمة مصر1955م.
273- - لسان الميزان لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط3 ، 1406هـ / 1986م ، تحقيق دائرة المعارف النظامية الهند،
274- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ط 1، بدون تاريخ.

(م)
275- مقدمة ابن خلدون ، دار القلم بيروت ، ط5 ، 1984م .
276- مجموع الفتاوى
277- معجم البلدان لياقوت الحموي ،دار الفكر بيروت بدون رقم وتاريخ .
278- المغول في التاريخ لفؤاد الصياد ,دار النهضة العربية,بيروت ,1980م.
279- موجز التاريخ الإسلامي لأحمد معمور عسير ، الطبعة الثانية 1420هـ
280- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لعبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي أبو عبيد ، تحقيق مصطفى السقا عالم الكتب بيروت 1403هـ .
281- المعجم الصوفي تأليف: د.عبدالمنعم الحفني ,دار الرشد,الطبعة الأولى,1417هـ-1997م.
282- مصرع التصوف تأليف:العلامة:برهان الدين البقاعي ,تحقيق:عبد الرحمن الوكيل,دار الايمان/بدون رقم وتاريخ

283- موقف ابن تيمية من الأشاعرة,للدكتور/عبد الرحمن بن صالح المحمود,مكتبة الرشد-الرياض,ط1-1415هـ .
284- الماتريدية وموقفهم من توحيد الاسماء والصفات-للشمس السلفي الافغاني ، مكتبة الصديق-الطائف,الطبعة الاولى-1413هـ-1993م.
285- الماتريدية دراسة وتقويم)احمد بن عوض الله الحربي-دار العاصمة:الرياض:الطبعة الاولى,1413هـ-1995م
286- منهج اهل السنة والجماعة ومنهج الاشاعرة في توحيد الله - تعالى- ، تأليف :خالد بن عبداللطيف بن محمد نور/مكتبة الغرباء الاثرية/المدينة المنورة-الطبعة الاولى-1416هـ/1995
287- مختصر تاريخ دمشق
288- المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن قيم الجوزيةص70.تحقيق أبي غدة_مكتبة المطبوعات الإسلامية_حلب_ط2_1402هـ.
289- المصادر العامة للتلقي عند الصوفي تأليف : صادق سليم صادق ، مكتبة الرشد ، ط1 ، 1415هـ .
290- المعجم الصوفي,أول دراسة علمية في الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي/ د . محمود عبد الرازق ،– دار عسيري-الطبعة الاولى-1425هـ-2004م
291- المنهج الموصل الى الطريق الأبهج في بان السلسلة الشريفة النقشبندية,تأليف:محمد أفندي الرومي,مخطوطة سنة/1009هـ ، نسخة مصورة .
292- الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية,تأليف:يوسف خطار محمد,مطبعة نضر-دمشق-الطبعة الرابعة,1423هـ-2004م
293- مجموعة رسائل الامام الغزالي/لابي حامد الغزالي,راجعها وحققها:ابراهيم أمين محمد,المكتبة التوفيقية,بدون بيانات اخرى
294- مختصر الصواعق المرسلة علي الجهمية والمعطلة. تأليف : ابن القيم ، اختصار: محمد بن

الموصلي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، 1985-1405 هـ ، بدون رقم الطبع.
295- الموطأ للإمام مالك بن أنس ، خدمة : محمد فؤاد عبدالباقي – دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، 1370 هـ - 1951م بدون رقم الطبع.
296- مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ، للسيوطي – منشور ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ، إدارة الطباعة المنيرية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1346هـ
297- معجم مقاييس اللغة(5/181-182). لابن فارس طبع عيسى البابي الحلبي – مصر – الطبعة الأولى ، 1366هـ
298- مدارج السالكين بين اياك نعبد واياك نستعين -للإمام ابن قيم الجوزية,تحقيق:محمد حامد الفقي,دار الفكر,بيروت-بدون رقم وتاريخ.
299- مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني ، لمحمد خضر الشنقيطي ، دار البشائر – عمان – 1405هـ .
300- الموافقات في أصول الشريعة . تأليف : إبراهيم بن موسى الشاطبي تحقيق : عبدالله دراز . دار المعرفة بيروت ، بدون رقم الطبع وتاريخه .
301- منهاج السنة النبوية.لإبن تيمية,تحقيق د.محمدرشادسالم,مطابع جامعةالإمام محمدبن سعودالإسلامية_الطبعة الأولى1406ه_1987م.
302- ميزان الاعتدالة في نقد الرجال ، تأليف : أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق علي البيجاوي ، ويليه فهرس الأحاديث النبوية المسمى فتح الرحمن لأحاديث الميزان ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون رقم وتاريخ.
303- - المنهاج في شعب الإيمان للحليمي,لأبي عبد الله الحليمي,تحقيق حلمي فوده,دار الفكر ط1_1399ه_1979م.
304- موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية

305- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي ، مكتبة لبنان ، بيروت ، تحقيق محمود خاطر ، 1415هـ /1995م .مادة وحد والقاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة بدون رقم وتاريخ.
306- المفردات في غريب القرآن ، للراغب الأصفهاني , تحقيق محمد سيد الكيلاني,بيروت_دار المعرفة.
307- محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ،ط2 ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1381 هـ .
308- الملل والنحل ، للشهرستاني,تحقيق محمد سيد الكيلاني_دار المعرفة_بيروت.
309- مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية_علق عليها محمد رشيد رضا.لجنة التراث العربي.
310- المؤامرة على الاسلام,لأنوار الجندي
311- المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير لأحمد بن صديق الغماري طبع بمصر ، بدون رقم وتاريخ

312- مستدرك الحاكم على الصحيحين لمحمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 ، 1411هـ /1990م ، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا مع تعليقات الذهبي في التلخيص .
313- معجم الصغير للطبراني سليمان بن أحمد تحقيق أحمد عبدالمجيد سلفي ، مطبعة الوطن العربي بغداد ، 1400هـ / 1980م .
314- مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيىء على الأمة الإسلامية لإدريس محمد إدريس, -_مكتبة الرشد_ط1_1419ه.1998م.
315- المعجم الوسيط قام بإخراجه إبراهيم مصطفى_أحمد حسن الزيات_حامد عبد القادر_محمد علي النجار_مطابع دار المعارف .1400هـ.1980م.
316- موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية.
317- مجمع الزوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي **بتحرير العراقي وابن حجر_دار الكتاب العربي_ط3_1402ه_1982م.**

318- معارج القبول بشرح سلم الوصول الى علم الأصول في التوحيد للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ،"المطبعة السلفية ومكتبتها_مصر, بدون تاريخ.
319- - المسند الحميدي,لأبي بكر عبد الله بن الزبير,تحقيق:حبيب الحمن الأعظمي المكتبة السلفية,بالمدينة النبوية,بدون رقم وتاريخ.
320- مفردات ألفاظ القرآن ,للعلامة الراغب الأصفهاني,تحقيق:صفوان عدنان داوودي-دار القلم-دمشق-دارالشامية-بيروت,الطبعة الثانية,1418هـ-1997م.
321- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة إشراف وتخطيط ومراجعة:د.مانع بن حماد الجهني ,دار الندوة العالمية للطباعة والنشر,ط4-1420هـ.
322- الموسوعة الفلسفية د. عبدالرحمن بدوي المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط2 ، 1984م .
323- موسوعة الفلسفة والفلاسفة د. عبدالمنعم الحفني ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ط2 ، 1999م
322- المجموع شرع المهذب للشيرازي للامام يحيى بن شرف النووي,تحقيق:محمد المطيعي-دار إحياء التراث العربي, 1995م-1415هـ.
323- المغني,لابن قدامة ابي محمد عبدالله بن احمد بن محمد,ط مؤسسة عبدالحفيظ البساط-بيروت-لبنان-بدون تاريخ.

(ن)
324- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين أبي المحاسن ابن تغري ، الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب المصرية بدون رقم وتاريخ
325- النقشيبندية وأثرها في انتشار الإسلام في تركيا : رسالة ماجستير إعداد: أحمد عزب بلاطة ، معهد الدراسات الآسيوية بالزقازيق

326- النفحات الجودية في مآثر وأوراد الطريقة النقشبندية/تأليف:جودة محمد ابو يزيد المهدي النقشبندي الدار الجودية-الطبعة الثانية/2005م.
327- نور الهدايه والعرفان
328- النقشبندية عرض وتحليل, تأليف:عبدالرحمن دمشقيه-مكتبة ابن تيمية,الطبعة الثانية,1408هـ-1988م
329- النبوات، ابن تيمية أحمد بن عبدالحليم ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، 1386 هـ .
330- النهاية في غريب الحديث والأثر للمبارك بن محمد بن الأثير ، دار الفكر –بيروت
331- نقض المنطق لإبن تيمية ، عن أبي محمد العز بن عبدالسلام,تحقيق محمد عبد الرازق حمزه و سليمان الصنيع_تصحيح_ محمد حامد الفقي_طبعة السنة المحمدية_1370ه.
332- نزل الابرار بالعلم المأثور من الادعية والاذكار, تأليف:محمد صديق حسن خان,دار لمعرفة,بيروت-بدون تاريخ.

(هـ)
333- هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي ، مصوره عن مطبعة اسطنبول 1951م ، مكتبة المثنى بغداد .

(و)
334- وفيات الأعيان وأنباء الزمان تأليف أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق د.إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، بدون رقم وتاريخ ، وتاريخ بغداد ، المكتبة السلفية بدون رقم وتاريخ .

(ي)
- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر لعبدالوهاب الشعراني ، القاهرة ، المطبعة الحجازية 1352هـ .

فهرس الموضوعـات	
ملخص الرسالة	**أ**